



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلماء



رسالة
عليكم يا صابرين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

المطبعة

البيان
في تفسير القرآن

تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي

المجلد ٢

دار الكتب والوثائق
بمطبعة - طهران

المطبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التبيان فى تفسير القرآن

كاتب:

محمد بن حسن طوسى

نشرت فى الطباعة:

موسسه النشر الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٥٧	التبيان فى تفسير القرآن المجلد ٢
٥٧	اشارة
٥٨	المجلد الثانى
٥٨	[تتمة سورة البقرة] ص : ٣
٥٨	[سورة البقرة (٢): آية ١٤٢] ص : ٣
٥٩	قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٣] ص : ٥
٥٩	اشارة
٥٩	القراءة: ص : ٥
٥٩	المعنى: ص : ٦
٦٠	الاعراب: ص : ٦
٦٠	المعنى: ص : ٧
٦٢	اللغة: ص : ١٠
٦٢	المعنى: ص : ١٠
٦٣	اللغة: ص : ١١
٦٣	المعنى: ص : ١٢
٦٤	قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٤] ص : ١٣
٦٤	اشارة
٦٤	القراءة: ص : ١٣
٦٤	النزول: ص : ١٣
٦٤	المعنى: ص : ١٣
٦٤	اللغة: ص : ١٤
٦٥	المعنى: ص : ١٥

- ٦٦ الاعراب: ص : ١٦
- ٦٦ اللغة: ص : ١٦
- ٦٦ المعنى: ص : ١٦
- ٦٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٥] ص : ١٧
- ٦٧ اشارة
- ٦٧ الاعراب: ص : ١٧
- ٦٧ المعنى: ص : ١٨
- ٦٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٦] ص : ٢٠
- ٦٩ اشارة
- ٦٩ المعنى: ص : ٢١
- ٦٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٧] ص : ٢٢
- ٦٩ اشارة
- ٦٩ الاعراب: ص : ٢٢
- ٧٠ المعنى: ص : ٢٢
- ٧٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٨] ص : ٢٣
- ٧٠ اشارة
- ٧٠ القراءة: ص : ٢٣
- ٧١ المعنى: ص : ٢٤
- ٧١ اللغة: ص : ٢٥
- ٧٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٩] ص : ٢٥
- ٧٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٠] ص : ٢٦
- ٧٢ اشارة
- ٧٢ المعنى: ص : ٢٦
- ٧٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥١] ص : ٢٨

٧٤	اشارة
٧٤	المعنى: ص : ٢٩
٧٤	الاعراب: ص : ٢٩
٧٥	المعنى: ص : ٣٠
٧٥	قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٥٢] ص : ٣١
٧٥	اشارة
٧٥	المعنى: ص : ٣١
٧٦	اللغة: ص : ٣١
٧٦	الاعراب: ص : ٣١
٧٧	قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٥٣] ص : ٣٣
٧٧	اشارة
٧٧	اللغة و المعنى: ص : ٣٣
٧٧	الاعراب: ص : ٣٤
٧٨	قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٥٤] ص : ٣٤
٧٨	اشارة
٧٨	المعنى: ص : ٣٤
٧٨	اللغة: ص : ٣٥
٧٨	الاعراب: ص : ٣٥
٧٩	اللغة: ص : ٣٦
٧٩	المعنى: ص : ٣٦
٧٩	قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٥٥] ص : ٣٦
٧٩	اشارة
٨٠	اللغة: ص : ٣٧
٨٠	المعنى: ص : ٣٧

- ٨٠ الاعراب: ص : ٣٨ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٦] ص : ٣٩
- ٨٠ المعنى: ص : ٣٨ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٦] ص : ٣٩
- ٨١ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٦] ص : ٣٩ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٦] ص : ٣٩
- ٨١ اشارة قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٦] ص : ٣٩
- ٨١ المعنى: ص : ٣٩ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٦] ص : ٣٩
- ٨٢ اللغة: ص : ٤٠ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٧] ص : ٤٠
- ٨٢ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٧] ص : ٤٠ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٧] ص : ٤٠
- ٨٣ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٨] ص : ٤١ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٨] ص : ٤١
- ٨٣ اشارة قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٨] ص : ٤١
- ٨٣ القراءة: ص : ٤١ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٨] ص : ٤١
- ٨٣ اللغة: ص : ٤٢ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٨] ص : ٤١
- ٨٥ المعنى: ص : ٤٤ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٩] ص : ٤٥
- ٨٥ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٩] ص : ٤٥ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٩] ص : ٤٥
- ٨٥ اشارة قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٩] ص : ٤٥
- ٨٥ المعنى: ص : ٤٥ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٩] ص : ٤٥
- ٨٦ اللغة: ص : ٤٧ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٠] ص : ٤٨
- ٨٦ المعنى: ص : ٤٧ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٠] ص : ٤٨
- ٨٧ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٠] ص : ٤٨ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٠] ص : ٤٨
- ٨٧ اشارة قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٠] ص : ٤٨
- ٨٧ المعنى: ص : ٤٨ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٠] ص : ٤٨
- ٨٨ الاعراب: ص : ٤٩ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦١] ص : ٤٩
- ٨٨ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦١] ص : ٤٩ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦١] ص : ٤٩
- ٨٨ اشارة قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦١] ص : ٤٩
- ٨٨ المعنى: ص : ٥٠ قولته تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦١] ص : ٤٩

٨٩ القراءه: ص : ٥٠

٨٩ المعنى: ص : ٥٠

٨٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٢] ص : ٥١

٨٩ اشارة

٩٠ المعنى: ص : ٥١

٩٠ الاعراب: ص : ٥٢

٩٠ اللغة: ص : ٥٢

٩١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٣] ص : ٥٣

٩١ اشارة

٩١ المعنى: ص : ٥٣

٩١ الاعراب: ص : ٥٤

٩١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٤] ص : ٥٤

٩١ اشارة

٩٢ القراءه: ص : ٥٤

٩٢ المعنى: ص : ٥٤

٩٢ اللغة: ص : ٥٤

٩٥ المعنى: ص : ٦٠

٩٦ اللغة: ص : ٦٠

٩٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٥] ص : ٦١

٩٦ اشارة

٩٧ القراءه: ص : ٦١

٩٧ اللغة: ص : ٦١

٩٧ المعنى: ص : ٦٢

٩٨ الاعراب: ص : ٦٣

- ٩٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٦] ص : ٦٥
- ٩٩ اشارة
- ٩٩ الاعراب و اللغة: ص : ٦٥
- ١٠٠ المعنى: ص : ٦٦
- ١٠٠ اللغة: ص : ٦٦
- ١٠٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٧] ص : ٦٧
- ١٠٠ اشارة
- ١٠٠ المعنى: ص : ٦٧
- ١٠١ اللغة: ص : ٦٧
- ١٠١ الاعراب: ص : ٦٨
- ١٠١ المعنى: ص : ٦٨
- ١٠٢ اللغة: ص : ٦٩
- ١٠٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٨] ص : ٧٠
- ١٠٣ اشارة
- ١٠٣ القراءة: ص : ٧٠
- ١٠٣ اللغة: ص : ٧٠
- ١٠٤ المعنى: ص : ٧٢
- ١٠٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٩] ص : ٧٢
- ١٠٤ اشارة
- ١٠٤ اللغة: ص : ٧٢
- ١٠٥ المعنى: ص : ٧٤
- ١٠٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٠] ص : ٧٥
- ١٠٦ اشارة
- ١٠٦ الاعراب: ص : ٧٥

- المعنى: ص : ٧٥ ١٠٦
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧١] ص : ٧٧ ١٠٧
- اشارة ١٠٧
- المعنى: ص : ٧٧ ١٠٧
- اللغة: ص : ٧٩ ١٠٩
- المعنى: ص : ٨٠ ١٠٩
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٢] ص : ٨١ ١١٠
- اشارة ١١٠
- المعنى: ص : ٨١ ١١٠
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٣] ص : ٨٣ ١١١
- اشارة ١١١
- القراءة: ص : ٨٣ ١١١
- اللغة و الاعراب: ص : ٨٣ ١١١
- المعنى: ص : ٨٥ ١١٢
- اللغة: ص : ٨٥ ١١٣
- المعنى: ص : ٨٦ ١١٣
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٤] ص : ٨٧ ١١٤
- اشارة ١١٤
- المعنى: ص : ٨٧ ١١٤
- اللغة: ص : ٨٩ ١١٥
- لمعنى: ص : ٨٩ ١١٥
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٥] ص : ٩٠ ١١٦
- اشارة ١١٦
- المعنى: ص : ٩٠ ١١٦

- ١١٧ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٦] ص : ٩٢
- ١١٧ اشارة
- ١١٧ الاعراب: ص : ٩٢
- ١١٨ المعنى: ص : ٩٣
- ١١٨ الاعراب: ص : ٩٣
- ١١٨ اللغة: ص : ٩٤
- ١١٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٧] ص : ٩٤
- ١١٩ اشارة
- ١١٩ القراءة: ص : ٩٤
- ١١٩ النزول: ص : ٩٥
- ١١٩ المعنى: ص : ٩٥
- ١٢٠ اللغة: ص : ٩٧
- ١٢٠ المعنى: ص : ٩٧
- ١٢٢ الاعراب: ص : ٩٩
- ١٢٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٨] ص : ٩٩
- ١٢٢ اشارة
- ١٢٢ معنى ص : ١٠٠
- ١٢٣ اللغة: ص : ١٠٠
- ١٢٤ المعنى: ص : ١٠١
- ١٢٥ الاعراب: ص : ١٠٣
- ١٢٥ اللغة: ص : ١٠٣
- ١٢٥ المعنى: ص : ١٠٣
- ١٢٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٩] ص : ١٠٤
- ١٢٦ اشارة

- ١٢٦ المعنى: ص : ١٠٤
- ١٢٧ اللغة: ص : ١٠٦
- ١٢٧ المعنى: ص : ١٠٦
- ١٢٧ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٠] ص : ١٠٧
- ١٢٧ اشارة
- ١٢٧ المعنى: ص : ١٠٧
- ١٢٩ الاعراب: ص : ١٠٩
- ١٢٩ المعنى: ص : ١٠٩
- ١٢٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨١] ص : ١١٠
- ١٣٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٢] ص : ١١١
- ١٣٠ اشارة
- ١٣٠ القراءة: ص : ١١١
- ١٣٠ المعنى: ص : ١١١
- ١٣٠ اللغة: ص : ١١٢
- ١٣١ المعنى: ص : ١١٢
- ١٣٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٣] ص : ١١٤
- ١٣٢ اشارة
- ١٣٢ اللغة: ص : ١١٤
- ١٣٢ المعنى: ص : ١١٥
- ١٣٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٤] ص : ١١٥
- ١٣٣ اشارة
- ١٣٣ القراءة: ص : ١١٦
- ١٣٣ الاعراب: ص : ١١٦
- ١٣٤ المعنى: ص : ١١٧

- ١٣٤ اللغة: ص : ١١٨
- ١٣٥ المعنى: ص : ١١٨
- ١٣٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٥] ص : ١٢٠
- ١٣٦ اشارة
- ١٣٦ القراءة: ص : ١٢٠
- ١٣٦ اللغة: ص : ١٢٠
- ١٣٦ الاعراب: ص : ١٢١
- ١٣٧ المعنى: ص : ١٢١
- ١٣٧ الاعراب: ص : ١٢٢
- ١٣٧ اللغة: ص : ١٢٢
- ١٣٧ المعنى: ص : ١٢٢
- ١٣٨ اللغة: ص : ١٢٣
- ١٣٩ الاعراب: ص : ١٢٤
- ١٣٩ المعنى: ص : ١٢٥
- ١٤٠ مسائل من أحكام الصوم ص : ١٢٦
- ١٤١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٦] ص : ١٢٨
- ١٤١ اشارة
- ١٤١ النزول: ص : ١٢٩
- ١٤١ المعنى: ص : ١٢٩
- ١٤٢ اللغة: ص : ١٣٠
- ١٤٢ الاعراب: ص : ١٣١
- ١٤٣ المعنى: ص : ١٣١
- ١٤٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٧] ص : ١٣١
- ١٤٣ اشارة

- المعنى: ص : ١٣٢ ----- ١٤٣
- اللغة: ص : ١٣٤ ----- ١٤٥
- المعنى: ص : ١٣٥ ----- ١٤٥
- اللغة: ص : ١٣٦ ----- ١٤٦
- أحكام الاعتكاف: ص : ١٣٦ ----- ١٤٦
- سبب النزول: ص : ١٣٧ ----- ١٤٧
- المعنى: ص : ١٣٧ ----- ١٤٧
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٨] ص : ١٣٨ ----- ١٤٧
- اشارة ----- ١٤٧
- المعنى: ص : ١٣٨ ----- ١٤٧
- اللغة: ص : ١٣٩ ----- ١٤٨
- الاعراب: ص : ١٣٩ ----- ١٤٨
- المعنى: ص : ١٣٩ ----- ١٤٨
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٩] ص : ١٤٠ ----- ١٤٩
- اشارة ----- ١٤٩
- القراءة: ص : ١٤٠ ----- ١٤٩
- اللغة: ص : ١٤٠ ----- ١٤٩
- المعنى: ص : ١٤١ ----- ١٤٩
- اللغة: ص : ١٤١ ----- ١٥٠
- المعنى: ص : ١٤١ ----- ١٥٠
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٠] ص : ١٤٣ ----- ١٥١
- اشارة ----- ١٥١
- المعنى: ص : ١٤٣ ----- ١٥١
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩١] ص : ١٤٤ ----- ١٥٢

- ١٥٢ اشارة
- ١٥٢ القراءة: ص : ١٤٥
- ١٥٢ المعنى: ص : ١٤٥
- ١٥٢ الاعراب: ص : ١٤٥
- ١٥٢ اللغة: ص : ١٤٥
- ١٥٣ المعنى: ص : ١٤٦
- ١٥٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٢] ص : ١٤٦
- ١٥٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٣] ص : ١٤٧
- ١٥٣ اشارة
- ١٥٤ المعنى: ص : ١٤٧
- ١٥٥ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٤] ص : ١٤٩
- ١٥٥ اشارة
- ١٥٥ الاعراب: ص : ١٤٩
- ١٥٥ المعنى: ص : ١٤٩
- ١٥٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٥] ص : ١٥١
- ١٥٦ اشارة
- ١٥٧ المعنى: ص : ١٥١
- ١٥٧ الاعراب: ص : ١٥١
- ١٥٧ المعنى: ص : ١٥٢
- ١٥٧ اللغة: ص : ١٥٢
- ١٥٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٦] ص : ١٥٣
- ١٥٨ اشارة
- ١٥٨ المعنى: ص : ١٥٤
- ١٥٩ اللغة: ص : ١٥٥

- ١٦٠ الاعراب: ص : ١٥٦
 ١٦٠ المعنى: ص : ١٥٦
 ١٦٠ اللغة: ص : ١٥٧
 ١٦١ المعنى ص : ١٥٨
 ١٦٢ اللغة: ص : ١٦١
 ١٦٣ المعنى: ص : ١٦١
 ١٦٣ اللغة: ص : ١٦١
 ١٦٣ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٧] ص : ١٦٢
 ١٦٣ اشارة
 ١٦٣ القراءة: ص : ١٦٢
 ١٦٤ الاعراب: ص : ١٦٣
 ١٦٤ المعنى: ص : ١٦٣
 ١٦٥ اللغة: ص : ١٦٤
 ١٦٥ الاعراب: ص : ١٦٥
 ١٦٥ المعنى: ص : ١٦٥
 ١٦٦ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٨] ص : ١٦٦
 ١٦٦ اشارة
 ١٦٦ اللغة و الاعراب: ص : ١٦٦
 ١٦٧ المعنى: ص : ١٦٧
 ١٦٧ الاعراب: ص : ١٦٨
 ١٦٧ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ١٩٩] ص : ١٦٨
 ١٦٧ اشارة
 ١٦٨ المعنى: ص : ١٦٨
 ١٦٨ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٠] ص : ١٧٠

- ١٦٨ اشارة
- ١٦٩ المعنى: ص : ١٧٠
- ١٦٩ الاعراب: ص : ١٧١
- ١٦٩ المعنى: ص : ١٧١
- ١٧٠ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠١] ص : ١٧١
- ١٧٠ اشارة
- ١٧٠ الاعراب: ص : ١٧١
- ١٧٠ اللغة: ص : ١٧٢
- ١٧٠ المعنى: ص : ١٧٢
- ١٧٠ اللغة: ص : ١٧٢
- ١٧١ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٢] ص : ١٧٣
- ١٧١ اشارة
- ١٧١ الاعراب: ص : ١٧٣
- ١٧١ اللغة: ص : ١٧٣
- ١٧٢ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٣] ص : ١٧٤
- ١٧٢ اشارة
- ١٧٢ المعنى: ص : ١٧٥
- ١٧٣ الاعراب: ص : ١٧٧
- ١٧٤ اللغة: ص : ١٧٧
- ١٧٤ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٤] ص : ١٧٧
- ١٧٤ اشارة
- ١٧٤ اللغة: ص : ١٧٨
- ١٧٥ المعنى: ص : ١٧٩
- ١٧٥ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٥] ص : ١٧٩

- ١٧٥ اشارة
- ١٧٦ اللغة: ص : ١٨٠
- ١٧٦ المعنى: ص : ١٨١
- ١٧٦ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٦] ص : ١٨١
- ١٧٧ اشارة
- ١٧٧ المعنى: ص : ١٨١
- ١٧٧ اللغة: ص : ١٨٢
- ١٧٧ المعنى: ص : ١٨٢
- ١٧٨ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٧] ص : ١٨٣
- ١٧٨ اشارة
- ١٧٨ النزول: ص : ١٨٣
- ١٧٨ المعنى: ص : ١٨٣
- ١٧٩ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٨] ص : ١٨٥
- ١٧٩ اشارة
- ١٧٩ القراءة: ص : ١٨٥
- ١٧٩ اللغة: ص : ١٨٥
- ١٧٩ المعنى: ص : ١٨٥
- ١٨٠ اللغة: ص : ١٨٦
- ١٨٠ المعنى: ص : ١٨٦
- ١٨٠ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢٠٩] ص : ١٨٧
- ١٨١ اشارة
- ١٨١ المعنى و اللغة: ص : ١٨٧
- ١٨١ قوله تعالى:[سورة البقرة (٢): آية ٢١٠] ص : ١٨٨
- ١٨١ اشارة

- ١٨١ القراءة: ص : ١٨٨
- ١٨١ المعنى: ص : ١٨٨
- ١٨٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١١] ص : ١٨٩
- ١٨٢ اشارة
- ١٨٣ القراءة: ص : ١٩٠
- ١٨٣ المعنى: ص : ١٩٠
- ١٨٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٢] ص : ١٩١
- ١٨٣ اشارة
- ١٨٣ المعنى: ص : ١٩١
- ١٨٥ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٣] ص : ١٩٣
- ١٨٥ اشارة
- ١٨٥ القراءة: ص : ١٩٣
- ١٨٥ المعنى: ص : ١٩٤
- ١٨٦ الاعراب: ص : ١٩٥
- ١٨٦ المعنى: ص : ١٩٥
- ١٨٧ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٤] ص : ١٩٧
- ١٨٨ اشارة
- ١٨٨ القراءة و النزول: ص : ١٩٨
- ١٨٨ الاعراب و اللغة: ص : ١٩٨
- ١٨٩ المعنى: ص : ١٩٩
- ١٨٩ اللغة: ص : ٢٠٠
- ١٨٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٥] ص : ٢٠٠
- ١٨٩ اشارة
- ١٨٩ المعنى: ص : ٢٠٠

- ١٩٠ الاعراب: ص : ٢٠١
- ١٩٠ المعنى: ص : ٢٠١
- ١٩٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٦] ص : ٢٠١
- ١٩٠ اشارة
- ١٩٠ المعنى: ص : ٢٠٢
- ١٩١ اللغة: ص : ٢٠٢
- ١٩١ المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٢٠٢
- ١٩١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٧] ص : ٢٠٣
- ١٩١ اشارة
- ١٩٢ الاعراب: ص : ٢٠٤
- ١٩٣ المعنى: ص : ٢٠٥
- ١٩٣ اللغة: ص : ٢٠٧
- ١٩٤ المعنى: ص : ٢٠٧
- ١٩٤ اللغة: ص : ٢٠٨
- ١٩٥ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٨] ص : ٢٠٨
- ١٩٥ اشارة
- ١٩٥ النزول و الاعراب: ص : ٢٠٩
- ١٩٥ اللغة: ص : ٢٠٩
- ١٩٦ المعنى: ص : ٢١٠
- ١٩٧ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٩] ص : ٢١١
- ١٩٧ اشارة
- ١٩٧ القراءة: ص : ٢١٢
- ١٩٧ اللغة: ص : ٢١٢
- ١٩٨ المعنى: ص : ٢١٣

- ١٩٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٠] ص : ٢١٤
 ١٩٩ اشارة
 ١٩٩ الاعراب و المعنى: ص : ٢١٤
 ١٩٩ اللغة: ص : ٢١٥
 ١٩٩ المعنى: ص : ٢١٥
 ٢٠٠ الاعراب: ص : ٢١٥
 ٢٠٠ اللغة: ص : ٢١٦
 ٢٠٠ المعنى: ص : ٢١٦
 ٢٠١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢١] ص : ٢١٧
 ٢٠١ اشارة
 ٢٠١ اللغة: ص : ٢١٧
 ٢٠١ المعنى: ص : ٢١٧
 ٢٠٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٢] ص : ٢١٩
 ٢٠٢ اشارة
 ٢٠٢ القراءة: ص : ٢١٩
 ٢٠٢ المعنى: ص : ٢١٩
 ٢٠٣ اللغة: ص : ٢٢٠
 ٢٠٣ أحكام الحيض، و الاستحاضة: ص : ٢٢٠
 ٢٠٣ اللغة: ص : ٢٢١
 ٢٠٣ المعنى: ص : ٢٢١
 ٢٠٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٣] ص : ٢٢٢
 ٢٠٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٤] ص : ٢٢٥
 ٢٠٦ اشارة
 ٢٠٦ المعنى: ص : ٢٢٥

- ٢٠٧ اللغة: ص : ٢٢٦
- ٢٠٧ المعنى: ص : ٢٢٦
- ٢٠٧ الاعراب: ص : ٢٢٧
- ٢٠٨ المعنى: ص : ٢٢٨
- ٢٠٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٥] ص : ٢٢٨
- ٢٠٨ اشارة
- ٢٠٨ المعنى: ص : ٢٢٨
- ٢٠٨ اللغة: ص : ٢٢٩
- ٢٠٩ المعنى: ص : ٢٢٩
- ٢٠٩ اللغة: ص : ٢٣٠
- ٢١٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٦] ص : ٢٣١
- ٢١٠ اشارة
- ٢١٠ اللغة: ص : ٢٣١
- ٢١١ المعنى: ص : ٢٣٢
- ٢١١ اللغة: ص : ٢٣٢
- ٢١٢ المعنى: ص : ٢٣٣
- ٢١٢ الاعراب: ص : ٢٣٣
- ٢١٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٧] ص : ٢٣٤
- ٢١٣ اشارة
- ٢١٣ المعنى: ص : ٢٣٤
- ٢١٣ اللغة: ص : ٢٣٥
- ٢١٤ المعنى: ص : ٢٣٦
- ٢١٥ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٨] ص : ٢٣٧
- ٢١٥ اشارة

- ٢١٥ المعنى: ص : ٢٣٧
- ٢١٥ اللغة: ص : ٢٣٧
- ٢١٦ المعنى: ص : ٢٣٩
- ٢١٧ اللغة: ص : ٢٤٠
- ٢١٧ المعنى: ص : ٢٤٠
- ٢١٧ اللغة: ص : ٢٤٠
- ٢١٧ المعنى: ص : ٢٤١
- ٢١٨ اللغة: ص : ٢٤١
- ٢١٨ المعنى: ص : ٢٤٢
- ٢١٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٩] ص : ٢٤٢
- ٢١٨ اشارة
- ٢١٨ القراءة: ص : ٢٤٢
- ٢١٨ المعنى: ص : ٣٤٢
- ٢١٩ اللغة: ص : ٣٤٣
- ٢١٩ المعنى: ص : ٣٤٣
- ٢٢٠ اللغة: ص : ٣٤٤
- ٢٢٠ النزول: ص : ٣٤٤
- ٢٢٠ المعنى، و الحجء، و الاعراب: ص : ٣٤٤
- ٢٢١ المعنى: ص : ٣٤٦
- ٢٢٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٠] ص : ٢٤٨
- ٢٢٢ اشارة
- ٢٢٣ المعنى: ص : ٢٤٨
- ٢٢٣ الاعراب: ص : ٢٤٩
- ٢٢٣ المعنى: ص : ٢٤٩

- ٢٢٣ القراءة: ص : ٢٤٩
- ٢٢٤ المعنى: ص : ٢٥٠
- ٢٢٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣١] ص : ٢٥٠
- ٢٢٥ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٢] ص : ٢٥٢
- ٢٢٥ اشارة
- ٢٢٥ النزول: ص : ٢٥٢
- ٢٢٥ المعنى: ص : ٢٥٢
- ٢٢٥ اللغة: ص : ٢٥٣
- ٢٢٦ الاعراب، و المعنى: ص : ٢٥٣
- ٢٢٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٣] ص : ٢٥٤
- ٢٢٦ اشارة
- ٢٢٧ القراءة: ص : ٢٥٥
- ٢٢٧ اللغة: ص : ٢٥٥
- ٢٢٧ المعنى: ص : ٢٥٦
- ٢٢٨ اللغة، و الحجّة: ص : ٢٥٧
- ٢٢٩ المعنى: ص : ٢٥٨
- ٢٢٩ اللغة: ص : ٢٥٩
- ٢٣٠ المعنى: ص : ٢٥٩
- ٢٣٠ اللغة: ص : ٢٦٠
- ٢٣٠ المعنى: ص : ٢٦٠
- ٢٣٠ الاعراب: ص : ٢٦٠
- ٢٣١ اللغة: ص : ٢٦١
- ٢٣١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٤] ص : ٢٦١
- ٢٣١ اشارة

- ٢٣١ المعنى: ص : ٢٤١
- ٢٣٢ الاعراب: ص : ٢٤٢
- ٢٣٣ اللغة: ص : ٢٤٤
- ٢٣٣ المعنى: ص : ٢٤٥
- ٢٣٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٥] ص : ٢٤٥
- ٢٣٤ اشارة
- ٢٣٤ المعنى: ص : ٢٤٥
- ٢٣٤ اللغة: ص : ٢٤٥
- ٢٣٥ المعنى: ص : ٢٤٧
- ٢٣٥ اللغة: ص : ٢٤٧
- ٢٣٥ المعنى: ص : ٢٤٨
- ٢٣٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٦] ص : ٢٤٨
- ٢٣٦ اشارة
- ٢٣٦ القراءة: ص : ٢٤٨
- ٢٣٦ المعنى: ص : ٢٤٩
- ٢٣٦ اللغة: ص : ٢٤٩
- ٢٣٧ المعنى: ص : ٢٧٠
- ٢٣٧ الاعراب، و المعنى: ص : ٢٧٠
- ٢٣٧ الحجّة: ص : ٢٧١
- ٢٣٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٧] ص : ٢٧٢
- ٢٣٨ اشارة
- ٢٣٨ اللغة: ص : ٢٧٢
- ٢٣٩ المعنى: ص : ٢٧٣
- ٢٤٠ الاعراب: ص : ٢٧٤

- المعنى: ص : ٢٧٤ ٢٤٠
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٨] ص : ٢٧٥ ٢٤٠
- اشارة ٢٤٠
- اللغة: ص : ٢٧٥ ٢٤٠
- المعنى: ص : ٢٧٥ ٢٤٠
- اللغة، و الاعراب: ص : ٢٧٦ ٢٤١
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٩] ص : ٢٧٦ ٢٤١
- اشارة ٢٤١
- اللغة: ص : ٢٧٧ ٢٤١
- المعنى: ص : ٢٧٧ ٢٤٢
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٠] ص : ٢٧٨ ٢٤٢
- اشارة ٢٤٢
- المعنى: ص : ٢٧٨ ٢٤٣
- المعنى، و الاعراب: ص : ٢٧٩ ٢٤٣
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤١] ص : ٢٨٠ ٢٤٤
- اشارة ٢٤٤
- المعنى: ص : ٢٨٠ ٢٤٤
- الاعراب: ص : ٢٨١ ٢٤٤
- المعنى: ص : ٢٨١ ٢٤٤
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٢] ص : ٢٨١ ٢٤٥
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٣] ص : ٢٨٢ ٢٤٥
- اشارة ٢٤٥
- المعنى: ص : ٢٨٢ ٢٤٥
- قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٤] ص : ٢٨٣ ٢٤٦

- ٢٤٦ اشارة
- ٢٤٦ المعنى: ص : ٢٨٤
- ٢٤٦ اللغة: ص : ٢٨٤
- ٢٤٧ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٥] ص : ٢٨٤
- ٢٤٧ اشارة
- ٢٤٧ القراءة: ص : ٢٨٥
- ٢٤٧ المعنى، و اللغة: ص : ٢٨٥
- ٢٤٨ الاعراب، و اللغة: ص : ٢٨٦
- ٢٤٨ المعنى: ص : ٢٨٧
- ٢٤٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٦] ص : ٢٨٧
- ٢٤٩ اشارة
- ٢٤٩ القراءة: ص : ٢٨٧
- ٢٤٩ اللغة: ص : ٢٨٧
- ٢٤٩ المعنى: ص : ٢٨٨
- ٢٥٠ الاعراب، و اللغة: ص : ٢٨٨
- ٢٥١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٧] ص : ٢٩٠
- ٢٥١ اشارة
- ٢٥١ المعنى: ص : ٢٩٠
- ٢٥١ اللغة: ص : ٢٩١
- ٢٥١ الاعراب و المعنى: ص : ٢٩١
- ٢٥٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٨] ص : ٢٩٢
- ٢٥٢ اشارة
- ٢٥٢ المعنى: ص : ٢٩٢
- ٢٥٣ اللغة: ص : ٢٩٣

- ٢٥٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٩] ص : ٢٩٣
 ٢٥٣ اشارة
 ٢٥٣ القراءة: ص : ٢٩٤
 ٢٥٣ اللغة: ص : ٢٩٤
 ٢٥٤ المعنى: ص : ٢٩٤
 ٢٥٤ اللغة: ص : ٢٩٥
 ٢٥٤ المعنى: ص : ٢٩٥
 ٢٥٥ اللغة: ص : ٢٩٦
 ٢٥٥ المعنى: ص : ٢٩٦
 ٢٥٥ المعنى: ص : ٢٩٧
 ٢٥٥ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٠] ص : ٢٩٧
 ٢٥٦ اشارة
 ٢٥٦ اللغة: ص : ٢٩٧
 ٢٥٧ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥١] ص : ٢٩٩
 ٢٥٧ اشارة
 ٢٥٧ القراءة: ص : ٢٩٩
 ٢٥٧ المعنى: ص : ٢٩٩
 ٢٥٧ اللغة: ص : ٢٩٩
 ٢٥٧ المعنى: ص : ٣٠٠
 ٢٥٨ اللغة: ص : ٣٠١
 ٢٥٨ الحجج: ص : ٣٠١
 ٢٥٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٢] ص : ٣٠٢
 ٢٥٩ اشارة
 ٢٥٩ اللغة: ص : ٣٠٣

- ٢٥٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٣] ص : ٣٠٣
 ٢٦٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٤] ص : ٣٠٥
 ٢٦٠ اشارة
 ٢٦٠ القراءة: ص : ٣٠٥
 ٢٦٠ المعنى: ص : ٣٠٥
 ٢٦١ اللغة: ص : ٣٠٥
 ٢٦١ المعنى: ص : ٣٠٦
 ٢٦٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٥] ص : ٣٠٧
 ٢٦٢ اشارة
 ٢٦٢ الاعراب: ص : ٣٠٧
 ٢٦٢ اللغة، و المعنى: ص : ٣٠٧
 ٢٦٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٦] ص : ٣١١
 ٢٦٤ اشارة
 ٢٦٥ المعنى: ص : ٣١١
 ٢٦٥ اللغة، و المعنى: ص : ٣١٢
 ٢٦٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٧] ص : ٣١٣
 ٢٦٦ اشارة
 ٢٦٦ المعنى، و اللغة: ص : ٣١٣
 ٢٦٧ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٨] ص : ٣١٥
 ٢٦٧ اشارة
 ٢٦٨ القراءة: ص : ٣١٦
 ٢٦٨ المعنى: ص : ٣١٦
 ٢٦٩ اللغة: ص : ٣١٨
 ٢٦٩ المعنى: ص : ٣١٨

- ٢٦٩ اللغة: ص : ٣١٨
- ٢٧٠ المعنى: ص : ٣١٩
- ٢٧٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٩] ص : ٣١٩
- ٢٧٠ اشارة
- ٢٧٠ القراءة: ص : ٣٢٠
- ٢٧١ الاعراب: ص : ٣٢٠
- ٢٧١ المعنى: ص : ٣٢٠
- ٢٧٢ المعنى: ص : ٣٢١
- ٢٧٢ اللغة، و المعنى: ص : ٣٢٢
- ٢٧٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٠] ص : ٣٢٦
- ٢٧٤ اشارة
- ٢٧٤ القراءة: ص : ٣٢٦
- ٢٧٥ الاعراب: ص : ٣٢٦
- ٢٧٥ المعنى: ص : ٣٢٦
- ٢٧٥ اللغة و المعنى: ص : ٣٢٧
- ٢٧٧ المعنى: ص : ٣٣٠
- ٢٧٨ اللغة: ص : ٣٣١
- ٢٧٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦١] ص : ٣٣١
- ٢٧٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٢] ص : ٣٣٣
- ٢٧٩ اشارة
- ٢٧٩ الاعراب: ص : ٣٣٣
- ٢٧٩ اللغة و المعنى: ص : ٣٣٣
- ٢٨٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٣] ص : ٣٣٤
- ٢٨٠ اشارة

- ٢٨١ اللغة: ص : ٣٣٥
- ٢٨١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٤] ص : ٣٣٥
- ٢٨١ اشارة
- ٢٨١ المعنى: ص : ٣٣٦
- ٢٨١ اللغة: ص : ٣٣٦
- ٢٨٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٥] ص : ٣٣٨
- ٢٨٣ اشارة
- ٢٨٣ القراءة: ص : ٣٣٨
- ٢٨٣ المعنى: ص : ٣٣٨
- ٢٨٣ اللغة: ص : ٣٣٩
- ٢٨٣ المعنى و اللغة: ص : ٣٣٩
- ٢٨٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٦] ص : ٣٤٠
- ٢٨٤ اشارة
- ٢٨٤ المعنى: ص : ٣٤٠
- ٢٨٥ اللغة: ص : ٣٤١
- ٢٨٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٧] ص : ٣٤٣
- ٢٨٦ اشارة
- ٢٨٦ المعنى: ص : ٣٤٣
- ٢٨٧ الاعراب و اللغة: ص : ٣٤٥
- ٢٨٨ المعنى: ص : ٣٤٥
- ٢٨٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٨] ص : ٣٤٦
- ٢٨٨ اشارة
- ٢٨٨ المعنى: ص : ٣٤٦
- ٢٨٩ اللغة و المعنى: ص : ٣٤٧

- ٢٩٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٩] ص : ٣٤٨
 ٢٩٠ اشارة
 ٢٩٠ القراءة و المعنى: ص : ٣٤٨
 ٢٩٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٠] ص : ٣٤٩
 ٢٩١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧١] ص : ٣٥٠
 ٢٩١ اشارة
 ٢٩١ القراءة: ص : ٣٥٠
 ٢٩١ المعنى الاعراب: ص : ٣٥١
 ٢٩٢ اللغة: ص : ٣٥٢
 ٢٩٢ الاعراب و القراءة: ص : ٣٥٢
 ٢٩٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٢] ص : ٣٥٣
 ٢٩٣ اشارة
 ٢٩٣ المعنى: ص : ٣٥٣
 ٢٩٤ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٣] ص : ٣٥٥
 ٢٩٤ اشارة
 ٢٩٤ اللغة: ص : ٣٥٥
 ٢٩٤ المعنى: ص : ٣٥٦
 ٢٩٥ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٤] ص : ٣٥٧
 ٢٩٦ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٥] ص : ٣٥٩
 ٢٩٦ اشارة
 ٢٩٦ المعنى: ص : ٣٥٩
 ٢٩٧ اللغة: ص : ٣٦١
 ٢٩٧ المعنى: ص : ٣٦٢
 ٢٩٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٦] ص : ٣٦٢

- ٢٩٨ اشارة
- ٢٩٨ اللغة: ص : ٣٦٣
- ٢٩٨ المعنى: ص : ٣٦٣
- ٢٩٩ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٧] ص : ٣٦٤
- ٢٩٩ اشارة
- ٢٩٩ المعنى: ص : ٣٦٤
- ٣٠٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٨] ص : ٣٦٥
- ٣٠٠ اشارة
- ٣٠٠ النزول: ص : ٣٦٥
- ٣٠٠ المعنى: ص : ٣٦٦
- ٣٠٠ اللغة: ص : ٣٦٦
- ٣٠١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٩] ص : ٣٦٧
- ٣٠١ اشارة
- ٣٠١ القراءة: ص : ٣٦٧
- ٣٠١ المعنى: ص : ٣٦٧
- ٣٠١ اللغة: ص : ٣٦٧
- ٣٠٢ و قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٠] ص : ٣٦٨
- ٣٠٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨١] ص : ٣٦٩
- ٣٠٢ اشارة
- ٣٠٢ القراءة و النزول: ص : ٣٦٩
- ٣٠٣ المعنى: ص : ٣٦٩
- ٣٠٣ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٢] ص : ٣٧٠
- ٣٠٣ اشارة
- ٣٠٣ القراءة: ص : ٣٧١

- ٣٠٣ المعنى: ص : ٣٧١
- ٣٠٦ اللغة: ص : ٣٧٥
- ٣٠٦ المعنى: ص : ٣٧٦
- ٣٠٧ الاعراب: ص : ٣٧٧
- ٣٠٧ اللغة: ص : ٣٧٨
- ٣٠٨ المعنى: ص : ٣٧٨
- ٣٠٨ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٣] ص : ٣٧٩
- ٣٠٨ اشارة
- ٣٠٨ القراءة و اللغة: ص : ٣٧٩
- ٣٠٩ المعنى: ص : ٣٨٠
- ٣١٠ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٤] ص : ٣٨١
- ٣١٠ اشارة
- ٣١٠ القراءة: ص : ٣٨١
- ٣١٠ المعنى: ص : ٣٨٢
- ٣١١ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٥] ص : ٣٨٢
- ٣١١ اشارة
- ٣١١ القراءة: ص : ٣٨٣
- ٣١١ المعنى و الاعراب: ص : ٣٨٣
- ٣١٢ قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٦] ص : ٣٨٤
- ٣١٢ اشارة
- ٣١٢ المعنى: ص : ٣٨٤
- ٣١٣ اللغة، و المعنى: ص : ٣٨٦
- ٣١٤ ٣-سورة آل عمران ص : ٣٨٨
- ٣١٤ اشارة

- ٣١٤ [سورة آل عمران (٣): الآيات ١ الى ٢] ص : ٣٨٨
 ٣١٤ اشارة
 ٣١٤ القراءة و اللغة: ص : ٣٨٨
 ٣١٤ اللغة و المعنى: ص : ٣٨٩
 ٣١٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣] ص : ٣٩٠
 ٣١٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤] ص : ٣٩١
 ٣١٦ اشارة
 ٣١٦ المعنى: ص : ٣٩١
 ٣١٦ اللغة: ص : ٣٩٢
 ٣١٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥] ص : ٣٩٢
 ٣١٦ اشارة
 ٣١٧ المعنى: ص : ٣٩٢
 ٣١٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦] ص : ٣٩٣
 ٣١٧ اشارة
 ٣١٧ اللغة: ص : ٣٩٣
 ٣١٧ المعنى: ص : ٣٩٤
 ٣١٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧] ص : ٣٩٤
 ٣١٨ اشارة
 ٣١٨ المعنى: ص : ٣٩٤
 ٣٢٠ الاعراب: ص : ٣٩٨
 ٣٢١ اللغة و المعنى: ص : ٣٩٩
 ٣٢١ النزول: ص : ٣٩٩
 ٣٢١ المعنى و الاعراب اللغة: ص : ٤٠٠
 ٣٢٢ و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨] ص : ٤٠١

٣٢٢ اشارة

٣٢٢ المعنى: ص : ٤٠١

٣٢٢ اللغة: ص : ٤٠٢

٣٢٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩] ص : ٤٠٢

٣٢٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠] ص : ٤٠٣

٣٢٣ اشارة

٣٢٣ المعنى: ص : ٤٠٣

٣٢٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١] ص : ٤٠٤

٣٢٤ اشارة

٣٢٤ اللغة: ص : ٤٠٤

٣٢٤ المعنى: ص : ٤٠٤

٣٢٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢] ص : ٤٠٥

٣٢٥ اشارة

٣٢٥ القراءة، و الحجّة: ص : ٤٠٥

٣٢٥ النزول: ص : ٤٠٦

٣٢٥ المعنى: ص : ٤٠٦

٣٢٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣] ص : ٤٠٧

٣٢٦ اشارة

٣٢٦ القراءة، و الحجّة: ص : ٤٠٧

٣٢٦ اللغة، و المعنى، و الاعراب: ص : ٤٠٧

٣٢٧ المعنى: ص : ٤٠٨

٣٢٨ اللغة و المعنى: ص : ٤١٠

٣٢٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤] ص : ٤١٠

٣٢٨ اشارة

- ٣٢٩ المعنى، و اللغة: ص : ٤١١
- ٣٣٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥] ص : ٤١٣
- ٣٣٠ اشارة
- ٣٣٠ القراءة و المعنى: ص : ٤١٣
- ٣٣١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦] ص : ٤١٤
- ٣٣١ اشارة
- ٣٣١ الاعراب: ص : ٤١٤
- ٣٣١ اللغة: ص : ٤١٤
- ٣٣١ المعنى: ص : ٤١٥
- ٣٣١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧] ص : ٤١٥
- ٣٣١ اشارة
- ٣٣١ الاعراب، و اللغة، و المعنى: ص : ٤١٥
- ٣٣٢ اللغة: ص : ٤١٦
- ٣٣٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨] ص : ٤١٦
- ٣٣٢ اشارة
- ٣٣٢ المعنى: ص : ٤١٦
- ٣٣٢ القراءة، و الحجّة، و الاعراب: ص : ٤١٧
- ٣٣٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩] ص : ٤١٨
- ٣٣٣ اشارة
- ٣٣٣ القراءة، و اللغة، و المعنى: ص : ٤١٨
- ٣٣٤ الاعراب، و المعنى: ص : ٤١٩
- ٣٣٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٠] ص : ٤٢٠
- ٣٣٤ اشارة
- ٣٣٥ المعنى: ص : ٤٢٠

- ٣٣٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢١] ص : ٤٢٢
 ٣٣٦ اشارة
 ٣٣٦ القراءة: ص : ٤٢٢
 ٣٣٦ المعنى: ص : ٤٢٢
 ٣٣٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٢] ص : ٤٢٣
 ٣٣٧ اشارة
 ٣٣٧ المعنى: ص : ٤٢٤
 ٣٣٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٣] ص : ٤٢٥
 ٣٣٨ اشارة
 ٣٣٨ المعنى: ص : ٤٢٥
 ٣٣٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٤] ص : ٤٢٦
 ٣٣٨ اشارة
 ٣٣٨ المعنى: ص : ٤٢٦
 ٣٣٩ اللغة: ص : ٤٢٦
 ٣٣٩ المعنى: ص : ٤٢٧
 ٣٣٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٥] ص : ٤٢٧
 ٣٤٠ و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٦] ص : ٤٢٨
 ٣٤٠ اشارة
 ٣٤٠ اللغة: ص : ٤٢٨
 ٣٤٠ الاعراب: ص : ٤٢٩
 ٣٤٠ المعنى: ص : ٤٢٩
 ٣٤١ اللغة: ص : ٤٣٠
 ٣٤١ المعنى: ص : ٤٣٠
 ٣٤١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٧] ص : ٤٣١

- ٣٤٢ اشارة
- ٣٤٢ القراءة و اللغة: ص : ٤٣١
- ٣٤٢ المعنى: ص : ٤٣٢
- ٣٤٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٨] ص : ٤٣٣
- ٣٤٣ اشارة
- ٣٤٣ القراءة، و الحجّة، ص : ٤٣٣
- ٣٤٣ المعنى: ص : ٤٣٣
- ٣٤٣ النظم: ص : ٤٣٤
- ٣٤٤ اللغة: ص : ٤٣٤
- ٣٤٤ حكم التقيّة: ص : ٤٣٥
- ٣٤٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٩] ص : ٤٣٥
- ٣٤٥ اشارة
- ٣٤٥ النظم: ص : ٤٣٦
- ٣٤٥ اللغة: ص : ٤٣٦
- ٣٤٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٠] ص : ٤٣٦
- ٣٤٥ اشارة
- ٣٤٥ الاعراب: ص : ٤٣٧
- ٣٤٦ المعنى: ص : ٤٣٧
- ٣٤٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣١] ص : ٤٣٧
- ٣٤٦ اشارة
- ٣٤٦ النزول: ص : ٤٣٨
- ٣٤٦ اللغة: ص : ٤٣٨
- ٣٤٧ القراءة، و الحجّة، و الاعراب: ص : ٤٣٨
- ٣٤٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٢] ص : ٤٣٩

- ٣٤٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٣] ص : ٤٤٠
- ٣٤٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٤] ص : ٤٤١
- ٣٤٨ اشارة
- ٣٤٨ اللغة، و الاعراب: ص : ٤٤١
- ٣٤٩ المعنى: ص : ٤٤١
- ٣٤٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٥] ص : ٤٤٢
- ٣٤٩ اشارة
- ٣٤٩ الاعراب، و المعنى: ص : ٤٤٢
- ٣٤٩ اللغة: ص : ٤٤٣
- ٣٥٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٦] ص : ٤٤٣
- ٣٥٠ اشارة
- ٣٥٠ القراءة، و المعنى: ص : ٤٤٣
- ٣٥٠ اللغة: ص : ٤٤٤
- ٣٥٠ المعنى: ص : ٤٤٤
- ٣٥١ اللغة: ص : ٤٤٥
- ٣٥١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٧] ص : ٤٤٥
- ٣٥١ اشارة
- ٣٥١ القراءة، و المعنى، و اللغة: ص : ٤٤٦
- ٣٥٢ المعنى: ص : ٤٤٧
- ٣٥٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٨] ص : ٤٤٨
- ٣٥٣ اشارة
- ٣٥٣ اللغة و المعنى: ص : ٤٤٨
- ٣٥٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٩] ص : ٤٥٠
- ٣٥٤ اشارة

- ٣٥٤ القراءة: ص : ٤٥٠
 ٣٥٥ المعنى و اللغة: ص : ٤٥٠
 ٣٥٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٠] ص : ٤٥٢
 ٣٥٦ اشارة
 ٣٥٦ المعنى: ص : ٤٥٣
 ٣٥٦ اللغة: ص : ٤٥٣
 ٣٥٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤١] ص : ٤٥٤
 ٣٥٧ اشارة
 ٣٥٧ اللغة: ص : ٤٥٤
 ٣٥٨ المعنى، و اللغة: ص : ٤٥٥
 ٣٥٨ و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٢] ص : ٤٥٦
 ٣٥٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٣] ص : ٤٥٧
 ٣٥٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٤] ص : ٤٥٨
 ٣٦٠ اشارة
 ٣٦٠ المعنى، و اللغة: ص : ٤٥٨
 ٣٦١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٥] ص : ٤٦٠
 ٣٦٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٦] ص : ٤٦٢
 ٣٦٢ اشارة
 ٣٦٢ الاعراب: ص : ٤٦٢
 ٣٦٢ اللغة: ص : ٤٦٢
 ٣٦٣ المعنى: ص : ٤٦٣
 ٣٦٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٧] ص : ٤٦٤
 ٣٦٤ اشارة
 ٣٦٤ المعنى: ص : ٤٦٤

- ٣٦٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٨] ص : ٤٦٥
- ٣٦٤ اشارة
- ٣٦٥ القراءة، و الحجة: ص : ٤٦٦
- ٣٦٥ المعنى، و الاعراب: ص : ٤٦٦
- ٣٦٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٩] ص : ٤٦٦
- ٣٦٥ اشارة
- ٣٦٥ القراءة: ص : ٤٦٧
- ٣٦٦ الاعراب، و الحجة: ص : ٤٦٧
- ٣٦٦ المعنى: ص : ٤٦٧
- ٣٦٦ اللغة: ص : ٤٦٨
- ٣٦٦ المعنى: ص : ٤٦٨
- ٣٦٧ اللغة و المعنى: ص : ٤٦٨
- ٣٦٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٠] ص : ٤٧٠
- ٣٦٧ اشارة
- ٣٦٧ الاعراب: ص : ٤٧٠
- ٣٦٨ المعنى: ص : ٤٧٠
- ٣٦٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥١] ص : ٤٧٢
- ٣٦٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٢] ص : ٤٧٢
- ٣٦٩ اشارة
- ٣٦٩ اللغة: ص : ٤٧٢
- ٣٦٩ المعنى: ص : ٤٧٣
- ٣٧٠ اللغة: ص : ٤٧٤
- ٣٧٠ المعنى: ص : ٤٧٤
- ٣٧٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٣] ص : ٤٧٤

- ٣٧١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٤] ص : ٤٧٥
 ٣٧١ اشارة
 ٣٧١ المعنى: ص : ٤٧٦
 ٣٧٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٥] ص : ٤٧٧
 ٣٧٢ اشارة
 ٣٧٢ الاعراب: ص : ٤٧٧
 ٣٧٣ و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٦] ص : ٤٧٩
 ٣٧٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٧] ص : ٤٨٠
 ٣٧٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٨] ص : ٤٨١
 ٣٧٤ اشارة
 ٣٧٤ المعنى: ص : ٤٨١
 ٣٧٤ الاعراب: ص : ٤٨١
 ٣٧٤ المعنى: ص : ٤٨١
 ٣٧٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٩] ص : ٤٨٢
 ٣٧٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٠] ص : ٤٨٣
 ٣٧٥ اشارة
 ٣٧٥ الاعراب: ص : ٤٨٣
 ٣٧٦ المعنى و اللغة: ص : ٤٨٣
 ٣٧٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦١] ص : ٤٨٤
 ٣٧٦ اشارة
 ٣٧٦ المعنى: ص : ٤٨٤
 ٣٧٧ اللغة، و المعنى: ص : ٤٨٤
 ٣٧٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٢] ص : ٤٨٦
 ٣٧٧ اشارة

- ٣٧٧ ٤٨٦ : ص : والمعنى، و اللغة:
 ٣٧٨ ٤٨٧ : ص : الاعراب:
 ٣٧٨ ٤٨٧ : ص : قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٣]
 ٣٧٨ اشارة
 ٣٧٨ ٤٨٧ : ص : اللغة و المعنى:
 ٣٧٩ ٤٨٨ : ص : قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٤]
 ٣٧٩ اشارة
 ٣٧٩ ٤٨٨ : ص : النزول:
 ٣٧٩ ٤٨٨ : ص : والمعنى، و الاعراب، و اللغة:
 ٣٨٠ ٤٩٠ : ص : قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٥]
 ٣٨٠ اشارة
 ٣٨٠ ٤٩٠ : ص : النزول:
 ٣٨٠ ٤٩٠ : ص : اللغة:
 ٣٨٠ ٤٩٠ : ص : المعنى:
 ٣٨١ ٤٩١ : ص : قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٦]
 ٣٨١ اشارة
 ٣٨١ ٤٩١ : ص : القراءة:
 ٣٨١ ٤٩١ : ص : والمعنى و اللغة:
 ٣٨٢ ٤٩٢ : ص : قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٧]
 ٣٨٢ اشارة
 ٣٨٢ ٤٩٢ : ص : المعنى:
 ٣٨٢ ٤٩٣ : ص : قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٨]
 ٣٨٢ اشارة
 ٣٨٣ ٤٩٣ : ص : المعنى:

- ٣٨٣ اللغة: ص : ٤٩٤
- ٣٨٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٩] ص : ٤٩٤
- ٣٨٣ اشارة
- ٣٨٣ اللغة: ص : ٤٩٤
- ٣٨٤ المعنى: ص : ٤٩٥
- ٣٨٤ اللغة: ص : ٤٩٥
- ٣٨٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٠] ص : ٤٩٦
- ٣٨٤ اشارة
- ٣٨٤ اللغة: ص : ٤٩٦
- ٣٨٥ المعنى: ص : ٤٩٧
- ٣٨٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧١] ص : ٤٩٧
- ٣٨٥ اشارة
- ٣٨٥ المعنى: ص : ٤٩٧
- ٣٨٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٢] ص : ٤٩٨
- ٣٨٦ اشارة
- ٣٨٦ اللغة: ص : ٤٩٩
- ٣٨٦ المعنى: ص : ٤٩٩
- ٣٨٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٣] ص : ٥٠٠
- ٣٨٧ اشارة
- ٣٨٧ المعنى، و الاعراب: ص : ٥٠٠
- ٣٨٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٤] ص : ٥٠٢
- ٣٨٨ اشارة
- ٣٨٨ اللغة: ص : ٥٠٢
- ٣٨٩ المعنى: ص : ٥٠٢

- ٣٨٩ اللغة: ص : ٥٠٣
- ٣٨٩ و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٥] ص : ٥٠٣
- ٣٨٩ اشارة
- ٣٨٩ القراءة، و الحجّة: ص : ٥٠٣
- ٣٩٠ المعنى، و اللغة: ص : ٥٠٤
- ٣٩٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٦] ص : ٥٠٥
- ٣٩١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٧] ص : ٥٠٦
- ٣٩١ اشارة
- ٣٩١ النزول: ص : ٥٠٦
- ٣٩٢ المعنى: ص : ٥٠٧
- ٣٩٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٨] ص : ٥٠٨
- ٣٩٢ اشارة
- ٣٩٢ اللغة، و المعنى، و الاعراب: ص : ٥٠٨
- ٣٩٣ المعنى: ص : ٥٠٩
- ٣٩٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٩] ص : ٥١٠
- ٣٩٤ اشارة
- ٣٩٤ القراءة و النزول: ص : ٥١٠
- ٣٩٤ اللغة، و المعنى: ص : ٥١٠
- ٣٩٤ اللغة: ص : ٥١١
- ٣٩٤ الحجّة، و المعنى: ص : ٥١١
- ٣٩٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٠] ص : ٥١٢
- ٣٩٥ اشارة
- ٣٩٥ القراءة، و الحجّة: ص : ٥١٢
- ٣٩٥ المعنى: ص : ٥١٢

- ٣٩٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨١] ص : ٥١٣
 ٣٩٦ اشارة
 ٣٩٦ القراءة، و المعنى: ص : ٥١٣
 ٣٩٦ الاعراب، و الحجّة، و المعنى: ص : ٥١٤
 ٣٩٧ المعنى و اللغة: ص : ٥١٥
 ٣٩٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٢] ص : ٥١٦
 ٣٩٧ اشارة
 ٣٩٨ المعنى: ص : ٥١٦
 ٣٩٨ الاعراب: ص : ٥١٦
 ٣٩٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٣] ص : ٥١٧
 ٣٩٨ اشارة
 ٣٩٨ القراءة، و الحجّة، و الاعراب: ص : ٥١٧
 ٣٩٩ المعنى: ص : ٥١٧
 ٣٩٩ النزول: ص : ٥١٩
 ٤٠٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٤] ص : ٥١٩
 ٤٠٠ اشارة
 ٤٠٠ المعنى: ص : ٥١٩
 ٤٠٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٥] ص : ٥٢٠
 ٤٠٠ اشارة
 ٤٠١ اللغة، و النزول، و المعنى: ص : ٥٢٠
 ٤٠١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٦] ص : ٥٢١
 ٤٠١ اشارة
 ٤٠١ النزول: ص : ٥٢١
 ٤٠٢ اللغة، و المعنى: ص : ٥٢٢

- ٤٠٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٧] ص : ٥٢٣
 ٤٠٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٨] ص : ٥٢٤
 ٤٠٣ اشارة
 ٤٠٣ اللغة: ص : ٥٢٤
 ٤٠٣ المعنى: ص : ٥٢٤
 ٤٠٤ اللغة: ص : ٥٢٥
 ٤٠٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٩] ص : ٥٢٥
 ٤٠٤ اشارة
 ٤٠٤ المعنى: ص : ٥٢٦
 ٤٠٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٠] ص : ٥٢٦
 ٤٠٤ اشارة
 ٤٠٥ المعنى: ص : ٥٢٧
 ٤٠٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩١] ص : ٥٢٨
 ٤٠٥ اشارة
 ٤٠٦ اللغة: ص : ٥٢٨
 ٤٠٦ الاعراب: ص : ٥٢٨
 ٤٠٦ المعنى: ص : ٥٢٩
 ٤٠٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٢] ص : ٥٣٠
 ٤٠٧ اشارة
 ٤٠٧ المعنى: ص : ٥٣٠
 ٤٠٧ اللغة: ص : ٥٣١
 ٤٠٧ النظم: ص : ٥٣١
 ٤٠٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٣] ص : ٥٣١
 ٤٠٨ اشارة

- ٤٠٨ ٥٣١ : ص : : النظم:
- ٤٠٨ ٥٣٢ : ص : : النزول، و القصّة، و المعنى: : ٥٣٢
- ٤٠٨ ٥٣٢ : ص : : قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٤] : ٥٣٢
- ٤٠٨ : اشارة
- ٤٠٨ ٥٣٣ : ص : : اللغة: : ٥٣٣
- ٤٠٩ ٥٣٣ : ص : : المعنى: : ٥٣٣
- ٤٠٩ ٥٣٣ : ص : : قوله تعالى:[سورة آل عمران (٣): آية ٩٥] : ٥٣٣
- ٤٠٩ : اشارة
- ٤٠٩ ٥٣٤ : ص : : المعنى: : ٥٣٤
- ٤١٠ ٥٣٤ : ص : : قوله تعالى:[سورة آل عمران (٣): آية ٩٦] : ٥٣٤
- ٤١٠ : اشارة
- ٤١٠ ٥٣٥ : ص : : المعنى، و اللغة، و الاعراب: : ٥٣٥
- ٤١١ ٥٣٦ : ص : : و قوله تعالى:[سورة آل عمران (٣): آية ٩٧] : ٥٣٦
- ٤١١ : اشارة
- ٤١١ ٥٣٦ : ص : : القراءة: : ٥٣٦
- ٤١١ ٥٣٦ : ص : : المعنى: : ٥٣٦
- ٤١٢ ٥٣٨ : ص : : قوله تعالى:[سورة آل عمران (٣): آية ٩٨] : ٥٣٨
- ٤١٢ : اشارة
- ٤١٢ ٥٣٨ : ص : : المعنى: : ٥٣٨
- ٤١٢ ٥٣٩ : ص : : اللغة: : ٥٣٩
- ٤١٣ ٥٣٩ : ص : : قوله تعالى:[سورة آل عمران (٣): آية ٩٩] : ٥٣٩
- ٤١٣ : اشارة
- ٤١٣ ٥٣٩ : ص : : المعنى: : ٥٣٩
- ٤١٣ ٥٤٠ : ص : : اللغة: : ٥٤٠

- ٤١٣ المعنى: ص : ٥٤٠
- ٤١٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٠] ص : ٥٤١
- ٤١٤ اشارة
- ٤١٤ النزول: ص : ٥٤١
- ٤١٤ اللغة، و الاعراب، و المعنى: ص : ٥٤١
- ٤١٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠١] ص : ٥٤٢
- ٤١٤ اشارة
- ٤١٥ النزول: ص : ٥٤٢
- ٤١٥ المعنى و اللغة: ص : ٥٤٢
- ٤١٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٢] ص : ٥٤٣
- ٤١٥ اشارة
- ٤١٥ المعنى: ص : ٥٤٣
- ٤١٦ اللغة: ص : ٥٤٤
- ٤١٦ المعنى، و اللغة: ص : ٥٤٤
- ٤١٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٣] ص : ٥٤٥
- ٤١٦ اشارة
- ٤١٦ المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٥٤٥
- ٤١٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٤] ص : ٥٤٧
- ٤١٨ اشارة
- ٤١٨ الاعراب، و المعنى: ص : ٥٤٨
- ٤١٨ اللغة: ص : ٥٤٨
- ٤١٩ المعنى: ص : ٥٤٩
- ٤١٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٥] ص : ٥٥٠
- ٤١٩ اشارة

- ٤٢٠ المعنى: ص : ٥٥٠
- ٤٢٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٦] ص : ٥٥١
- ٤٢٠ اشارة
- ٤٢٠ الاعراب: ص : ٥٥١
- ٤٢٠ المعنى: ص : ٥٥١
- ٤٢١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٧] ص : ٥٥٣
- ٤٢٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٨] ص : ٥٥٤
- ٤٢٢ اشارة
- ٤٢٢ المعنى: ص : ٥٥٤
- ٤٢٢ اللغة، و المعنى: ص : ٥٥٤
- ٤٢٢ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٩] ص : ٥٥٥
- ٤٢٣ اشارة
- ٤٢٣ النظم: ص : ٥٥٥
- ٤٢٣ المعنى: ص : ٥٥٥
- ٤٢٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٠] ص : ٥٥٦
- ٤٢٣ اشارة
- ٤٢٣ النظم: ص : ٥٥٦
- ٤٢٤ المعنى: ص : ٥٥٧
- ٤٢٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١١] ص : ٥٥٨
- ٤٢٥ اشارة
- ٤٢٥ النظم: ص : ٥٥٨
- ٤٢٥ المعنى، و الاعراب: ص : ٥٥٩
- ٤٢٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٢] ص : ٥٥٩
- ٤٢٥ اشارة

- ٤٢٦ المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٥٦٠
- ٤٢٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٣] ص : ٥٦٢
- ٤٢٧ اشارة
- ٤٢٨ النزول: ص : ٥٦٣
- ٤٢٨ اللغة، و الاعراب، و المعنى: ص : ٥٦٣
- ٤٢٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٤] ص : ٥٦٥
- ٤٢٩ اشارة
- ٤٢٩ المعنى: ص : ٥٦٥
- ٤٣٠ اللغة: ص : ٥٦٦
- ٤٣٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٥] ص : ٥٦٦
- ٤٣٠ اشارة
- ٤٣٠ القراءة و الحجّة و الاعراب: ص : ٥٦٦
- ٤٣٠ اللغة و المعنى: ص : ٥٦٧
- ٤٣١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٦] ص : ٥٦٧
- ٤٣١ اشارة
- ٤٣١ المعنى: ص : ٥٦٧
- ٤٣١ اللغة: ص : ٥٦٨
- ٤٣١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٧] ص : ٥٦٨
- ٤٣١ اشارة
- ٤٣١ النزول: ص : ٥٦٩
- ٤٣٢ المعنى: ص : ٥٦٩
- ٤٣٢ اللغة: ص : ٥٦٩
- ٤٣٢ المعنى: ص : ٥٧٠
- ٤٣٢ و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٨] ص : ٥٧٠

- ٤٣٢ اشارة
- ٤٣٣ المعنى: ص : ٥٧٠
- ٤٣٣ اللغة، و الاعراب: ص : ٥٧١
- ٤٣٣ المعنى: ص : ٥٧٢
- ٤٣٤ اللغة: ص : ٥٧٢
- ٤٣٤ الاعراب، و المعنى: ص : ٥٧٢
- ٤٣٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٩] ص : ٥٧٢
- ٤٣٤ اشارة
- ٤٣٤ المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٥٧٣
- ٤٣٥ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٠] ص : ٥٧٤
- ٤٣٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢١] ص : ٥٧٥
- ٤٣٦ اشارة
- ٤٣٦ المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٥٧٦
- ٤٣٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٢] ص : ٥٧٧
- ٤٣٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٣] ص : ٥٧٨
- ٤٣٧ اشارة
- ٤٣٧ النزول و اللغة: ص : ٥٧٨
- ٤٣٨ المعنى: ص : ٥٧٨
- ٤٣٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٤] ص : ٥٧٩
- ٤٣٨ اشارة
- ٤٣٩ اللغة: ص : ٥٧٩
- ٤٣٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٥] ص : ٥٨٠
- ٤٣٩ اشارة
- ٤٣٩ القراءة و المعنى: ص : ٥٨٠

- ٤٣٩ اللغة، و المعنى: ص : ٥٨٠
- ٤٤٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٦] ص : ٥٨٢
- ٤٤١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٧] ص : ٥٨٣
- ٤٤١ اشارة
- ٤٤١ المعنى: ص : ٥٨٣
- ٤٤١ اللغة: ص : ٥٨٤
- ٤٤١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٨] ص : ٥٨٤
- ٤٤٢ اشارة
- ٤٤٢ القصة، و المعنى: ص : ٥٨٤
- ٤٤٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٩] ص : ٥٨٦
- ٤٤٣ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٠] ص : ٥٨٧
- ٤٤٣ اشارة
- ٤٤٣ النظم، المعنى: ص : ٥٨٧
- ٤٤٤ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٣١ الى ١٣٢] ص : ٥٨٨
- ٤٤٤ اشارة
- ٤٤٤ المعنى: ص : ٥٨٨
- ٤٤٥ النظم: ص : ٥٩٠
- ٤٤٦ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٣] ص : ٥٩١
- ٤٤٧ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٤] ص : ٥٩٣
- ٤٤٧ اشارة
- ٤٤٧ المعنى: ص : ٥٩٣
- ٤٤٨ اللغة: ص : ٥٩٣
- ٤٤٨ المعنى: ص : ٥٩٤
- ٤٤٨ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٥] ص : ٥٩٤

- ٤٤٨ اشارة
- ٤٤٨ الاعراب: ص : ٥٩٤
- ٤٤٩ المعنى: ص : ٥٩٥
- ٤٤٩ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٦] ص : ٥٩٦
- ٤٥٠ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٧] ص : ٥٩٧
- ٤٥٠ اشارة
- ٤٥٠ المعنى: ص : ٥٩٧
- ٤٥٠ اللغة و المعنى: ص : ٥٩٧
- ٤٥١ و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٨] ص : ٥٩٩
- ٤٥١ قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٣٩ الى ١٤٠] ص : ٥٩٩
- ٤٥١ اشارة
- ٤٥٢ القراءة، و اللغة: ص : ٦٠٠
- ٤٥٢ المعنى، و النزول: ص : ٦٠٠
- ٤٥٢ اللغة، و الاعراب، و المعنى: ص : ٦٠١
- ٤٥٤ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

التبيان في تفسير القرآن المجلد ٢

اشاره

شماره بازيابي: ٥-٧-١٤٦-١

سرشناسه: طوسی محمد بن حسن ٣٨٥-٤٦٠ق

عنوان و نام پديدآور: التبيان في تفسير القرآن [نسخه خطي]/محمد بن الحسن الطوسي
وضعت استنساخ:، صفر ٥٩٥ق.

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: بسملة. الحمد لله الواحد...سوره و الصافات. مكيه في قول قتاده و مجاهد و ... ليس فيها ناسخ و لا منسوخ...

انجام: ... و لو كان مامورا...دون التلاوه لما وجب ان ياتي بلفظه قل في هذه المواضع كلها. تم الكتاب و الحمد لله رب العالمين.
انجامه: فرغ الحسين بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن الوكيل المعروف بابن الطو...من كتابه هذا الجزء الخامس لنفسه...عشر صفر من سنه خمس و تسعين و خمس مايه و صلى الله على سيدنا محمد النبي و اهل بيته الطاهرين و سلم تسليمًا كثيرًا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابي يزيد و ان محمد و علي سعيد.

مشخصات ظاهري: گک ٤٠٠ - ٧٣١، ٢٧ سطري

يادداشت مشخصات ظاهري: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوين و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود: امتیاز: ابتدای کتابت این نسخه ربیع الاخر ٥٩٤ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ٥٩٥ ق. است.

حواشی اوراق: اندکی تصحیح با نشان "صح" دارد.

يادداشت های مربوط به نسخه: يادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است: "فافهم ان هذا الكتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجيهه لمذهبه" در برگ ٤٠٠ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرين و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. این نسخه جلد ٥ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ١٤٦، از نسخه های اهدایی "دایره المعارف بزرگ اسلامی" است که از "کتابخانه های یمن" تهیه شده است.

يادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ٤٠٤ دارد. مهر بیضی دیگری با سجع "جمال الدين الحسيني" (؟) در برگ ٤٠٠ دارد.

توضیحات نسخه: نسخه بررسی شده. اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ١-٣٢٨ دارد.

يادداشت کلی: زبان: عربی

عنوانهای دیگر: تفسیر تبیان

موضوع: تفاسير شيعة — قرن ٥ق.

شناسه افزوده: حسين بن محمد، قرن ٦ق. كاتب

المجلد الثاني

[تنمة سورة البقرة] ص : ٣

[سورة البقرة (٢): آية ١٤٢] ص : ٣

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)
آية واحدة بلا خلاف.

أخبر الله (تعالى) نبيه عليه السلام أنه سيقول لك فيما بعد السفهاء، وهو جمع سفيه، وهو الجاهل والغبي نظائر.
«ما ولَّاهُمْ» معناه، أى شىء ولَّاهم. ومعنى ولَّاهم صرفهم عنه، ومثله: قلبه عنه وفتله. «عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا». والقبلة: الجهة التى تستقبل فى الصلاة، وقبله المسلمين: الكعبة. والسفيه: الخفيف إلى ما لا يجوز له أن نحف إليه، وهى صفة ذم فى الدين. و ضد السفه الحكمة. واشتقاق لاهم من الولى. وهو حصول الثانى بعد الأول من غير فصل. فالثانى يلى الأول، والثالث يلى الثانى، والرابع يلى الثالث ثم هكذا أبداً. و ولى عنه خلاف ولى إليه: مثل قولك، عدل عنه، و عدل إليه، وانصرف، عنه وانصرف إليه. فإذا كان الذى يليه متوجهاً إليه فهو متول إليه و إذا كان متوجهاً إلى خلاف جهته، فهو متول عنه.
والقبلة مثل الجلسة للحال التى يقابل لشيء غيره عليها كما أن الجلسة للتي يجلس عليها. فكان يقال: - فيما حكى - هو لى قبلة، و أنا له قبلة، ثم صار علماً على الجهة التى تستقبل فى الصلاة.

و اختلفوا فى الذين عابوا المسلمين بالانصراف من قبلة بيت المقدس إلى الكعبة على ثلاثة أقوال:
[الأول فقال ابن عباس، والبراء بن عازب: هم اليهود [الثانى قال الحسن: هم مشركوا العرب، و إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا حول الكعبة من بيت المقدس، قالوا: يا محمد (ص) رغبت عن قبلة آبائك، ثم رجعت إليها ايضاً، والله لترجعن إلى دينهم. و الثالث قال السدى: انهم المنافقون، قالوا ذلك استهزاء التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤
بالإسلام. و اختلفوا فى سبب عيهم الصرف عن القبلة: فقال قوم: انهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ. و [الثانى قال ابن عباس: إن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد ما ولَّاك عن قبلتك التى كنت عليها، ارجع إليها نتبعك و نؤمن. و أرادوا بذلك فتنته. الثالث - انه قال ذلك مشركوا العرب ليوهمو ان الحق ما هم عليه.

و إنما صرفهم الله عن القبلة الاولى لما علم الله تعالى من تغير المصلحة فى ذلك.
وقيل انما فعل ذلك لما قال تعالى «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ»، لأنهم كانوا بمكة، أمروا أن يتوجهوا الى بيت المقدس لىتميزوا من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجهون الى الكعبة، فلما انتقل رسول الله (ص) الى المدينة كان اليهود المجاورون للمدينة يتوجهون الى بيت المقدس فنقلوا الى الكعبة لىتميزوا من هؤلاء كما أريد فى الاول ان يميزوا من أولئك و اختار ذلك البلخي و الجبائى و الرمانى.

و قوله تعالى: «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» أمر من الله تعالى لنبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم عن بيت المقدس الى الكعبة: المشرق و المغرب ملك لله يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته. و المشرق و المطلع نظائر، و كذلك المغرب و المغيب نظائر.

و فى الآية دلالة على جواز النسخ لأنه تعالى نقلهم - عن عبادة كانوا عليها - الى إيقاعها على وجه آخر و هذا هو النسخ.

وقوله: «لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» فيه دلالة على أن من له المشرق والمغرب، فله التدبير فيهما، وفي ذلك إسقاط قول من زعم: أن الأرض المقدسة أولى بالتوجه إليها. لأنها مواطن الأنبياء- وقد شرفها الله وعظمتها- فلا وجه للتولية عنها- فرد الله عليهم بأن المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد. وقال ابن عباس، والبراء بن عازب: انه كانت الصلاة الى بيت المقدس الى بعد مقدم النبي (ص) بسبعة عشر شهراً. وقال انس بن مالك: انما كان ذلك تسعة أشهر أو عشرة أشهر. وقال معاذ بن جبل كان ثلاثة عشر شهراً. وقال التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥

قتادة صلّت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي (ص) و صلّى النبي (ص) بعد قدومه المدينة ستّة عشر شهراً ثم وجهه الله الى الكعبة. ولا- خلاف ان التوجه الى بيت المقدس قبل النسخ كان فرضاً واجباً. ثم اختلفوا فقال الربيع: كان ذلك على وجه التخيير، خير الله نبيه بين ان يتوجه الى بيت المقدس و بين غيرها.

وقال ابن عباس و أكثر المفسرين كان ذلك فرضاً معيناً- وهو الأقوى-، لقوله:

«وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» فبين انه جعلها قبله، و ظاهر ذلك انه معين، لأنه لا دليل على التخيير، على انه لو ثبت انه كان مخيراً لما خرج من ان يكون فرضاً، كما ان الغرض ان يصلّى الصلاة في الوقت ثم هو مخير بين أوله و أوسطه و آخره.

وقوله: «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» معنا: يهديهم الى الدين المستقيم الذي يؤديهم الى الجنة، فلذلك سماه صراطاً كما يؤدى الطريق الى المقصد.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٣] ص : ٥

إشارة

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)

آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ٥

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم «لرؤوف» على وزن لرعوف. الباقون «لرؤف» على وزن (فعل).
التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦

المعنى: ص : ٦

اخبر الله تعالى أنه جعل أمة نبيه محمد (ص) وسطاً: أى سماها بذلك و حكم لها به. و الوسط: العدل. و قيل الخيار، و معناها واحد: و قيل: انه مأخوذ من المكان الذى تعدل المسافة منه الى أطرافه. و قيل: بل أخذ الوسط من التوسط بين المقصر و المغالى، فالحق معه «١». و قال مؤرج: اى وسط بين الناس و بين أنبيائهم و قال زهير:
هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم «٢»
و روى عن النبي (ص) انه قال: أمة وسطاً: عدلاً.

و هو قول مجاهد، و قتادة، و الربيع، و ابن عباس، و اكثر المفسرين. و قال صاحب العين: الوسط من الناس و غيرهم، و من كل شىء أعدله، و أفضله و قيل الواسط و الوسط بمعنى واحد، كما قيل يابس و يبس بمعنى واحد. قال تعالى «فِي الْبَحْرِ يَبَسًا» (٣) و الوسط- بتسكين السين- الموضع. و الوسط- بالتحريك- لما بين طرفى كل شىء، و يسمى واسط الرحل بين القادمة و الاخرة، و كذلك واسطه القلادة. و اصل الباب الوسط: العدل. و قولهم فلان من أوسطهم نسباً: اى تكلمه الشرف من نواحيه.

الاعراب: ص : ٦

و اللام الاولى فى قوله: «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» لام كى، كأنه قال كى تكونوا، و أصلها لام الاضافة. و اللام فى قوله: «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً» لام تأكيد، و هى تلزم أن المخففة من الثقيلة، لثلاث تلبس بأن التى بمعنى ما، كقوله تعالى:

(١) الضمير راجع الى الوسط اى الحق مع الوسط لأنه ليس بالمقصر و لا بالمغالى.

(٢) ديوانه ٢: ٢٧ و روايته.

لحى حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت احدى الليالى بمعظم و فى تفسير الطبرى و بعض المصادر الاخرى كما هو مثبت فى المتن.

(٣) سورة طه: آية ٧٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧

«إِنَّ الْكَاْفِرُونَ إِلَّا فِي عُرْوَةٍ» (١) و هى لام الابتداء أخرت الى الخبر فى باب (ان) خاصة. و اما اللام الثالثة فى قوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» فلام الجحد، و أصلها لام الاضافة، و الفعل نصب بإضمار (أن)، و لا يظهر بعدها (ان)، لان التأويل: ما كان الله مضيعاً إيمانكم، فلما حمل معناه على التأويل، حمل، لفظه ايضاً على التأويل من غير تصريح بإظهار (ان).

المعنى: ص : ٧

فان قيل: باى شىء يشهدون على الناس، قلنا فيه ثلاثة اقوال: أحدها- ليشهدوا على الناس بأعمالهم التى خالفوا فيها الحق فى الدنيا و فى الآخرة كما قال: «وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ» (٢) و قال «يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» (٣) قال ابن زيد: الاشهاد أربعة الملائكة، و الأنبياء، و أمه محمد (ص) و الجوارح. كما قال: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٤).

الثانى- يشهدون الأنبياء على أممهم المكذبين بأنهم بلغوا. و جاز ذلك لاعلام النبى (ص) إياهم بذلك.

الثالث- «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» أى حجة عليهم فيما يشهدون، كما أن النبى (ص) شهيد بمعنى حجة فى كلما اخبر به. و النبى (ص) وحده كذلك. فأما الامه فجماعتها حجة دون كل واحد منها. و استدلال البلخى، و الجبائى، و الرمانى، و ابن الأخشاد، و كثير من الفقهاء، و غيرهم بهذه الآية على أن الإجماع حجة من حيث ان الله وصفهم بأنهم عدول، فإذا عدلهم الله تعالى، لم يجوز أن تكون شهادتهم مردودة- و قد بينا فى اصول الفقه أنه لا دلالة فيها على ان الإجماع حجة- و جملة ان الله تعالى وصفهم بأنهم عدول، و بأنهم شهداء و ذلك يقتضى ان يكون كل واحد عدلاً،

(١) سورة الملك: آية ٢٠.

(٢) سورة الزمر: آية ٦٩. [.....]

(٣) سورة المؤمن: آية ٥١.

(٤) سورة النور: آية ٢٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨

و شاهداً، لأن شهداء جمع شهيد، وقد علمنا أن كل واحد من هذه الامة ليس بهذه الصفة، فلم يجوز حملها على الجميع.

و ان خصوها بالمؤمنين العدول، لنا أن نخصها بجماعة، كل واحد منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم: و هم الأئمة المعصومون من آل الرسول (ص) على أن لو سلمنا ما قالوه من كونهم عدولاً، ينبغي أن نجنبهم ما يقدح في عدالتهم و هي الكبائر، فأما الصغائر التي تقع مكفرة، فلا- تقدح في العدالة، فلا- ينبغي أن نمنع منها، و متى جوزنا عليهم الصغائر لم يمكننا أن نحتج بجماعتهم، لأنه لا شيء أجمعوا عليه إلا و يجوز أن يكون صغيراً فلا يقدح في عدالتهم، و لا يجب الاقتداء بهم فيه لكونه قبيحاً. و في ذلك بطلان الاحتجاج بجماعتهم. و كيف يجنبون الصغائر، و حال شهادتهم ليس بأعظم من شهادة النبي (ص) و مع هذا يجوزون عليه الصغائر فهلا جاز مثل ذلك عليهم، و لا تقدح في عدالتهم- كما لم تقدح في عدالة النبي (ص)؟

قوله: «وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً». قيل في معناه قولان:

أحدهما- عليكم شهيداً بما يكون من أعمالكم. و قيل: يكون حجة عليكم.
و الثاني- يكون لكم شهيداً بأنكم قد صدقتم- يوم القيامة- فيما تشهدون به.

و جعلوا (على) بمعنى اللام كما قال: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ» (١) اي للنصب. و التشبيه في قوله «و كذلك» وقع بما دل عليه الكلام في الآية التي قبلها: و هي قوله «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» فتقديره أنعمنا عليكم بالعدالة كما أنعمنا عليكم بالهداية و العامل في الكاف جعلنا، كأنه قيل: «من يشأ الى صراط مستقيم» فقد أنعمنا عليكم بذلك و جعلناكم أمة وسطاً فأنعمنا كذلك الانعام. إلا أن (جعلنا) يدل على أنعمنا في هذا الكلام، فلم نحتج الى حذفه معه في قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» اي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم، و حذف للدلالة

(١) سورة المائدة: آية ٤

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩

الكلام عليه. و قوله «إِلَّا لِنَعْلَمَ» قيل في معناه ثلاثة اقوال:

أولها «إِلَّا لِنَعْلَمَ» اي لنعلم حزبنا من النبي و المؤمنين، كما يقول الملك فعلنا و فتحنا بمعنى فعل أولياؤنا و من ذلك قيل: فتح عمر السواد وجبا الخراج و إن لم يتول ذلك بنفسه.

الثاني- إلا ليحصل المعلوم موجوداً، فقيل على هذا: إلا لنعلم، لأنه قبل وجود المعلوم لا يصح وصفه بانه عالم بوجوده.

و الثالث- إلا- لنعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذي كأنه لا يعلم أن العدل يوجب ذلك، من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم كان ظلماً لهم. و يظهر ذلك قول القائل لمن أنكر أن تكون النار تحرق الحطب: فليحضر النار و الحطب لنعلم أ تحرقه أم لا، على جهة الانصاف في الخطاب، لا على جهة الشك في الإحراق. و هذا الوجه اختاره ابن الأخشاد، و الرماني. و كان على بن الحسين المرتضى الموسوي يقول في مثل ذلك وجهاً مليحاً: و هو ان قال: قوله لنعلم يقتضى حقيقة ان يعلم هو و غيره و لا يحصل علمه مع علم غيره إلا بعد حصول الأتباع، فاما قبل حصوله فإنما يكون هو تعالى العالم وحده، فصح حينئذ ظاهر الآية، و هذا وجه رابع، و فيه قول خامس- و هو ان يعلموا انا نعلم، لأنه كان منهم من يعتقد ان الله لا يعلم الشيء حتى يكون على ان قوله: «لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ»

لا يدل على حدوث العلم، لأنه كان قبل ذلك عالماً بان الانباع سيوجد، او لا يوجد، فان وجد كان عالماً بوجوده و ان لم يتجدد له صفة. و انما يتجدد المعلوم، لان العلم بان الشيء سيوجد علم بوجوده إذا وجد.
و انما يتغير عليه الاسم، و يجرى ذلك مجرى تغير الاسم على زمان بعينه، بان يوصف بأنه غد قبل حصوله، فإذا حصل قيل انه اليوم، فإذا تقضى وصفه بأنه أمس، فتغير عليه الاسم و المعلوم لم يتغير.
و قوله تعالى: «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- ان قوماً ارتدوا عن الإسلام لما حولت القبلة جهلاً منهم بما فيها من وجه الحكمة. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠
و الآخر ان المراد به كل مقيم على كفره، لان جهة الاستقامة إقبال، و خلافها ادبار. لذلك وصف الكافر بأنه أدبر و استكبر. و قال: «لا يضلها إلا الأشقى الذي كذب و تولى» (١) اي عن الحق.

اللغة: ص : ١٠

و العقب مؤخر القدم قال ثعلب: و نرد على أعقابنا: أي نعقب بالشر بعد الخير و كذلك رجع على عقبيه. و سميت العقوبة عقوبة لأنها تتلو الذنب. و العقبه كره بعد كره في الركوب و المشى. و المعقبات: ملائكة الليل تعاقب ملائكة النهار. و عقب الإنسان نسله. و العقاب معروف و العقب أصلب من العصاب و امتن، يعقب به الرماح.
و التعقيب: الرجوع الى امر تريده. و منه قوله تعالى: «وَلَمْ يُعَقِّبْ» (٢) و منه يقال عقب الليل النهار يعقبه. و عقب الرأي خبراً، و عقب عزه ذلاً- أي أبدل به. و العقبه طريق في الجبل. و عرو العقاب: الرأيه لشبهها بعقاب الطائر. و يعقوب ذكر القبح تشبه به الخيل في السرعة. لا معقب لحكمه أي لا راد لقضائه. و المعقب: الذي يتبع الإنسان في طلب حق. و اصل الباب التلو.

المعنى: ص : ١٠

و الضمير في قوله «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً» يحتمل رجوعه الى ثلاثة أشياء: القبلة على قول ابن عامر. و التحويلة على قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة. و هو الأقوى، لان القوم ثقل عليهم التحويل لا نفس القبلة. و على قول ابن زيد الصلاة و قوله:
«لَكَبِيرَةً» قال الحسن: معناه ثقيلة يعنى التحويلة الى بيت المقدس، لان العرب لم تكن قبله أحب اليهم من الكعبة. و قيل معناه عظيمة على من لم يعرف ما فيها من وجوه الحكمة. فاما الذين هدى الله، لان المعرفة بما فيها من المصلحة تسهل المشقة فيصير بمنزلة ما لا يعتد بها و لذلك حسن الاستثناء بما يخرجهم منها.

(١) سورة الليل: آية ١٥-١٦

(٢) سورة النمل آية ١٠ و سورة القصص آية ٣١

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١

و قوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» قيل في معناه اقوال:

أولها- قال ابن عباس و قتادة و الربيع: لما حولت القبلة قال ناس: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى. و قيل: كيف من مات من إخواننا قبل ذلك، فانزل الله (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ).

الثاني- معناه قال الحسن: و انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده من المثوبة و انه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه. لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق و الرضا به.

الثالث- قال البلخي: انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر سبب ذلك الذي استحقوه به و هو ايمانهم بما عملوه أولاً فقال: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» الذي استحققتهم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة.

اللغة: ص : ١١

والاضاعة مصدر اضع اضاع يضيع. و ضاع الشيء يضيع ضياعاً، و ضعه تضييعاً. قال صاحب العين: ضيعة الرجل حرفته. يقال: ما ضيعتكم اى ما حرفتكم، هذا في الضياع و ضاع عمل فلان ضيعةً، و ضياعاً. و تركهم بضيعةً و مضيعه. و الضيعة و الضياع معروف و اصل الضياع الهلاك.

وقوله: (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ) ان قيل: ما الذي اقتضى ذكر هذه الصفة، قلنا الرؤوف بعباده الرحيم بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم، فدل بالرافة و الرحمة على التوفير عليهم فيما استحقوه دون التضيع لشيء منه. و انما قدمت الرافة على الرحمة، لان الرافة أشد مبالغة من الرحمة ليجرى على طريقة التقديم- بما هو اعرف- مجرى اسماء الاعلام ثم إتباعه بما هو دون منه ليكون مجموع ذلك تعريفاً أبلغ منه، لو انفرد كل واحد عن الآخر كما هو في الرحمن الرحيم فرءوف على وزن فعول، لغة اهل الحجاز. على وزن فعل، لغة غيرهم قال الانصارى «١»:

(١) هو كعب بن مالك الانصارى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢

نطيع نبينا لنطيع رباً هو الرحمن كان بنا رءوفاً «١»

و قال حرير: يعنى منعمين حقاً، كفعل الوالد الرؤوف الرحيم. و الرافة: الرحمة تقول راف يرأف رافةً.

المعنى: ص : ١٢

و استدل من قال الصلاة: الايمان بهذه الآية، فقالوا: سمي الله الصلوة ايماناً- على تاويل ابن عباس، و قتادة، و السدى و الربيع و داود بن أبى عاصم و ابن زيد و سعيد بن المنذر و عمرو بن عبيد و واصل و جميع المعتزلة. و من خالفهم من المرجئة لا يسلم هذا التأويل و يقول: الايمان على ظاهره و هو التصديق و لا ينزل ذلك بقول من ليس قوله حجة، لأنهم ليسوا جميع المفسرين بل بعضهم و لا يكون ذلك حجة.

و استدل الجبائى بهذه الآية على ان الشاهد هو الحاضر دون من مات، بان قال: لو كان الرسول شاهداً على من مضى قبله أو من يأتى بعده و من هو حاضر معه لم يكن لقوله (وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) معنى. و يؤكد ذلك قوله (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ) «٢» و قال غيره: قد يجوز ان يشهد العالم بما علم و ان لم يحضره- و هو الأقوى- و هذه الآية فيها دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه، لأنه قال (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) فأخبر ان الجاعل لتلك القبلة كان هو تعالى، و انه هو الذى نقله عنها و ذلك هو النسخ، فان قيل: كيف أضاف الايمان الى الأحياء و هم كانوا قالوا: كيف بمن مضى من إخواننا قلنا يجوز ذلك على التغليب، لان من عاداتهم ان يغلبوا المخاطب على الغائب كما يغلبون المذكر على المؤنث تنبيهاً على الأكمل، فيقولون: فعلنا بكما و بلغناكما، و ان كان أحدهما حاضراً و الآخر غائباً، فان قيل كيف جاز على اصحاب النبي صلى الله و آله الشك فيمن مضى من إخوانهم فلم يدروا انهم كانوا على حق في صلاتهم الى بيت المقدس؟ قيل في ذلك: كيف إخواننا لو أدركوا الفضل بالتوجه، و انهم أحبوا لهم ما أحبوا لأنفسهم. و يكون قال ذلك منافق بما فيه الرد على المخالفين المنافقين.

(١) اللسان «رأف» و روايته «و نطيع» بدل «لنطيع» في المطبوعة «رؤف» بدل «رؤوفا».

(٢) سورة المائدة: آية ١٢٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٤] ص: ١٣

إشارة

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)

آية بلا خلاف.

القراءة: ص: ١٣

قرأ ابن عامر، و حمزة، و الكسائي، و ابو جعفر، و روح «عما تعملون» بالتاء. الباقيون بالياء.

النزول: ص: ١٣

و قال قوم ان هذه الآية نزلت قبل التي تقدمتها: و هي قوله: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ)

المعنى: ص: ١٣

إن قيل لم قلب النبي (ص) وجهه في السماء، قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انه كان وعد بالتحويل عن بيت المقدس، و كان يفعل ذلك انتظاراً و توقعاً لما وعد به.

و الثاني- انه كان يحبه محبة الطباع، و لم يكن يدعو به حتى أدركه فيه، لان الأنبياء لا يدعون إلا بما أذن لهم فيه لئلا تكون المصلحة

في خلاف ما سألوه فيكون في ردهم تنفر عن قبول قولهم. و هذا الجواب يروى عن ابن عباس، و قتادة.

و قيل في سبب محبة التوجه الى الكعبة ثلاثة اقوال:

أولها- قال مجاهد: انه أحب ذلك، لأنها كانت قبله ابراهيم- حكاة الزجاج- انها أحب ذلك استدعاء العرب الى الايمان.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤

اللغة: ص: ١٤

و قوله: (قَدْ نَرَى فَالرؤيئة هي ادراك الشيء من الوجه الذي يتبين بالبصر.

و قوله: (تَقَلُّبَ وَجْهِكَ) التقلب و التحول و التصرف نظائر: و هو التحرك في الجهات و قوله: (تَرْضَاهَا) تحبها. و الرضاء ضد السخط:

و هو ارادة الثواب. و السخط ارادة الانتقام. و قوله: (شَطْرَ الْمَسْجِدِ) اي نحوه، و تلقاه بلا خلاف بين اهل اللغة. و عليه المفسرون كابن

عباس، و مجاهد، و أبى العالبي، و قتادة، و الربيع، و ابن زيد، و غيرهم. قال الشاعر:

وقد أظلمكم من شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطعاً
 اى من نحو ثغركم و انشد ابن عبيدة الهذلى «١»:
 ان العسير بها داء مخامرهما فشطرها نظر العينين محسور «٢»
 و قال ابن احمر «٣»:

تعدو بنا شطر جمع و هى عاقدة قد كارب العقد من ايفادها الحقبا «٤»

و قال الجبائى: أراد بالشطرن النصف، كأنه قال: وجهك نصف المسجد، لأن شطر الشيء: نصفه، فأمره ان يولى وجهه نحو نصف المسجد حتى يكون مقابل الكعبة، و هذا فاسد، لأنه خلاف أقوال المفسرين، و لان اللفظ إذا كان مشتركاً بين النصف، و بين النحو ينبغى ألماً يحمل على أحدهما إلا- بدليل. و على ما قلناه اجماع المفسرين، قال الزجاج: يقال: هؤلاء القوم شاطرونا دورهم، تتصل بدورنا كما

(١) هو قيس بن العيزارة الهذلى. و العيزارة أمه و اسمه قيس بن خويلد بن كاهل.

(٢) ديوانه: ٢٤١ و التكامل لابن الأثير ١: ١٢، ٢: ٣ و اللسان «شطر» فى المطبوعة «العشير» بدل «العسير» و «تخامرها» بدل «مخامرهما» و «محسورا» بدا «محسور»

(٣) فى المطبوعة «الراحم» و هو تحريف.

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ١١٩، و الروض الانف ٢: ٣٨ و الخزائن ٣: ٣٨، و مجاز القرآن لأبى عبيدة: ٦٠ فى المطبوعة «كادت العقد من العادها» بدل «كارب العقد من ايفادها» و هو تحريف فاحش مقوله: جمع هى اسم مكان، و يسمى المزدلفه عاقدة قد عكف ذنبها بين فخذيهما. كارب: أوشك، و كاد، و قارب، و دنا. اوفدت الناقة: أسرعت. الحقب: الحزام.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥

يقال هؤلاء يناحوننا أى نحن نحوهم و هم نحونا. و قال صاحب العين شطر كل شىء نصفه و شطره: قصده و نحوه، و منه المثل احلب حلباً لك شطره اى نصفه. و شطرت الشىء جعلته نصفين، و قد شطرت الشاة شطاراً: و هو ان يكون احد طستها اكثر من الآخر و ان حلبا جميعاً، و منزل شطر: اى بعيد، و شطر فلان على اهله: اى تركهم مراغماً أو مخالفاً. و رجل شاطر. و قد شطر شطوره، و شطوراً و شطارة: و هو أعيا اهله خبتاً. و أصل الشطر النصف.

المعنى: ص : ١٥

و قال السدى المعنى بقوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) هم اليهود. و قال غيره:

هم أحبار اليهود، و علماء النصرارى غير انهم جماعة قليلة يجوز على مثلهم اظهار خلاف ما يبطنون، لان الجمع الكثير لا يتأتى ذلك منهم لما يرجع الى العادة، و انه لم يجز بذلك مع اختلاف الدواعى، و انما يجوز العناد على النفر القليل و قد مضى فيما تقدم نظير ذلك، و ان على ما نذهب اليه فى الموافاة لا- يمكن أن يكونوا عارفين بذلك إلا أن يكون نظيرهم لا يوجه و جوب المعرفة، فإذا حصلت المعرفة عند ذلك فلا يستحقون عليه الثواب لان النبى (ص) يمنع منه ان يكونوا مستحقين للثواب الدائم و يكفرون فيستحقون العقاب الدائم و الإحباط باطل، فيؤدى ذلك الى اجتماع الاستحقاقين الدائمين و ذلك خلاف الإجماع.

و هذه الآية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس قبل ذلك. و روى عن ابن عباس انه قال: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة. و قال قتادة:

نسخت هذه الآية ما قبلها. و قال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن- و هذا هو الأقوى-، لأنه ليس فى القرآن مما يدل

على تعبدته بالتوجه الى بيت المقدس. و من قال: انها نسخت قوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ) قلنا له هذه ليست منسوخة بل هي مختصة بالنوافل - في حال السفر - فأما من قال: يجب على الناس ان يتوجهوا الى الميزاب الذي على الكعبة و يقصدوه، فقوله باطل، لأنه خلاف التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦

ظاهر القرآن. قال ابن عباس: البيت كله قبله - و هو قول جميع المفسرين. و روى بعض اصحاب الحديث: ان البيت هو القبلة و ان قبلته بابه. و هذا يجوز. قال فاما ان يجب على جميع الخلق التوجه اليه، فهو خلاف الإجماع.

و قوله: (حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)

روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) ان ذلك في الفرض، و قوله: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ) في النافلة.

و روى عن ابن عباس و أبي جعفر محمد بن علي: انه لما حول الى الكعبة اتى رجل من عبد الأشهل من الأنصار و هم قيام يصلون الظهر و قد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس، فقال: ان الله قد صرف رسوله نحو البيت الحرام، فصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام في بقية صلاتهم.

الاعراب: ص : ١٦

و قوله: (وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ) موضع كنتم جزم بالشرط، و تقديره و حيث ما تكونوا، و الفاء جواب و لولا (ما) لم يجز الجزاء (بحيث) لخروجها عن نظائرها، بانه لا يستفهم بها، و لان الاضافة لها كالصلة لغيرها، و ليست بصلة كصلة أخواتها. و الهاء في قوله تعالى: (وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ) على قول الجبائي يعود الى التحويل. و قال الحسن: هي عائدة الى التوجه الى الكعبة، لأنها قبله ابراهيم، و الأنبياء قبله.

اللغة: ص : ١٦

و «الحق» وضع الشيء في موضعه إذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح. و الغفلة: هي السهو عن بعض الأشياء خاصة و إذا كان السهو عاماً فهو فوق الغفلة و هو السهو العام، لأن النائم لا يقال: انه غفل عن الشيء الا مجاز.

المعنى: ص : ١٦

و قال عطا في قوله تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) قال: الحرم التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧
كله مسجد. و هذا مثل قول أصحابنا أن الحرم قبله من كان نائياً عن الحرم من أهل الآفاق. و اختلف الناس في صلاة النبي (ص) الى بيت المقدس فقال قوم: كان يصلى بمكة الى الكعبة، فلما صار بالمدينة أمر بالتوجه الى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ثم أعيد الى الكعبة. و قال قوم: كان يصلى بمكة الى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه و بينها و لا يصلى في غير المكان الذي يمكن هذا فيه. و قال قوم: بل كان يصلى بمكة، و بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً الى بيت المقدس، و لم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه و بينها، ثم أمره الله بالتوجه الى الكعبة. و من صلى الى غير القبلة لشبهه دخلت عليه، ثم تبينه، فان كان الوقت باقياً أعاد الصلاة. و ان خرج الوقت، فان كان صلى يميناً و شمالاً، فلا - إعادة عليه، و إن صلى الى استدبارها أعاد. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٥] ص : ١٧

إشارة

وَلَيْسَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِ بَعْضٍ وَلَيْسَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)
آية بلا خلاف.

الاعراب: ص : ١٧

اختلف النحويون في أن جواب- لئن- لم كان جواب (لو) فقال الأخفش، و من تبعه أجيبت بجواب- لو، لان الماضي وليها كما يلي لو فاجيبت بجواب (لو) و دخلت كل واحدة منهما على صاحبها قال الله تعالى: (وَلَيْسَ أَرْسِلْنَا رِيحًا قَرَأُوهُ مُضِيفًا لَطَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) «١» فجرى مجرى و لو أرسلنا و قال (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) «٢» على جواب لئن. و قال سيبويه و جميع أصحابه: ان معنى

(١) سورة الروم آية ٥١

(٢) سورة البقرة آية ١٠٣ [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨

(لَطَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) ليظن و معنى (لئن) غير معنى (لو) في قول الجماعة. و إن قالوا إن الجواب متفق لأنهم لا يدفعون أن معنى (لئن) ما يستقبل و معنى (لو): ما مضى و حقيقة معنى (لو) أنها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره. كقولك لو أتيتني لأكرمك أى لم تأتني فلم أكرمك، فامتنع الإ-كram، لامتناع الإتيان. و معنى (إن) (و لئن) انما يقع بهما الشيء لوقوع غيره تقول: إن تأتني أكرمك، فالإكram يقع بوقوع الإتيان و قال بعضهم: إن كل واحدة منهما على موضعها، و انما لحق في الجواب هذا التداخل، لدلالة اللام على معنى القسم، فجاء الجواب بجواب القسم، فاغنى عن جواب الجزاء لدلالته عليه، لان معنى لظلوا ليظن و هذا هو معنى قول سيبويه. و يجوز أن تقول: إن أتيتني لم أجفك، و لا- يجوز أن تقول: إن أتيتني ما حفوتك، لان (ما) منفصلة (و لم) كجزء من الفعل. ألا ترى أنه يجوز ان تقول: زيدا لم أضرب، و لا يجوز زيدا ما ضربت. و انما يجاب الجزاء بالفعل أو الفاء، فإذا تقدم لام القسم جاز، فقلت لئن أتيتني ما جفوتك.

المعنى: ص : ١٨

فان قيل: كيف قال (وَلَيْسَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ) و قد آمن منهم خلق؟ قلنا عن ذلك جوابان:

أحدهما- قال الحسن: إن المعنى أن جميعهم لا يؤمن، و هو اختيار الجبائي.

و الثانى- أن ذلك مخصوص لمن كان معانداً من أهل الكتاب دون جميعهم الذين وصفهم الله، فقال «يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» اختاره البلخي و الزجاج. و هذه الآية دالة على فساد قول من قال: لا يكون الوعيد بشرط، و على فساد قول من قال بالموافاة، و إن من علم الله أنه يؤمن لا يستحق العقاب أصلاً، لأن الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب أن يكون متى تحصل الشرط تحصل استحقاق العقاب، و فيها دليل على فساد قول من قال: إن الوعيد لا يقع لمن علم أنه لا يعصى، لأن الله تعالى علم من حال الرسول أنه لا يتبع أهواءهم و مع هذا يوعده إن اتبع أهواءهم. و فى الآية دلالة على التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩

بطلان قول من قال: إن فى المقدور لطفاً، لو فعل الله بالكافر لآمن لا محالة، من قبل أنه قيل فى قوله (وَلَيْسَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ) قولان:

أحدهما- أن المعاند لا- ينفعه الدلالة لأنه عارف والآخر أنه لا لطف لهم فتلمسه ليؤمنوا، وعلى القولين فيه دلالة على فساد قول أصحاب اللطف، لأن مخرجه مخرج التنصل من التخليف عنهم ما يؤمنون عنده طوعاً، فلو قال قائل: وما في أن الآية لا ينفعهم في الايمان لطف ينفعهم فيه لكان لا- يسقط سؤاله إلا بأن يقال: لا لطف لهم كما لا آية تنفعهم وقوله: (وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدهما- (لَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) في المداراة لهم حرصاً على أن يؤمنوا (إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) لنفسك مع اعلامنا إياك: (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ). هذا قول أبي على الجبائي.

الثاني- الدلالة على أن الوعيد يجب باتباع أهوائهم فيما دعوا اليه من قبلتهم، وأنه لا- ينفع مع ذلك عمل سلف، لأنه ارتداد. و الخطاب للنبي (ص) والمراد به كل من كان بتلك الصفة. كما قال: (لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) «١» وهذا قول الحسن، والزجاج. الثالث- ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم، و تبكيتهم بها. كما تقول: لئن قيل عنك أنه لخاسر تريد به التبكيته على فساد رأيه، و التباعد من قبوله.

وقوله: (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتُهُمْ) قيل في معناه أربعة أقوال:

أولها- أنه لما قال: (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ) على وجه المقابلة كما تقول: ما هم بتاركى انكار الحق و ما أنت بتارك الاعتراف به، فيكون الذي جرّ الكلام التقابل للكلام الاول، و ذلك حسن من كلام البلغاء.

(١) سورة الزمر: آية ٦٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠

الثاني- أن يكون المراد أنه ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم، لان النصرارى يتوجهون الى المشرق، و اليهود الى بيت المقدس، فبين الله تعالى: أن رضا الفريقين محال.

الثالث- أن يكون المراد حسم طمع أهل الكتاب من اليهود إذ كانوا طمعوا في ذلك و ظنوا انه يرجع الى الصلاة الى بيت المقدس، و ماجوا في ذكره.

الرابع- انه لما كان النسخ مجزواً قبل نزول هذه الآية، فأنزل الله تعالى الآية، ليرتفع ذلك التجوز.

وقوله: (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ) قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و السدى، و ابن زيد، و الجبائي: أنه لا يصير النصرارى كلهم يهوداً، و لا اليهود كلهم نصرارى أبداً، كما لا يتبع جميعهم الإسلام. و هذا من الاخبار بالغيب.

وقال غيرهم: معناه إسقاط الاعتلال بأنه مخالفة لأهل الكتاب الذين ورثوا ذلك عن أنبياء الله بامرهم إياهم به، فكلما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف بوجهة ثالثة للاستصلاح في بعض الازمان.

وقد بينا حد الظلم فيما تقدم، و اعترضنا قول من قال: هو الضرر و القبيح الذي يستحق به الدّم من حيث أن ذلك ينقض بفعل الساهي، و النائم، و الطفل، و المجنون- إذا كان بصفة الظلم- فانه يكون قبيحاً و ان لم يستحقوا به ذمماً. و من خالف في ذلك كان الكلام عليه في موضع آخر. على ان المخالف في ذلك ناقض، فانه قال: ان الكذب يقع من الصبي و يكون قبيحاً. و هذا إذا جاز. هلا جاز ان يقع منه الظلم؟

فان قال: لان العقل للإنسان البالغ، يزجر الصبي عن ذلك بالتأديب. قلنا مثل ذلك في الظلم سواء.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٦] ص: ٢٠

إشارة

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)
التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١
آية بلا خلاف

المعنى: ص : ٢١

أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم يعرفون النبي (ص) كما يعرفون أبناءهم، وأن جماعة منهم يكتُمون الحق مع علمهم بأنه حق. و قيل في الحق الذي كتّموه قولان:
أحدهما- قال مجاهد: كتّموا محمداً (ص) و نبوته، و هم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل.
و الثاني- قال الربيع: انهم كتّموا أمر القبله. و قوله (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) يحتمل أمرين:
أحدهما- يعلمون صحه ما كتّموه. و الثاني- يعلمون ما لمن دفع الحق من العقاب و الدم.
و (الهاء) في قوله: (يعرفونه) عائدة- في قول ابن عباس، و قتاده، و الربيع- على أن أمر القبله حق. و قال الزجاج هي عائدة على أنهم يعرفون النبي (ص) و صحه أمره، و ثبوت نبوته، و انما قال: (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) و في أول الآية قال: (يَعْرِفُونَهُ) على العموم، لان أهل الكتاب منهم من أسلم و أقر بما يعرف فلم يدخل في جملة الكاتمين. كعبد الله بن سلام، و كعب الأخبار، و غيرهما ممن دخل في الإسلام.
و العلم و المعرفة واحد. و حدّه ما اقتضى سكون النفس. و إن فصّلت، قلت: هو الاعتقاد للشئ على ما هو به مع سكون النفس. و فصل الرماني بين العلم و المعرفة، بأن قال: المعرفة هي التي يتبين بها الشئ من غيره على جهة التفصيل. و العلم قد يتميز به الشئ على طريق الجملة دون التفصيل كعلمك بان زيدا في جملة العشرة. و إن لم تعرفه بعينه و إن فصلت بين الجملة التي هو فيها، و الجملة التي ليس هو فيها. و هذا غير صحيح التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢
لان المعرفة أيضاً قد يتميز بها الشئ على طريق الجملة، فلا فرق بينهما. فان قيل لم قال:
«يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» إنهم أبناءهم في الحقيقة، و يعرفون أن محمداً (ص) هو النبي المبشر به في الحقيقة؟ قلنا التشبيه وقع بين المعرفة بالابن في الحكم: و هي معرفة تميزه بها من غيره، و بين المعرفة بالنبي المبشر به في الحقيقة، فوقع التشبيه بين معرفتين. إحداهما أظهر من الاخرى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٧] ص : ٢٢

إشارة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ (١٤٧)
آية بلا خلاف.

الاعراب: ص : ٢٢

«الحق» مرتفع بأنه خبر ابتداء محذوف و تقدير ذاك الحق من ربيك أو هو الحق من ربك. و مثله مررت برجل كريم زيد: أي هو زيد، و لو نصب كان جائزاً في العربية على تقدير اعلم الحق من ربك.

المعنى: ص : ٢٢

و قوله: «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» معناه من الشاكين ذهب اليه ابن زيد، و الربيع، و غيرهما من المفسرين. و الامتراء الاستخراج. و قيل: الاستدرار. فكأنه قال: فلا تكن من الشاكين فيما يلزمك استخراج الحق فيه. قال الأعشى:

تدرّ على أسوق الممترى ن ركضاً إذا ما السراب ارجحن «١»

يعنى الشاكين فى درورها، لطول سيرها. و قيل: المستخرجين ما عندها. قال صاحب العين: المرى مسحك ضرع الناقة. تمر بها بيدك لكى تسكن، للحلب، و الريح تمرى السحاب مرياً. و المريء من ذلك. و المريء الشك. و منه الامتراء،

(١) ديوانه: ٢٣ رقم القصيدة: ٢، و اللسان «ارجحن» تدر- بضم الدال و تشديد الراء- تجرى بسرعة. الممترين: الذين يغمزون خيلهم بساقهم، ارجحن السراب: ارتفع فى المطبوعه «و كفاً» بدل «ركضاً» و «السحاب» بدل «السراب».

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣

و التمارى، و المماراة، و المراء. و أصل الباب الاستدرار. و يقال: بالشكر تمرتى النعم أي تستدر. و قال الحسن، و الربيع، و الجبائى: معنى الآية «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» فى الحق الذى تقدم اخبار الله به من أمر القبله، و عناد من كتم النبوه و امتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجة. و قال بعضهم: «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» فى شىء يلزمك العلم به. و هو الاولى، لأنه أعم، و الخطاب و ان كان متوجهاً الى النبى (ص) فالمراد به الامه كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ «١» و قال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ) «٢». و قال قوم: إن الخطاب له، لأنه إنما لا يجوز عليه ذلك لملازمته أمر الله. و لو لم يكن هناك أمر لم يصح أن يلازم.

و النون الثقيله يؤكد بها الامر و النهى، و لا يؤكد بها الخبر، لما كان المخبر يدل على كون المخبر به، و ليس كذلك الأمر و النهى، و الاستخبار، لأنه لا يدل على كون المدلول عليه، فألزم الخبر التأكيد بالقسم و ما يتبعه من جوابه، و اختصت هذه الأشياء بنون التأكيد ليدل على اختلاف المعنى فى المؤكد. و لما كان الخبر أصل الجمل أكد بأبلغ التأكيد و هو القسم.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٨] ص : ٢٣

إشارة

وَ لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا فَاسْتَخَبُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)
آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ٢٣

قرأ ابن عامر و ابو بكر عن عاصم (مولها). و روى ذلك عن ابن عباس و محمد بن على، فجعلوا الفعل واقعاً عليه. و المعنى واحد، كذا قال الفراء.

(١) سورة الطلاق: آية ١

(٢) سورة الأحزاب آية: ١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤

المعنى: ص : ٢٤

و في قوله: لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُؤَلِّيهَا»
أقوال:

أحدهما- قال مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و ابن عباس، و السدي: أن لكل أهل مله من اليهود و النصارى.

الثاني- قال الحسن: إن لكل نبي وجهه واحدة: و هي الإسلام و ان اختلف الأحكام كما قال: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا» اى في شرائع الأنبياء.

الثالث- قال قتادة: هو صلاتهم الى بيت المقدس، و صلاتهم الى الكعبة.

الرابع- ان لكل قوم من المسلمين وجهه، من كان منهم وراء الكعبة و قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها، و هو الذى اختاره الجبائى. و الوجهه قيل فيه قولان:

أحدهما- انه قبله. ذهب اليه مجاهد، و ابن زيد. الثاني قال الحسن: هو ما شرعه الله لهم من اسلام.

و في (وجهه) ثلاث لغات: وجهه، و وجهه، و وجهه. و إنما أتم لأنه اسم لم يجىء على الفعل. و من قال: جهه. قال المبرد: جاء به على قولهم وجهنى، و وجهته.

و معنى وليها»

مستقبلها- فى قول مجاهد و غيره. كأنه قال: مول إليها، لان ولى اليه نقيض ولى عنه. كقولك: انصرف اليه، و انصرف عنه. و قوله «هو» عائد- على قول اكثر المفسرين- الى كل. و قال قوم يعود على اسم الله حكاهما الزجاج.

ولخيرات»

هى الطاعات لله- على قول ابن زيد و غيره- و قوله: أْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا»

يعنى يوم القيامة- من حيث ما تم من بلاد الله- و هو قول السدى، و الربيع و قد روى لِكُلِّ وَجْهَةٌ»

مضاف غير منون- و ذلك لا يجوز، لأنه يكون الكلام ناقصاً، لا معنى له و لا فائدة فيه. و قوله: أَسْتَبِقُوا»

يحتمل معنيين:

أحدهما- بادروا الى ما أمرتم به مبادرة من يطلب سبق اليه.

الثاني- قال الربيع: سارعوا الى الخيرات. و هو الاولى، لأنه أعم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥

اللغة: ص : ٢٥

و الاستباق، و الابتدار، و الاسراع نظائر. قال صاحب العين: السبق: القدمه فى الجرى و فى كل أمر. تقول: له فى هذا الامر سبقه، و سابقه و سبق: أى سبق الناس اليه. و سبق الخطر الذى يوضع بين اهل السباق، و جمعه اسباق. و السباقان فى رجل الطائر الجارح قيده

من خيط أو سير. و اصل الباب السبق: التقدم فى الامر.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٤٩] ص : ٢٥

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)
آية بلا خلاف.

قيل فى تكرار قوله تعالى: «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» قولان:

أحدهما- أنه لما كان فرضاً، نسخ ما قبله، كان من مواضع التأكيد لينصرف الى الحال الثانية بعد الحال الاولى على يقين.
والثانى- أنه مقدم لما يأتى بعده و يتصل به، فأشبه الاسم الذى تكرره لتخبر عنه باخبار كثيرة كقولك: زيد كريم، و زيد عالم، و زيد حليم، و ما أشبه ذلك مما تذكره لتعلق الفائدة به و إن كانت فى نفسها معلومة عند السامع، و معنى قوله «وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ» الدلالة على وجوب المحافظة- من حيث كان حقاً لله فيه طاعة-، و معنى قوله «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» هاهنا التهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى على ما أنتم فيه، و مثله قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ» «١». و الوجه الجارحه المخصوصه و قد حده الرمانى بانه صفيحه فيها محاسن تعرف بها الجملة، و حيث مبنية على الضم، لأنها كالتغايه تامها الاضافه الى المفرد، دون الجملة، لها بمنزلة الصلة، فجرت لذلك مجرى قوله «من قبل و من بعد». «٢»

(١) سورة الفجر آية: ١٤

(٢) سورة الروم آية: ٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٠] ص : ٢٦

إشارة

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَ لَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٦

قيل فى تكرار قوله: «وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ» ثلاثة اقوال:

أحدها- لاختلاف المعنى و إن اتفق اللفظ، لأن المراد بالأول: من حيث خرجت منصرفاً عن التوجه الى بيت المقدس. «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و أريد بالثانى أين كنت فى البلاد، فتوجه نحو المسجد الحرام مستقبلاً كنت لظهر الكعبة أو وجهها أو يمينها أو شمالها.

الثانى- لاختلاف المواطن التى تحتاج الى هذا المعنى فيها.

الثالث- لأنه مواضع التأكيد بالنسخ الذى نقلوا فيه من جهة الى جهة للتقرير و التثبيت. فان قيل هل فى قوله تعالى: «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» حذف منه (فى الصلاة) أم هو مدلول عليه من غير حذف؟ قيل: هو محذوف، لأنه اجتزأ بدلالة الحال عن دلالة

الكلام، و لو لم يكن هناك حال دالة لم يكن بد من ذكر هذا المحذوف إذا أريد به الافهام لهذا المعنى فأما قوله: عليم و حكيم. فانه يدل على المعلوم من غير حذف.

و معنى قوله: «لئلا يكون للناس عليكم حجة» هاهنا. قيل فيه قولان:

أحدهما- لا- تعدلوا عما أمركم الله في التوجه الى الكعبة، فيكون لهم عليكم حجة، بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أنه من عند الله ما عدلتم عنه. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧

الثاني- لئلا يكون لأهل الكتاب عليكم حجة لو جاء على خلاف ما تقدمت به البشارة في الكتب السالفة من أن المؤمنين سيوجهون الى الكعبة.

و موضع اللام من «لئلا» نصب و العامل فيه احد شيئين: فولوا. و الآخر ما دخل الكلام من معنى عزفتكم ذلك. و هو قول الزجاج.

و قوله: «إلا الذين ظلموا منهم»، قيل فيه اربعة اقوال:

أحدها- أنه استثناء منقطع، و «إلا» بمنزلة (لكن) كقوله (ما لهم به من علم إلا أتباع الظن) «١» و قوله: ما له على إلا التعدي، و الظلم، كأنك قلت:

لكن يتعدى و يظلم، و تضع ذلك موضع الحق اللازم، فكذلك لكن الذين ظلموا منهم، فإنهم يتعلقون بالشبهة، و يضعونها موضع الحجة. فلذلك حسن الاستثناء المنقطع قال النابغة:

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب «٢»

جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة، و ان كان ليس بعيب. كأنه يقول: ان كان فيهم عيب فهذا، و ليس هذا بعيب، فإذا ليس فيهم عيب، فكذا إن كان على المؤمنين حجة، فللظالم في احتجاجه، و لا حجة له، فليس اذا عليهم حجة.

القول الثاني- ان تكون الحجة بمعنى المحاجة، و المجادلة، كأنه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجاج إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم يحاجوكم بالباطل.

الثالث- ما قاله ابو عبيدة ان (إلا-) هاهنا بمعنى الواو كأنه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجة و الذين ظلموا منهم. و ان ذكر ذلك الفراء، و المبرد قال الفراء: لا يجيء إلا بمعنى الواو إلا إذا تقدم استثناء كما قال الشاعر:

ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة إلا دار مروان

(١) سورة النساء آية: ١٥٦.

(٢) اللسان «فلل» (و قرع). فلول السيف. كسر من حده. القرع: الضرب الشديد الكتائب جمع كتيبة و هي فرقة من الجيش المصفح.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨

و انشد الأخفش:

و أرى لها داراً بأغدره السى دان لم يدرس لها رسم

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحج «١»

يعنى أرى لها داراً و رماداً. و كأنه قال في البيت الاول: ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة و دار مروان. و خالفه ابو العباس فلم يجز ان تكون (إلا) بمعنى الواو أصلاً.

الرابع- قال قطرب: يجوز الإضمار على معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا. و موضع الذين عنده خفض على هذا الوجه يجعله بدلا من الكاف كأنه قيل في التقدير: لئلا يكون للناس على أحد حجة إلا الظالم. قال الرماني: و هذا وجه بعيد لا ينبغي أن يتأول عليه، و لا على الوجه الذى قاله ابو عبيدة و الاختيار القول الاول.

و أثبتت (الياء) في قوله «واخشوني» هاهنا، و حذفت فيما عداه، لأنه الأصل، و عليه اجماع هاهنا. و اما الحذف فللاجتزاء بالكسرة من الياء.

و قوله: «وَ اَخْشَوْنِي» معناه و اخشوا عقابي بدلالة الكلام عليه في الحال، و إنما ذكرهم فقال «فَلَا تَخْشَوْهُمْ» لأنه لما ذكرهم بالظلم، و الاستطالة بالخصومة و المنازعة طيب بنفوس المؤمنين أى فلا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم. و قال قتادة، و الربيع: المعنى بالناس هاهنا أهل الكتاب. و قال غيرهما: هو على العموم- و هو الأقوى- و قال ابن عباس، و الربيع، و قتادة: المعنى بقوله «الَّذِينَ ظَلَمُوا» مشركوا العرب. و قال قوم: هو على العموم- و هو الاولى-.

و قوله «لثلا» ترك الهمزة نافع. الباقون يهزرون. و يلين كل همزة مفتوحة قبلها كسرة. و الحجة هي الدلالة. و هي البرهان.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥١] ص : ٢٨

إشارة

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)

(١) اللسان (خلد) ذكر البيت الثاني فقط.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٩

التشبيه بقوله (كَمَا أَرْسَلْنَا) يحتمل أمرين:

أحدهما- ان النعمة في أمر القبله كالنعمة بالرسالة، لان الله لطف بعباده بها على ما يعلم من المصلحه، و محمود العاقبه.
الثاني- الذكر الذي أمر الله به كالنعمة بالرسالة فيما ينبغي ان يكون عليه من المنزلة في العظم و الإخلاص لله، كعظم النعمة. و هو على نحو قوله: (كما احسن الله اليك «١» و العرب تقول: الجزاء بالجزاء، فسمى الاول باسم الثاني للمقابلة، و التشبيه لكل واحد منهما بالآخر.

الاعراب: ص : ٢٩

و (ما) في قوله: (كَمَا) مصدرية. كأنه قال: كارسالنا فيكم و يحتمل أن تكون كافة قال الشاعر:

أ عَلاَقَةُ أُمِّ الْوَلِيدِ بَعْدَ مَا أَفْتَانَ رَأْسَكَ كَالثَّغَامِ الْمَخْلُوسِ «٢» «٣»

لأنه لا يجوز كما زيد يحسن اليك، فأحسن الى أبنائه. و العامل في قوله (كَمَا) يجوز أن يكون أحد أمرين:

أحدهما- الفعل الذي قبله: و هو قوله: (وَ لَأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ) و القول الثاني- الفعل الذي بعده: و هو فاذا كروني

(كَمَا أَرْسَلْنَا). و الأول

(٢) قائله المرار الاسدى، و فى التكملة المرار الفقعى.

(٣) اللسان «علق» و «ثغم» و «فنن» العلاقة: الحب. أفنان خصل الشعر.

الثغام شجر ابيض. المخلس: الذى بين السواد و البياض: فكأنه يقول: أحب بعد الشيب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠

أحد قولى الفراء، و الزجاج و اختاره الجبائى. و الثانى قول مجاهد و الحسن، و ابن أبى يحتج بأحد قولى الفراء، و الزجاج، و اختيار الزجاج. و قال الفراء: لاذكرونى جوابان: أحدهما- (كما). و الآخر- أذكركم، لأنه لما كان يجب عليهم الذكر ليدكرهم الله برحمته، و لما سلف من نعمته، أشبه- من هذا الوجه- الجواب، لأنه يجب للثانى فيه بوجوب الأول.

المعنى: ص: ٣٠

و قوله: (يُرَكِّبُكُمْ) معناه يعرضكم لما تكونوا به أذكاء من الأمر بطاعة الله و اتباع مرضاته. و يحتمل أيضاً أن يكون المراد: ينسبكم إلى أنكم أذكاء شهادة لكم بذلك، ليعرفكم الناس به، و إنما قال: (الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) لاختلاف الفائدة فى الصفتين و إن كانتا لموصوف واحد. كقولك: هو العالم بالأمر القادر عليها.

و يحتمل أن يكون أراد بالكتاب: القرآن، و بالحكمة: الوحى من السنة.

و الكاف فى قوله: (فيكم) خطاب للعرب- على قول جميع أهل التأويل.

و قوله: (و يعلمكم) معناه ما لا سبيل لكم إلى علمه إلا من جهة السمع، فذكرهم الله بالنعمة فيه. و يكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعاً للنعمة فيه.

و لا سيما إذا وقع موقع اللطف.

و معنى الإرسال: هو التوجه بالرسالة و التحميل لها ليؤدى الى من قصد، فالدلالة و الرسالة جملة مضمنة بمن يصل اليه ممن قصد بالمخاطبة.

و التلاوة: ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق فى الرتبة.

و التركية: النسبة الى الازدياد من الأفعال الحسنه التى ليست بمشوبة. و يقال أيضاً على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه و اللطف فيه.

و الحكمة: هى العلم الذى يمكن به الافعال المستقيمة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٢] ص: ٣١

إشارة

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ أَشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٣١

الذکر المأمور به في الآية، و الموعد به، قيل فيه أربعة أقوال:

أحدهما- قال سعيد بن جبیر «اذكروني» بطاعتي «أذكركم» برحمتي.

الثاني- «اذكروني» بالشكر (أذكركم) بالثواب.

الثالث- (اذكروني) بالدعاء (أذكركم) بالاجابة.

الرابع- (اذكروني) بالثناء بالنعمة (أذكركم) بالثناء بالطاعة.

اللغة: ص : ٣١

و الذکر: حضور المعنى للنفس، فقد يكون بالقلب، و قد يكون بالقول، و كلاهما يحضر به المعنى للنفس، و في اكثر الاستعمال يقال: الذکر بعد النسيان، و ليس ذلك بموجب إلا ان يكون إلا بعد نسيان، لان كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الحضور بالبال: ذاکر له، و أصله التنبيه على الشيء. فمن ذكّر ناسياً، فقد تبهه عليه. و إذا ذكّرناه نحن فقد نبهنا عليه. و الذکر نقيض الأنتى (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ) «١» أى شرف لك من النباهة و الجلالة. و الفرق بين الذکر، و الخاطر. أن الخاطر: مرور المعنى بالقلب، و الذکر قد يكون ثابتاً في القلب. و قد يكون بالقول.

الاعراب: ص : ٣١

و قوله تعالى: (وَ اشْكُرُوا لِي) معناه اشكروا لى نعمتى فحذف، لان حقيقة الشکر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. و قوله: (وَ لَا تَكْفُرُونَ) فيه حذف،

(١) سورة الزخرف آية: ٤٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢

و تقديره: و لا تكفروا نعمتى، لان الكفر هو ستر النعمة و جحدها. لا ستر المنعم.

و قولهم حملت زيدا، و ذممت عمراً، فلا حذف فيه و إن كنت انما تحمد من اجل الفعل الحسن، و تدم من اجل الفعل القبيح. كما أنه ليس فى قولك: زيد متحرك حذف، و إن كان إنما تحرك من أجل الحركة. و ليس كل كلام دال على معنى غير مذكور يكون فيه حذف، لأن قولك زيد ضارب دال على مضروب، و ليس بمحذوف، و كذلك زيد قاتل دال على مقتول، و ليس بمحذوف، فالحمد للشيء دلالة على انه محسن، و الذم له دلالة على انه مسيء كقولك: نعم الرجل زيد، و بس الرجل عمرو، و كذلك قولك: زيد المحسن، و عمرو المسيء، ليس فيه محذوف و يقال:

شكرتك، و شكرت لك، و إنما قيل شكرتك، لأنه أوقع اسم المنعم موقع النعمة، فعدى الفعل بغير واسطة و الأجود: شكرت لك النعمة، لأنه الأصل فى الكلام، و الأكثر فى الاستعمال. قال الشاعر «١»:

هم جمعوا بؤسى و نعى عليكم فهلاً شكرت القوم إذ لم تقاتل «٢»

و مثل ذلك نصحتك، و نصحت لك، و إنما حذف (الياء) فى الفواصل، لأنها فى نية الوقف، فلذلك قال (وَ لَا تَكْفُرُونَ) بغير (ياء) و هى فى ذلك كالقوافى التى يوقف عليها بغير ياء كقول الأعشى:

و من شانئ كاشف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن «٣»

يعنى أنكرنى فحذف الياء.

- (١) نسبة ابو حيان في تفسيره ١: ٤٤٧ لعمر بن لجا. [.....]
- (٢) معاني القرآن للفراء: ١: ٩٢ يقول: لما ذا لم تشكر القوم الذين جمعوا لك النعيم و البؤس و انت لم تقاتل.
- (٣) ديوانه: ١٩. رقم القصيدة ٢ في المطبوعة «بله» بدل «وجهه» و «ذكرت» بدل «انتسبت».
- التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٣] ص: ٣٣

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اشْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)
آية واحدة بلا خلاف.

اللغة و المعنى: ص: ٣٣

الصبر هو حبس النفس عما تدعو اليه من الأمور، و الصابر هو الحابس نفسه عما تدعو اليه مما لا يجوز له. و هو صفة مدح. و وجه الاستعانة بالصبر أن في توطين النفس على الأمور تسهلاً لها. و استشعار الصبر إنما هو توطين النفس. و وجه الاستعانة بالصلاة ما فيها من الذكر لله، و استشعار الخشوع له، و تلاوة القرآن و ما فيه من الوعظ، و التخويف، و الوعد، و الوعيد، و الجنة، و النار، و ما فيه من البيان الذي يوجب الهدى و يكشف العمى و كل ذلك داع الى طاعة الله، و زاجر عن معاصيه، فمن هاهنا كان فيه المعونة على ما فيه المشقة من الطاعة. و أمّا الاستعانة فهي الازدیاد في القوة مثل من يريد أن يحمل مائة رطل فلا يتهيأ له ذلك فإذا استعان بزيادة قوة تأتي ذلك، و كذلك إن عاونه عليه غيره و على ذلك السبب و الآلة، لأنه بمنزلة الزيادة في القوة. و قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) أي معهم بالمعونة، و النصر، كما تقول: إذا كان السلطان معك، فلا تنال من لقيت. و قد تكون (مع) في الكلام على معنى الاجتماع في المكان. و ذلك لا يجوز عليه تعالى.

و في الآية دلالة على أن الصلاة فيها لطف، لان الله تعالى أمرنا بالاستعانة بها، و توضيحه قوله: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) «١» و لو لا هذا النص، لجوزنا أن يكون في غير ذلك. و الذي يستعان عليه بالصبر و الصلاة. قيل فيه قولان: أحدهما- طاعة الله، كأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره فيها. و الثاني- على الجهاد في سبيل الله، لأعدائه.

(١) سورة العنكبوت آية: ٤٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤

الاعراب: ص: ٣٤

و موضع الذين رفع لا- يجوز غير ذلك عند جميع النحويين إلا المازني، فانه أجاز يا أيها الرجل اقبل، و العامل فيه ما يعمل في صفة المنادى- عند جميع النحويين- إلا الأخفش، فانه يجعله صلة لأي و يرفعه بأنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قيل:

يأمن هم الذين آمنوا. إلا أنه لا يظهر المحذوف مع أى، وإنما حملة على ذلك لزوم البيان له، فقال: الصلوة تلزم، و الصفة لا تلزم. قال الرماني والوجه عندي أن تكون صفة بمنزلة الصلوة فى اللزوم، وإنما لزم أى هاهنا فى النداء، لان العرض بحرف التنبيه وقع فى موضع التنبيه، فلزم، فلا يجوز أن تقول: نعم الذين فى الدار، لان نعم إنما تعمل فى الجنس الذى يكره إذا أضمر فسر بها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٤] ص : ٣٤

إشارة

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٣٤

فان قيل: هل الشهداء أحياء على الحقيقة، أم معناه أنهم سيحيون و ليسوا أحياء؟ قلنا: الصحيح أنهم أحياء الى أن تقوم الساعة، ثم يحييهم الله فى الجنة، لا خلاف بين أهل العلم فيه إلا قولاً شاذاً من بعض المتأخرين. والأول قول الحسن، و مجاهد، و قتادة، و الجبائى، و ابن الأخشاد، و الرماني، و جميع المفسرين. و القول الثانى حكاة البلخى. يقال: ان المشركين كانوا يقولون: إن أصحاب محمد (ص) يقتلون نفوسهم فى الحرب لا لمعنى، فأنزل الله تعالى الآية. و أعلمهم أنه ليس الأمر على ما قالوه، و أنهم سيحيون يوم القيامة و يثابون، و لم يذكر ذلك غيره. و قيل: ليس هم أمواتاً بالضلالة بل هم أحياء بالطاعة، و الهدى، كما قال: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ» (١)

(١) سورة الانعام آية: ١٢٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥

فجعل الضلالة موتاً، و الهداية حياة. و قيل: معناه ليس هم أمواتاً بانقطاع الذكر، بل هم احياء ببقاء الذكر عند الله، و ثبوت الأجر عنده. و استدل ابو على الجبائى على أنهم أحياء فى الحقيقة بقوله: «وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» فقال: لو كان المعنى سيحيون فى الآخرة، لم يقل للمؤمنين المقربين بالبعث، و النشور «وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» لأنهم يعلمون ذلك، و يشعرون به. فان قيل: و لم خصّ الشهداء بأنهم احياء، و المؤمنون كلهم فى البرزخ أحياء؟ قيل يجوز أن يكونوا ذكروا اختصاصاً، تشريفاً لهم. و قد يكون على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم فى البيان لما يختصون به من أنهم يرزقون، كما قال تعالى (بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ) (١). و إنما قيل للجهد سبيل الله، لأنه طريق الى ثواب الله تعالى.

اللغة: ص : ٣٥

و الموت: نقص بنية الحياة. و الموت- عند من قال إنه معنى عرضى- ينافى الحياة منافاة التعاقب. و من قال: ليس بمعنى قال: هو عبارة عن فساد بنية الحياة.

فأما الحياة، فهى معنى بلا خلاف.

الاعراب: ص : ٣٥

وقوله: (أموات) رفع بانه خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: لا تقولوا هم أموات. ولا يجوز فيه النصب على قولك: قلت خيراً، لأن الخير في موضع المصدر كأنه قال: قلت قولاً حسناً. فاما قوله «وَيَقُولُونَ طَاعَةً» (٢) فيجوز فيه الرفع والنصب في العربية: الرفع على منا طاعة: والنصب على نطيع طاعة و الفرق بين (بل) و (لكن) ان (لكن) نفي لأحد الشيئين، و إثبات للآخر، كقولك: ما قام زيد لكن عمرو، و ليس كذلك (بل)، لأنها للأضراب عن الأول، و الإثبات للثاني، و لذلك وقعت في الإيجاب كقولك: قام زيد بل عمرو. فاما إذا قصد المتكلم، فإنما هو ليدل

(١) سورة آل عمران آية: ١٦٩.

(٢) سورة النساء آية: ٨٠

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦

على أن الثاني أحق بالأخبار عنه من الاول، كقولك: قام زيد بل عمرو، كأنه لم يعتد بقيام الأول.

اللغة: ص : ٣٦

و الشعور: هو ابتداء العلم بالشىء من جهة المشاعر، و هى الحواس، و لذلك لا يوصف تعالى بأنه شاعر، و لا أنه يشعر، و إنما يوصف بأنه عالم و يعلم. و قد قيل: إن الشعور إدراك ما دقّ للطف الحسن مأخوذ من الشعر لدقته، و منه شاعر، لأنه يفتن من إقامة الوزن و حسن النظم بالطبع لما لا يفتن له غيره.

المعنى: ص : ٣٦

فان قيل: هل كون عقولهم إذا كانوا أحياء، و كيف يجوز أن يصل اليهم ثوابهم مع نقصان عقولهم؟ قيل الثواب لم يصل اليهم على كنهه و انما يصل اليهم طرف منه. و مثلهم فى ذلك مثل النائم على حال جميلة فى روضه طيبة يصل اليهم طيب ريحها و لذيد نسيمها على نحو ما جاء فى الحديث من انه يفسح له مد بصره، و يقال له نم نومة العروس. و أما الذين قتلوا فى سبيل الله، فعلى ما ذكرناه من الاختصاص بالفضيلة. فان قيل: كيف يجوز أن يكونوا أحياء- و نحن نرى جثتهم على خلاف ما كانت عليه فى الدنيا؟ قيل: إن النعيم انما يصل الى الروح و هى الحية، و هى الإنسان، دون الجثة- و الجثة كالجثة و اللباس لصيانة الأرواح. و من زعم ان الإنسان هذه الجملة المعروفة و جعل الجثة جزء منها فانه يقول: يلطف أجزاء من الإنسان توصل اليه النعيم، و إن لم يكن الإنسان بكامله على نحو ما ذكرنا أن النعيم لا يصل اليه نفسه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٥] ص : ٣٦

إشارة

وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)

الخطاب بهذه الآية متوجه الى اصحاب النبى (ص)- على قول عطاء، و الربيع التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧ و أبى على، و الرماني، و لو قيل: أنه خطاب لجميع الخلق، لكان أيضاً صحيحاً، لأن ذلك جاز فى جميعهم.

اللغة: ص : ٣٧

و الابتلاء في الأصل: الطلب لظهور ما عند القادر على الأمر من خير أو شر.
و الابتلاء، و الاختبار، و الامتحان، بمعنى واحد، و الابتلاء بهذه الأمور المذكورة في الآية بأمر مختلف. فالخوف هو انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر، و كان ذلك لقصد المشركين لهم بالعداوة. و الجوع كان لفقرهم و تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش. و نقص الأموال للانقطاع بالجهاد عن العماره. و الأنفس بالقتل في الحرب مع رسول الله (ص). و الجوع ضد الشبع. يقال جاع يجوع جوعاً، و أجاعه إجاعة، و جوعه تجوعاً، و تجوع تجوعاً. قال صاحب العين: الجوع اسم جامع للمخمصة، و المجاعة: عام فيه جوع. و النقص نقيض الزيادة. قال صاحب العين:

النقص الخسران في الحظ. تقول نقص نقصاً، و انتقص انتقاصاً، و تناقص تناقصاً، و نقصه تنقيصاً، و استنقص استنقاصاً، و تنقصه تنقصاً. و النقصان يكون مصدرأ أو اسماً، كقولك: نقصانه كذا: أي قدر الذاهب. و نقص الشيء، و نقصته، و دخل عليه نقص: في عقله و دينه. و لا يقال: نقصان. و النقيصة: الواقعة في الناس.

و النقيصة انتقاص حق ذي الرحم. و تنقصه تنقصاً: إذا تناول عرضه. و اصل الباب النقص الحظ من التمام. و المال معروف. و أموال العرب أنعامهم. و رجل مال: أي ذو مال. و نال: أي ذو نوال. و تقول: تمول الرجل، و مول غيره. و اصل الباب المال المعروف. و الثمرة: أفضل ما تحمله الشجرة.

المعنى: ص : ٣٧

و وجه المصلحة في ذلك هو ما في ذلك من الأمور المزعجة الى الاستدلال و النظر في الادلة الدالة على النبوة، و ليعلم ايضاً انه ليس فيما يصيب الإنسان من شدة في الدنيا ما يوجب نقصان منزلته. ففي ذلك ضروب العبرة. فان قيل إذا كان الله التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨

قد فعل الابتلاء بهذه الأشياء، و المشركون أوقعوها بالمؤمنين ففي ذلك إيجاب فعل من فاعلين. قلنا: لا يجب ذلك، لان الذي يفعله الله تعالى غير الذي يفعله المشركون، لأن علينا ان نرضى بما فعله الله و نسخط مما فعله المشركون، و ليس يقدر على شيء مما ذكر في الآية، و لكنهم يقدر على التعريض له بما هو محرم عليهم، و قبيح منهم.

الاعراب: ص : ٣٨

و فتحت الواو في لنبلونكم لامرين:
أحدهما- للعلة التي فتحت الراء في لنصركم «١» و هو أنه بنى على الفتحة، لأنها أخف إذ استحق البناء على الحركة كما استحق (يا) في النداء حكم البناء على الحركة.
الثاني- أنه فتح لالتقاء الساكنين إذ كان قبل معتلا لا يدخله الرفع.

المعنى: ص : ٣٨

و انما قال: «بشيء» من الخوف و لم يقل: بأشياء لامرين:
أحدهما- لثلاث توهم بأشياء من كل واحد، فيدل على ضروب الخوف، و يكون الجمع كجمع الأجناس للاختلاف، فقدر: شيء من

كذا، و شيء من كذا، و أغنى المذكور عن المحذوف.

و الثاني- أنه وضع الواحد في موضع الجمع للإيهام الذي فيه ك (من).

و الابتلاء بما ذكر لا بد ان يكون فيه لطف في الدين، و عوض في مقابلته، و لا يحسن فعل ذلك لمجرد العوض- على ما ذهب اليه قوم-. فان قيل: الابتلاء بأمر القبلة و غيره من عبادات الشرع هل يجرى مجرى الألم- عند المصيبة؟ قلنا: لا، بلا خلاف هاهنا، فانه لا بد ان يكون فيه لطف في الدين فان «٢» كان فيه

(١) في المطبوعة «لنضربنكم» و هو غلط.

(٢) و الأصح «و ان كان» بدل «فان كان»

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩

خلاف في الألم، لأن هذه طاعات يستحق بها الثواب. و بالإخلال بها- إذا كانت واجبة- يستحق العقاب، فلا يجرى مجرى الألم المحض. و الصبر واجب كوجوب العدل الذي لا يجوز عليه الانقلاب- في الشرع- إذ الصبر حبس النفس عن القبيح من الأمر، و قد بينا فيما مضى ابتلاء الله تعالى العالم بالعواقب، فان المراد بذلك انه يعامل معاملة المبتلى، لأن العدل لا يصح إلا على ذلك، لأنه لو أخذهم بما يعلم أنه يكون منهم، قبل ان يفعلوه، لكان ظلماً و جوراً، فبين الله بعد، أنه يعاملهم بالحق دون الظلم.

و الوقوف على قوله: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» حسن، و قال بعضهم: لا يحسن.

و ذلك غلط، من حيث كانت صفة مدح، و عامل الصفة في المدح غير عامل الموصوف، و إنما وجب ذلك، لأن صفة صابر صفة كصفة تقى، كما قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (١).

و الجوع: الحاجة الى الغذاء، و تختلف مراتبه في القوة و الضعف. و قد يقال:

جوع كاذب، لأنه يتخيل به الحاجة الى الغذاء لبعض الأمور العارضة من غير حقيقة.

و قوله تعالى: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» فالتبشير في الأصل هو الاخبار بما يسر، أو نعمة، يتغير له الشره، غير انه كثر استعماله فيما يسر. و الصبر المحمود هو حبس النفس عما قبح من الأمر.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٦] ص: ٣٩

إشارة

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٣٩

في قوله: «إِنَّا لِلَّهِ» إقرار لله بالعبودية «و إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» فيه إقرار

(١) سورة البقرة آية: ١٥٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠

بالبعث و النشور، و ان مآل الامر يصير إليه، و إنما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة، لما فيها من الدلالة على أن الله يجزها «١» ان

كانت عدلاً، و ينصف من فاعلها إن كانت ظلماً. و تقديره «إنا لله» تسليماً لأمره و رضاً بتدبيره. «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ثقةً بأننا إلى العدل نصير.

اللغة: ص : ٤٠

و المصيبة هي المشقة الداخلة على النفس، لما يلحقها من مضرة، و هي من الاصابة، لأنها يصيبها بالبليء. و معنى الرجوع الى الله: الرجوع الى انفراده بالحكم كما كان أول مرة لأنه قد ملك قوماً في الدنيا شيئاً من الضر، و النفع لم يكونوا يملكونه، ثم يرجع الأمر الى ما كان إذا زال تملك العباد.

و أصل الرجوع هو مصير الشيء الى ما كان، و لذلك يقال: رجعت الدار الى فلان إذا اشتراها مرة ثانية. و الرجوع و العود، و المصير نظائر.

و في الآية معنى الامر لأنها مدح عام، لكل من كان على تلك الصفة بتلك الخصلة. و أجاز الكسائي و الفراء في (إنا لله) الامالة، و لا يجوز ذلك في غير اسم الله، مثل قولك: إنا لزيد، لا يجوز إمالته، و إنما جاز الامالة مع اسم الله لكثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة، و إنما لم يجر الامالة في غير ذلك، لأن الحروف كلها و ما جرى مجراها لا يجوز فيها الامالة مثل (حتى) و لكن و (مما) و ما أشبه ذلك، لأن الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الأسماء و الأفعال.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٧] ص : ٤٠

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)
آية بلا خلاف.

(١) و الأصح (يجز بها) بدل (يجزها).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١

(أولئك) إشارة إلى الصابرين الذين وصفهم الله في الآية الأولى.

و قيل في معنى الصلاة ثلاثة أقوال:

أحدها- انها الدعاء، كما قال الأعشى:

و صلّى على دَنّها و ارتسم «١»

أى دعا لها.

و الثانى- انها مشتقة من الصلوى مكتنفاً ذنب الفرس أو الناقة، فسميت الصلاة- فى الشرع- بذلك، لرفع الصلوة فى الركوع و السجود.

الثالث- قال الزجاج: إن أصلها اللزوم من قوله (تَصِلْ لى ناراً حَامِيَةً) «٢» أى تلزمها، و الصلاة من أعظم ما يلزم من العبادة. و قال قوم: معنى الصلاة هاهنا: الثناء الجميل.

و قيل: بركات الدعاء، و الثناء يستحق دائماً، ففيه معنى اللزوم، و كذلك الدعاء يدعى به مرة بعد مرة، ففيه معنى اللزوم. و المصلى من الخيل الذى يلزم أثر السابق.

و معنى (المهتدون) يعنى الى الحق الذى به ينال الثواب، و السلامة من العقاب. و الرحمة: الانعام على المحتاج، و كل واحد يحتاج الى نعمة الله. و الاهتداء:

الاصابة لطريق الحق و هو الاصابة للطريق المؤدى الى النعمة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٨] ص : ٤١

إشارة

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ٤١

قرأ حمزة والكسائي (و من يطوع) بالياء، و تشديد الطاء، و الواو، و سكون العين. الباقيون بالتاء على فعل ماض.

(١) ديوانه: ٣٥، رقم القصيدة: ٤ و اللسان «صلا» و قد مر البيت في ١: ٥٦-١٩٣

(٢) سورة الغاشية آية: ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢

اللغة: ص : ٤٢

الصفاء- في الأصل- الحجر الأملس مأخوذ من الصفو. قال المبرد: الصفاء:

كل حجر لا يخلط غيره، من طين أو تراب يتصل به حتى يصير منه، و انما اشتقاقه من صفا يصفو- إذا خلص- و هو الصافي الذي لا يكدره شيء يشوبه. و قيل واحد الصفاء: صفاء. و قيل بل هو واحد يجمع اصفاء أو صفى- و أصله من الواو-، و لأنك تقول- في تشيته: صفوان، و لأنه لا يجوز فيه الامالء.

و المروءة في الأصل: هي الحجارة الصلبة اللينة. و قيل: الصفاء: الصغير، و المروءة:

لغة في المرو. و قيل انه جمع مثل تمره و تمر، قال ابو ذؤيب:

حتى كأنى للحوادث مروءة «١»

و المرو: نبت. و الأصل الصلابه. و النبت سمي بذلك لصلابه نوره. و الصفاء و المروءة: هما الجبلان المعروفان بالحرم، و هما من الشعائر، كما قال الله تعالى.

و الشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر الله: معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة، و هي أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحرف، و هو مأخوذ من شعرت به: أى علمت، و كل معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة، و واحد الشعائر شعيرة، فشعائر الله أعلام متعبداته قال الكميث بن زيد:

نقتلهم جيلا فجيلا نراهم شعائر قربان بهم نتقرب «٢»

و الحج: قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام، و الطواف، و الوقوف بعرفة و السعى بين الصفاء و المروءة. و اشتقاقه من الحج الذي هو القصد- على وجه التكرار و التردد قال الشاعر «٣»:

(١) ديوانه ٣. من قصيدة البارعة في رثاء أولاده. و عجزه:

بصفا المشرق كل يوم يقرع

و يرى «المشقر» و هو سوق الطائف. المروءة: الصخرة. و المشرق: الناسك بمنى يصف الشاعر نفسه بأنه من كثرة الحوادث: أصبح كالصخرة في مكان تمر بها الناس كثيراً و يقرعها واحد بعد الآخر.

(٢) اللسان «شعر» و الهاشميات: ٢١ [.....]

(٣) هو المخبل السعدى، و هو مخضرم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣

و أشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا (١)

يعنى يكثرون التردد اليه بسؤدد. و قال آخر:

يحجج مأمومة في قعرها لجف (٢)

و أما العمرة في الأصل فهي الزيارة و هي هاهنا زيارة البيت بالعمل المشروع:

من طواف الزيارة و الأحرار. و أخذت العمرة من العمارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له، و قوله: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ». فالجناح هو

الميل عن الحق، و أصله من جنح إليه جنوحاً إذا مال إليه. قال صاحب العين: الاجتاحت: الميل. اجنحت هذا فاجتنح أى أملتة فمال. و

قوله: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِحْ لَهَا» (٣) أى مالوا إليك لصلح فمل إليهم. و جناحا الطائر: يدها، و يدا الإنسان: جناحا. و جناحا

العسكر جانباه، و جناحا الوادى: مجريان عن يمينه و شماله. و جنحت الإبل في السير إذا أسرع. و إنما قيل للاضلاع جوانح،

لاعوجاجها. و جنحت السفينة إذا مالت في أحد شقيها. و كل مائل إلى شىء فقد جنح إليه «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أى ميل إلى مآثم. و

كل ناحية: جناح، و مَرَّ جنح من الليل أى قطعه نحو نصفه. و أصل الباب الميل.

و الطواف: الدور حول البيت. و منه الطائف: الدائر بالليل. و الطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة. و يطوف أصله يتطوف، فأدغمت التاء

في الطاء، لأنها من مخرجها، و الطاء

(١) البيان و التبيين ٣: ٩٧ و اللسان (سبب) (حجج) (زبرق) حل بالمكان حلولا: إذا نزل القوم به. يحجون يكثرون الاختلاف اليه (سب

الزبرقان) الزبرقان بن بدر الفزارى و هو من سادات العرب. و قيل ان سب: است: و قيل عمامة. المزعفر المصبوغ بالزعفران. يقول

يكثرون الذهاب الى هذا الرجل الذى يصبغ عمامته، أو استه بالزعفران.

و هذا هجاء له.

(٢) اللسان (حجج) (لجف) و عجزه:

فاست الطيب قذاها كالمغاريد

يحجج: يزور أو يكشف. مأمومة: شجة في أم الرأس. في قعرها: فى أقصاها. لجف: حفر.

فاست: فمیل. المغاريد: صمغ معروف يوضع على الجرح.

يقول يرى شجة في أم الرأس يخاف من رؤيتها و يجزع، فيصفر من هولها.

(٣) سورة الانفال آية: ٦٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤

أقوى بالجهر منها. و الفرق بين الطاعة و التطوع: ان الطاعة موافقة الارادة فى الفريضة و النافلة. و التطوع التبرز بالنافلة خاصة. و أصلها

الطوع الذى هو الانقياد.

المعنى: ص : ٤٤

و إنما قال «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» و هو طاعه، من حيث أنه جواب لمن توهم أن فيه جناحاً، لصنمين كانا عليه: أحدهما إساف، و الآخر نائلة، في قول الشعبي، و كثير من أهل العلم. و روى ذلك عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) و كان ذلك في عمرة القضاء و لم يكن فتح مكة بعد، و كانت الأصنام على حالها حول الكعبة و قال قوم: سبب ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما، فكره المسلمون ذلك خوفاً أن يكون من أفعال الجاهلية، فانزل الله تعالى الآية. و قال قوم عكس ذلك: أن أهل الجاهلية كانوا يكرهون السعي بينهما، فظن قوم أن في الإسلام مثل ذلك، فأنزل الله تعالى الآية. و جملته أن في الآية رداً على جميع من كرهه، لاختلاف أسبابه. و الطواف بينهما فرض عندنا في الحج و العمرة، و به قال الحسن و عائشة و غيرهما، و هو مذهب الشافعي، و أصحابه. و قال أنس بن مالك، و روى عن ابن عباس: أنه تطوع و به قال ابو حنيفة، و أصحابه، و اختاره الجبائي. و عندنا ان من ترك الطواف بينهما متمعداً، فلا حج له حتى يعود فيسعى، و به قالت عائشة، و الشافعي. و قال ابو حنيفة، و أصحابه، و النوري: إن عاد، فحسن، و إلا جبره بدم، و قال عطا، و مجاهد يجزيه و لا شيء عليه. و قوله تعالى: «وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» قيل فيه ثلاثة أقوال: أولها «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» أي بالحج أو العمرة بعد الفريضة. الثاني - «وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» أي بالطواف بهما عند من قال إنه نفل. الثالث - «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» بعد الفرائض، و هذا هو الأولى، لأنه أعم. و في الناس من قال: و هو الجبائي، و غيره: إن التقدير فلا جناح عليه ألا يطوف بهما كما قال: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا» و معناه ألا تضلوا و كما قال: «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١). و معناه الا تقولوا.

(١) سورة الاعراف آية: ١٧١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥

و قال آخرون: إن ذلك لا يجوز و هو اختيار الرماني. و هو الصحيح، لأن الحذف يحتاج الى دليل. و معنى القراءتين واحد لا يختلف. و وصف الله تعالى بأنه شاكر مجاز، لأن الشاكر في الأصل هو المظهر للانعام، و الله لا يلحقه المنافع، و المضار - تعالى عن ذلك - و معناه هاهنا المجازى على الطاعة بالثواب، و خروج اللفظ مخرج التلفظ حثاً على الإحسان اليهم، كما قال «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» (١) و الله لا يستقرض من عوز، لكن تطف في الاستدعاء كأنه قال: من ذا الذي يعمل عمل المقرض، بأن قدم فيأخذ أضعاف ما قدم في وقت فقره و حاجته الى ذلك فكذلك، كأنه قال: «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ يَعَامِلُهُ مَعَامِلَةَ الشَّاكِرِ، يحسن المجازاة، و إيجاب المكافاة. و الفرق بين التطوع و الفرض أن الفرض يستحق بتركة الدّم و العقاب، و التطوع لا يستحق بتركة الدّم، و لا العقاب. و روى عن جعفر بن محمد: أن آدم نزل على الصفا، و حواء على المروة، فسمى المرو باسم المرأة

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٥٩] ص : ٤٥

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٤٥

قيل في المعنى بهذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الحسن، و قتادة، و السدي،

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦

و اختاره الجبائي، و أكثر أهل العلم: انهم اليهود، و النصارى: مثل كعب بن الأشرف و كعب بن أسيد، و ابن صوريا، و زيد بن تابوه، و غيرهم من علماء النصارى الذين كتموا أمر محمد (ص)، و نبوته: و هم يجدونه مكتوباً في التوراة و الإنجيل مبيناً فيهما. و الثاني- ذكر البلخي: أنه تناول لكل من كتم ما أنزل الله و هو أعم، لأنه يدخل فيه أولئك و غيرهم، و يروى عن ابن عباس أن جماعة من الأنصار سألوا نفعاً من اليهود عما في التوراة، فكتموهم إياه، فانزل الله عز و جل «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» الآية. و إنما نزل فيهم هذا الوعيد، لأن الله تعالى علم منهم الكتمان، و عموم الآية يدل: على أن كل من كتم شيئاً من علوم الدين، و فعل مثل فعلهم في عظم الجرم أو أعظم منه، فان الوعيد يلزمه، و أما ما كان دون ذلك، فلا يعلم بالآية بل بدليل آخر. و قد روى عن النبي (ص) أنه قال: من سئل عن علم يعلمه، فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار. و قال ابو هريرة: لو لا- آية في كتاب الله ما حدثتكم و تلا «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ» الآية، فهذا تغليظ للحال في كتمان علوم الدين.

و كتمان الشيء اخفاؤه مع الداعي الى إظهاره، لأنه لا يقال لمن أخفى ما لا يدعوا الى إظهاره داع: كاتم. و الكتاب الذي عنى هاهنا قيل التوراة. و قيل كل كتاب أنزله الله. و هو أليق بالعموم. و قال الزجاج: هو القرآن، و استدل قوم بهذه الآية على وجوب العمل بخبر الواحد من حيث أن الله تعالى توعد على كتمان ما أنزله، و قد بينا في اصول الفقه أنه لا يمكن الاعتماد عليه، لأن غاية ما في ذلك وجوب الاظهار، و ليس إذا وجب الاظهار وجب القبول، كما أن على الشاهد الواحد يجب إقامة الشهادة و إن لم يجب على الحاكم قبول شهادته، حتى ينضم اليه ما يوجب الحكم بشهادته، و كذلك يجب على النبي (ص) إظهار ما حملة، و لا يجب على أحد قبوله حتى يقترن به المعجز الدال على الصدق، و لذلك نظائر ذكرناها. على أن الله تعالى بين أن الوعيد إنما توجه على من كتم ما هو بينة و هدى و هو الدليل، فمن أين أن خبر الواحد بهذه المنزلة، فإذا لا دلالة في الآية على ما قالوه، و البيئات و الهدى هي الادلة التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧

و هما بمعنى واحد، و إنما كرر لاختلاف لفظهما. و قيل: إنه أراد بالبيئات الحجج الدالة على نبوته (ص) و بالهدى إلى ما يؤديه إلى الخلق من الشرائع، فعلى هذا لا تكرار.

اللغة: ص: ٤٧

و اللعن في الأصل الابعاد على وجه الطرد قال الشماخ:

ذعرت به القطا و نفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين «١»

أراد مقام الذئب اللعن. و اللعين في الحكم: الابعاد- من رحمة الله- بإيجاب العقوبة، فلا يجوز لعن ما لا يستحق العقوبة. و قول القائل: لعنه الله دعاء، كأنه قال: أبعده الله، فإذا لعن الله عبداً، فمعناه الاخبار بأنه أبعده من رحمته.

المعنى: ص: ٤٧

و المعنى بقوله و (يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) قيل فيه أربعة أقوال:

أحدها- قال قتادة، و الربيع، و اختاره الجبائي، و الرماني، و غيرهما: انهم الملائكة و المؤمنون- و هو الصحيح-، لقوله تعالى في وعيد الكفار (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (٢) فلعنة اللاعنين كلعنة الكافرين.
الثاني- قال مجاهد، و عكرمة: إنها دواب الأرض، و هو انها تقول منعنا القطر لمعاصي بني آدم.
الثالث- حكاه الفراء أنه كل شيء سوى الثقلين الانس و الجن، رواه عن ابن عباس.
الرابع- قاله ابن مسعود: أنه إذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها، فان لم يستحقها واحد منهم رجعت على اليهود الذين كنتموا ما أنزل الله. فان قيل:

كيف يجوز على قول من قال: المراد به البهائم اللاعنون، و هل يجوز على قياس ذلك الذاهبون؟
قلنا لما أضيف إليها فعل ما يعقل عوملت معاملة ما يعقل كما قال تعالى (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ)

(١) مر تخريجه في ١: ٣٤٣ من هذا الكتاب

(٢) سورة البقرة آية: ١٦١

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨

«١» فان قيل: كيف يجوز إضافة اللعن إلى ما لا يعقل من البهيمه و الجماد؟
قيل: لامرين أحدهما- لما فيه من الآية التي تدعوا الى لعن من عمل بمعصية الله.
و الثاني- أن تكون البهائم تقول على جهة الإلهام لما فيه من الاعتبار.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٠] ص: ٤٨

إشارة

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٤٨

استثنى الله تعالى في هذه الآية من جملة الذين يستحقون اللعنة من تاب، و أصلح، و بين. و اختلفوا في معنى «بينوا» فقال أكثر المفسرين، كقتادة، و ابن زيد، و البلخي، و الجبائي، و الرماني: إنهم بينوا ما كتموه من البشارة بالنبى (ص)، و قال بعضهم: بينوا التوبة، و إصلاح السريرة بالإظهار لذلك. و إنما شرط مع التوبة الإصلاح، و البيان ليرتفع الإيهام بأن التوبة مما سلف من الكتمان يكفى في إيجاب الثواب.

و معنى قوله تعالى (أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبتهم. و الأصل في أتوب أفعل التوبة إلا أنه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه أقبل التوبة، و إنما كان لفظه مشتركاً بين فاعل التوبة، و القابل لها، للترغيب في صفة التوبة إذ وصف بها القابل لها، و هو الله و ذلك من إنعام على عباده، لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب أن الوصف بها عيب، فلذلك جعلت في أعلا صفات المدح، و التوبة هي الندم الذى يقع موقع التنصل من الشيء و ذلك بالتحسر على موافقته، و العزم على ترك معاودته إن أمكنت المعاودة. و اعتبر قوم المعاودة الى مثله فى القبح. و هو الأقوى. لإجماع الامه على سقوط العقاب عندها، و ما عداها فمختلف فيه، فان قيل: ما

الفائدة في هذا الاخبار، و قد

(١) سورة يوسف آية: ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩

علمنا أن العبد متى تاب لا بد أن يتوب الله عليه؟ قلنا أما على مذهبنا، فله فائدة واضحة:

و هو أن إسقاط العقاب عندها ليس بواجب عقلا فإذا أخبر بذلك أفادنا ما لم نكن عالمين به، و من خالف في ذلك قال: وجه ذلك أنه لما كانت توبة مقبولة و توبة غير مقبولة صحت الفائدة بالدلالة على أن هذه التوبة مقبولة. و معنى قبول التوبة حصول الثواب عليها و إسقاط العقاب عندها.

و (التَّوَاب) فيه مبالغة إما لكثرة ما يقبل التوبة و إما لأنه لا يرد تائباً منيباً أصلاً. و قبول التوبة بمعنى إسقاط العقاب عندها، غير واجب عندنا عقلا. و إنما علم ذلك سمعاً، و تفضلاً، من الله تعالى على ما وعد به بالإجماع على ذلك. و قد بينا في شرح الجمل في الأصول أنه لا دلالة عقلية عليه، و وصفه نفسه بالرحيم عقيب قوله (التَّوَاب) دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه و رحمة من جهته. و من قال: إن الفعل الواجب نعمه إذا كان منعماً بسببه كالثواب، و العوض، فانه لما كان منعماً بالتكليف و بالآلام التي يستحق بها الاعراض، جاز أن يقال في الثواب و العوض أنه تفضل و إن كانا واجبين، فقله باطل، لأن ذلك إنما قلنا في الثواب للضرورة، و ليس هاهنا ضرورة تدعو الى ذلك. و إصلاح العمل هو إخلاصه له من قبيح يشوبه، و التبيين هو التعريض للعلم الذي يمكن به صحة التمييز.

الاعراب: ص : ٤٩

و موضع الذين نصب على أنه استثناء من موجب. و (إلا) حقيقتها الاستثناء. و معنى ذلك الاختصاص بالشئ دون غيره كقولك: جاءني القوم إلا زيداً فقد اختصاصت زيداً بأنه لم يجيء، و إذا قلت ما جاءني إلا زيد، فقد اختصاصت زيداً بأنه جاء، و إذا قلت ما جاءني زيد إلا ركباً فقد اختصاصته بهذه الحال دون غيرها من المشى و العدو، و ما أشبه ذلك.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦١] ص : ٤٩

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٥٠

إن قيل: كيف يلعن الكافر كافراً مثله و هو الظاهر في قوله (وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ)؟

قيل عنه ثلاثة أجوبة:

أولها- أنه يلعنه الناس أجمعون يوم القيامة كما قال تعالى (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) «١» و هو قول أبي العالئة.

الثانى- قال السدى: انه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين، فیدخل فى ذلك لعن الكافر لأنه ظالم.

الثالث- يراد به لعن المؤمنین خصوصاً، و لم يعتد بغيرهم كما یقال: المؤمنون هم الناس، و هو قول قتادة و الربیع، هذا إذا حمل على أن اللعن فى دار الدنيا، لأن من المعلوم أن أهل مله لا یلعن أهل ملته.

القراءة: ص : ٥٠

و حكى عن الحسن أنه قرأ «و الملائكة» رفعاً و يكون ذلك على حمله على معنى يلعنهم الله و الملائكة و الناس أجمعون. كما تقول: عجبت من ضرب زيد، و عمرو- بالرفع- و هذه قراءة شاذة لا- يعول عليها لأن المعتمد ما عليه الجمهور. و لا يجوز رفع «أجمعين» وحده هاهنا لأن هذه اللفظة لا تكون إلا تابعة، و ليس فى الكلام مظهر و لا مضمر تتبعه على ذلك، و إنما الحمل على المعنى بمنزلة إعادة معنى العامل الأول، كأنك قلت: و يلعنهم الملائكة و الناس أجمعون.

المعنى: ص : ٥٠

و الكفر ما يستحق به العقاب الدائم عندنا، و عند من خالفنا فى دوام عقاب فساق أهل الصلاة انه ما يستحق به العقاب الدائم الكثير، و يتعلق به أحكام مخصوصة،

(١) سورة العنكبوت آية: ٢٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١

و سواء كان الكفر فى تشبيه الله تعالى بخلقه أو فى تجريده فى أفعاله أو الرد على النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو ما كان أعظم منه فى القبح، و اللعنة: الابعاد من الرحمة على ما بيناه مع إيجاب العقوبة، و يجرى ذلك من الناس على وجه الدعاء، و من الله على وجه الحكم، و إنما قال: (وَ مَا تَوْأَمَهُمْ كُفَّارًا) و كل كافر، فهو ملعون فى حال كفره و إن لم يكن ممن يوافق بالكفر للدلالة على خلودهم فى النار إذا ماتوا على غير توبته، و قد دل على ذلك ما بينه فى الآية الثالثة، و إنما أكد بأجمعين ليرتفع الاحتمال، و الإيهام قبل أن ينظر فى تحقيق الاستدلال، و لهذا لم يجز الأخصش رأيت أحد الرجلين كليهما، و أجاز رأيتهما كليهما، لأنك إذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل عليه، أزلت الإيهام للفساد، و إذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط فى المقصد بقولك: أحد الرجلين، لما ذكرت التثنية و ذكرت أحداً كنت بمنزلة من ذكر الحكم، و الدليل عليه فأما ذكر التثنية فى رأيتهما، فبمنزلة ذكر الحكم وحده. و واحد الناس إنسان فى فى المعنى، فأما فى اللفظ، فلا واحد له، و هو كافر، و رهط مما يقال: إنه اسم للجمع.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٢] ص : ٥١

إشارة

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢)

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٥١

و الهاء في قوله «فيها» عائدة على اللعنة في قول الزجاج. و قال ابو العالية هي عائدة الى النار، و معنى قوله (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) على قول أبي العالية رفع لإيها الماعتذار كما قال: (وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ) «١» لثلا يتوهم أن التوبة و الانابة هناك تنفع. و الخلود في اللعنة يحتمل أمرين أحدهما- استحقاق اللعنة بمعنى أنها تحق عليهم أبداً. و الثاني- في عاقبة اللعنة: و هي النار التي لا تفنى، و إنما قال: (لَا يُخَفَّفُ)

(١) سورة المرسلات آية: ٣٦

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢

مع أنهم مخلدون، لأن التخفيف قد يكون مع الخلود، بان يقل المعاون ما يفعل، فأراد الله أن يبين أنه يقع الخلود، و يرتفع التخفيف.

الاعراب: ص : ٥٢

و خالد بن نصب على الحال من الهاء و الميم في عليهم، كقولك: عليهم المال صاغرين، و العامل فيه الاستقرار في عليهم.

اللغة: ص : ٥٢

و الخلود: اللزوم أبداً، و البقاء: الوجود وقتين فصاعداً، و لذلك لم يجز في صفات الله خالد، و جاز باق، و لذلك يقال: أخلد الى قوله: أى لزم معنى ما أتى به، و منه قوله تعالى (وَلِكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) «١» أى مال اليها ميل اللزوم لها، كأنه قبل الخلد فيها. و الفرق بين الخلود و الدوام أن الدوام: هو الوجود في الأول، و لا يزال. و إذا قيل دام المطر، فهو على المبالغة، و حقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا، و الخلود هو اللزوم أبداً. و التخفيف: هو النقصان من المقدار الذى له اعتماد. و العذاب: الألم الذى له امتداد. و الانظار: الامهال قدر ما يقع النظر في الخلاص، و اصل النظر الطلب، فالنظر بالعين: الطلب بالعين، و كذلك النظر بالقلب أو باليد أو غيرها من الحواس، و تقول أنظر الثوب أين هو. و الفرق بين العذاب و الإيلام، ان الإيلام قد يكون بجزء «٢» من الألم فى الوقت الواحد. و العذاب له استمرار من الألم فى أوقات، و منه العذب، لاستمراره فى الحلق «٣». و العذبة، لاستمرارها بالحركة «٤».

(١) سورة الاعراف آية: ١٧٥

(٢) فى المطبوعة (محز)

(٣) و فى مجمع البيان (و منه العذاب لاستمراره بالخلق) و الصحيح ما ذكره الشيخ، لان المقصود منه: عذوبة الماء و نحوه، و لا يكون ذلك الا فى الحلق. [...]

(٤) العذبة التى تستمر بالحركة: خرقه النائحة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٣] ص : ٥٣

إشارة

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٥٣

يوصف تعالى بأنه واحد على أربعة أوجه أولها- إنه ليس بذى أبعاض ولا يجوز عليه الانقسام. الثاني- واحد في استحقاق العبادة. الثالث- واحد لا نظير له ولا شبهه الرابع- واحد في الصفات التي يستحقها لنفسه، فهو قديم، وقادر لا يعجزه شيء، وعالم لا يخفى عليه شيء، فكل هذه الصفات يستحقها وحده، والواحد شيء لا ينقسم عدداً كان أو غيره، ويجرى على وجهين: على الحكم، وعلى جهة الوصف، فالحكم كقولك: الجزء واحد، والوصف كقولك: إنسان واحد، ودار واحدة.

و معنى إله أنه يحق له العبادة، و غلط الرماني، فقال: هو المستحق للعبادة، و لو كان كما قال لما كان تعالى إلهها فيما لم يزل، لأنه لم يفعل ما يستحق به العبادة. و معنى ما قلناه: أنه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة. و قيل معنى إله انه منعم بما يستحق به العبادة، و هذا باطل لما قد بيناه، و لا يجوز أن يحيا أحد من الخلق بالإلهية، لأنه يستحيل ان يقدر أحد سوى الله على ما يستحق به العبادة من خلق الأجسام، و القدرة، و الحياة، و الشهوة، و النفاذ، و كمال العقل، و الحواس و غير ذلك، فلا تصح الإلهية إلا له، لأنه القادر على ما عددناه، و الآية تتصل بما قبلها و بما بعدها، فاتصالها بما قبلها، كاتصال الحسنه بالسيئه، لثمحو أثرها، و تحذر من مواقعتها، لأنه لما ذكر الشرك، و أحكامه أتبع ذلك بذكر التوحيد و أحكامه، و اتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته، لأن ما ذكر في الآية التي بعدها حجة على صحة التوحيد.

فان قيل: كيف يتصل الوصف بالرحمة بما قبله؟ قلنا، لأن العبادة تستحق بالنعمة التي هي في أعلى مرتبة، و لذلك بولغ في الصفة بالرحمة، ليدل على هذا المعنى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤

الاعراب: ص : ٥٤

و (هو) في موضع رفع، و لا- يجوز النصب، و رفعه على البديل من موضع (لا-) مع الاسم، كقولك: لا رجل إلا زيد كأنك قلت: ليس إلا زيد- فيما تريد من المعنى- إذا لم يعتد بغيره، و لا يجوز النصب على قولك: ما قام احد إلا زيدا، لان البديل يدل على أن الاعتماد على الثاني، و المعنى ذلك، و النصب يدل على أن الاعتماد في الاخبار إنما هو على الاول، و قوله تعالى: (لا إله إلا هو) إثبات لله تعالى وحده و هو بمنزلة قولك: الله إله وحده، و إنما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به الإلهية، و لا يدل على النفي في هذا الخبر من قبل أنه لم يدل على إله موجود، و لا معدوم سوى الله عز و جل، لكنه نقيض لقول من ادعى إلهها مع الله. و إنما النفي إخبار بعدم شيء كما أن الإثبات إخبار بوجوده.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٤] ص : ٥٤

إشارة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيحِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ٥٤

قرأ نافع، و ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عاصم، و ابن عامر (الرياح) على الجمع. الباقرن على التوحيد، و لم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه ألف و لام.

المعنى: ص : ٥٤

لما أخبر الله تعالى الكفار بأن إلههم إله واحد لا ثاني له، قالوا: ما الدلالة التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥ على ذلك؟ فقال الله عز و جل: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَةَ الَّتِي آخَرَهَا. و وجه الدلالة من الآية (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يدل على أن لها خالق، لا يشبهها و لا تشبهه، لأنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم، و لا عرض، إذ جميع ذلك محدث و لا بد له من محدث ليس بمحدث، لاستحالة التسلسل. و أما (اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)، فيدلان على عالم مدبر من جهة أنه فعل محكم، متقن، واقع على نظام واحد، و ترتيب واحد، لا يدخل شيئاً من ذلك تفاوت، و لا اختلاف.

و أما (الْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) فتدل على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه، ليس من جنس البشر، و لا من قبيل الأجسام، لان الأجسام يتعذر عليها فعل ذلك.

و أما الماء الذي ينزل من السماء، فيدل على منعم به يقدر على التصريف فيما يشاء من الأمور، لا يعجزه شيء.

و أما (إحياء الأرض بعد موتها)، فيدل على الانعام بما يحتاج إليه العباد.

و إحيائها: إخراج النبات منها، و أنواع الثمار (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) دال على ان لها صانعاً مخالفاً لها منعماً بأنواع النعم. (و تَضْرِيحِ الرِّيَّاحِ) يدل على الاقتدار على ما لا يتأتى من العباد و لو حرصوا كل الحرص، و اجتهدوا كل الاجتهاد، لأنه إذا ذهب جنوباً مثلاً، فاجتمع جميع الخلق على أن يلقبوها شمالاً أو صباً أو دبوراً، لما قدروا على ذلك، و لا تمكنوا على رده من الجهة التي يجيء منها.

و أما (السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ) فيدل على أنه يمسكه القديم، و الذي لا شبه له و لا نظير، لأنه لا يقدر على تسكين الأجسام الثقيل بغير علاقة و لا دعامة إلا الله تعالى، و كذلك لا يقدر على تسكين الأرض كذلك إلا القادر لنفسه، فهي تدل على صانع غير مصنوع قديم لا يشبهه شيء، قادر لا يعجزه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء، حتى لا يموت واحد ليس كمثله شيء، سميع بصير (لَا يَغْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ

ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦

وَلَا فِي الْأَرْضِ)

«١» لان صفات النقص لا تجوز عليه تعالى. و يدل على أنه منعم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله «٢»، أنه يستحق بذلك العبادة دون غيره

اللغة: ص : ٥٦

و الخلق هو الأحداث للشئ على تقدير من غير احتذاء على مثال، و لذلك لا يجوز إطلاقه إلا في صفات الله، لأنه ليس أحد- جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال- إلا الله تعالى. و قد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضى بمعنى المرضى، و هو بمنزلة المصدر، و ليس معنى المصدر معنى المخلوق، و اختلف أهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر، فقال قوم: هو الارادة له. و قال آخرون: إنما هو على معنى مقدر، كقولك: وجود و عدم، و حدوث و قدم، و هذه الأسماء تدل على مسمى مقدر للتبيان عن المعانى المختلفة و إلا فالمعنى بما هو الموصوف فى الحقيقة.

و إنما جمعت السماوات و وحدت الأرض، لأنه لما ذكرت السماء بأنها سبع فى قوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» (٣) و قوله: «خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» (٤) جمع لثلاث يومهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع. و قد دل مع ذلك قوله «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» (٥) على معنى السبع، و لكنه لم يجر على جهة الإفصاح بالتفصيل فى اللفظ. و وجه آخر: و هو أن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد، كالرجل، و الماء الذى لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف، و ليس تجرى السموات مجرى الجنس، لأنه دبر فى كل سماء أمرها. و التدبير الذى هو حقها.

و فى اشتقاق قوله «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» قولان:

أحدهما- من الخلف، لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبة له.

و الثانى- من اختلاف الجنس كاختلاف السواد و البياض، لأن أحدهما لا يسد مسد الآخر فى الإدراك. و المختلفان ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته.

(١) سورة سبأ آية: ٣

(٢) فى المطبوعة (لمثله)

(٣) سورة البقرة آية: ٢٩

(٤) سورة الطلاق آية: ١٢، و سورة الملك آية: ٣

(٥) سورة الطلاق آية: ١٢

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧

و النهار: اتساع الضياء، و أصله الاتساع، و منه قول الشاعر: (١)

ملكته بها كفى فأنهت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها (٢)

أى أوسعت، و يصلح ان يكون من النهر أى جعله كالنهر. و النهر أوسع مجارى الماء، فهو أوسع من الجدول، و الساقية. و إنما جمعت الليلة، و لم يجمع النهار لأن النهار بمنزلة المصدر، كقولك: الضياء، يقع على الكثير و القليل، فأما الليلة، فمخرجها مخرج الواحد من الليل على أنه قد جاء جمعه على وجه الشذوذ. قال الشاعر:

لو لا الثريدان هلكنا بالضمير ثريد ليل و ثريد بالنهر (٣)

و الفلك: السفن يقع على الواحد، و الجمع بلفظ واحد، و منه قوله: «فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ» (٤) و منه «وَ اضْيَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا» (٥) و الفلك: فلك السماء.

قال الله تعالى: «كُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبِجُونَ» (٦). و كل مستدير فلك، و الجمع أفلاك و قال صاحب العين: قيل: اسم للدوران خاصة. و قيل: بل اسم لأطواق سبعة فيها النجوم. و فلكت الجارية إذا استدار ثديها. و الفلكة: فلكة المغزل معروف. و فلكة الجدى، و هو قضيب يدار على لسانه لثلاث يرضع. و اصل الباب الدور، و الفلك السفينة لأنها تدور بالماء أسهل دور. و إنما جعل الفلك للواحد، و الجمع بلفظ واحد، لأن فعل و فعل (٧) يشتركان كثيراً: العرب، و العرب، و العجم، و العجم، و البخل و البخل.

(١) هو قيس بن الخطيم.

(٢) اللسان (نهر) ملكت: شددت و قويت. أنهرت فتقها: وسعته حتى جعلته نهراً.

يصف طعنه، فشبها أولاً بالنهر ثم شبها بالنافذة بقوله: يرى قائم ... وهذا في غاية المبالغة.

(٣) اللسان (نهر)، و تهذيب الألفاظ: ٤٢٢، و المخصص ٩: ٥١. و رواية اللسان، و المخصص «لمتنا» بدل «لهلكننا» الضمر - بضم الميم،

و سكونها - الهزال، و لحاق البطن، و الضمر هنا: الجوع، لأن المعنى لو لا ثريد الليل و ثريد النهار لمتنا جوعاً. و الثريد:

خبز يبيل في ماء اللحم و غيره.

(٤) سورة يس آية: ٤١

(٥) سورة هود آية: ٣٧

(٦) سورة الأنبياء آية: ٣٣، و سورة يس آية: ٤٠

(٧) فعل الاولى - بفتح الفاء و العين - و الثانية - بضم الفاء و سكون العين -، و كذلك كل ما مثل به من الكلمات المتفقة في المادة في

هذا الموضع.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨

و من قال في أسد: أسد. قال في فلكك: فلكك، فجمعه على فُعل. و إنما أنث الفلك إذا أريد به الجمع، كقولك: السفن التي تجرى في البحر.

و قوله: «وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ» يعنى من نحو السماء عند جميع المفسرين.

و قال قوم: السماء تقع على السحاب، لأن كل شيء علا فوق شيء، فهو سماء له. فان قيل:

هل السحاب بخارات تصعد من الأرض؟ قلنا ذلك جائز لا يقطع به، و لا مانع أيضاً من صحته من دليل عقل، و لا سمع. و السماء:

السقف، فسماء البيت سقفه قال تعالى:

«وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا» (١) فالسما المعروفة سقف الأرض. و أصل الباب السمو:

و هو العلو، و السماء: الطبقة العالية على الطبقة السافلة إلا أنها صارت بمنزلة الصفة على السماء المعروفة: و هي التي من أجل السمو

كانت عالية على الطبقة السافلة. و الأرض الطبقة السافلة. يقال: أرض البيت و أرض الغرفة، فهو سماء لما تحته من الطبقة، و ارض لما

فوقه، و قد صار الاسم كالعلم على الأرض المعروفة. و إنما يقع على غيرها بالاضافة.

و الليل هو الظلام المعاقب للنهار. و قد يقال لما لا يصل اليه ضوء الشمس: هو الليل و إن كان النهار موجوداً. و البحر: هو الخرق

الواسع الماء الذي يزيد على سعة النهر. و المنفعة: هي اللذة، و السرور و ما أدى إليهما. أو إلى كل واحد منهما. و النفع، و الخير، و

الحظ نظائر، و قد تكون المنفعة بالآلام إذا أدت الى لذات. و الأحياء:

فعل الحياة. و حياة الأرض: عمارتها بالنبات، و موتها إخراجها بالجفاف الذي يمتنع معه النبات. و البث: التفريق، و كل شيء بثته، فقد

فرقته، و منه قوله تعالى:

«كَالْفَرَّاشِ الْمُبْثُوثِ» (٢)، و تقول: انبث الجراد في الأرض، و تقول: بثته سرى، و أبثته إذا أطلعت عليه. و البث: ما يجده (٣) الرجل من

كرب، أو غم في نفسه، و منه قوله: شَكُّوا بَيْتِي وَ حُزِنِي إِلَى اللَّهِ

«٤». و أصل الباب التفريق.

و قال صاحب العين: كل شيء مما خلق الله يسمى دابة مما يدب، و صار بالعرف اسماً

(١) سورة الأنبياء آية: ٣٢ [.....]

(٢) سورة القارعة آية: ٤

(٣) في المطبوعة «ما يمجده»

(٤) سورة يوسف آية: ٨٦

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩

لما يركب، و يقولون للبرذون: دابة و تصغيرها دويبة. و دب النمل يدب دبيبه. و دب الشراب بالإنسان دبيباً. و دب القوم إلى العدو أى مشوا على هيئتهم لم يشرعوا.

و الدبابه تتخذ في الحروب، ثم يدفع إلى أصل حصن فينقبون و هم في جوف الدبابه «١» و الدب: نوع من السباع، و الأثى دبه. و الدبه لزوم حال الرجل في فعالة. ركب فلان دبه فلان، و أخذ بدبته أى عمل بعمله.

و قوله تعالى: «وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ» التصريف و التقلب و التسليك نظائر.

و تصريف الرياح تصرفها من حال إلى حال، و من وجه إلى وجه، و كذلك تصرف الخيول، و السيول، و الأمور. و صرف الدهر تقلبه، و الجمع صروف. و الصريف:

اللين إذا سكنت رغوته و قال بعضهم: لا يسمى صريفاً حتى يتصرف به الضرع.

و الصريف صريف الفحل بنا به حتى يسمع لذلك صوت، و كذلك صريف البكرة.

و عز صارف: إذا أردت الفحل. و الصرف: صبغ أحمر، قال الاصمعي: هو الذى يصبغ به الشرك. و الصرف: فضل الدرهم على

الدرهم فى الجودة. و كذلك بيع الذهب بالفضة، و منه اشتق اسم الصيرفى، لتصريفه أحدهما فى الآخر. و الصرف:

النافله. و العدل: الفريضة. و الصرفه: منزل من منازل القمر: كوكب إذا طلع قدام الفجر، فهو أول الخريف، و إذا غاب من طلوع الفجر، فذاك أول الربيع. و الصرف:

الشراب غير ممزوج. و الصرفان تمر معروف، أوزنه و أجوده. و أصل الباب: القلب عن الشيء. و السحاب: مشتق من السحب و هو

حرك الشيء على وجه الأرض، تسحبه سحباً كما تسحب المرأة ذيلها، و كما تسحب الريح التراب، و سمى السحاب سحباً، لانسحابه فى السماء و كل منجر منسحب.

و التسخير، و التذليل، و التمهيد نظائر. تقول: سخر الله لفلان كذا إذا سهله له، كما سخر الرياح لسليمان. و سخرت الرجل تسخيراً إذا

اضطهدته، فكلفته عملاً بلا أجره. و هى السخرة، و سخر منه إذا استهزأ به، قال الله تعالى

(١) فى المطبوعة «دابه»

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٠

«فَيْسِيخِرُونَ مِنْهُمْ سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» «١» و قال «فَاتَّخَذُوا مِنْهُمْ سَخِرِيًّا» «٢» من الاستهزاء، و سخرياً من تسخير الحول و ما أشبهه. و اصل

الباب: التسخير: التذليل.

المعنى: ص: ٦٠

و قيل فى تصريف الرياح قولان: أحدهما- هبوتها شمالاً و جنوباً و صبا و دبوراً. و الثانى- قيل مجيؤها بالرحمة مرة و بالعذاب أخرى. و هو قول قتاده.

و قوله: «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» فيه قولان: أحدهما- أنه عام لمن استدل به، و من لم يستدل من العقلاء. و الثانى- أنه خاص لمن استدل به كما

قال: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا» (٣) و كما قال «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» (٤) لما كانوا هم الذين اهتموا بها و خشوا عند مجيئه أضيف إليهم و إنما أضيفت الآيات الى العقلاء لامرين: أحدهما- لأنها نصبت لهم. و الثاني- لأنها لا يصح أن يستدل بها سواهم.

اللغة: ص : ٦٠

قال ابو زيد: قال القيسيون: الرياح أربع: الشمال، و الجنوب، و الصبا، و الدبور. فأما الشمال عن يمين القبلة و الجنوب عن شمالها و الصبا و الدبور متقابلتان، فالصبا من قبل المشرق و الدبور من قبل المغرب و إذا جاءت الرياح بين الصبا، و الشمال، فهي النكباء التي لا يختلف فيها. و التي بين الجنوب و الصبا، فهي الجرياء، و روى ابن الاعرابي عن الاصمعي، و غيره: ان الرياح اربع: الجنوب، و الشمال، و الصبا، و الدبور. قال ابن الاعرابي: كل ريح بين ريحين، فهي نكباء. قال الاصمعي: إذا انحرقت واحدة منهن، فهي نكباء، و جمعها نكب. فاما مهبن، فان ابن الاعرابي قال: مهب الجنوب من مطلع سهيل الى مطلع الثريا، و الصبا من مطلع الثريا الى بنات نعش، و الشمال من بنات نعش الى مسقط النسر الطائر، و الدبور من مسقط النسر الطائر الى مطلع سهيل، و الجنوب، و الدبور لهما هيف و الهيف: الريح الحارة، و الصبا، و الشمال: لا هيف لهما. و قال

(١) سورة التوبة آية: ٨٠

(٢) سورة المؤمنون آية: ١١١

(٣) سورة النازعات آية: ٤٥

(٤) سورة البقرة آية: ٢

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦١

الأصمعي: ما بين سهيل الى طرف بياض الفجر: جنوب. و ما بان انهما هما، يستقبلهما من الغرب: شمال، و ما جاء من وراء البيت الحرام فهو دبور، و ما جاء قبالة ذلك، فهو صباً. و تسمى الصبا قبولا، لأنها تستقبل الدبور، و تسمى الجنوب الأزيب، و النعامي. و تسمى الشمال محوة و لا تصرف، لأنها تمحو السحاب و تسمى الجرياء، و تسمى مسعا، و تسعا و تسمى الجنوب اللاجح. و الشمال حائلا، و تسمى ايضاً عقيما، و تسمى الصبا عقيما ايضاً. قال الله تعالى: «وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ» (١) و هي التي لا تلقح السحاب. و الذاريات التي تذر التراب ذرواً. و من قرأ بلفظ الجمع، فلأن كل واحدة من هذه الرياح مثل الاخرى في دلالتها على التوحيد و تسخيرها لنفع الناس. و من وَّحد أراد به الجنس كما قالوا أهلكك الناس الدينار، و الدرهم.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٥] ص : ٦١

إشارة

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)

آية بلا خلاف

القراءة: ص: ٦١

قرأ نافع و ابن عامر، و أبو جعفر من طريق النهروانى «و لو ترى» بالتاء.
الباقون بالياء. وقرأ أبو جعفر، و يعقوب «إن القوة لله، و إن الله» بكسر الهمزة فيهما. الباكون بفتحهما. وقرأ ابن عامر وحده «إذ يرون» بضم الياء. و الباكون بفتحها.

اللغة: ص: ٦١

الأنداد، و الأمثال، و الاشباه نظائر، و الأنداد «٢» واحدها نَد. و قيل

(١) سورة الذاريات آية: ٤١.

(٢) فى المطبوعه (الأنداد) ساقطه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٢

الاضداد. و أصل التَّد المثل المناوى و المراد به هنا قال قتاده، و الربيع، و مجاهد، و ابن زيد. و أكثر المفسرين آلهتهم التى كانوا يعبدونها. و قال السدى: رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال. و قوله تعالى «يُحِبُّونَهُمْ» فالمحبة هى الارادة إلا ان فيها حذفاً، و ليس ذلك فى الارادة فإذا قلت: أحب زيداً معناه أريد منافعه أو مدحه، و إذا أحب الله تعالى عبداً فمعناه أنه يريد ثوابه و تعظيمه، و إذا قال:

أحب الله معناه أريد طاعته و اتباع أوامره، و لا يقال: أريد زيداً، و لا أريد الله و لا إن الله يريد المؤمن، فاعتيد الحذف فى المحبة، و لم يعتد فى الارادة. و فى الناس من قال: المحبة ليست من جنس الارادة، بل هى من جنس ميل الطبع، كما تقولون:
أحب ولدى أى يميل طبعى اليه، و ذلك مجاز، بدلالة أنهم يقولون: أحببت أن أفعل بمعنى أردت أن أفعل. و ضدّ الحب البغض. و تقول: أحبه حباً، و تحب تحبباً، و حبه تحببياً، و تحاباً تحاباً. و المحبة: الحب. و الحب واحده حبة من بر، أو شعير، أو عنب. أو ما أشبه ذلك. و الحبة بزور البقل. و حبة القلب ثمرته. و الحب: الجرة الضخمة. و الحب القرط من حبة واحدة. و حباب الماء: فقايعه. و الحباب الحبة.

و أحب البعير إيجاباً: إذا برك، فلا- يثور، كالحران فى الخيل، قال أبو عبيدة: و منه قوله تعالى «أَحَبَّيْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» (١) أى لصقت بالأرض لحب الخير، حتى تأتيني الصلاة. و أصل الباب: الحب ضد البغض.

المعنى: ص: ٦٢

و قوله: «كَحُبِّ اللَّهِ» قيل فى هذه الاضافة ثلاثة أقوال: أحدها- كحبكم الله. و الثانى- كحبهم الله. و الثالث- كحب الله الواجب عليهم لا الواقع منهم، كما قال الشاعر:

فلست مسلماً ما دمت حياً على زيد بتسليم الأمير «٢»

(١) سورة ص آية: ٣٢.

(٢) البيان و التبيين ٤: ٥١، و معانى القرآن للفراء ١: ١٠٠، و أمالى الشريف المرتضى ١: ٢١٥. و لم نعرف قائله.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٣

أى مثل تسليمى على الأمير. فان قيل: كيف يحب المشرك- الذى لا يعرف الله- شيئاً كحبه لله؟ قلنا من قال: إن الكفار يعرفون الله قال: كحبه لله.

و من قال: هم لا يعرفون الله- على ما يقوله أصحاب الموافاة- قال: معناه كحب المؤمنين لله أو كالحب الواجب عليهم. وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- «أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» للإخلاص له من الاشراك به والثانى- لأنهم عبدوا من يملك الضر والنفع، والثواب، والعقاب، فهم أشد حبا لله بذلك ممن عبد الأوثان.

الاعراب: ص: ٦٣

و يجوز فتح «أن» من ثلاثة أوجه، و كسرهما من ثلاثة أوجه- مع القراءة بالياء-:

أولها- يجوز فتحها بإيقاع الفعل عليها بمعنى المصدر. و تقديره «و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب» قوة الله و شدة عذابه.

الثانى- أن يفتح على حذف اللام كقولك: لأن القوة لله.

الثالث- على تقدير لرأوا أن القوة لله، على الاتصال بما حذف من الجواب.

و الأول من الكسر على الاستئناف. الثانى- على الحكاية مما حذف من الجواب كأنه قيل: لقالوا إن القوة لله جميعاً. الثالث- على

الاتصال مما حذف من الحال، كقولك: يقولون: إن القوة لله.

و من قرأ بالتاء، يجوز أيضاً فى الفتح ثلاثة أوجه. و فى الكسر ثلاثة أوجه:

أول الفتح- على البدل، كقولك: و لو ترى الذين ظلموا أن القوة لله عليهم، و هو معنى قول الفراء. الثانى- لأن القوة لله. الثالث- أ

رأيت أن القوة لله. قال أبو على الفارسى: من قرأ بالتاء لا- يجوز أن تنصب أن إلا- بالفعل المحذوف- فى الجواب. و أما البدل فلا

يجوز، لأنها ليست «الَّذِينَ ظَلَمُوا» و لا بعضهم و لا مشتلمة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٤

عليهم، هذا إن جعل الرؤية من رؤية البصر. و إن جعلها من رؤية القلب، فلا يجوز أيضاً، لأن المفعول الثانى فى هذا الباب هو الأول

فى المعنى، و قوله تعالى:

«أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ» لا يكون الذين ظلموا، فلم يبق بعد ذلك إلا أنه ينتصب بفعل محذوف. و الكسر مع التاء مثل الكسر مع الياء. و اختار

الفراء- مع الياء- الفتح، و مع التاء الكسر، لأن الرؤية قد وقعت على الذين، و جواب لو محذوف، كأنه قيل: لرأوا مضره اتخاذهم

للأنداد، و لرأوا أمراً عظيماً لا يحصر بالأوهام. و حذف الجواب، يدل على المبالغة، كقولك: لو رأيت السياط تأخذ فلاناً.

و الضمير فى قوله «يتخذ» عائد على لفظ من. و فى قوله يجوبونهم على معنى من، لأن من مبهم، فمرة يحمل الكلام منها على اللفظ، و

أخرى على المعنى، كما قال:

«وَمَنْ يَفْنَأْ مِثْلُ مِثْلٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلُ صَالِحاً» «١»- بالتاء، و الياء- حملاً لمن على اللفظ و المعنى.

و اتصلت الآية بما قبلها اتصال انكار، كأنه قال: أبعد هذا البيان و الأدلة القاهرة على وحدانيته، يتخذون الأنداد من دون الله.

و من قرأ قوله «و لو ترى»- بالتاء- جعل الخطاب للنبي (ص) و المراد به غيره، كما قال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» «٢». و الذين

على هذا فى موضع نصب. و من قرأ بالياء يكون الذين فى موضع رفع بأنهم الفاعلون.

و قوله «جميعاً» نصب على الحال، كأنه قيل: إن القوة لله ثابتة لله فى حال اجتماعها. و هى صفة مبالغة بمعنى إذا رأوا مقدرات الله فيما

تقدم الوعيد به، علموا أن الله قادر لا يعجزه شىء.

و الشدة قوة العقد، و هو ضد الرخاوة. و القوة و القدرة واحد. و (ترى) فى قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ مِنْ رُؤْيَا الْعَيْنِ بَدَلًا لَّأَنَّهَا تَعَدَّتْ إِلَىٰ

مفعول واحد، لأن التقدير و لو ترون أن القوة لله جميعاً أى و لو يرى الكفار ذلك.

(١) سورة الأحزاب آية: ٣١.

(٢) سورة الإطلاق آية: ١ [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٥

و من قرأ- بالتاء- يقوى انها المتعدية الى مفعول واحد، و يدل على ذلك أيضاً قوله «إِذِ يَرُونَ الْعَذَابَ»، و قوله: «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ» «فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ»، فتعدى الى مفعول واحد. فان قيل: كيف قال: «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» و هو أمر مستقبل، و إذ لما مضى؟ قيل: إنما جاء على لفظ المضى لإرادة التقريب في ذلك، كما جاء «وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» «١» و على هذا جاء في هذا المعنى أمثلة الماضى كقوله: «وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» «٢». هكذا ذكره أبو على الفارسي قال: و على هذا المعنى جاء في مواضع كثيرة في القرآن، كقوله تعالى «وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ» «٣» «وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ» «٤» «وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» «٥» «وَلَوْ تَرَى إِذِ فَرَعُوا، فَلَا فَوْتَ» «٦» «وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ» «٧». كذلك هذه الآية.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٦] ص : ٦٥

إشارة

إِذِ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأُوا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦)
آية واحدة بلا خلاف.

الاعراب و اللغة: ص : ٦٥

العامل في (إذ) قوله تعالى: «وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذِ تَبَرَّأَ الَّذِينَ» كأنه قيل وقت تبرأوا. و التبرء: التباعد للعداوة، فإذا قيل تبرأ الله من المشركين معناه باعدهم من رحمته، و كذلك إذ تبرء الرسول منهم معناه باعدهم- للعداوة- عن منازل من

(١) سورة النحل آية: ٧٧.

(٢) سورة الاعراف آية: ٥٠.

(٣) سورة الانعام آية: ٣٠.

(٤) سورة الانعام آية: ٢٧.

(٥) سورة سبأ آية: ٣١.

(٦) سورة سبأ آية: ٥١.

(٧) سورة الانفال آية: ٥١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٦

لا يحب له الكراهة.

و التبرء في أصل اللغة، و التزيل، و التقصى نظائر. و ضد التبرء التولى.

و الاتباع: طلب الاتفاق في مكان، أو مقال، أو فعال، فإذا قيل اتبعه ليلحقه، فمعناه ليتفق معه في المكان، و إذا تبعه في مذهبه أو في سيره أو غير ذلك من الأحوال، فمعناه طلب الاتفاق.

و «اتبعوا» ضمت الألف فيه لضمه الثالث، و ضمه الثالث لما لم يسم فاعله، لأنه إنما يضم له أول المتحرك من الفعل فيما بنى عليه، و الف الوصل لا يعتد به، لأنه وصله الى التكلم بالساكن فإذا اتصل بمتحرك، استغنى عنه.

المعنى: ص : ٦٦

و المعنى بقوله: «الَّذِينَ اتَّبَعُوا» رؤساء الضلالة من الانس. و قال قوم: هم من الجن. و قيل: من الجميع. و الأول- قول قتادة، و الربيع، و عطا. و الثاني- قول السدي.

و قوله تعالى: «و تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» فالتقطع: التباعد بعد الاتصال.

و السبب: الوصلة الى التعذر بما يصلح من الطلب. و معنى الأسباب هاهنا. قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- قال مجاهد. و قتادة، و الربيع، و في رواية عن ابن عباس: هي الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها.

الثاني- روى عن ابن عباس: أنها الأرحام التي كانوا يتقاطعون بها.

الثالث- قال ابن زيد: الأعمال التي كانوا يصلونها. و قال الجبائي: تقطعت بهم اسباب: النجاء.

اللغة: ص : ٦٦

و السبب: الحبل. و السبب: ما تسببت به من رحم، أو يد، أو دين. و منه قوله: «فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ» (١). تقول العرب. إذا كان الرجل ذا دين:

(١) سورة ص آية: ١٠

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٧

ارتقى في الأسباب. و السبب: الشتم. و السبب: القطع، و السبب: الشقة البيضاء من الثياب، و هي السبيبة (١)، و مضت سبه من الدهر أى ملاؤه. و السبب: الودت.

و السبابة: ما بين الوسطى و الإبهام، و التسبب: التوصل الى ما هو منقطع عنك.

و يقال: تسبب يتسبب تسبباً، و استتبوا استتباباً، و سبب تسبيباً، و سابه متسابة

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٧] ص : ٦٧

إشارة

و قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرًا مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٦٧

المعنى بقوله: «وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» هم الذين تبرءوا منهم: ساداتهم الذين اتبعوهم «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ» يعنى رجعة الى دار الدنيا، قال الأخطل:

و لقد عطفن على فزارة عطفه كَرَّ المنيح و جلن ثم مجالا «٢»

فالعامل في (لو أن) محذوف، كأنه قال: لو صح أن لنا كرة، لأن (لو) في التمني، وغيره تطلب الفعل. وإن شئت قدرته: لو ثبت أن لنا كرة.

اللغة: ص : ٦٧

و الكَرَّ نقيض الفر تقول: كَرَّ يكر كراً، و كرة، و تَكَرَّر تكررًا، و كرر

(١) و في لسان العرب (سبب) السب، و السبيبة: الشقة، و خص بعضهم به الشقة البيضاء.

(٢) ديوانه: ٤٨، و نقائض جرير و الأخطل: ٧٩. في المطبوعة (المسيح) بدل (المنيح) و في الديوان (قدارة) بدل (فزاره). و فزاره: ابن ذبيان بن يغيض. و المسيح:

قدح لا حظ له في الميسر. و المنيح اسم رجل من بنى أسد من بنى مالك. و معنى البيت: لقد هاجمناهم في الحرب بشدة و مراس مثل ما يهاجم المنيح.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٨

تكريراً، و تكراراً. و الكرة و الفرقة متقابلان. و الكَرَّ و الرجع و الفتل نظائر في اللغة قال صاحب العين: الكر الرجوع عن الشيء و منه التكرار. و الكَرَّ الحبل الغليظ. و قيل: الشديد الفتل. و الكرير صوت في الحلق. و الكرير: نهر. و الكرة:

سرقين و تراب، يدق، و يجلا به الدروع.

و قوله «فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ» فالتبرء و الانفصال واحد، و منه برىء من مرضه: إذا انفصل منه بالعافية. و منه برىء من الدين براءة. و برىء الله من الخلق.

الاعراب: ص : ٦٨

و انتصب «فَتَبَرَّأَ» على أنه جواب التمني - بالفاء - كأنه قال: لو كان لنا كرة فتبرءاً «١» و كلما عطف للفعل على تأويل المصدر، نصب بإضمار (أن). و لا يجوز إظهارها.

المعنى: ص : ٦٨

و قوله: «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِرَاتٍ» و ذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما. و قيل ايضاً: كما أراهم العذاب يريهم أعمالهم حسرات عليهم.

و ذلك، لأنهم أيقنوا بالهلاك في كل واحد منهما. و العامل في الكاف يريهم.

و الأعمال التي يرونها حسرات قيل فيها ثلاثة أقوال:

أحدها - المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها.

الثاني - الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها، و كيف ضيعوها، و مثله «زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» «٢» أى أعمالهم التي

فرضناها عليهم، أو ندبناهم اليها.

(١) في المطبوعة نسختان إحداهما نفس الآية، وهذا لا يجوز مع قوله كأنه، لأن التشبيه يقتضى التباين بين المشبه، و المشبه به حتى يكون بينهما اثني عشر، و النسخة الثانية (كان لنا كرة ور فنتبرأ) و هذه ليس فيه معنى محصل، فلا بد أن تكون خطأ، و فى مجمع البيان (ليت لنا كروراً فنتبرأ) و يدل على صحة ما أثبتنا تنمة الجملة، و المخطوطة هنا ناقصة بعض الأوراق.

(٢) سورة النمل آية: ٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٩

و روى عن أبى جعفر (ع) أنه قال: هو الرجل يكتسب المال، و لا يعمل فيه خيراً، فيرثه من يعمل فيه عملاً صالحاً، فيرى الأول ما كسبه حسرة فى ميزان غيره.

فان قيل: لو جاز أن تضاف الأعمال التى رغبوا فيها، و لم يفعلوها بأنها أعمالهم لجاز أن يقال: الجنة دارهم و حور العين أزواجهم لأنهم عرضوا لها! قلنا لا يجب ذلك، لأننا إنما حملنا على ذلك للضرورة. و لو سمي الله تعالى الجنة بأنها دارهم لتأولنا ذلك، و لكن لم يثبت ذلك، فلا يقاس على غيره.

الثالث- الثواب فان الله تعالى يريهم مقادير الثواب التى عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه- لم فرطوا فيه- و القول الأول قول الربيع، و ابن زيد، و اختيار الجبائى، و أحد قولى البلخى. و الثانى قول عبد الله، و السدى، و أحد قولى البلخى. و هو كما تقول الإنسان أقبل على عملك و أعقدت عليه عملاً قلت فى عملك، و الذى أقوله: ان الكلام يحتمل أمرين: فلا ينبغى أن يقطع على واحد منهما إلا بدليل إلا ان الاول أقوى، لأنه الحقيقة. و الله أعلم بمراده.

اللغة: ص: ٦٩

و الحسرات: جمع الحسرة، و هى أشد من الندامة. و الفرق بينهما و بين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضى خاصة، و الارادة تتعلق بالمستقبل، لان الحسرة انما هى على ما فات بوقوعه أو يتقضى وقته. و انما حركت السين، لأنه اسم على فعلة أوسطه ليس من حروف العلة، و لو كان صفة لقلت: صعبات فلم يحرك، و كذلك جوزات و بيضات. و إنما حرك الاسم، لأنه على خلاف الجمع السالم، إذ كان كان انما يستحقه ما يعقل.

و الحسرة و الندامة نظائر، و هى نقيض الغبطة. و تقول: حسرت العمامة عن رأسى إذا كشفتها. و حسر عن ذراعيه حسراً، و انحسر انحساراً، و حسره تحسيراً.

و الحاسر فى الحرب الذى لا درع عليه، و لا مغفر. و حسر يحسر حسرةً و حسراً:

إذا كمد على الشىء الفأنت «١»، و تلهف عليه. و حسرت الناقة حسوراً: إذا أعييت.

(١) فى المطبوعة (إذا كمد على الشىء الغائب) و هو تحريف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٠

و حسر البصر إذا كلَّ عن البصر: و المحسرة: الممكنسة. و الطير يتحسر: إذا خرج من ريشه العتيق الى الحديث. و أصل الباب الحسر: الكشف.

و فى الآية دلالة على انه كان فيهم قدرة على البراءة منهم، لأنهم لو لم يكونوا قادرين لم يجوز أن يتحسروا على ما فات، كما لا يتحسر الإنسان لم لم يصعد الى السماء، و لا من كونه فى الأرض.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٨] ص : ٧٠

إشارة

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)
آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ٧٠

قرأ نافع، و أبو عمر، و حمزة، و خلف، و أبو بكر إلا البرجمي، و البزى إلا ابن مرج و الربيعي إلا الولي (خطوات) بسكون الطاء حيث وقع. الباقر بضمها.

اللغة: ص : ٧٠

الأكل: هو البلع عن مضغ، و بلع الحصى ليس بأكل في الحقيقة، و قد قيل: النعام يأكل الخمر، فأجروه مجرى فلان يأكل الطعام. و يقال: مضغه و لم يأكله. و الحلال: هو الجائز من أفعال العباد، مأخوذ من أنه طلق، لم يعقد بحظر. و المباح هو الحلال بعينه، و ليس كل حسن حلالاً، لأن أفعاله تعالى حسنة و لا- يقال: انها حلال، إذ الحلال اطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع. و تقول: حل يحل حلالاً، و حلّ يحل حلولاً، و حل العقد حلاً، و أحله إحلالاً، و استحلّ استحلالاً، و تحلل تحللاً، و احتل احتلالاً، و تحالوا تحالوا، و حاله محالته، و حلّه تحليلاً، و انحل انحلالاً، و حل العقد يحله حلاً، و كل جامد أذبه فقد حللته، و حل بالمكان إذا نزل به، و حل الدين محلاً، و أحل من إحرامه و حل، و الحل: الحلال. و من قرأ (يحلل) معناه ينزل و من قرأ (يحل) معناه يجب، و حلت عليه العقوبة أي وجبت. و الحلال الجدى الذى يشق عن بطن التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧١

أمه، و تحله اليمين، منه قول الشاعر: «١»

تحفى التراب بأضلاف ثمانية فى أربع مسهن الأرض تحليل «٢»

أى هين. و الحليل، و الحليلة: الزوج و المرأة سميًا بذلك، لأنهما يحلان فى موضع واحد. و الحلة: أزار، و رداء برد، و غيره. لا يقال حلة حتى يكون ثوبين.

و الإحليل مخرج اللبن من الضبى، و الفرس، و خلف الناقة، و غيرها، و هو مخرج البول من الذكر. و أصل الباب: الحل نقيض العقد، و منه أحل من إحرامه، لأنه حلّ عقد الإحرام بالخروج منه. و تحله اليمين أخذ أقل القليل، لأن عقدة اليمين تنحل به.

و الطيب: هو الخالص من شائب ينغص، و هو على ثلاثة أقسام:

الطيب المستلذ، و الطيب الجائز، و الطيب الطاهر، كقوله تعالى: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا» «٣» أى طاهراً. و الأصل واحد، و هو المستلذ إلا أنه يوصف به الطاهر، و الجائر تشبيهاً إذ ما يزرع عنه العقل أو الشرع، كالذى تكرهه النفس فى الصرف عنه، و ما تدعو اليه بخلاف ذلك. و تقول: طاب طيباً، و استطاب استطابته، و طايبه مطايبه، و تطيب تطيباً، و تطيبه تطيباً، و الطيب: الحلال و النضيف، و الطهور، من الطيب. و أصل الباب: الطيب خلاف الخبيث.

و الخطوة: بعد ما بين قدمى الماشى. و الخطوة المرة من الخطو: و هو نقل قدم الماشى. و تقول: خطوة، و خطوة واحدة. و الاسم: الخطوة، و جمعها خطى، و قوله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ» أى لا تتبعوا آثاره و لا تقتدوا به.

و أصل الباب الخطو: نقل القدم قدماً. و العدو: المباعد عن الخير الى الشر. و الولي نقيضه.

(١) هو عبده بن الطيب. [.....]

(٢) اللسان (حلل) في المطبوعه (خفي) بدل (تحفي) و الأصلاب بدل (الاضلاف)

(٣) سورة النساء آية: ٤٢، و سورة المائدة آية: ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٢

المعنى: ص: ٧٢

و إنما قال: «حَلَالًا طَيِّبًا» فجمع الوصفين، لاختلاف الفائدتين: إذ وصفه بأنه حلال يفيد بأنه طلق. و وصفه بأنه طيب مفيد أنه مستلذ إما في العاجل و إما في الآجل. و «حُطُوتِ الشَّيْطَانِ» هاهنا قيل فيه خمسة أقوال: فقال ابن عباس: أعماله. و قال مجاهد، و قتادة: خطاياها، و قال السدي: طاعتكم إياه. و قال الخليل:

إيثاره. و قال قوم: هي الندور في المعاصي. و قال الجبائي: ما يتخطى بكم اليه بالأمر و الترغيب. و روى أن هذه الآية نزلت، لما حرم أهل الجاهلية من ثقيف، و خزاعة، و بنى مدلج من الانعام، و الحرث: البحيرة و السائبة و الوصيئة، فنهى الله تعالى عما كانوا يفعلونه، و أمر المؤمنين بخلافه. و الاذن في الحلال يدل على حظر الحرام على اختلاف ضرور به، و أنواعه، فحملها على العموم أولى. و المآكل، و المنافع في الأصل للناس فيها ثلاثة أقوال: فقال قوم: هي على الحظر. و قال آخرون:

هي على الاباحة. و قال قوم: هي على الوقف. و حكى الرماني: أن فيهم من قال:

بعضها على الحظر، و بعضها على الاباحة. و قد بينا ما عندنا في ذلك في أصول الفقه إلا أن هذه الآية دالة على إباحة المآكل إلا ما دل الدليل على حظره. «١» و قوله:

«إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» في وصف الشيطان معناه أنه مظهر العداوة بما يدعوا اليه من خلاف الطاعة لله التي فيها النجاة من الهلاك، و الفوز بالجنة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٦٩] ص: ٧٢

إشارة

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشَاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)
آية واحدة بلا خلاف.

اللغة: ص: ٧٢

الأمر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل، فأما الأمر في اللغة، فهو قول

(١) كل لفظه حظر في الاسطر المتقدمة فإنها في المطبوعه (خطر). و المخطوطة ناقصة في هذا الموضع. و الصحيح ما ثبتناه لمقابلته بالحلال.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٣

القائل لمن هو دونه: افعل. و إذا كان فوقه سمي ذلك دعاء، و مسألة. و هل يقتضى الأمر الإيجاب، أو الندب، ذكرناه في أصول الفقه، فلا نطول بذكره هاهنا.

و السوء: كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع، و يسمى ما تنفر عنه النفس سوء، تقول: ساءنى كذا يسوءنى سوء. و قيل إنما سمي القبيح سوء، لسوء عاقبته، لأنه يلتذ به فى العاجل، و لا يخلو المكلف من الزجر عن القبيح إما عقلاً، أو شرعاً، و لو خلا منه لكان معزى بالقبيح، و ذلك لا يجوز.

و السوء فى الآية قيل فيه قولان: قال السدى: هو المعاصى. و قال غيره:

ما يسوء الفاعل: يعنى ما يضره. و المعنى قريب من الأول، و الأول هو الصحيح.

و الفحشاء: هو العظيم القبح فى الفعل، و كذلك الفاحشة. و قيل المراد به: الزنا من الفجور، عن السدى. و الفحشاء: مصدر فحش فحشاً، كقولك: ضره ضرأً و سره سرأً و سراً. و الفحشاء، و الفاحشة، و القبيحة، و السيئة نظائر، و نقيضها الحسنه.

تقول: فحش فحشاً، و أفحش إفحاشاً، و تفاحش تفاحشاً، و فحش تفحيشاً، و استفحش استفحاشاً، و كل من تجاوز قدره فهو فاحش. و أفحش الرجل: إذا قال فحشاً، و كل شىء لم يكن موافقاً للحق، فهو فاحش. قال الله تعالى: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» (١) يعنى بذلك خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلق لها. و قال تعالى «وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ» (٢) و القول: كلام له عبارة تنبئ عن الحكاية، و ذلك ككلام زيد، يمكن أن يأتى عمرو بعبارة عنه تنبئ عن الحكاية له فيقول: قال زيد كذا و كذا، فيكون قوله: قال زيد، يؤذن أنه يحكى بعده كلام، و ليس كذلك إذا قال: تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكاية.

و العلم: ما اقتضى سكون النفس. و قيل: هو تبين الشىء على ما هو به للمدرك له.

(١) سورة الطلاق آية: ١.

(٢) سورة النحل آية: ٩٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٤

المعنى: ص: ٧٤

فان قيل: كيف يأمرنا الشيطان و نحن لا نراه، و لا نسمع كلامه! قلنا: لما كان الواحد منا يجد من نفسه معنى الأمر بما يجد من الدعاء الى المعصية، و المنازعة فى الخطيئة، و كان ما نجده من نفوسنا من الدعاء، و الإغواء إنما هو بأمر الشيطان الذى دلنا الله عليه، و حذرنا منه، صح إخبار الله بذلك. فان قيل: إذا كان الله عز و جل يوصل معنى أمره لنا الى نفوسنا، فما وجه ذلك فى الحكمة، و هو لو أمر من غير إيصال معنى الأمر لم يكن فى ذلك مضره؟ قلنا: فى ذلك أكبر النعمة لأن التكليف لا يصح إلا مع منازعة الى الشىء المنهى عنه، فكان ذلك من قبل عدو، يحذره، أولى من أن يكون المنازعة من قبل ولى يستنصحه. و فى ذلك المصلحة لنا بالتعريض للثواب الذى يستحقه بالمخالفة له، و الطاعة لله تعالى، كما أن فى خلقه مصلحة من هذه الجهة، و إذا كان إنما أفهمنا ذلك لنجتنبه، فهو كتعليم شبهة ملحد، لنعلم حلها.

و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: إن المعارف ضرورة، لأنها لو كانت ضرورة، لما جاز أن يدعواهم الى خلافها، كما لا يدعواهم الى خلاف ما هم مضطرون اليه من أن السماء فوقهم، و الأرض تحتهم، و ما جرى مجراه مما يعلم ضرورة لأن الدعاء الى ذلك يجرى مجرى الدعاء الى خلق الأجسام، و بعث الأموات، لا يدخل تحت مقدور القدرة. و قد استدلت نفاة القياس، و القول بالاجتهاد بهذه الآية بأن قالوا: القول بالاجتهاد و القياس قول بغير علم، و قد نهى الله عن ذلك فيجب أن يكون ذلك محظوراً، و

مذهبنا وإن كان المنع من القول بالاجتهاد، فليس في هذه الآية دلالة على ذلك، لأن للخصم أن يقول: إذا دلني الله تعالى على العمل بالاجتهاد، فلا أعمل أنا به إلا بالعلم، و يجرى ذلك مجرى وجوب العمل عند شهادة الشاهدين، و العمل بقول المقومين في أروش الجنائيات، و قيم المتلفات، و جهات القبلة، و غير ذلك من الأشياء التي هي واقعة على الظن شرط، و العمل واقف على الدليل الموجب للعلم التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٥

عنده، فلا يكون في الآية دلالة على ذلك. و قد بينا ما نعتمده في بطلان القول بالاجتهاد و الرأي- في أصول الفقه- فلا وجه لذكره هاهنا.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٠] ص : ٧٥

إشارة

وَ إِذِ اقِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)

آية واحدة بلا خلاف.

ألفينا، و صادفنا، و وجدنا بمعنى واحد، و الأب، و الوالد واحد.

الاعراب: ص : ٧٥

و قوله تعالى: «أَوْ لَوْ كَانَ» هي واو العطف، دخلت عليها حرف الاستفهام، و المراد بها التوبيخ و التقريع، فهي ألف التوبيخ. و مثل هذه الألف «١» «أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ» «٢» و «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» «٣». و انما جعلت ألف الاستفهام للتوبيخ، لأنه يقتضى ما الإقرار به فضيحة عليه، كما يقتضى الاستفهام الاخبار، مما يحتاج اليه.

المعنى: ص : ٧٥

و المعنى: إنهم يقولون، هذا القول «وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ». و الفرق بين دخول الواو، و سقوطها في مثل هذا الكلام، أنك إذا قلت: اتبعه و لو ضرك، فمعناه اتبعه على كل حال و لو ضرك، و ليس كذلك إذا قال: اتبعه لو ضرك، لأن هذا خاص، و الأول عام، فإنما دخلت الواو لهذا المعنى.

(١) في المطبوعة (الواو).

(٢) سورة يونس آية: ٥١.

(٣) سورة يوسف آية: ١٠٩، و سورة الحج آية: ٤٦، و سورة المؤمن آية: ٨٢، و سورة محمد آية: ١٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٦

و معنى قوله: «لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» يحتمل شيئين:

أحدهما- لا يعقلون شيئاً من الدين و لا يهتدون إليه.

و الثانى- على الشتم و الذم، كما يقال: هو أعمى إذا كان لا يبصر طريق الحق- على الذم- هذا قول البلخى. و الأول قول الجبائى.

و فى الآية دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف، لأنها دلت على أنهم كانوا على ضلال فى الاعتقاد.

و الضمير في قوله: «هم» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- انه يعود على (من) في قوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا».

و الثاني- انه يعود على (الناس) من «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا» فعدل عن المخاطبة الى الغيبة، كما قال تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيئَةٍ» (١)

الثالث- انه يعود على الكفار، إذ جرى ذكرهم، و يصلح أن يعود اليهم و إن لم يجر ذكرهم، لأن الضمير يعود على المعلوم، كما يعود على المذكور، و

قال ابن عباس: إن النبي (ص) دعا اليهود من أهل الكتاب الى الإسلام، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم و خيراً منا، فأنزل الله عز و جل «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» الآية.

و «الْفُتَيْنَا» في الآية معناه وجدنا- في قول قتادة- قال الشاعر: (٢)

فألفيته غير مستعتب و لا ذاكر الله إلا قليلا (٣)

(١) سورة يونس آية: ٢٢.

(٢) هو أبو الأسود الدؤلي.

(٣) ديوانه: ٤٩، و الأغاني ١١ ١٠٧، و شرح شواهد المغنى: ٣١٦، و اللسان (عتب) و هو من أبيات قالها في امرأة كان يجلس اليها بالبصرة، فقالت له: هل لك أن تتزوجني، فاني امرأة صناع الكف، حسنة التدبير قانعة بالميسور، فتزوجها ثم وجدها على خلاف ما قالت، فخانته و أسرع في ماله، و أفشت سره، فردها الى أهلها، و أنشد الأبيات، فقالوا: بلى و الله يا أبا الأسود، فقال: هذه صاحبكم، و انى أحب أن أستر ما أنكرت من أمرها، ثم سلمها اليهم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٧

و الاتباع: طلب الاتفاق في المقال أو الفعال. أما في المقال، فإذا دعا الى شيء استجيب له. و أما في الفعال، فإذا فعل شيئاً، فعلت مثله. و العقل مجموعة علوم بها يتمكن من الاستدلال بالشاهد على الغائب. و قال قوم: هو قوة في النفس يمكن بها ذلك. و الاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم.

و في الآية حجة عليهم من حيث أنهم إذا جاز لهم أن يتبعوا آباءهم فيما لا يدرون أحق هو أم باطل، فلم لا يجوز اتباعهم مع العلم بأنهم مبطلون. و هذا في غاية البطلان.

و فيها دلالة على فساد التقليد، لأن الله تعالى ذمهم على تقليد آباءهم، و وبخهم على ذلك. و لو جاز التقليد لم يتوجه إليهم توبيخ، و لا لوم، و الأمر بخلافه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧١] ص: ٧٧

إشارة

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٧٧

التشبيه في هذه الآية يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل:

أحدها- وهو أحسنها وأقربها الى الفهم، وأكثرها في باب الفائدة- ما قاله أكثر المفسرين كابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقادة، والربيع، واختاره الزجاج، والفراء، والطبري، والجبائي، والرماني.

وهو المروى عن أبي جعفر (ع) إن مثل الذين كفروا في دعائك إياهم، «كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ» أي الناعق في دعائه.

المنعوق به من البهائم التي لا تفهم كالإبل، والبقر، والغنم، لأنها لا تعقل ما يقال لها، وإنما تسمع الصوت. والحذف في مثل هذا حسن. كقولك لمن هو سيء الفهم:

أنت كالحمار، وزيد كالأسد: أي في الشجاعة، لأن المعنى في أحد الشئيين أظهر، فيشبه بالآخر ليظهر بظهوره، وهذا باب حسن البيان.

الثاني- حكاة البلخي، وغيره: إن مثل الذين كفروا في دعائم آلهتهم من التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٨

الأوثان كمثل الناعق في دعائه ما لا يسمع، بتعالى، وما جرى مجراه من الكلام، وذلك أن البهائم لا تفهم الكلام، وإن سمعت النداء، والدعاء، وأقصى أحوال الأصنام أن تكون كالبهائم في أنها لا تفهم، فإذا كان لا يشكل عليهم أن من دعا البهائم بما ذكرناه جاهل، فهم في دعائم الحجارة أولى بالجهل و صفة الدم.

الثالث- قال ابن زيد: إن مثل الذين كفروا في دعائم آلهتهم كمثل الناعق في دعائه الصدى في الجبل، وما أشبهه، لأنه لا يسمع منه إلا دعاء و نداء، لأنه إذا قال: يا زيد، سمع من الصدى يا زيد، فيتخيل إليه أن مجيباً أجابه، وليس هناك شيء، فيقول: يا زيد، وليس فيه فائدة، فكذلك يخيل الى المشركين أن دعاءهم للأصنام يستجاب، وليس لذلك حقيقة، ولا فائدة، وإنما رجحنا الوجه الأول، لما بيناه من حسن الكلام، ولأنه مطابق للسبب الذي قيل: إنها نزلت في اليهود، فإنهم لم يكونوا يعبدون الأصنام، ولا يليق بهم الوجه الثاني، فإذا ثبت ذلك، ففيه ثلاثة أوجه من الحذف:

أولها- «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» في دعائك لهم كمثل الناعق في دعائه المنعوق به. والثاني- «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» في دعائم الأوثان كمثل الناعق في دعائه الأنعام. الثالث- مثل وعظ الذين كفروا كمثل نعق الناعق بما لا يسمع، وهذا من باب حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه كقول الشاعر: «١»

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعلى في ذى المطارة عاقل «٢»

والتقدير على مخافة وعلى. فان قيل: كيف قوبل الذين كفروا- وهم المنعوق به- بالناعق، ولما تقابل المنعوق به بالمنعوق به- في ترتيب الكلام- أو الناعق بالناعق؟ قيل للدلالة على تضمين الكلام تشبيه اثنين باثنين: الداعي للآيمان للمدعو

(١) هو نابغة بنى ذبيان.

(٢) ديوانه: ٩٠، واللسان (خوف)، و مجاز القرآن: ٦٥، و أمالي الشريف المرتضى ١: ٢٠٢، ٢١٦. الوعل: تيس الجبل يتحصن بوزره من الصياد. (ذى المطار)- بفتح الميم-: اسم جبل. و عاقل: قد عقل في رأس الجبل. في المطبوعة (لقد) بدل (وقد) و رواية اللسان (بذى) بدل (فى ذى).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٧٩

من الكفار بالداعي الى المراد للمدعو من الانعام، فلما أريد الإيجاز أبقى ما يدل على ما ألقى، فأبقى في الأول ذكر المدعو، و في الثاني ذكر الداعي، و لو رتب على ما قال السائل، لبطل هذا المعنى. و زعم أبو عبيدة، و الفراء: أنه يجرى مجرى المقلوب الذى يوضع فيه كلمة مكان كلمة، كأنه وضع الناعق مكان المنعوق به، و أنشد:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم «١»

و المعنى كما كان الرجم فريضة الزناء، و كما يقال: أدخلت القلنسوة في رأسى، و إنما هو أدخلت رأسى فى القلنسوة قال الشاعر:
 إن سراجا لكريم مفخره تحلى به العين إذا ما تجهره «٢»
 و المعنى يحلى بالعين، فجعله تحلى به العين. و الأقوى أن يكون الأمر على ما بيناه من المعنى الذى دعا الى الخلاف فى الحذف،
 ليدل بما بقى على ما ألقى.

اللغة: ص : ٧٩

قال صاحب العين: نعق الراعى بالغنم ينعق نعيقاً إذا صاح بها زجراً، و نعق الغراب نعاقاً و نعيقاً إذا صاح. و الناعقان كوكبان من
 كواكب الجوزاء: رجلها اليسرى و منكبها الأيمن، و هو الذى يسمى الهنعة، و هما أضوء كوكبين فى الجوزاء.
 و أصل الباب الصياح، و النداء: مصدر نادى مناداةً، و نداءً، و تنادوا تنادياً، و ندى تنديةً، و تندی تندياً. و النداء، و الدعاء، و السؤال
 نظائر، قال صاحب العين:
 الندى له وجوه من المعنى: ندى الماء، و ندى الخير، و ندى الشر، و ندى الصوت، و ندى الخصر. فأما ندى الماء، فمنه ندى المطر،
 أصابه ندى من طلّ، و يوم ندى، فأرض نديةً. و المصدر منه الندوة، و الندى ما أصابه من البلل، و ندى الخير هو المعروف، تقول:
 أندى علينا فلان ندى كثيراً، و إن يده لنديةً بالمعروف، و ندى

(١) البيت للنابغة الجعدى. اللسان (زنا)، و أمالى الشريف المرتضى ١: ٢١٦، و معانى القرآن للفراء ١: ٩٩، ١٣١. [...]

(٢) اللسان (حلا). و أمالى الشريف المرتضى ١: ٢١٦. فى المطبوعة (لجلاله) بدل (تحلا به). تجهره: تنظر اليه نظرة إعجاب و تقدير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٠

الصوت: بعد مذهبه، و ندى الخصر: صحه جريه، و اشتق النداء فى الصوت من ندى ناداه أى دعاه بأرفع صوته: ناداه به. و الندوة
 الاجتماع فى النادى، و هو المجلس، ندى القوم يندون ندواً إذا اجتمعوا، و منه دار الندوة، و أصل الباب الندى: البلل، و ندى الجود
 كندى الغيث.

المعنى: ص : ٨٠

و معنى «صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» أى صم عن استماع الحجّة، بكم عن التكلم بها، عمى عن الأبصار لها، و هو قول ابن عباس و
 قتادة و السدى. و الأعمى:

من فى بصره آفة تمنعه من الرؤية. و الأصم: من كان فى آله سمعه آفة تمنعه من السمع. و الأبكم: من كان فى لسانه آفة تمنعه من
 الكلام. و قيل: إنه يولد كذلك، و الخرس قد يكون لعرض يتجدد.

و أجاز الفراء النصب فى «صم» على الظم، و الأجود الرفع على ما عليه القراء، و تقديره هم صم.

و فيها دلالة على بطلان قول من زعم: أنهم لا يستطيعون سمعاً على الحقيقة، لأنه لا خلاف أنهم لم يكونوا صماً لم يسمعوا الأصوات،
 و انما هو كما قال الشاعر:

أصمّ عما ساءه سميع «١»

و فيها دلالة على بطلان قول من قال: إن المعرفة ضرورة، لأنهم لو كانوا عالمين ضرورة لما استحقوا هذه الصفة.

و قال عطا: نزلت هذه الآية فى اليهود، و معنى ينطق بصوت قال الأخطل:

فالعق بضأنك يا جرير فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالاً (٢)
و الدعاء: طلب الفعل من المدعو، والأولى أن يعتبر فيه الرتبة، وهو أن

(١) اللسان (صمم)، (سمع).

(٢) ديوانه: ٥٠، و نقائص جرير و الأخطل: ٨١، و اللسان (نعق) و طبقات فحول الشعراء ٤٢٩، و مجاز القرآن: ٦٤، يقول: انما أنت راعى غنم و ليس لك حظ فى هذا الأمر الذى منتك نفسك به، فارجع الى غنمك، فأمرها و أنهاها، و اترك الحرب، و إنشاد الشعر. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨١
يكون فوق الداعى. و السمع: إدراك الصوت. و المثل: قول سائر يدل على أن سبيل الثانى سبيل الاول.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٢] ص : ٨١

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٨١

هذا الخطاب يتوجه الى جميع المؤمنين، و قد بينا أن المؤمن هو المصدق بما وجب عليه، و يدخل فيه الفساق بأفعال الجوارح، و غيرها، لأن الايمان لا ينفى الفسق - عندنا - و عند المعتزلة: إنه خطاب لمجتنبى الكبائر، و إنما يدخل فيه الفساق على طريق التبع، و التغليب، كما يغلب المذكر على المؤنث فى قولك: الإماء و العبيد جاوزنى، و قد بينا فيما تقدم أن أفعال الجوارح لا تسمى إيماناً - عند أكثر المرتضى، و أكثر أصحابنا - و إن بعضهم يسمى ذلك إيماناً، لما رووه عن الرضا (ع). و إيمان مأخوذ من أمان العقاب - عند من قال: إنه تناول مجتنبى الكبائر - و عند الآخرين من أمان الخطأ، فى الاعتقاد الواجب عليه. و فى المخالفين من يجعل الطاعات الواجبات، و النوافل من الايمان. و فيهم من يجعل الواجبات فقط إيماناً، و يسمى النوافل إيماناً مجازاً.
و قوله «كلوا» ظاهره ظاهر الأمر، و المراد به الاباحة، و التخيير، لأن الأكل ليس بواجب إلا أنه متى أراد الأكل، فلا يجوز أن يأكل إلا من الحلال الطيب، و متى كان الوقت وقت الحاجة فانه محمول على ظاهره فى باب الأمر: سواء قلنا: إنه يقتضى الإيجاب أو الندب.

و فى الآية دلالة على النهى عن أكل الخبيث - فى قول البلخى، و غيره - كأنه قيل: كلوا من الطيب دون الخبيث، كما لو قال: كلوا من الحلال، لكان ذلك التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٢

دالاً على حظر الحرام - و هذا صحيح فيما له صدق قبيح مفهوم. فأما غير ذلك، فلا يدل على قبح ضده، لأن قول القائل، كل من زيد، لا يدل على أن المراد تحريم ما عداه، لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصه، و الآخر موقوف على بيان آخر، و ليس كذلك ما ضده قبيح، لأنه قد يكون من البيان تقبيح ضده.

و الطيبات قدمنا معناها فيما تقدم، و أن المراد بذلك الخالص من شائب ينغص، و إن كان لا يخلو شىء من شائب، لكنه لا يعتد به فى الوصف بأنه حلال طيب، و لو كان فى الطعام ما ينغصه لجاز وصفه بأنه ليس بطيب.
و الرزق قد بينا فيما مضى: أنه ما للحى الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه.

وقوله: «وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ» فالشكر: هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، ويكون ذلك عن وجهين: «١» أحدهما- الاعتراف بالنعمة- متى ذكرها- للمنع بالاعتقاد لها.

الثاني- الطاعة بحسب جلاله النعمة، فالأول لازم في كل حال من أحوال الذكر، والثاني إنما يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق، واقتضى ذكر الشكر هاهنا ما تقدم ذكره من الانعام في جعل الطيب من الرزق، للانتفاع، واستدفاع المضار، وذكر الشرط هاهنا إنما هو وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان دون أن يكون ذلك شرطاً في وجوب الشكر، وتلخيص الكلام إن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم، فالشكر له واجب عليكم بأنه محسن إليكم. وأما العبادة، فهي ضرب من الشكر، لأنها غاية ليس وراءها شكر، ويقترن به ضرب من الخضوع. ولا يستحق العبادة إلا الله، لأنها تستحق بأصول النعم من الحياة، والقدرة، والشهوة، والنفاد، وأنواع المنافع، وبقدر من النفع لا يواريه

(١) في المطبوعة هنا تكرير الوجه الاول كله. والظاهر أنه تسطير من الناسخ وانما حذفناه لعدم وجوده في المخطوطة ولا في مجمع البيان. لأن مجمع البيان ناقل المطب بحدافيره، ولم يكرر.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٣

نعمة منعم، فلذلك اختص الله تعالى باستحقاقها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٣] ص : ٨٣

إشارة

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)
آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ٨٣

قرأ نافع وابن عامر، وابن كثير، والكسائي - بضم نون - «فَمَنْ اضْطُرَّ» الباقون بكسرها.

اللغة و الاعراب: ص : ٨٣

لفظة إنما تفيد إثبات الشيء، ونفى ما سواه كقول الشاعر:

و إنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى «١»

ومعناه لا يدافع غيري، وغير من هو مثلي، وهو قول الزجاج، والفراء، والرماني، والطبري، وأكثر أهل التأويل. وإنما كانت لا ثبات للشيء، ونفى ما سواه، من قبل أنها لما كانت (إن) للتأكيد، ثم ضم إليها (ما) للتأكيد ايضاً، أكدت (إن) من جهة التحقيق للشيء، وأكدت (ما) من جهة نفى ما عداه، فكأنك إذا قلت: إنى بشر، فالمعنى أنا بشر على الحقيقة، فإذا قلت: إنما أنا بشر، فقد ضمنت إلى هذا القول ما أنا إلا بشر.

و تقدير قوله تعالى: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ» ما حرم عليكم إلا الميتة. ولو كانت (ما) بمعنى الذى، لكتبت مفصولة «٢»، ومثله قوله تعالى:

(١) قائله الفرزدق، تلخيص المفتاح أو مختصر المعاني للتفتازانى (باب القصر) و هو:

أنا الذائد الحامى الديار و انما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

(٢) فى المطبوعه (مفعوله).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٤

«إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ» (١) أى لا- إله إلا واحد، و مثله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ» (٢) أى لا- نذير إلا أنت (٣) و مثله إنما ضربت أخاك أى ما ضربت إلا أخاك.

فإذا ثبت ذلك، فلا يجوز فى الميته إلا النصب، لأن (ما) كافة (٤) و معناه تحريم الميته، و تحليل المذكى، و لو كانت ما بمعنى الذى، لكان يجوز فى الميته الرفع.

و الفرق بين الميت، و الميته قيل فيه قولان:

أحدهما- قال أبو عمرو: ما كان قد مات، فهو بالتخفيف مثل «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» (٥). و ما لم يمت بالثقل كقوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (٦). و وجه ذلك أن الثقل لما كان هو الأصل كان أقوى على التصريف فى معنى الحاضر و المستقبل.

و [الثانى قال قوم: المعنى واحد، و انما بالتخفيف لثقل الياء على الكسرة، قال الشاعر: (٧)

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء (٨)

فجمع بين اللغتين:

(١) سورة النساء آية: ١٧.

(٢) سورة الرعد آية: ٨.

(٣) هكذا فى النسخ كلها و فى مجمع البيان أيضاً، و الصحيح (ما أنت الا منذر) و هو من باب قصر الموصوف على الصفة، و هو الذى يقتضيه المقام، و عبارة المتن من باب قصر الصفة على الموصوف.

(٤) فى المطبوعه (كأنه) بدل (كافة)، و معنى كافة: أى قد كفت ان) عن المعمل بالجملة التى بعدها، و إذا كانت (ان) مكفوفة تعين نصب (الميته) ب (حرم)، و إذا كانت ان عاملة فى الجملة تكون (ما) اسم موصول بمعنى الذى، و هى اسم (ان)، و الميته خبر (ان) فيتعين الرفع على هذا التقدير كما يتعين النصب على الأول.

(٥) سورة الانعام آية: ٩٥. و سورة يونس آية: ٣١ و سورة الروم آية: ١٩.

(٦) سورة الزمر آية: ٣٠.

(٧) هو عدى بن الرعاء.

(٨) اللسان (ميت) و شرح شواهد المغنى: ١٣٨. و معجم الشعراء: ٢٥٣.

و غيرها كثير. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٥

المعنى: ص : ٨٥

قوله: «وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ اللَّهِ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الربيع، و ابن زيد، و غيرهما من أهل التأويل: معناه ذكر غير اسم الله عليه.

و الثاني - قال قتادة، و مجاهد: ما ذبح لغير الله.

اللغة: ص : ٨٥

و الإهلال على الذبح: هو رفع الصوت بالتسمية، و كان المشركون يسمون الأوثان، و المسلمون يسمون الله. و يقال: انهل المطر انهلالاً- و هو شدة انصبابه، و تهلل السحاب ببرقه أى تلاًلأ، و تهلل وجهه إذا تلاًلأ، و تهلل الرجل فرحاً، و الهلال غرة القمر، لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير، و المحرم يتهلل بالإحرام، و هو أن يرفع صوته بالتلبية، و يهلل الرجل: يكبر إذا نظر الى الهلال. و هلل البعير تهليلاً إذا تقوس كتقوس الهلال، و سمي به الذكر، لأن الهلال ذكر.

و ثوب هل أى رقيق مشبه بالهلال فى رفته. و التهليل: الفزع، و استهل الصبى إذا بكى حين يولد. و الهلال: الحية الذكر، لأنه يتقوس، و سمي به الذكر، لأن الهلال ذكر.

«فَمَنْ اضْطُرَّ» من كسر النون فلا تتقاء الساكنين، و من ضمها أتبع الضمة الضمة فى الطاء. و قرأ أبو جعفر بكسر الطاء. و الاضطرار: كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه، و ذلك كالجوع الذى يحدث للإنسان، و لا يمكنه الامتناع منه. و الفرق بين الاضطرار، و الإلجاء أن الإلجاء تتوفر معه الدواعى الى الفعل من جهة الضر أو النفع، و ليس كذلك الاضطرار.

و أكثر المفسرين على أن المراد فى الآية المجاعة. و قال مجاهد: ضرورة إكراه. و الأولى أن يكون محمولاً على العموم إلا ما خصه الدليل. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٦

«وَلَحْمِ الْخَيْزُرِ» قال صاحب العين يقال: رجل لحم إذا كان أكل اللحم.

و بيت لحم: يكثر فيه اللحم. و ألحمت القوم إذا قتلتهم و صاروا لحماً. و الملحمة:

الحرب ذات القتل الشديد. و استلحم الطريق إذا اتسع. و اللحمة: قرابة النسب.

و اللحمة ما يسد به بين السديين من الثوب. و اللحام: ما يلحم به صدىع ذهب أو فضة أو حديد حتى يلتحما، و يلتثما. و كل شىء كان متبائناً ثم تلاءم، فقد التحم.

و شجء متلاحمة إذا بلغه اللحم. و أصل الباب اللزوم، فمنه اللحم للزومه بعضه بعضاً.

المعنى: ص : ٨٦

و قوله: «غَيْرِ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أولها- (غير باغ) اللذة «و لا عاد» سد الجوعه و هو قول الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد. و الثانى- ما حكاه الزجاج «غير باغ» فى الافراط «و لا عاد» فى التقصير. و الثالث- «غير باغ» على إمام المسلمين «و

لا عاد» بالمعصية طريق المحققين، و هو قول سعيد بن جبير، و مجاهد، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (ع) قال الرمانى: و هذا القول لا يسوغ، لأنه تعالى لم يبيح لأحد قتل نفسه بل حظر عليه ذلك، و التعريض للقتل فى حكم الدين، و لأن الرخصة إنما

كانت لأجل المجاعة المتلفه، لا لأجل الخروج فى طاعة، و فعل إباحه. و هذا الذى ذكره غير صحيح لأن من بغى على إمام عادل فأدى ذلك الى تلفه، فهو المعرض نفسه للقتل، كما لو قتل فى المعركة، فانه المهلك لها، فلا يجوز لذلك استباحه ما حرّم الله، كما

لا يجوز له أن يستبقى نفسه بقتل غيره من المسلمين، و ما قاله من أن الرخصة لمكان المجاعة، لا يسلم إطلاقه، بل يقال: إنما ذلك للمجاعة التى لم يكن هو المعرض نفسه لها، فأما إذا عرّض نفسه لها، فلا يجوز له استباحه المحرم، كما قلنا فى قتل نفس الغير، ليدفع

عن نفسه القتل. و أصل البغى: الطلب من قولهم: بغى الرجل حاجته يبغيها بغاً قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٧

لا يمنعك من بغاء الخير تعقادات التمام «١»

إن الأشائم كالأيا من و الأيا من كالأشائم «٢»

و البغاء: طلب الزنا. و إنما اقتضى ذكر المغفرة هاهنا أحد أمرين:

أحدهما- النهى عما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة، و الوصيلة، و الحام، فوعد الله بالمغفرة عند التوبة، و الانابة الى طاعة الله فيما أباحه أو حظره.

الثانى- إذا كان يغفر المعصية، فهو لا يؤاخذ بها، جعل فيه الرخصة، و لا يجوز أن يقع فى موضع غير (إلا) لأنها بمعنى النفى هاهنا، و لذلك عطف عليها ب (لا) لأنها فى موضع (لا). فأما (إلا) فمعناها فى الأصل الاختصاص لبعض من كل، و ليس هاهنا كل يصلح أن يحض منه. «غير باغ» منصوب على الحال و تقديره لا باغياً، و لا عادياً. و القدر المباح من الميتة عند الضرورة ما يمسك الرمق فقط- عندنا- و فيه خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٤] ص : ٨٧

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٨٧

المعنى بهذه الآية أهل الكتاب بإجماع المفسرين إلا أنها متوجهة- على قول كثير منهم- الى جماعة قليلة منهم، و هم علماؤهم الذين يجوز على مثلهم كتمان ما علموه، فأما الجمع الكثير منهم الذين لا يجوز على مثلهم ذلك لاختلاف «٣» دواعيهم، فلا

(١) اللسان (عقد) فى المطبوعة (لا يمنعك) بدل (لا يمنعك) و لم يستقم به الوزن.

(٢) اللسان (شأم) و روايته (فإذا) بدل (ان).

(٣) فى المطبوعة «لا خلاف».

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٨

يجوز. و الذى كتّموه قيل فيه قولان:

قال أكثر المفسرين: إنهم كتّموا أمر النبى (ص) بأن حرفوه عن وجهه فى التأويل، هذا إذا حمل على الجماعة الكثيرة. و إن حمل على القليلة منهم، يجوز أن يكونوا كتّموا نفس التنزيل ايضاً.

الثانى- قال الحسن: كتّموا الأحكام، و أخذوا الرشا على الأحكام، و الكتاب على القول الأول: هو التوراة، و على الثانى يجوز أن يحمل على القرآن و سائر الكتب.

و قوله: «و يَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» ليس المراد به أنهم إذا اشتروا به ثمناً كثيراً كان جائزاً. و إنما المقصد كلما يأخذونه فى مقابلته من حطام الدنيا، فهو قليل، كما قال «و يَفْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ» (١) و كما قال «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» (٢) و انما أراد أن قتل النبيين لا يكون إلا بغير حق، و إن من ادعى مع الله إلها آخر لا يقوم له عليه برهان. و كما قال الشاعر:

على لا حب لا يهتدى بمناره

و المعنى لا لاحب هناك، فيهدى به، لأنه لو كان، لاهتدى به.

و قوله تعالى «ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ» معناه على قول الربيع، و الحسن، و الجبائي، و أكثر المفسرين: الأجر الذى أخذوه على الكتمان، سمي بذلك، لأنه يؤديهم الى النار، كما قال فى أكل مال اليتيم ظلماً «إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً» (٣) و قال بعضهم: إنما يأكلون فى جهنم ناراً جزء على تلك الاعمال، و الأول أحسن. فان قيل إذا كان الأكل (٤) لا يكون إلا فى البطن، فما معنى قوله «فى بُطُونِهِمْ»؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- ان العرب تقول: جعت فى غير بطنى و شبت فى غير بطنى، إذا

(١) سورة آل عمران آية: ٢١.

(٢) سورة المؤمنون آية: ١١٧.

(٣) فى المطبوعة (الاول).

(٤) سورة النساء آية: ٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٨٩

جاع من يجرى جوعه مجرى جوع نفسه، فذكر ذلك لإزالة اللبس.

و الثانى- انه لما استعمل المجاز بالإجراء على الرشوة اسم النار، حقق بذكر البطن، ليدل على أن النار تدخل أجوافهم.

اللغة: ص : ٨٩

و البطن:خلاف الظهر. و البطن: الغامض من الأرض. و البطن من العرب:

دون القبيلة. و عرفت هذا الأمر ظاهره، و باطنه أى سرّه و علانيته. و رجل بطين:

عظيم البطن. و مَبْطِن: خميص البطن. و فلان بطانتى دون إخوانى. أى الذى أبطنه أمرى. و استبطنت أمر فلان: إذا وقفت على دخلته. و

يقال فى المثل: البطننة تذهب الفطنة، و بطن الشىء بطوناً إذا غمض. و البطنان حزام الرّحل. و البطنين: نجم و هو بطن الحمل. و أصل

الباب البطون: خلاف الظهور.

لمعنى: ص : ٨٩

و قوله تعالى: «وَلَا يُكَلِّمُهُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- لا يكلمهم بما يحبون، و إنما هو دليل على الغضب عليهم، و ليس فيه دليل على أنه لا يكلمهم بما يسوءهم، لأنه قد دلّ فى

موضع آخر، فقال «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلُنَّ الْمُؤَسَّلِينَ» (١) و قال «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ» قال أَحْسَوْا فِيهَا وَ

لَا تُكَلِّمُونِ» (٢) و هذا قول الحسن، و واصل، و أبى على.

الثانى- لا- يكلمهم أصلاً، فتحمل آيات المسائلة على أن الملائكة تسألهم بأمر الله و يتأول قوله «أَحْسَوْا فِيهَا وَ لَا تُكَلِّمُونِ» على أن

الحال دالة على ذلك. و إنما دلّ نفى الكلام على الغضب- على الوجه الاول- من حيث أن الكلام وضع فى الأصل

(١) سورة الاعراف آية: ٥.

(٢) سورة المؤمنون آية: ١٠٨- ١٠٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٠

للفائدة، فلما انتفى على جهة الحرمان للفائدة، دلّ على الغضب، ولا يدخل في ذلك الكلام للغم والإيلام.

وقوله: «وَلَا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يبنى عليهم، ولا يصفهم بأنهم أذكىاء.

ويحتمل أن يكون المراد لا يتقبل أعمالهم تقبل أعمال الأذكىاء.

والاشتراء هو الاستبدال بالثمن العوض، فلما كانوا هؤلاء استبدلوا بذنبهم الثمن القليل، قيل فيهم: إنهم اشتروا به ثمناً قليلاً. والثمن هو العوض من العين، والورق والقلة هو نقصان المقدار عن مقدار غيره، لأنه يقال: هو قليل بالاضافة الى ما هو أكثر منه، وكثير بالاضافة الى ما هو أقل منه.

والكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة: إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله للافادة وقال الرماني: الكلام ما كان من الحروف دالاً بتأليفه على معنى، قال وأصله من الآثار وهي كالعلامات الدالة، والكلم أي الجراح. وما ذكرناه أولى، لأن هذا ينتقض بالمهمل من الكلام، فانه لا يفيد وهو كلام حقيقة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٥] ص : ٩٠

إشارة

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)
آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ٩٠

معنى «اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ» استبدلوا، لأن أصل الشراء الاستبدال، وليس يقع في مثله إشكال، فأما قولهم: استبدل بالجارية غيرها، فلا- يجوز أن يقال بدلاً منه: اشترى، لأنه يلتبس. والضلالة التي اشتروها بالهدى: كفرهم بالنبي (ص) و جحدهم لنبوته استبدلوه بالايمان به، وهم وإن لم يقصدوا أن يضلوا بدلاً من أن يهتدوا فقد قصدوا الكفر بالنبي (ص) بدلاً من الايمان به، وذلك ضلال التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩١

بدلاً من هدى، فقد قصدوا الضلال بدلاً من الهدى، وإن لم يقصدوه من وجه أنه ضلال. ولا يجوز أن يقول: قصدوا أن يضلوا. لأنه يوهم أنهم قصدوه من هذا الوجه، كما ينبئ علموا أنهم يضلون غير أنهم علموه من هذا الوجه، ويجوز قصدوا الضلال، و علموا الضلال، لأنه لا ينبئ على هذا الوجه وإنما علموه، وقصدوه من وجه آخر، وهو جحدهم محمداً (ص) بدلاً من التصديق به.

وقوله تعالى «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» الفاء معناها معنى الجواب، لأن الكلام المتقدم قد تضمن معنى من كان بهذه الصفة، «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» فعومل معاملة المعنى الذي تضمنه حتى كأنه قد لفظ به. والعجب لا يجوز على التقديم تعالى، لأنه عالم بجميع الأشياء، لا- يخفى عليه شيء. والتعجب يكون مما لا يعرف سببه. وإنما الغرض- من الآية- أن يدلنا على أن الكفار حلّو محل من يتعجب منه، فهو تعجب لنا منهم. وقد قيل في معنا (ما) في قوله «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» قولان:

أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد: إنها للتعجب. والثاني- قال ابن عباس، و ابن جريج، و ابن زيد و السدي: إنها للاستفهام. و قيل في معنا «أصبرهم» أربعة أقوال:

أحدها- ما أجرأهم على النار، ذهب اليه الحسن و قتادة. والثاني- قال مجاهد:

ما أعملهم بأعمال أهل النار. وهو المروى عن أبي عبد الله (ع).

و الثالث - حكاة الزجاج: ما أبقاهم على النار، كما تقول: ما أصبره على الحبس. و الرابع - ذكره الفراء: ما صبرهم على النار أى حبسهم عليها. و قال الكسائي: هو استفهام على وجه التعجب. قال أبو العباس: المبرد: هذا حسن كأنه توبيخ لهم و تعجيب لنا، مثل قولك للذى وقع فى هلكة ما اضطرّك الى هذا، إذا كان غنياً عن التعرض للوقوع فى مثلها. يقال: أصبرت السبع، و الرجل، و نحوه إذا نصبته لما يكره.

و قال الحطيئة:

قلتُ لها أصبرُها جاهداً ويحك أمثال طريف قليل: (١)

(١) اللسان (صبر). الضمير فى أصبرها عائد على النفس، و كأنه يقول: احبس نفسك على الجهاد.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٢

معناه ألزمها، و اضطرها. فأما التعجب، فمثل قوله «قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ»

أى قد حلّ محلّ ما يتعجب منه. و قيل: ما أصبرك على كذا بمعنى ما أجرأك قال أبو عبيدة: هى لغه يمانية.

و اشتق أصبر بمعنى أجرأ من الصبر الذى هو حبس النفس، لأن بالجرأة يصبر على الشدة. فأما القول الآخر: فحبسوا أنفسهم على عمل أهل النار، بدوامهم عليه، و انهماكهم فيه. و حكى الكسائي عن قاضى اليمن عن بعض العرب، قال لخصمه: ما أصبرك على الله أى على عذاب الله تعالى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٦] ص: ٩٢

إشارة

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)
آية واحدة.

الاعراب: ص: ٩٢

ذلك رفع بالابتداء، أو بأنه خير الابتداء و هو إشارة الى أحد ثلاثة أشياء:

أولها- قال الحسن: ذلك الحكم بالنار. الثانى- ذلك العذاب. الثالث- ذلك الضلال.

و فى تقدير خبر ذلك ثلاثة أقوال: [الاول - قال الزجاج: ذلك الأمر، أو الأمر ذلك، فحذف لدلالة ما تقدم من الأمر بالحق. فكأنه قال: ذلك الحق.

و استغنى عن ذكر الحق لتقدم ذكره فى الكلام. الثانى- ذلك معلوم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» فقد تقدم ذكر ما هو معلوم بالتنزيل، فحذف لدلالة الكلام عليه.

الثالث- ذلك العذاب لهم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» و كفروا به، فتكون الباء فى موضع الخبر. و يحتمل ذلك أن يكون رفعاً على ما بينا. و يحتمل أن يكون نصباً على فعلنا ذلك، لأن فى الكلام ما يدل على (فعلنا).

(١) سورة عبس آية: ١٧.

بيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٣

المعنى: ص : ٩٣

و معنى الكتاب هاهنا قيل: إنه التوراة. و قال الجبائي: إنه القرآن، و غيره.
و هو أعم فائدة.

و قال بعضهم: إن المراد بالأول التوراة، و بالثاني القرآن. و معنى الاختلاف هاهنا يحتمل أمرين:
أحدهما- قول الكفار فى القرآن. و منهم من قال: هو كلام السحرة. و منهم من قال: كلام يعلمه. و منهم من قال: كلام يقوله الثانى-
اختلاف اليهود و النصارى فى التأويل، و التنزيل من التوراة، و الإنجيل، لأنهم حرفوا الكتاب، و كتموا صفة محمد النبى (ص) و
جحدت اليهود الإنجيل و القرآن.

قوله تعالى: «لَقِيَ شِقَاقَ بَعِيدٍ» فيه قولان:

أحدهما- بعيد عن الالفة بالاجتماع على الصواب. الثانى- بعيد: من الشقاق، لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال. و كلاهما قد
عدل عن السداد. و من ذهب الى أن المعنى ذلك العذاب «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» قدر فكفروا به، و جعله محذوفاً. و من ذهب
الى أن المعنى: ذلك الحكم بدلالة «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» لم يجعله محذوفاً.
و المعنى بالذين اختلفوا على قول السدى: اليهود، و النصارى. و قال غيره:
هم الكفار من عبدة الأوثان، و غيرهم من أهل الضلال. و هو الاولى، لأنه أعم.

الاعراب: ص : ٩٣

و إنما كسرة (إن) الثانية للاحاق اللام الخبر، و هى لام الابتداء، فأخرت الى الخبر و كسرت معها (إن) لأنها للاستئناف ايضاً. فأما (أن)
المفتوحة فاسم يعمل فيه عوامل الاعراب كما يعمل فى الأسماء. و إنما كسرت (إن) فى قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ» (١) لا للاحاق اللام، و لكن

(١) سورة الفرقان آية: ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٤

لدخول (إلا) على جملة مستأنفة فى التقدير. كأنه قيل: إلا هم يأكلون الطعام. و لو قلت ما ظننت إلا إنك لخارج لكسرت لأجل اللام.

اللغة: ص : ٩٤

و الاختلاف: الذهاب على جهة التفريق فى الجهات. و أصله من اختلاف الطريق.

تقول: اختلفنا الطريق، فجاء هذا من هاهنا، و جاء ذاك من هناك، ثم قيل فى الاختلاف فى المذاهب تشبيهاً فى الاختلاف فى الطريق
من حيث أن كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد. فأما الاختلاف فى الأجناس، فهو ما لا يسد واحد منهما مسد
الآخر، فيما يرجع الى ذاته، كالسواد و البياض، و غيرهما.

و الشقاق: انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوة له. و هو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر، لأجل العداوة. و المشاققة مثله.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٧] ص : ٩٤

إشارة

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ٩٤

قرأ حفص إلا هيبة، و حمزة «ليس البر» بنصب الراء. الباقر برفعها.
و قرأ نافع، و ابن عامر «و لكن البر» بتخفيف النون، و رفع الراء.
التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٥

النزول: ص : ٩٥

قيل: إن هذه الآية نزلت لما حولت القبلة، و كثر الخوض في نسخ تلك الفريضة، صار كأنه لا يراعى بطاعة الله إلا التوجه للصلاة، فأنزل الله تعالى الآية، و بين فيها أن البر ما ذكره فيها، و دل على أن الصلاة إنما يحتاج إليها لما فيها من المصلحة الدينية، و إنه إنما يأمر بها، لما في علمه أنها تدعو الى الصلاح، و تصرف عن الفساد، و إن ذلك يختلف بحسب الأزمان، و الأوقات.

المعنى: ص : ٩٥

و قوله: «لَيْسَ الْبِرُّ» قيل فيه قولان: أحدهما- ذكره ابن عباس، و مجاهد:
أنه «ليس البر» كله في التوجه الى الصلاة بل حتى يضاف إلى ذلك غيره من الطاعات التي أمر الله تعالى بها. و الثاني- قاله قتادة، و الربيع و اختاره الجبائي:
انه «ليس البر» ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق، أو ما عليه اليهود من التوجه الى المغرب «و لَكِنَّ الْبِرَّ» ما ذكره الله تعالى في الآية، و بينه. و قوله:
«و لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ» قيل فيه ثلاثة أقوال:
أولها- «و لَكِنَّ الْبِرَّ» بر «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» فحذف المضاف، و أقام المضاف اليه مقامه، و اختاره المبرد، لقوله «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا» و قال النابغة:

و قد خفت حتى ما تزيد مخافتى على وعلٍ في ذى المطارة عاقل (١)
يعنى مخافه وعل. و قالت الخنساء:

ترتع ما غفلت حتى إذا اذكرت فإنما هي إقبال و إدبار (٢)
معناه انما هي مقبله تارة، و مدبره أخرى، فبالغ، فجعلها إقبالا و إدباراً،

(٢) اللسان (قبل) في المطبوعة (غفت) بدل (غفلت) و في مجمع البيان (ما رتعت).

الرتع: الأكل في شره، و رتعت المواشى: أكلت ما شاءت و جاءت و ذهبت. ادكرت: تذكرت. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٦

و قال متمم: «١»

لعمرى! و ما دهرى بتأبين هالك و لا جزعاً مما أصاب فأوجعا «٢»

معناه و لا ذى جزع.

الوجه الثاني- و لكن ذا البرّ من آمن بالله. الثالث- و لكن البارّ من آمن بالله، فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل. و قد بينا في ما مضى حقيقة الايمان و الخلاف فيه، فلا معنى لإعادته.

و الضمير في قوله: «على حُبّه» يحتمل أن يكون عائداً على حب المال، و يحتمل أن يكون عائداً على حب الإتيان، قال عبد الله بن مسعود: على حب المال، لأنه يأمل العيش و يخشى الفقر. و أما على حب الإتيان، فوجهه ألا تدفعه و أنت متسخط عليه كاره. و يحتمل وجهاً ثالثاً: و هو أن يكون الضمير عائداً على الله، و يكون التقدير على حب الله، فيكون خالصاً لوجهه، و قد تقدم ذكر الله تعالى في قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ». و هو أحسنها. و الآية تدل على وجوب إعطاء مال الزكاة بلا خلاف، و تدل أيضاً- في قول الشعبي، و الجبائي- على وجوب غيره مما له سبب وجوب كالانفاق على من تجب عليه نفقته، و على من يجب عليه سدّ رمقه إذا خاف التلف، و على ما يلزمه من النذور، و الكفارات، و يدخل فيها أيضاً ما يخرج الإنسان على وجه التطوع، و القرية الى الله، لأن ذلك كله من البرّ.

و ابن السبيل: هو المنقطع به إذا كان مسافراً محتاجاً و إن كان غنياً في بلده، و هو من أهل الزكاة.

و قيل: إنه الضيف، و الأول قول مجاهد، و الثاني قول قتادة. و إنما قيل:

ابن السبيل: بمعنى ابن الطريق، كما قيل للطير: ابن الماء، لملازمته إياه، قال ذو الرمة:

(١) هو متمم بن نويرة.

(٢) اللسان (أبن)، (دهر) ليس من عادتي تأبين الأموات، و مدحهم بعد موتهم، و لست أجزع من المصيبة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٧

وردت اعتسافاً و الثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماءٍ مخلوق «١»

و السائلين معناه: و الطالين للصدقة، لأنه ليس كل مسكين يطلب.

و قوله: «و في الرقاب» قيل فيه قولان: أحدهما- عتق الرقاب. و الثاني- المكاتبين. و ينبغي أن تحمل الآية على الامرين، لأنها تحتمل الامرين، و هو اختيار الجبائي، و الرماني.

اللغة: ص : ٩٧

و المراقبة: المراجعة. و الرقبة: الانتظار. و الرقيب: المشرف على القوم لحراستهم. و الرقيب: الحافظ. و تقول: رقبتة أرقبه رقياً، و راقبتة مراقبه، و ارتقبتة ارتقاباً، و تراقبوا تراقباً، و ترقب ترقباً. و الرقوب: الأرملة التي لا كاسب لها، لأنها ترقب معروفاً أو صلة. و الرقبة مؤخر أصل العنق. و أعتق الله رقبتة، و لا- يقال عتقه. و الرقيب ضرب من الحيات خبيث. و الرقوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد. و الرقيب: النجم الذي يتبين من المشرق، فيغيب رقبه من المغرب.

المعنى: ص : ٩٧

وقوله تعالى: «ذَوِي الْقُرْبَى قِيلَ أَرَادَ بِهِ قِرَابَةَ الْمَعْطَى، اخْتَارَهُ الْجِبَائِي،

لقول النبي (ص) لفاطمة بنت قيس، لما قالت: يا رسول الله إن لي سبعين مثقالاً من ذهب، فقال: اجعلها في قرابتك.

وقال (ع) لما سئل عن أفضل الصدقة، فقال:

جهد المقل على ذي القربة الكاشح.

ويحتمل أن يكون أراد به قرابة النبي (ص).

كما قال: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى «٢» وهو قول أبي جعفر، وأبي عبد الله (ع) وقوله: «فِي الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبِئْسِ» قال قتادة:

(١) ديوانه: ٤٠١، و اللسان (عسف). وردت اعتسافاً: سرت بدون تدبير، ولا معرفة للطريق، بل اقتحمت اقتحاماً. والثريا: جملة من

النجوم تشبه قطف العنب. شبه الثريا بالطير المحلق فوق رأسه وهو على الماء.

(٢) سورة الشورى آية: ٢٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٨

البئساء: البؤس، والفقر. والضراء: السقم، والوجع. ومنه قوله: «مَسْنَى الضَّرِّ» (١). وحين البأس: حين القتال. وقال ابن مسعود: البئساء: الفقر. والضراء:

السقم. وإنما قيل: البئساء في المصدر ولم يقل منه أفعل، لأن الأصل في فعلاء أفعل للصفات التي للألوان، والعيوب. كقولك أحمر،

و حمراء. و أعور، و عوراء. فأما الأسماء التي ليست بصفات، فلا يجب ذلك فيها. وعلى ذلك تأولوا قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم تُرضع فتفطم «٢»

و أنكرك ذلك قوم، لأنه لم يصرف أشأم. وقالوا إنما هو صفة وقعت موقع الموصوف كأنه قال: غلمان أمر أشأم، فلذلك قالوا إنما

المعنى الخلة البئساء، والخلة الضراء.

«وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ» رفع عطفاً على «مَنْ آمَنَ». ويحتمل أن يكون رفعاً على المدح، وتقديره: وهم الموفون، ذكره الزجاج. و

الصابرين نصب على المدح، كقول الشاعر:

الى الملك القرم و ابن الهمام و ليث الكتبية في المزدحم

و ذا الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل و ذات اللجم «٣»

ويحتمل أن يكون نصب بفعل مضمر، وتقديره و أعنى الصابرين. ويحتمل أن يكون عطفاً على قوله: «وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي

الْقُرْبَى «و الصابرين» فعلى هذا يجب أن يكون رفع «الموفين» على المدح للضمير الذي في صلة (من)، لأنه لا يجوز بعد العطف على

الموصوف، العطف على ما في الصلة. وهذا الوجه ضعيف، لأنه يؤدي الى التكرار، لأنهم دخلوا في قوله:

(١) سورة الأنبياء آية: ٨٣.

(٢) ديوانه: ٢٠ من معلقته الفريدة، من أبياته في صفة الحرب. الضمير في (فتنتج) عائد الى الحرب، وقد مر ذكرها في أول الأبيات.

(أشأم): أى غلمان شؤم.

(٣) معان القرآن للفراء ١: ١٠٥، و أمالي الشريف المرتضى ١: ٢٠٥، و الانصاف:

١٩٥، و خزانه الأدب: ٢١٦. القرم: السيد المقدم في المعرفة، و التجارب الكتبية هي فرقة من الجيش. المزدحم: هو المكان الذي

تجتمع به الناس كثيراً، و تتسابق على التقدم فيه، و المقصود منه هنا ساحة الحرب تغم الأمور أى تضيع عليهم. الصليل: صوت

السيوف. و ذات اللجم: الخيل

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٩٩

«وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ» فيجب أن يحمل قوله: «و الصابرين» على من لم يذكر، ليكون فيه فائدة. وإن كان ذلك وجهاً مليحاً.

و القراءة بالرفع أجد، و أقوى، لأنه اسم (ليس) مقدم قبل الخبر لفائدة في الخبر، و لأنه قرأ «ليس البر بأن» ذكره الفراء. و قوله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا» معناه الذين جمعوا العمل بهذه الخصال الموصوفة: هم الموصوفون بأنهم صدقوا على الحقيقة، لأنهم عملوا بموجب ما أقرّوا به. «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» يعني اتقوا- بفعل هذه الخصال- نار جهنم. و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنى بها أمير المؤمنين (ع)، لأنه لا خلاف بين الأمة أن جميع هذه الخصال كانت جامعة فيه. و لم تجتمع في غيره قطعاً، فهو مراد بالآية بالإجماع. و غيره مشكوك فيه غير مقطوع عليه. و قال الزجاج، و الفراء: هذه الآية تتناول الأنبياء المعصومين، لأنهم الذين يجمعون هذه الصفات.

الاعراب: ص : ٩٩

و من قرأ (ليس البر) بالرفع، جعل البر اسماً، و جعل (أن) في موضع نصب، و من نصب جعل (أن تولوا) في موضع رفع، و قدم الخبر. و مثله قوله تعالى:

«مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا» (١) «وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ» (٢) «وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» (٣). «فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا» (٤) و ما أشبه ذلك.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٨] ص : ٩٩

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْمَأْنُثَى بِالْمَأْنُثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)

(١) سورة الجاثية آية: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٤٧.

(٣) سورة الاعراف آية ٨١.

(٤) سورة الحشر آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٠

آية بلا خلاف.

معنى ص : ١٠٠

قوله: كتب: فرض. و أصل الكتب: الخط الدال على معنى الفرض.

وقيل: لأنه، مما كتبه الله في اللوح المحفوظ على جهة الفرض، قال الشاعر: (١)

كتب القتل و القتال علينا و على المحصنات جزّ الذبول «٢»

و قال النابغة الجعدي:

يا بنت عمى كتاب الله أخرجني عنكم فهل امنعن الله ما فعلا «٣»

و منه الصلاة المكتوبة أى المفروضة. فان قيل: كيف قيل: كتب عليكم بمعنى فرض، و الأولياء مخيرون: بين القصاص، و العفو، و أخذ الديّة؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- انه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص. و الفرض قد يكون مضيّقاً و يكون مخيراً فيه. و الثانى- فرض عليكم ترك مجاوزة ما حد لكم الى التعدى فيما لم يجعل لكم.

اللغة: ص : ١٠٠

و القصاص: الأخذ من الجانى مثل ما جنى، و ذلك لأنه تال لجنايته. و أصله التلو، من قص الأثر: و هو تلو الأثر. و القصاص، و المقاصة، و المعاوضة، و المبادلة نظائر. يقال: قصّ يقصّ قصاً، و قصصاً. و أقصه به إقصاصاً. و اقتصّ اقتصاصاً. و تقاصوا تقاصاً. و استقص: إذا طلب القصاص استقصاصاً. و قاصه مقاصيةً و قصاصاً. و قصّ الشىء بالمقص يقصه قصاً. و قص الحديث يقصه قصصاً. و كذلك قص أثره قصصاً: إذا اقتفى أثره. و القص و القصص: عظم الصدر من الناس،

(١) هو عمر بن أبى ربيعة، أو عبد الله بن الزبير الأسدى

(٢) ديوان عمر، و البيان، و التبيين ٢: ٢٣٦، و الكامل لابن الأثير ٢: ١٥٤، و تاريخ الطبرى ٧: ١٥٨، و انساب الاشراف ٥: ٢٦٤. و الاغانى ٩: ٢٢٩.

(٣) اللسان (كتب)، و أساس البلاغة (كتب) و المقاييس ٥: ١٥٩. و رواية الأساس (اخرنى) بدل (أخرجنى). [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠١

و غيرهم. و القصة: الخصلة من الشعر. و القصة من القصص معروفة. و القصة الجص.

و القصاص: التقاص من الجراحات و الحقوق شىء بشىء. و القصيص: نبات ينبت فى أصول الكمأة. و اقصت الشاة، فهى مقصّ إذا استبان ولدها، و أصل الباب التلو.

و قوله تعالى: «الْحُرُّ بِالْحُرِّ» فالحر نقيض العبد، و الحر من كل شىء.

أعتقه. و الحرّ: ولد الحية، و ولد الطيبة، و فرخ الحمام، و أحرار البقول: ما يؤكل غير مطبوخ. و الحرّ: نقيض البرد، حرّ النهار يحر حرّاً. و الحرير: ثياب من إبريسم.

و الحريرة: دقيق يطبخ باللبن. و الحرّة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار. و تحرير الكتابة: إقامة حروفها. و الحرورية: منسوب الى حرور: قرية كان أول مجتمعهم بها، فالمحرر المختص بخدمة الكنيسة ما عاش، و منه قوله «ما فى بطنى مُحَرَّرًا» «١» و أصل الباب الحرّ خلاف البرد. و منه الحرير، لأنه يستدفأ به.

قوله: «فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» معناه ترك، من عفت المنازل إذا تركت حتى درست. و العفو عن المعصية: ترك العقاب عليها. و قيل: معنى العفو هاهنا ترك القود بقبول الديّة من أخيه، فالأخ يجمع أخوة إذا كانوا لأب، و إذا لم يكونوا لأب، فهم أخوان، ذكر ذلك صاحب العين، و منه قوله: «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» «٢» و منه الإخاء، و التآخى. و الأخوة قرابة الأخ. و التآخى اتخاذا الأخوان. و بينهما إخاء و أخوة. و آخيت فلاناً مؤاخاة، و إخاء. و أصل الباب الأخ من النسب، ثم شبه به الأخ من الصداقة.

المعنى: ص : ١٠١

و الهاء في قوله: «مِنْ أَخِيهِ» تعود الى أخى المقتول- في قول الحسن-

وقال غيره: تعود الى أخى القاتل، فان قيل: كيف يجوز أن تعود الى أخى القاتل و هو فى تلك الحال فاسق؟ قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

(١) سورة آل عمران آية: ٣٥.

(٢) سورة الحجرات آية: ١٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٢

أحدها- إنه أراد أخوة النسب، لا فى الدين، كما قال «وإلى عادٍ أخاهم هوداً» (١). والثانى- لأن القاتل قد يتوب فيدخل فى الجملة، و غير التائب على وجه التغليب. الثالث- تعريفه بذلك على أنه كان أخاه قبل أن يقتله، كما قال:

«إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ» (٢) يعنى الذين كانوا أزواجهن. وقال جعفر بن مبشر عن بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بقوله «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ» (٣) قال: و ليست عندى كذلك، لأن الله تعالى إنما أخبرنا أنه كتبها على اليهود قبلنا، و ليس فى ذلك ما يوجب أنه فرض علينا، لأن شريعتهم منسوخة بشريعتنا. و الذى أقوله: إن هذه الآية ليست منسوخة، لأن ما تضمنته معمول عليه و لا ينافى قوله تعالى: «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ» لأن تلك عامة، و يمكن بناء تلك على هذه، و لا تناقض و لا يحتاج الى أن ينسخ إحداهما بالأخرى.

و قال قتادة: نزلت هذه الآية، لأن قوماً من أهل الجاهلية كانت لهم حوله (٤) على غيرهم من أهل الجاهلية، فكانوا يتعدون فى ذلك، فلا يرضون بالعبء إلا الحرّ، و لا بالمرأة إلا الرجل، فنهاهم الله تعالى عن ذلك.

و

قوله: «فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ» يعنى العافى، و على المعفو عنه «أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ» و به قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الشعبي، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى عبد الله (ع).

و قال قوم: هما على المعفو عنه.

و الاعتداء هو القتل بعد قبول الدية على قول ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (ع).

و قال بعضهم «من اعتدى» بعد البيان فى الآية، فقتل غير قاتل و ليه أو بعد قبول

(١) سورة الاعراف آية: ٦٤، سورة هود آية: ٥٠.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٣٢.

(٣) سورة المائدة آية: ٤٨.

(٤) الحولة: هى المنكر، و يمكن أن يكون معناه الحق الذى حل أجله، و يكون المعنى لهم عليهم حق قصاص حال، و على الأول لهم عليهم قود بمنكر قد فعلوه، و يريدون الاقتصاص منهم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٣

الدية «فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و هذا أيضاً جيد تحتمله الآية.

الاعراب: ص : ١٠٣

و قوله: «فاتباع» رفع بأنه ابتداء لخبر محذوف، كأنه قيل: فحكمه اتباع، أو فعلية اتباع. و كان يجوز النصب في العربية. على تقدير فليتبع اتباعاً، و لم يقرأ به.

اللغة: ص : ١٠٣

و الأداء، قال الخليل: أدّى فلان يؤدّي ما عليه أداء و تأدية. و يقال: فلان أدّى للامانة من غيره. و الأداء من أدوات الحرب. و أصل الباب التأدية تبليغ الغاية.

المعنى: ص : ١٠٣

و قوله تعالى: «تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ» معناه: أنه جعل لكم القصاص، أو الدية، أو العفو، و كان لأهل التوراة قصاص، و عفو، و لأهل الإنجيل عفو، أو دية. و يجوز قتل العبد بالحر، و الأثني بالذكر إجماعاً، و لقوله: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً» (١) و لقوله: «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ» (٢). و قوله: في هذه الآية «الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأَنْثَى بِالْأُنْثَى لا يمنع من ذلك، لأنه تعالى لم يقل: و لا يقتل الأثني بالذكر، و لا العبد بالحر. فإذا لم يكن ذلك في الظاهر، فما تضمنته الآية معمول به، و ما قلناه مثبت بما تقدم من الأدلة. فأما قتل الحر بالعبد، فعندنا لا يجوز، و به قال الشافعي، و أهل المدينة. و قال أهل العراق: يجوز. و لا يقتل والد بولد عندنا، و عند أكثر الفقهاء. و عند مالك يقتل به على بعض الوجوه. و أما قتل الوالدة بالولد، فعندنا تقتل. و عند جميع الفقهاء انها جارية مجرى

(١) سورة الإسراء آية: ٣٣.

(٢) سورة المائدة آية: ٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٤

الأب. فأما قتل الولد بالوالد فيجوز إجماعاً. و لا يقتل مولى بعبد. و يجوز قتل الجماعة بواحد إجماعاً إلا أن عندنا يردّ فاضل الدية، و عندهم لا يرد شيء على حال.

و إذا اشترك بالغ مع طفل. أو مجنون في قتل، فعندنا لا يسقط القود عن البالغ، و به قال الشافعي. و قال أهل العراق: يسقط. و دية القصاص في قود النفس الف دينار، أو عشرة آلاف درهم، أو مائة من الإبل، أو مائتان من البقر، أو الف شاة، أو مأتا حلة. و لا يجبر القاتل على الدية— عندنا—. و ان رضى، فهي عليه في ماله. و قال الحسن: يجبر على العفو عن القصاص، و الدية على العاقلة. و القتل بالحديد عمداً يوجب القود إجماعاً. فأما غير الحديد، فكل شيء يغلب على الظن أن مثله يقتل فانه يجب القود عندنا، و عند أكثر الفقهاء. و الذى له العفو عن القصاص كل من يرث الدية إلا الزوج، و الزوجة. و هم لا يستثنون بها إلا أبا حنيفة: قال: إذا كان للمقتول ولد صغار و كبار، فللكبار أن يقتلوا، و يحتج بقاتل على (ع).

و قال غيره: لا يجوز حتى يبلغ الصغار. و عندنا أن لهم ذلك إذا ضمنوا حصه الصغار من الدية إذا بلغوا، و لم يرضوا بالقصاص. و إذا اجتمع مع القصاص حدود، فان كان حدّ لله، فالقتل يأتي عليه. و إن كان حق لآدمي كحدّ القذف، أقيم عليه الحد ثم يقتل. و قال أهل المدينة: القتل يأتي على الكل. و يقتل الرجل بالمرأة إذا ردّ أولياؤها نصف الدية. و خالف جميع الفقهاء في ذلك. و ما قلنا، قول على (ع) و قول الحسن البصرى. و شرح مسائل الديات ذكرناها في النهاية، و المبسوط، لا يقتضى ذكرها هاهنا.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٧٩] ص: ١٠٤

إشارة

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ١٠٤

أكثر المفسرين على أن قوله: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» المراد به القصاص التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٥ في القتل. وإنما كان فيه حياة من وجهين:

أحدهما- ما عليه أكثر المفسرين كمجاهد، و قتادة، و الربيع، و ابن زيد:
أنه إذا هم الإنسان بالقتل فذكر القصاص، ارتدع، فكان ذلك سبباً للحياة.

الثاني- قال السدي: من جهة أنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره. خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتفانون «١» بالطوائف، و المعنيان جميعاً حسنان. و قال أبو الجوزاء: معناه أن القرآن «٢» حياة بالقصاص، أراد به القرآن. و هذا ضعيف، لأنه تأويل خلاف الإجماع، و لأنه لا يليق بما تقدم، و لا يشاكله، و هو قوله:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ، فكَأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ وَ لَكُمْ فِيهِ حَيَاةٌ. وَ نَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلُهُمْ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ. وَ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاوُتِ فِي الْفِصَاحَةِ، وَ الْبَلَاغَةِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ قِيلَ: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ:
أحدها- أنه أكثر فائدة. و ثانيها- أنه أوجز في العبارة. و ثالثها- أنه أبعد عن الكلمة بتكرير الجملة. و رابعها- أنه أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة.

أما كثرة الفائدة، ففيه ما في قولهم: (القتل أنفى للقتل) و زيادة معان حسنة: منها إبانة العدل، لذكره القصاص. و منها إبانة الغرض المرغوب فيه، لذكر الحياة. و منها الاستدعاء بالرغبة و الرهبة لحكم الله به.

و أما الإيجاز في العبارة، فإن الذي هو نظير (القتل أنفى للقتل) قوله تعالى:

«فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» و هو عشرة أحرف. و الأول أربعة عشر حرفاً. و أما بعد التكلف، فهو أن في قولهم: (القتل أنفى للقتل) تكرير غيره أبلغ منه. و متى كان التكرير كذلك، فهو مقصر في باب البلاغة. و أما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة، فهو مدرك بالحس، و موجود باللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة، لبعدهم الهمزة من اللام. و كذلك الخروج من الصاد

(١) في المطبوعة «يتغابون».

(٢) هكذا في المطبوعة و لم أجد قول لأبي الجوزاء في هذا الموضع في ما حضرني من التفاسير، و لم أجد في كتب اللغة القصاص بمعنى القرآن، إلا أن يكون- بفتح القاف-

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٦

إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام. فبإجماع هذه الأمور التي ذكرناها كان أبلغ منه و أحسن. و إن كان الأول حسناً بليغاً و أخذ هذا المعنى بعض الشعراء، فقال:

أبلغ أبا مالك عنى مغلغلة و في العتاب حياة بين أقوام «١»
 وهذا وإن كان حسناً، فينبه و بين لفظ القرآن: ما بين أعلى الطبقة و أدناها.
 و أول ما فيه أنه استدعاء الى العتاب. و ذلك استدعاء الى العدل. و في هذا إبهام.
 و في الآية بيان عجيب.

اللغة: ص : ١٠٦

و قوله: «يا أولى الأبواب» فالأبواب: العقول و هو مأخوذ من النخلة على وجه التشبيه به. و اللب: العقل. لب الرجل يلب: إذا صار لبيباً. و لبّ بالمكان، و ألّب به لباً، و إلباباً: إذا أقام به. و لب كل شيء خالصه. قال صاحب العين:
 اللب: البال. تقول: الأمر منه في لب رخى أى فى بال رخى. و اللب من الرمل: شبيه حقف بين معظم الرمل، و جلد الأرض. و تلبب بالثياب إذا جمعها.

و يشبه به المتسلح بالسلاح. و اللبة من الصدر: موضع القلادة. و التليب: مجمع ما فى موضع اللب من ثياب الرجل. تقول: أخذ فلان بتلايب فلان. و أصل الباب لب الشيء: داخله: الذى تركبه القشرة، و تلممه. و منه لبيك و سعديك أى ملازمة لأمرك و إسعاداً لك.

المعنى: ص : ١٠٦

و قوله تعالى: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» قد بينا فيما مضى أن لعل معناه لكى و قيل فى معناه هاهنا قولان:

(١) اللسان (غلل) أنشده بن برى. مغلغلة: رسالة محمولة من بلد الى بلد و العتاب هو الملاومة و لا يكون الا بين اثنين فصاعداً. و انما قال: حياة، لأنه يخفف من الغيظ، و قد يبطل العتاب حرباً يقتل فيها الألوفاً. فكأنه يقول أوصل هذه الرسالة التى هى عتاب، و العتاب حياة لقومى و لقومك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٧

[الأول لكى تتقوا القتل بالخوف من القصاص. ذكره ابن زيد.

الثانى - قال الجبائى، و غيره: لتتقوا ربكم باجتنب معاصيه. و هذا أعم فائدة، لأنه يدخل فيه اتقاء القتل، و غيره.
 و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأن فيها دلالة على أنه أنعم على جميع العقلاء، ليتقوا ربهم، و فى ذلك دلالة على أنه أراد منهم التقوى و إن عصوا، و إنما خص الله تعالى بالخطاب أولى الأبواب، لأنهم المكلفون المأمورون، و من ليس بعاقل لا يصح تكليفه، و لا يحسن، فلذلك خصهم بالذكر.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٠] ص : ١٠٧

إشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)
 آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ١٠٧

هذا ابتداء قصة، ولا بد فيه من واو العطف، بان يقال: وكتب، لأنه حذف اختصاراً وقد بينا فيما مضى: أن معنى كتب فرض. وها هنا معناه الحث والترغيب دون الفرض، والإيجاب. وفي الآية دلالة على أن الوصية جائزة للوارث، لأنه قال للوالدين، والأقربين. والوالدان وارثان بلا خلاف إذا كانا مسلمين حزين غير قاتلين. ومن خص الآية بالكافرين، فقد قال: قولاً بلا دليل، ومن ادعى نسخ الآية فهو مدع لذلك، ولا يسلم له نسخها. وبمثل ما قلناه قال محمد بن جرير الطبري سواء، فان ادعوا الإجماع على نسخها، كان ذلك دعوى باطله ونحن نخالف في ذلك. وقد خالف في نسخ الآية طاوس، فانه خصها بالكافرين، لمكان الخبر ولم يحملها على النسخ. وقد قال أبو مسلم محمد بن بحر: إن هذه الآية مجملة، وآية الموارث مفصلة، وليست نسخاً، فمع هذا الخلاف كيف يدعى الإجماع على نسخها. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٨

ومن ادعى نسخها، لقوله (ع): لا وصية لوارث، فقد أبعده، لأن هذا أولاً خبر واحد لا يجوز نسخ القرآن به إجماعاً. وعندنا لا يجوز العمل به في تخصيص عموم القرآن. وادعواهم أن الأمة أجمعت على الخبر دعوى عارية من برهان. ولو سلمنا الخبر جاز أن نحمله على أنه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث، لأننا لو خيلنا وظاهر الآية لأجزنا الوصية بجميع ما يملك للوالدين والأقربين، لكن خص ما زاد على الثلث لمكان الإجماع.

فأما من قال: إن الآية منسوخة بآية الميراث فقوله بعيد عن الصواب. لأن الشيء إنما ينسخ غيره: إذا لم يمكن الجمع بينهما، فأما إذا لم يكن بينهما تناف ولا تضاد بل أمكن الجمع بينهما، فلا يجب حمل الآية على النسخ، ولا تنافي بين ذكر ما فرض الله للوالدين وغيرهم من الميراث، وبين الأمر بالوصية لهم على جهة الخصوص، فلم يجب حمل الآية على النسخ. وقول من قال: حصول الإجماع على أن الوصية ليست فرضاً يدل على أنها منسوخة باطل، لأن إجماعهم على أنها لا تفيد الفرض، لا يمتنع من كونها مندوباً إليها ومرغباً فيها، ولأجل ذلك كانت الوصية للوالدين، والأقربين الذين ليسوا بوارث ثابتة بالآية ولم يقل أحد أنها منسوخة في خبرهم (١).

ومن قال: إن النسخ من الآية ما يتعلق بالوالدين، وهو قول الحسن والضحاك، فقد قال قولاً يناهض ما قاله مدعى نسخ الآية - على كل حال - ومع ذلك فليس الأمر على ما قال، لأنه لا دليل على دعواه. وقال طاوس: إذا وصى لغير ذى قرابة لم تجز وصيته. وقال الحسن: ليست الوصية إلا للأقربين وهذا الذى قالاه عندنا وإن كان غير صحيح، فهو مبطل قول من يدعى نسخ الآية. وإنما قلنا أنه ليس بصحيح، لأن الوصية لغير الوالدين، والأقربين عندنا جائزة. ولا خلاف بين الفقهاء فى جوازها. والوصية لا تجوز بأكثر من الثلث إجماعاً، والأفضل أن يكون بأقل من الثلث،

لقوله (ع) و الثلث كثير

، وأحق من وصى له من كان

(١) نسب الخبر اليهم مع أنهم يروونه عن النبي (ص)، لأنه لا يسلم صحته.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٠٩

أقرب الى الميت إذا كانوا فقراء - بلا - خلاص - وإن كانوا أغنياء، فقال الحسن وعمر بن عبيد: هم أحق بها. وقال ابن مسعود، واصل الأحقّ بها الأجوّع، فالأجوّع من القرابة.

وقوله تعالى: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» يعنى مالا. و اختلفوا فى مقداره الذى يجب الوصية عنده، فقال الزهرى: كلما وقع عليه اسم مال من قليل أو كثير. وقال ابراهيم النخعى: الف درهم الى خمسمائة.

وروى عن على (ع) أنه دخل على مولى لهم فى مرضه، وله سبع مائة درهم أو ستمائة، فقال: ألا أوصى، فقال: لا إنما قال الله تعالى: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» وليس لك كبير مال.

و بهذا نأخذ، لأن قوله حجة عندنا.

الاعراب: ص : ١٠٩

و الوصية في الآية مرفوعة بأحد أمرين:
أحدهما- ب (كتب)، لأنه لم يسم فاعله. الثاني- أن يكون العامل فيه الابتداء و خبره للوالدين، و الجملة في موضع رفع على الحكاية بمنزلة قيل لكم: الوصية للوالدين. و قيل في إعراب (إذا) و العامل فيه قولان: أحدهما- كتب على معنى إذا حضر أحدكم الموت أى عند المرض. و الوجه الآخر قال الزجاج، لأنه رغب في حال صحته أن يوصى، فتقديره كتب عليكم الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف في حال الصحة قائلين: إذا حضرنا الموت فلفلان كذا.

المعنى: ص : ١٠٩

المعروف هو العدل الذى لا يجوز أن ينكر و لا حيف فيه و لا جور و الحضور وجود الشيء بحيث يمكن أن يدرك. و ليس معناه فى الآية إذا حضره الموت أى إذا عاين الموت، لأنه فى تلك الحال فى شغل عن الوصية. لكن المعنى كتب عليكم أن توصوا و أنتم قادرون على الوصية، فيقول الإنسان: إذا حضرني الموت أى إذا أنا مت، فلفلان كذا. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٠
و الحق هو الفعل الذى لا يجوز إنكاره و قيل ما علم صحته سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً و هو مصدر حقّ يحق حقاً و انتصب فى الآية على المصدر و تقديره أحق حقاً و قد استعمل على وجه الصفة، بمعنى ذى الحق، كما وصف بالعدل «عَلَى الْمُتَّقِينَ» معناه على الذين يتقون عقاب الله باجتنب معاصيه، و امتثال أوامره.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨١] ص : ١١٠

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)
آية بلا خلاف.

الهاء فى قوله: «فَمَنْ بَدَّلَهُ» عائدة على الوصية. و انما ذكر حملا على المعنى، لأن الإيضاء و الوصية واحد. و الهاء فى قوله: «فَإِنَّمَا إِثْمُهُ» عائدة على التبديل الذى دلّ عليه قوله: «فَمَنْ يَبَدِّلُهُ». و قال الطبرى: الهاء تعود على محذوف، لأن عودها على الوصية المذكورة لا يجوز، لأن التبديل إنما يكون لو وصية الموصى. فأما أمر الله عز و جل بالوصية، فلا يقدر هو، و لا غيره أن يبدله قال الرماني: و هذا باطل، لأن ذكر الله الوصية إنما هو لو وصية الموصى، فكأنه قيل: كتب عليكم وصية مفروضة عليكم، فالهاء تعود الى الوصية المفروضة التى يفعلها الموصى.

و قوله تعالى: «فَمَنْ بَدَّلَهُ» فالتبديل: هو تغيير الشيء عن الحق فيه. فأما البدل، فهو وضع شيء مكان آخر. و من أوصى بوصية فى ضرار فبدلها الوصى، لا يأثم. و قال ابن عباس: من وصى فى ضرار لم تجز وصيته لقوله (عَيْرَ مُضَارًّا) «١».

و الوصى إذا بدّل الوصية لم ينقص من أجر الموصى شيء، كما لو لم تبدل، لأنه لا يجازى أحد على عمل غيره، لكن يجوز أن يلحقه منافع الدعاء، و الإحسان الواصل الى الموصى له، على غير وجه الأجر له، لكن على وجه الجزاء لغيره ممن وصل إليه ذلك الإحسان، فيكون ما يلحق المحسن إليه من ذلك أجراً له، يصح

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١١

بما يصل الى المحسن إليه من المنفعة. و في الآية دلالة على بطلان مذهب من قال:

إن الطفل يعذب بكفر أبويه، لأن الله تعالى بين وجه العدل في هذا. و قياس العدل في الطفل ذلك القياس، فمن هناك دل على الحكم فيه. و فيها ايضاً دلالة على بطلان قول من يقول: إن الوارث إذا لم يقبض دين الميت أنه يؤخذ به في قبره أو في الآخرة، لما قلنا من أنه دل على أن العبد لا يؤخذ بجرم غيره و أن لا إثم عليه بتبديل غيره. و كذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يوصى به الميت لم يزل عقابه بقضاء الوارث عنه إلا أن يتفضل بإسقاطه عنه. و قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه سميع لما قاله الموصى من العدل، أو الجنف، عليم بما يفعله الوصى من التبديل أو التصحيح، فيكون ذكر ذلك داعياً الى طاعته.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٢]..... ص : ١١١

إشارة

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)
آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ١١١

قرأ ابن كثير، و نافع، و أبو عمرو، و ابن عامر، و حفص عن عاصم (موص) بالتخفيف. الباقيون بالتشديد. و هما لغتان: وصى، و أوصى بمعنى واحد.

المعنى: ص : ١١١

فان قيل: كيف قال «فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ» لما قد وقع، و الخوف إنما يكون لما لم يقع؟ قيل فيه قولان: أحدهما- إنه خاف أن يكون قد زل في وصيته، فالخوف للمستقبل، و ذلك الخوف هو أن يظهر ما يدل على أنه قد زل، لأنه من جهة غالب الظن.

و الثاني- لما اشتمل على الواقع، و ما لم يقع جاز فيه «خاف» ذلك فيأمره التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٢ بما فيه الصلاح، و ما وقع رده الى العدل بعد موته. و الجنف: الجور، و هو الميل عن الحق: و قال الحسن: هو أن يوصى من غير القرابة، قال: فمن أوصى لغير قرابته رد الى أن يجعل للقرابة الثلثان، و لمن أوصى له الثلث. و هذا باطل عندنا، لأن الوصية لا يجوز صرفها عن من وصى له. و إنما قال الحسن ذلك لقوله إن الوصية للقرابة واجبة. و عندنا إن الامر بخلافه على ما بيناه.

اللغة: ص : ١١٢

و قال صاحب العين: الجنف: الميل في الكلام و الأمور كلها. تقول: جنف علينا فلان، و أجنف في حكمه، و هو مثل الخيف إلا ان الخيف من الحاكم خاصه، و الجنف عام، و منه قوله تعالى: «عَيَّرَ مُتَجَانِفٍ» «١» أى متمايل: متعمد. و رجل أجنف: فى أحد شقيه ميل على الآخر. و قال ابن دريد: جنف يجنّف جنفاً إذا صدّ عن الحق و أصل الباب: الميل عن الاستواء. قال الشاعر فى الجنف:

هم المولى و إن جنفوا علينا و إنا من لقائهم لزور «٢»

المعنى: ص: ١١٢

و إذا جنف الموصى فى وصيته، فلوصى أن يردها الى العدل، و هو المروى عن أبى عبد الله (ع).
و به قال الحسن، و قتادة، و طاوس. و قال قوم، و اختاره الطبرى: ان قوله «فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ» فى حال مرضه الذى يريد أن يوصى فيه، و يعطى بعضاً، و يضر ببعض، فلا إثم أن يشير عليه بالحق، و يرده الى الصواب و يسرع فى الإصلاح بين الموصى، و الورثة، و الموصى له حتى يكون الكل راضين،

(١) سورة المائدة آية: ٣. [...]

(٢) قائله عامر الخصى، من بنى خصفة، ابن قيس عيلان، مجاز القرآن لابی عبيدة:

٦٦، ٦٧، و مشكل القرآن: ١١٩، و اللسان (جنف) (ولى). قوله: هم المولى: أى هم أبناء عمنا، أقام المفرد مقام الجمع، أراد الموالى. و ان جنفوا: و ان جاروا و مالوا عن الحق.

و الزور: جمع أزور، و هو الغضب و الانحراف. يقول: هم أبناء عمنا و ان مالوا عن الحق و انا لنكره لقاءهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٣

و لا- يحصل جنف، و لا ظلم، و يكون قوله «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» يريد فيما يخاف من حدوث الخلاف فيه- فيما بعد- و يكون قوله «فَمَنْ خَافَ» على ظاهره، فيكون مترقياً غير واقع. و هذا قريب ايضاً، غير أن الأول أصوب، لأن عليه أكثر المفسرين، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع). و إنما قيل للمتوسط بالإصلاح ليس عليه إثم و لم يقل فله الأجر على الإصلاح، لأن المتوسط إنما يجرى أمره فى الغالب على أن ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله إياه، فاحتاج الى أن يبين الله لنا أنه لا- إثم عليه فى ذلك إذا قصد الإصلاح. و الذى اقتضى قوله (عَفُورٌ رَحِيمٌ) انه إذا كان يغفر المعصية، فانه لا يجوز أن يؤاخذ بما ليس بمعصية مما بين أنه لا إثم عليه.

و الضمير فى قوله «بينهم» عائد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الوصى، و الإصلاح، لأنه قد دل على الموصى لهم و من ينازعهم و أنشد الفراء- فى مثل «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ»:

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر

و يصمّ عمّا كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر «١»

أراد بينها و بين زوجها، و إنما ذكرها وحدها، و أنشد أيضاً:

و ما أدرى إذا يمتت وجهاً أريد الخير أيهما يلينى

هل الخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى لا يأتلىنى «٢»

فكنى فى البيت الأول عن الشر، و إنما ذكر الخير وحده. و قيل: بل يعود

(١) أمالى الشريف المرتضى ١: ٣٤، ١٢٣. أعمى: أى أغض بصرى. و الضمير فى بينهما عائد على الزوج و الزوجه. يقول لا أنظر الى

جارتى الا و هى مسترة و لا أبوح برها مع زوجها و كل ما أسمعه منهما فأجعل نفسى كأنى لم أسمعه.

(٢) لم أجد هذين البيتين فيما حضرنى من المصادر فى المطبوعة (هل) ساقطة، (أنهما) بدل (أيهما).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٤

على مذکور، هم الوالدان والأقربون.

والضمير في قوله «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» عائذ على الوصي - في قول الحسن - ويجوز أن يعود على المصلح المذكور في (من).

وقوله تعالى: «جَنَفًا» وإنما يريد بالجنف: الميل عن الحق عن جهة الخطأ، لأنه لا يدرى أنه لا يجوز،

والإثم: أن يتعمد ذلك، وهو معنى قول ابن عباس، والحسن، والضحاك، والسدي. وروى ذلك عن أبي جعفر.

والجنف في الوصية:

أن يوصي الرجل لابن ابنته، وله أولاد. أو يوصي لزوجة بنته، وله أولاد، فلا يجوز رده على وجه عندنا. وخالف فيه ابن طاوس، و

كذلك إن وصى للبعيد دون القريب لا ترد وصيته. وخالف فيه الحسن.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٣] ص : ١١٤

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)

آية بلا خلاف.

هذه الآية ظاهرها يتوجه الى من كان على ظاهر الايمان. فأما الكافر، فلا يعلم بهذا الظاهر أنه مخاطب بالصيام. وقوله «كتب» معناه

فرض على ما بيناه فيما مضى.

اللغة: ص : ١١٤

والصيام، و الصوم: مصدر صام يصوم صوماً قال النابغة:

خيل صيام و خيل غير صائمة تحت العجاج و خيل تعلقك اللجما «١»

وقال صاحب العين: الصوم، و الصمت واحد كقوله تعالى «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» أي صمتاً. و الصوم قيام بلا عمل. صام الفرس

على أريه: إذا لم يعلف.

(١) ديوانه: ١٠٦ (ملحق)، و اللسان (صوم)، (علك) و هو من قصيدته الشهيرة التي أولها:

بانة سعاد و أمسى حبلها انجذما

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٥

و صامت الريح: إذا ركبت. و صامت الشمس: حين تستوى في منتصف النهار.

و صامت الفرس: موقفه. و الصوم ذرق النعام. و الصوم: شجر. و أصل الباب:

الإمساك، فالصوم: الصمت، لأنه إمساك عن الكلام.

المعنى: ص : ١١٥

و الصوم في الشرع هو الإمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص. و من

شرط انعقاده النية.

وقوله «كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحسنها:

انه كتب عليكم صيام أيام، كما كتب عليهم صيام أيام. و هو اختيار الجبائي، وغيره، و يكون الصيام رفعاً، لأنه ما لم يسم فاعله، و يكون موضع (كما) نصب على المصدر.

و المعنى فرض عليكم فرضاً كالذى فرض على الذين من قبلكم، و يحتمل أن يكون نصباً على الحال من الصيام. و تقديره كتب عليكم مفروضاً أى فى هذه الحال.

و الثانى - ما قاله الشعبى، و الحسن: انه فرض علينا شهر رمضان كما فرض شهر رمضان على النصارى. و إنما زادوا فيه و حوله الى زمان الربيع.

و الثالث - ما قاله الربيع، و السدى: إنه كان الصوم من العتمة إلى العتمة لا يحل بعد النوم مأكلاً، و لا مشرب، و لا منكح، ثم نسخ. و الأول هو المعتمد.

و قال مجاهد. و قتادة: المعنى بالذين من قبلكم أهل الكتاب.

و قوله «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى لعلكم تتقون المعاصى بفعل الصوم - فى قول الجبائي - و قال السدى: لتتقوا ما حرم عليكم من المأكول و المشرب. و قالت فرقة:

معناه لتكونوا أتقياء بما لطف لكم فى الصيام، لأنه لو لم بلطف به لم تكونوا أتقياء.

و إنما قلنا: الأول هو المعتمد، لأنه يصح ذلك فى اللغة، إذا كان فرض عليهم صيام أيام كما علينا صيام أيام و إن اختلف ذلك بالزيادة و النقصان.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٤] ص : ١١٥

إشارة

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٦

آية واحدة بلا خلاف

القراءة: ص : ١١٦

قرأ ابن عامر، و نافع (فدية طعام مساكين) على إضافة الفدية و جمع المساكين. الباكون (فدية) منون (طعام مسكين) على التوحيد. و القراءتان متقاربتا المعنى، لأن المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين. و القراءتان يفيدان ذلك.

الاعراب: ص : ١١٦

قوله تعالى: «أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ» منصوب بأحد شيئين: أحدهما - على الظرف، كأنه قيل: الصيام فى أيام معدودات. و هو الذى اختاره الزجاج. الثانى - أن يكون قد عدى الصيام إليه كقولك: اليوم صمته. و قال الفراء: هو مفعول ما لم يسم فاعله كقولك: أعطى زيد المال. و خالفه الزجاج، قال، لأنه لا يجوز رفع الأيام، كما لا يجوز رفع المال. و إذا كان المفروض فى الحقيقة هو الصيام دون الأيام،

فلا يجوز ما قاله الفراء إلا على سعة في الكلام.

وقال عطاء، و قتادة: الأيام المعدودات كانت ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ. وكذلك روى عن ابن عباس. وقال ابن أبي ليلى: المعنى به شهر رمضان وإنما كان صيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً. وقوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» ارتفع عدّة على الابتداء، وتقديره فعليه عدّة من أيام آخر. و روى عن أبي جعفر (ع) أن شهر رمضان كان صومه واجباً على نبي دون أمته. وإنما أوجب على أمه نبينا محمد (ص) فحسب. وإنما قال «آخر» ولا يوصف بهذا الوصف إلا جمع المؤنث التي كل واحدة أنثى - والأيام جمع يوم وهو مذكر - حملاً له على لفظ الجمع، لأن الجمع يؤنث كما يقال جاءت الأيام ومضت الأيام. و «آخر» لا يصرف، لأنه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٧ معدول عن الألف واللام، لأن نظائرها من الصغر والكبر لا يستعمل إلا بالألف واللام، لا يجوز نوسه صغر، و يجوز في العربية «فعدّة» على معنى، فليعد عدّة من أيام آخر بدلا مما أظفر.

المعنى: ص: ١١٧

وهذه الآية فيها دلالة على أن المسافر، والمريض يجب عليهما الإفطار، لأنه تعالى أوجب عليهما القضاء مطلقاً، وكل من أوجب القضاء بنفس السفر والمرض أوجب الإفطار و داود أوجب القضاء، وخير في الإفطار، فان قدروا في الآية فأفطر، كان ذلك خلاف الآية، و بوجوب الإفطار في السفر قال عمر بن الخطاب، و عبد الله ابن عمر، و عبد الله بن عباس، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو هريرة، و عروة ابن الزبير، و أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، و روى سعيد بن جبيرة عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس: قال: الإفطار في السفر عزيمة. و روى يوسف ابن الحكم، قال: سألت ابن عمر عن الصوم في السفر قال: أ رأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألا تغضب، فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم، و روى عبد الملك بن حميد قال قال أبو جعفر: كان أبي لا يصوم في السفر وينهى عنه، و روى عن عمر، أن رجلاً صام في السفر، فأمره أن يعيد صومه، و روى عطاء عن المحرز بن أبي هريرة قال: كنت مع أبي في سفر في شهر رمضان، فكنت أصوم و يفطر، فقال أبي أما أنك إذا أقمت قضيت، و روى عاصم مولى قومه: أن رجلاً صام في السفر فأمره عروة أن يقضى،

و روى الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف قال قال رسول الله (ص): الصائم في السفر كالمفطر في الحضر.

و روى عن معاذ أن النبي (ص) قدم المدينة، فكان يصوم عاشوراء، و ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ ذلك بشهر رمضان في قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»

و اختار الطبري هذا الوجه قال، لأنه لم ينقطع العذر برواية صحيحة أنه كان هاهنا صوم متعبد به فنسخه الله بشهر رمضان.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٨

اللغة: ص: ١١٨

و أصل السفر الكشف تقول: سفر يسفر سَفَرًا: إذا كشف. و أسفر لونه إسْفارًا، و انسفرت الإبل: إذا انكشفت داهية انسفارًا. و سافر سَفَرًا، و سفرت الريح السحاب إذا قشعته قال العجاج:

سفر الشمال الزّبرج المزبررجا «١»

الزبرج السحاب الرقيق، و منه السفر، لأنه يظهر به ما لم يكن ظهر، و ينكشف به ما لم يكن انكشف، و السفرة طعام السفر، و به سميت الجلدة التي يحمل فيها الطعام سفرة، و المسفرة: المكسّة، و السفير الداخل بين اثنين للصالح، و السفير: ورق الشجر إذا سقط، و سفر

فلان شعره إذا استأصله عن رأسه، و منه قوله تعالى:

«وَجُودٌ يُؤْمِنُ مُسْفِرَةً» (٢) أى مشرفه مضيئة «وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ» (٣) إذا أضاء. و الاسفار جمع سفر «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» (٤) أى كتبه. و قوله تعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» يقال: طاق يطوق طوقاً و طاقه و هى القوة، و أطاقه إطاقه ايضاً إذا قوى عليه، و طوقه تطويقاً: ألبسه الطوق، و هو معروف من ذهب كان أو فضة كأنه يكسيه قوة بما يعطيه من الجلالة، و كل شىء استدار فهو طوق، كطوق الرحا الذى يدير القطب مشبه بالطوق المعروف فى الصورة، و تطوقت الحية على عنقها: أى صارت كالطوق فيه، و الطاقة: شعبة من ريحان أو شعر و نحو ذلك، و الطاق: عقد البناء حيث ما كان، و الجمع الاطواق، و ذلك لقوته. و طوقه الأمر إذا جعله كالطوق فى عنقه.

المعنى: ص: ١١٨

قال الحسن و أكثر أهل التأويل: إن هذا الحكم كان فى المراضع، و الحوامل، و الشيخ

(١) اللسان (سفر)، (زبرج). سفر: كشف. الشمال: ريح الشمال.

الزبرج - بكسر الزاء و سكون الباء و كسر الراء -: السحاب الرقيق فيه حمرة، و قيل: النمر بسواد و حمرة فى وجهه. و قيل: هو الخفيف الأحمر.

(٢) سورة عبس آية: ٣٨.

(٣) سورة المدثر آية: ٣٤.

(٤) سورة عبس آية: ١٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١١٩

الكبير، فنسخ من الآية المراضع، و الحوامل و بقى الشيخ الكبير. و قال أبو عبد الله (ع) ذلك فى الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكيناً. منهم من قال: نصف صاع و هم أهل العراق. و قال الشافعى: مد عن كل يوم. و عندنا إن كان قادراً فمدان، و إن لم يقدر إلا على مد أجزاءه. و قال السدى: لم ينسخ، و إنما المعنى و على الذين كانوا يطيقونه. و قوله تعالى: «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» يعنى أطعم أكثر من مسكين فى قول ابن عباس، و عمل برّاً فى جميع الدين فى قول الحسن، و هو أعم فائدة. و منهم من قال:

من جمع بين الصوم، و الصدقة ذهب إليه ابن شهاب. و الهاء فى قوله يطيقونه - عند أكثر أهل العلم - عائدة على الصوم، و هو الأقوى، و قال قوم: عائدة على الفداء، لأنه معلوم و إن لم يجر له ذكر. و المعنى بقوله «الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» قيل فيه ثلاثة أقوال:

أولها - أنه سائر الناس من شاء صام، و من شاء أفطر و افتدى لكل يوم إطعام مسكين حتى نسخ ذلك - فى قول ابن عباس، و الشعبى. الثانى - قال الحسن و عطا: إنه فى الحامل، و المرضع، و الشيخ الكبير، فنسخ من الآية الحامل، و المرضع، و بقى الشيخ الكبير. و قال السدى: إنه فى من كان يطيقه إذا صار الى حال العجز عنه. «و من» فى قوله: «فَمَنْ تَطَوَّعَ» الظاهر، و الأليق أنها للجزاء. و يحتمل أن تكون بمعنى الذى. و ما روى فى الشواذ من قراءة من قرأ «يطوقونه» قيل فيه قولان: أحدهما - يكلفونه على مشقة فيه، و هم لا يطيقونه لصعوبته.

الثانى - أن يكون معناه يلزمونه، و هم الذين يطيقونه، فيؤول الى معنى واحد. و من قرأ «فدية طعام مسكين» على إضافة الفدية، و جمع المساكين: عن ابن عامر و نافع، فان معنى قراءته تؤول الى قراءة من يئون «فدية طعام مسكين»، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص:

لأن المعنى: لكل يوم يفطر طعام مسكين. و الأول يفيد هذا ايضاً، لأنه إذا قيل:

إطعام مساكين للأيام بمعنى لكل يوم مسكين، صار المعنى واحداً.

و في الآية دلالة على بطلان قول المجبره: إن القدرة مع الفعل، لأنه لو كانت الاستطاعة مع الفعل الذي هو الصيام، لسقطت عنه الفدية- لأن إذا صام لم يجب عليه فدية.

و قوله: «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» رفع (خير)، لأنه خبر المبتدأ.

و تقديره و صومكم خير لكم، كأن هذا مع جواز الفدية، فأما بعد النسخ، فلا يجوز أن يقال: الصوم خير من الفدية مع أن الإفطار لا يجوز أصلاً.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٥] ص : ١٢٠

إشارة

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ١٢٠

قرأ أبو بكر عن عاصم «و لتكملوا» بتشديد الميم. الباقر بتخفيفها. قال أبو العباس: أكملت و كملت بمعنى واحد إلا أن في التشديد مبالغة. و من قرأ بالتخفيف فلقوله «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» (١).

اللغة: ص : ١٢٠

الشهر: معروف، و جمعه: الأشهر. و الشهور و الشهرة: ظهور الأمر في

(١) سورة المائدة آية: ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢١

شعنة. و شهرت الحديث أظهرته. و شهر فلان سيفه: إذا انتضاه. و المشهر: الذي أتى عليه شهر. و أشهرت المرأة: إذا دخلت في شهر ولادتها. و أتان شهيرة: أى عريضة ضخمة. و المشاهرة: المعاملة شهراً بشهر. و سمى الشهر شهراً، لاشتهاره بالهلال. فأصل الباب الظهور.

و قال ابن دريد: المرض: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، و الأرض رمضاء. و رمض يومنا رمضاً: إذا اشتد حرّه. و رمضان من هذا اشتقاقه، لأنهم سموا الشهور بالازمنة التي فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحر، و قد جمعوا رمضان، رمضانات. قال صاحب العين: و المرض حرقة غيظ تقول: أرمضنى هذا الأمر، و رمضت له. و الرمض: مطر يكون قبل الخريف. و أصل الباب شدة الحر.

الاعراب: ص : ١٢١

و شهر رمضان رفع لأحد ثلاثة أشياء:

أولها- أن يكون خبر ابتداء محذوف يدل عليه «أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ» و تقديره هي شهر رمضان.
 الثانى- على ما لم يُسم فاعله، و يكون بدلا من الصيام، و تقديره «كتب عليكم الصيام» (شَهْرُ رَمَضَانَ).
 الثالث- أن يكون مبتدأ و خبره «الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» و يجوز في العريضة شهر رمضان بالنصب من وجهين: أحدهما- صوموا شهر رمضان. و الآخر- على البدل من أيام.

المعنى: ص : ١٢١

و قوله «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» قيل فى معناه قولان:
 أحدهما- قال ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن:
 إن الله تعالى أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم أنزل على النبى (ص) بعد ذلك التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٢
 نجوماً. و هو المروى عن أبى عبد الله (ع).

و الثانى- أنه ابتداء إنزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان. فان قيل كيف يجوز إنزاله كله فى ليلة، و فيه الاخبار عما كان، و لا يصلح ذلك قبل أن يكون؟

قلنا: يجوز ذلك فى مثل قوله: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» (١) و قوله:
 «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ» (٢) على إذا كان وقت كذا أنزل «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ» كما قال تعالى «وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» (٣) أى إذا كان يوم القيامة «نادى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ».

الاعراب: ص : ١٢٢

و قوله تعالى: «هُدًى لِلنَّاسِ» موضعه نصب على الحال، كأنه قال: أنزل فيه القرآن هادياً للناس. و لا يحتمل سواه، لقوله «وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى».

اللغة: ص : ١٢٢

و القرآن اشتقاقه قرأ يقرأ قراءة، و أقرأه إقرأه. و قال صاحب العين: رجل قارئ: أى عابد ناسك، و فعله التقرى و القراءة، و أقرأت المرأة: إذا حاضت.
 و قرأت الناقه: إذا حملت. و القرء: الحيض، و قد جاء بمعنى الطهر. و أصل الباب الجمع، لقولهم ما قرأت الناقه سلاقط: أى ما جمعت رحمها على سلاقط. و فلان قرأ، لأنه جمع الحروف بعضها الى بعض. و القرء الحيض، لاجتماع الدم فى ذلك الوقت. و الفرقان: هو الذى يفرق بين الحق، و الباطل، و المراد به القرآن هاهنا.

المعنى: ص : ١٢٢

و قوله: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» قيل فى معناه قولان:

(١) سورة آل عمران آية: ١٢٣.

(٢) سورة التوبة آية: ٢٦.

(٣) سورة الاعراف آية: ٤٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٣

أحدهما- من شاهد منكم الشهر مقيماً. والثاني- من شهد بان حضره، ولم يغب، لأنه يقال: شاهد: بمعنى حاضر. وشاهد: بمعنى مشاهد. و

روى عن ابن عباس، وعبيدة السلماني، ومجاهد، وجماعة من المفسرين، ورووه عن علي (ع) أنهم قالوا: من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر، كره له أن يسافر حتى يمضي ثلاث وعشرون من الشهر إلا أن يكون واجباً كالحج، أو تطوعاً كالزيارة، فإن لم يفعل، وخرج قبل ذلك كان عليه الإفطار، ولم يجزه الصوم.

وقوله تعالى: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» ناسخ الفدية- على قول من قال بالتخيير- وناسخ للفدية أيضاً في المراضع والحوامل- عند من ذهب اليه- وبقي الشيخ الكبير، له أن يطعم، ولم ينسخ. وعندنا أن المرضعة والحامل إذا خافا على ولدهما أفطرتا، وكفرتا، وكان عليهما القضاء فيما بعد إذا زال العذر. وبه قال جماعة من المفسرين، كالطبري وغيره.

وقوله: «وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» قد بينا أنه يدل على وجوب الإفطار- في السفر-، لأنه أوجب القضاء بنفس السفر، والمرض.

وكل من قال ذلك أوجب الإفطار. ومن قدر في الآية أو على سفر فأفطر فعدة من أيام أخر، زاد في الظاهر ما ليس فيه. فان قيل: هذا كقوله «فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ» (١) ومعناه فحلق. قلنا: إنما قدرنا هناك فحلق للإجماع على ذلك، وليس هاهنا إجماع، فيجب أن لا يترك الظاهر، ولا يزداد فيه ما ليس فيه.

للغة: ص: ١٢٣

وقوله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ» قال صاحب العين: الارادة: أصلها الواو، لأنك تقول: راودته على أن يفعل كذا وكذا، مراودة. و منه راد، يرود، رواداً، فهو رائد بمعنى الطالب شيئاً. ويقال أرود فلان إرواداً: إذا رفق

(١) سورة البقرة آية: ١٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٤

في مشى أو غيره. و منه رويداً فلاناً: أى أمهله يتفصح منصرفاً. و منه ارتداد ارتياداً كقولك: طلب طلباً، و الرود: الميل. و فى المثل (الرائد لا يكذب أهله) أى الطالب صلاحهم لا يكذبهم، لأنه لو كذبهم غشهم. و أصل الباب الطلب. و الارادة بمتزلة الطلب للمراد، لأنها كالسبب له.

و اليسر ضد العسر. يقال: أيسر إيساراً، ويسره تيسيراً، و تيسر تيسراً، و تياسر تياسراً، و استيسر استيساراً. و اليسار: اليد اليسرى. و اليسار: الغنى، و السعة. و اليسر: الجماعة الذين يجتمعون على الجزور فى الميسر، و الجمع: الإيسار.

و فرس حسن التيسور: إذا كان حسن السمن «١». و أصل الباب السهولة.

و العسر ضد اليسر. و عسر الشيء عسراً. و رجل عسر يئن العسر. و رجل أعسر: يعمل بشماله. و أعسر الرجل إعساراً: إذا افتقر. و العسير الناقة التى اعتاضت فلم تحمل من سنتها. و بعير عسران إذا رُكب قبل أن يُراض. و أصل الباب الصعوبة.

وقوله تعالى: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يقال: كمل يكمل كمالاً، و أكمل إكمالاً، و تكامل تكاملاً، و كمله تكميلاً، و استكمل استكمالاً، و

تكمل تكملاً. و أصل الباب الكمال، و هو التمام.

الاعراب: ص : ١٢٤

و عطف باللام في قوله تعالى: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» على أحد أمرين:

أحدهما- عطف جملة على جملة، لأن بعده محذوفاً، كأنه قال: و لتكملوا العدة شرع ذلك أو أريد. و مثله قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «٢» أى أريناه. هذا قول الفراء.
الثانى- أن يكون عطفاً على تأويل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام، لأنه لما قال: «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» دل على أنه فعل ذلك ليسهل عليكم، فجاز «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» عطفاً عليه. قال الشاعر:

(١) حسن ساقطة من المطبوعة، السمن- بكسر السين و فتح الميم. [.....]

(٢) سورة الانعام آية: ٧٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٥

يا رب غير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

و مشجج أما سواء قذاله فبدا و غيب ساره المعزاء «١»

فعطف على تأويل الكلام الأول كأنه قال: بها رواكد، و مشجج. و هذا قول الزجاج و هو الأجود، لأن العطف يعتمد على ما قبله، لا على ما بعده. و عطف الظرف على الاسم في قوله: «وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ» جائز، لأنه معنى الاسم، و تقديره أو مسافراً، و مثله قوله: «دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا» كأنه قال مضطجعاً أو قائماً أو قاعداً.

المعنى: ص : ١٢٥

و اليسر المذكور في الآية: الإفطار في السفر- في قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الضحاك.

و العسر: الصوم فيه و في المرض. و العدة: المأمور بإكمالها، و المراد بها: أيام السفر، و المرض الذى أمر بالإفطار فيها و قال الضحاك، و ابن زيد: عدة ما أفطروا فيه.

و قوله «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ» المراد به تكبير ليلة الفطر عقب أربع صلوات:

المغرب، و العشاء الآخرة، و صلاة الغداة، و صلاة العيد- على مذهبن- و قال ابن عباس، و زيد بن أسلم، و سفيان، و ابن زيد: التكبير يوم الفطر.

و في الآية دلالة على فساد قول المجبرة من ثلاثة أوجه:

أحدها- قوله «هُدًى لِلنَّاسِ» فعمّ بذلك كل إنسان مكلف، و هم يقولون ليس يهدى الكفار.

(١) اللسان (شجج) ذكر البيت الثانى فقط. غير: بدل. آيهن جمع آية و هى العلامة.

و الرواكد هى حجارة توضع تحت القدر. مشجج: مضروب. قذال: مجمع عظم الرأس بدا ظهر و بان. ساره: جميعه. المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحجارة. يقول رب لا تترك لهن علامة، و افنهن جميعاً سوى حجارة الموقد، و مكسرات الرأس، و اجعل أرضهن صلبة و فيها حجارة قد رماها العدو حتى غطت عليهن جميعاً.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٦

الثاني- قوله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» والمجبرة تقول: قد أراد تكليف العبد ما لا يطيق مما لم يعطه عليه قدرة، ولا يعطيه، ولا عسر أعسر من ذلك.

الثالث- لو أن إنساناً حمل نفسه على المشقة الشديدة التي يخاف معها التلف في الصوم لمرض شديد لكان عاصياً، و لكان قد حمل نفسه على العسر الذي أخبر الله أنه لا يريد بالعبء. والمجبرة تزعم أن كلما يكون من العبد من كفر أو عسر أو غير ذلك من أنواع الفعل يريد الله.

مسائل من أحكام الصوم ص : ١٢٦

يجوز قضاء شهر رمضان متتابعاً، ومتفرقاً، فالتتابع أفضل. و به قال مالك، و الشافعي. و قال أهل العراق: هو مخير. و من أفطر في شهر رمضان متعمداً بالجماع في الفرج لزمه القضاء، و الكفارة- عندنا- و الكفارة: عتق رقبة، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فان لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً. و به قال أبو حنيفة، و الشافعي. و قال مالك هو بالخيار. و في أصحابنا من قال بذلك. و الإطعام لكل مسكين نصف صاع- عندنا- و به قال أبو حنيفة، فان لم يقدر فمد. و به قال الشافعي، و لم يعتبر العجز. فان جامع ناسياً، فلا شيء عليه. و قال مالك: عليه القضاء. و من أكل متعمداً أو شرب في نهار شهر رمضان لزمه القضاء، و الكفارة- عندنا- و هو قول أبي حنيفة و مالك. و قال الشافعي: لا كفارة عليه، و عليه القضاء و الناسى لا شيء عليه- عندنا- و عند أهل العراق، و الشافعي. و قال مالك عليه القضاء. و من أصبح جنباً متعمداً من غير ضرورة لزمه- عندنا- القضاء و الكفارة. و قال ابن حنبل عليه القضاء استحباباً. و قال جميع الفقهاء لا شيء عليه.

و من ذرعه القيء، فلا شيء عليه، فان تعمده كان عليه القضاء، و به قال أبو حنيفة و الشافعي و مالك، و قال الأوزاعي: إن غلبه، فعليه القضاء بلا كفارة. و إن التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٧

استدعاه فعليه القضاء، و الكفارة. و من أكل حصى أو نوى متعمداً فعليه القضاء، و الكفارة. و به قال مالك و الأوزاعي. و قال أهل العراق عليه القضاء بلا كفارة.

و قال ابن حنبل لا قضاء و لا كفارة.

و إذا احتلم الصبي يوم النصف من شهر رمضان صام ما بقي، و لا قضاء عليه فيما مضى، و يمسك بقية يومه تأديباً، فان أفطر فيه فلا قضاء عليه. و به قال أهل العراق. و قال مالك: أحب الى أن يقضى ذلك اليوم، و ليس بواجب. و قال الأوزاعي: يصوم ما بقي، و يقضى ما مضى منه.

و حكم الكافر إذا أسلم حكم الصبي إذا احتلم في جميع ذلك. و المجنون، و المغمى عليه في الشهر كله لا قضاء عليه- عندنا- بدلالة قوله تعالى: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ، فَلْيُصِرِّمْهُ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» و إنما أراد من شهد الشهر و هو ممن يتوجه اليه الخطاب، و المجنون و المغمى عليه ليس بعاقل يتناول الخطاب.

و قوله «وَ مَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ» المراد به إذا كان مريضاً عاقلاً، يشق عليه الصوم، أو يخاف على نفسه منه، فيلزمه «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ». و قال أهل العراق:

إن لم يفق المجنون في جميع الشهر، فلا قضاء عليه، و ان أفاق في بعضه فعليه قضاؤه كله.

و أما المغمى عليه في الشهر كله، فعليه قضاؤه، لأنه بمنزلة المريض. و قال حسن بن صالح، و مالك: المجنون، و المغمى عليه سواء، عليه قضاء الشهر كله إن جن في الشهر كله، و أغمى عليه فيه. و قال الأوزاعي: المجنون، و المغمى عليه سواء، لا- قضاء على واحد منهما ما مضى من الشهر، و يقضى ما بقي منه، فان أفاق بعد ما خرج الشهر كله فلا قضاء عليه. و هذا مثل ما قلناه. و قال الشافعي:

يقضى المغمى عليه، ولا يقضى المجنون.

والحامل، و المرضع، و الشيخ الكبير إذا أفطروا، قال أهل العراق: فى الحامل، و المرضع، يخافان على ولدهما: يفطران، و يقضيان يوماً مكانه، و لا صدقة عليهما، و لا كفارة، و به قال قوم من أصحابنا. و قال مالك الحامل تقضى، و لا تطعم و المرضع: تقضى، و تطعم لكل يوم مداً. و قال الشافعى فى رواية المزنى: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٨

عليهما القضاء فى الوجهين، و تطعم لكل يوم مداً، و هو مذهبنا، و المعمول عليه.

و فى رواية البنزلى عن الشافعى مثل قول مالك. و الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصوم يفطر و يتصدق مكان كل يوم نصف صاع فى قول أهل العراق، و هو مذهبنا.

و قال الشافعى: مد لكل يوم. و قال مالك: يفطر و لا صدقة عليه. و السفر الذى يوجب الإفطار: ما كان سفرًا حسنًا، و كان مقداره ثمانية فراسخ: أربعة و عشرين ميلاً. و عند الشافعى: ستة عشر فرسخًا. و عند أبى حنيفة: أربعة و عشرون فرسخًا. و قال داود: قليله، و كثيره يوجب الإفطار. و المرض الذى يوجب الإفطار:

ما يخاف معه التلف أو الزيادة المفرطة فى مرضه. و روى أنه كل مرض لا يقدر معه على القيام مقدار صلاته، و به قال الحسن، و عبيدة السلمانى، و فى ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف.

و من قال: إن قوله تعالى: «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يدل على أن شهر رمضان لا ينقص أبداً، فقد أبعد من وجهين:

[الاول، لأن قوله «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» معناه و لتكملوا عدة الشهر سواء كان الشهر تاماً أو ناقصاً.

و الثانى - أن ذلك راجع الى القضاء، لأنه قال عقيب ذكر السفر، و المرض:

«فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يعنى عدة ما فاتته، و هذا بين.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٦] ص : ١٢٨

إشارة

وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٢٩

النزول: ص : ١٢٩

روى عن الحسن: أن سائلاً سأل النبى (ص) أ قريب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه، فنزلت الآية. قال قتادة: نزلت جواباً لقوم سألوا النبى (ص) كيف تدعو.

المعنى: ص : ١٢٩

و قوله تعالى: «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ» معناه: إن اقتضت المصلحة إجابته، و حسن ذلك، و لم تكن فيه مفسدة «١». فأما أن يكون قطعاً لكل من يسأل فلا- بد أن يجيبه، فلا- على أن الداعى لا- يحسن منه السؤال إلا بشرط ألا يكون فى إجابته مفسدة، لا له، و لا لغيره، و إلا كان الدعاء قبيحاً. و لا يجوز أن يقيد الاجابة بالمشيئة بأن يقول: إن شئت، لأنه يصير الوعد به لا فائدة فيه، فمن أجاز ذلك فقد أخطأ. فان قيل: إذا كان لا يجيب كل من دعا، فما معنى الآية؟ قلنا معناه أن من دعا- على شرائط الحكمة

التي قدمناها، واقتضت المصلحة إجابته - أوجب لا محالة، بان يقول: اللهم افعل بي كذا إن لم يكن فيه مفسدة لى أو لغيرى فى الدين «٢» أو دنيوى. هذا فى دعائه.

و فى الناس من قال: إن الله وعد باجابة الدعاء عند مسألة المؤمنين دون الكفار، و الفاسقين. و المعتمد هو الاول. فان قيل: إذا كان ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعل به، فلا معنى للدعاء! قلنا عنه جوابان: أحدهما - أن ذلك عبادة كسائر العبادات. و مثله قوله: «رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ». و الثانى - انه لا يمتنع أن تقتضى المصلحة إجابته إذا دعا. و متى لم يدع لم تقتض الحكمة إجابته. فان قيل: هل يجوز أن تكون الاجابة غير ثواب؟ قلنا فيه خلاف. قال

(١) فى المطبوعة (فئة).

(٢) هكذا فى المطبوعة و الأولى أن يكون (فى أمر دينى).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٠

أبو على لا يكون إلا ثواباً، لأن من أجابه الله، يستحق المدح فى دين المسلمين، فلا يجوز أن يجيب كافراً، و لا فاسقاً. و كان أبو بكر بن الأخشاد يخبر ذلك فى العقل على وجه الاستصلاح له. و هذا الوجه أقرب الى الصواب. و الدعاء: طلب الطالب للفعل من غيره. و يكون الدعاء لله على وجهين: أحدهما - طلب فى مخرج اللفظ، و المعنى على التعظيم و المدح، و التوحيد: كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، و قولك: ربنا لك الحمد. الثانى - الطلب لأجل الغفران أو عاجل الانعام كقولك: اللهم اغفر لى و ارحمنى، و ارزقنى، و ما أشبه ذلك. و قوله: «فَإِنِّي قَرِيبٌ» قيل فى معناه قولان: أحدهما - إنى قريب الاجابة: سريع الاجابة، فجاز ذلك لمشاكله معنى قريب لسريع. الثانى - قريب - لأنه يسمع دعاءهم كما يسمعه القريب المسافة منهم، فجاز لفظه قريب، فحسن البيان بها. فأما قريب المسافة، فلا يجوز عليه تعالى، لأنه من صفات المحدثات.

اللغة: ص: ١٣٠

و قوله «أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» فالاجابة من الجواب، و هو القطع. يقال: جاب البلاد يوجب جوباً إذا قطع. و منه قوله تعالى: «وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» «١» أى قطعوه. و أجاب الله دعاءه إجابة، و أجاب فلان عن السؤال جواباً. و أجاب الظلام إذا قطعه. و استجاب له استجابة. و جاوبه مجاوبه، و تجاوب تجاوباً، و انجاب السحاب: إذا انقشع. و أصل الباب القطع، فاجابة السائل: القطع بما سأل، لأن سؤاله على الوقف أم لا يكون.

(١) سورة الفجر آية: ٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣١

الاعراب: ص: ١٣١

وقوله تعالى «فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي» هذه لام الأمر، لا بد منها للغائب. و أما للحاضر «١»، فيجوز فيه إثباتها وإسقاطها. كقولك قم و لتقم. و الأصل فيها أن تكون مكسورة. و يجوز فيها السكون إذا اتصلت بحرف واحد كالفاء فأما ثم، فالوجه معها الكسر، لأنها منفصلة و إنما جاز فيها السكون دون لام كي لأنه لما كان عملها التسكين جاز فيها، لا يذانه بعملها.

المعنى: ص : ١٣١

و قال أبو عبيدة: استجاب، و أجاب بمعنى واحد. و أنشد لكعب بن سعد الغنوي:

و داع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب «٢»

أى لم يجبه. و قال المبرد: هذا لا يجوز، لأن في الاستجابة معنى الإذعان، و ليس ذلك في الاجابة. و قوله «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» فى لعل جوابان:

أحدهما- ليرشدوا، فتكون دالة على العوض فى الاجابة، من الله تعالى للبعد.

الثانى- على الرجاء و الطمع، لأن يرشدوا، و يكون متعلقاً بفعل العباد.

و الرشد: نقيض الغى. يقال: رشد يرشد رشداً، و رشد يرشد رشاداً، و أرشده إرشاداً و استرشد استرشاداً، و هو لرشده خلاف لزيه. و أصل الباب إصابة الخير، فمنه الإرشاد: الدلالة على وجه الاصابة للخبر.

و روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «و لِيُؤْمِنُوا بِي» أى و ليتحققوا أنى قادر على إعطائهم ما سألوا

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٧] ص : ١٣١

إشارة

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

(١) فى المطبوعة (قلنا الحاضر) و هو تحريف.

(٢) أمالى الغالى ٢: ١٥١. و الأصمعيات: ١٤، و اللسان (جوب) و هو من قصيدة يرثى بها أخاه أبا المغوار.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٢

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ١٣٢

الرفث الجماع هاهنا بلا خلاف، و فى قراءة ابن مسعود «فلا رفوث»، و قيل: أصله فاحش القول فكنتى به عن الجماع قال العجاج:

عن اللغا و رفث التكلم «١»

و الرفث و الترفث: قول الفحش يقال رفث يرفث رفثاً.

و روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) كراهية الجماع في أول ليلة من كل شهر، إلا أول ليلة من شهر رمضان لمكان الآية و الأشبه أن يكون المراد بليلة الصيام ليالى الشهر كله. و إنما ذكر بلفظ التوحيد، لأنه اسم جنس يدل على التكثير. و معنى قوله: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ» أنهم يصرون بمنزلة اللباس، كما قال النابغة الجعدي:

(١) ديوانه: ٥٩ من رجز له طويل، حمد فيه الله و مجده بقوله:

فالحمد لله العلى الأعظم ذى الجبروت و الجلال الأفخم

الى أن قال:

و رب أسراب حجاج كظم عن اللغا و رفث التكلم

و الاسراب: القطيع من القطا أو الطباء أو الشاء أو النساء. يقصد به الحجاج. و الكظم - بفتح الكاف و الظاء - السكوت عن الكلام و حبس النفس فى الصدر. اللغا: ما لا يعتد به من الكلام. رفث التكلم: عطف بيان على اللغا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٣

إذا ما الضجيج ثنى عطفه تثنت عليه فكانت لباسا «١»

و قال قوم: معناه هنّ سكن لكم، كما قال: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» «٢» أى سكناً. و اللباس الثياب التى من شأنها أن تستر الأبدان، و يشبه بها الأغشية فيقال لبس السيف بالحلية.

و قوله تعالى: «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ» معناه أنهم كانوا لما حرم عليهم الجماع فى شهر رمضان بعد النوم. خالفوا فى ذلك فذكروهم الله بالنعمة فى الرخصة التى نسخت تلك الفريضة. فان قيل: أليس الخيانة انتقاض الحق على جهة المساترة، فكيف يساتر نفسه؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما - أن بعضهم كان يساتر بعضاً فيه فصار كأنه يساتر نفسه، لأن ضرر النقص و المساترة داخل عليه.

الثانى - أنه يعمل عمل المساترة له فهو يعمل لنفسه عمل الخائن له.

و يقال: خانه يخونه خوئاً و خيانته، و خونه تخويناً، و اختانه اختياناً، و تخونه تخوناً، و التخون: التنقص، و التخون: تغيير الحال الى ما لا ينبغى «و خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ»: «٣» مشاركة النظر الى ما لا يحل. و أصل الباب منع الحق.

و قوله تعالى: «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» أى قبل توبتكم على ما بيناه فيما تقدم. و قوله تعالى: «وَعَفَا عَنْكُمْ» فيه قولان:

أحدهما - غفر ذنبكم. الثانى - أزال تحريم ذلك عنكم، و ذلك عفو عن تحريمه عليهم. و قوله تعالى: «فَالْمَانَ بِأَشْرُوهُنَّ» أى جامعوهن، و معناه الاباحة دون الأمر، و المباشرة إلصاق: البشرة بالبشرة، و هى ظاهر أحد الجلدين بالآخر.

و قوله تعالى: «وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما - قال الحسن، و غيره: يعنى طلب الولد.

(١) الشعر و الشعراء: ٢٢٥، و مجاز القرآن لآبى عبيدة: ٦٧. و تأويل مشكل القرآن:

١٠٧، و فى بعضها (تداعت) بدل (تثنت).

(٢) سورة عم آية: ١٠.

(٣) سورة المؤمن آية: ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٤

الثانى - قال قتادة: يعنى الحلال الذى بينه الله فى الكتاب، و الابتغاء:

الطلب للبغيه، وقوله «وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا» إباحة للأكل والشرب «حَتَّى يَتَبَيَّنَ» أى يظهر، و التبين: تميز الشيء الذى يظهر للنفس على التحقيق «الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ» يعنى بياض الفجر من سواد الليل. وقيل: خيط الفجر الثانى مما كان فى موضعه من الظلام. وقيل النهار من الليل، فأول النهار طلوع الفجر الثانى لأنه أوسع ضياء. قال أبو داود «١».

فلما أضاءت لنا سدفه و لاح من الصبح خيط أنارا «٢»

و روى عن حذيفه، والأعمش، و جماعة: أن الخيط الأبيض: هو ضوء الشمس، و جعلوا أول النهار طلوع الشمس، كما أن آخره غروبها بلا خلاف فى الغروب.

و أكثر المفسرين على القول الأول، و عليه جميع الفقهاء، لا خلاف فيه بين الأمة اليوم.

اللغة: ص : ١٣٤

والخيط فى اللغة معروف يقال خاط يخيط خياطه، فهو يخيط، و خيطه تخيطاً. و الخيط: القطيع من النعام. و نعامه خيطاء: قيل: خيطها طول قصبتهما، و عنقها. و قيل: اختلاط سوادها ببياضها، و كلاهما يحتمل، فالأول، لأنه كالخيط الممدود. و الثانى - لأنه كاختلاط خيوط ببيض بسود. و المحيط الابرة. و نحوها مما يخاط به. و الأبيض نقيض الأسود. و البياض ضد السواد يقال: أبيض، و ابيض ايضاضاً و يبيضه تبيضاً، و تبيض تبيضاً. و بيضه الطير، و بيضه الحديد، و بيضه الإسلام مجتمعهم، و ابتاضوهم أى استأصلوهم، لأنهم اقتلعوا بيضهم و أصل الباب البياض.

و اسود، و اسواد اسوداداً، و سوده تسويداً، و تسود تسوداً، و ساوده

(١) هو أبو داود: الايادى.

(٢) اللسان (خيط) و الأصمعيات: ٢٨ و رواية الأصمعيات (خير أنارا) فى المطبوعه (غدوة) بدل (سدفة) و معناهما متقارب، لأن السدفة: ظلمة الليل فى لغة نجد، و الضوء فى لغة قيس و هى أيضا اختلاط للضوء و الظلمة جميعاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٥

سواداً: أى ساده سواداً، لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص فى سواد الليل. و سواد العراق: سمي به لكثرة الماء، و الشجر الذى تسود به الأرض. و سواد كل شئ شخصه. و الأسود من الحبة يجمع أساود. و سويداء القلب، و سوداؤه دمه الذى فيه فى قول: ابن دريد. و قيل حبة القلب، لأنه فى سواد من الظلمة. و ساد سؤدداً، فهو سيد، لأنه ملك السواد الأعظم، و المسود: الذى قد ساده غيره.

المعنى: ص : ١٣٥

وقوله «مِنَ الْفَجْرِ» يحتمل معنيين:

أحدهما- أن يكون بمعنى التبويض، لأن المعنى من الفجر، و ليس الفجر كله.

هذا قول ابن دريد.

الثانى - بمعنى تبين الخيط، كأنه قال: الخيط الذى هو الفجر.

وقوله: «ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» قد بينا حقيقة الصيام فيما مضى.

و الليل هو بعد غروب الشمس، و علامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق، و إقبال السواد منه، و إلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الأرض المبسوطة و عدم الجبال، و الرواسى، فقد دخل الليل.

وقوله تعالى: «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ» قيل في معناه قولان هاهنا:

قال ابن عباس، والضحاك، والحسن، و قتادة، وغيرهم: أراد به الجماع.

وقال ابن زيد، ومالك: أراد الجماع. كلما كان دونه من قبله، وغيرها.

وهو مذهبنا.

وقوله تعالى: «وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ» فالاعتكاف - عندنا - هو اللبث في أحد المساجد الأربعة: المسجد الحرام أو مسجد النبي

(ص) أو مسجد الكوفة أو مسجد البصر، للعبادة من غير اشتغال بما يجوز تركه من أمور الدنيا.

وله شرائط - ذكرناها في كتب الفقه - وأصله اللزوم. قال الطرماح: التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٦

فبات بنات الليل حولي عكفاً عكوف البواكي بينهن صريع (١)

وقال الفرزدق:

ترى حولهن المعتفين كأنهم على صنم في الجاهلية عكف (٢)

اللغة: ص: ١٣٦

وقوله تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ». فالحدّ على وجوه:

أحدها - المنع، يقال: حدّه عن كذا حدّا أي منعه. والحدّ حدّ الدار.

والحدّ الفرض من حدود الله أي فرائضه، الحدّ الجلد للزاني، وغيره. والحدّ: حدّ السيف، وما أشبهه. والحد في الحلق: الحدّة. و

الحدّ: الفرق بين الشيين. والحدّ منتهى الشيء. و حدّ الشراب: صلابته. و إحداد المرأة على زوجها: امتناعها من الزينة والطيب. و

إحداد السيف: إشحاده. و إحداد النظر الى الشيء التحديق إليه. والحديد معروف، و صانعه الحداد. و الحداد السجان. و الاستحداد

حلق الشيء بالحديد. و حادثته: عاصيته، و منه قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» (٣) و أصل الباب المنع. و الحدّ: نهاية

الشيء التي تمنع أن يدخله ما ليس منه، و أن يخرج عنه ما هو منه.

أحكام الاعتكاف: ص: ١٣٦

ولا يجوز الاعتكاف إلا بصوم، و به قال أبو حنيفة، وأصحابه، و مالك ابن أنس. و قال الشافعي يصح بلا صوم، و به قال الحسن إلا

أن يشرط. و عندنا

(١) ديوانه: ١٥٣، و اللسان (بنى) و روايته (تظل) بدل (فبات) و (قتيل) بدل (صريع). بنات الليل: الهموم. و قيل الأحلام. و الأول أليق

في هذا. كأنه يقول: ان الهموم تراكمت على. كتراكم النساء على القتيل. [.....]

(٢) ديوانه: ٥٦١، و النقائض: ٥٦٣. في المطبوعة (العقين) بدل (المعتفين) و المعتفون: الذين جاءوا يطلبون الرزق، يصفهم: جمعاً قد

وقفوا ينتظرون الطعام و العطاء متلهفين.

و هو ليس بدم لهم بل مدح بالمعطى لهم.

(٣) سورة المجادلة آية ٥، ٢٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٧

لا يكون أقل من ثلاثة أيام، و به قال أهل المدينة. و قال أهل العراق: الاعتكاف جائز في كل مسجد يصلّى فيه جماعة. و قال مالك:

لا اعتكاف إلا في موضع يصلى فيه الجمعة من المصر. وقال أهل العراق: المرأة تعتكف في مسجد بيتها. وقال مالك: لا تعتكف إلا في مسجد جماعة. وقال الشافعي: المرأة والعبد يعتكفان، وكذلك المسافر حيث شاءوا. وقد بينا ما عندنا في ذلك. ولا فرق بين الرجل والمرأة فيه. وقال مالك: لا يكون الاعتكاف أقل من عشرة أيام. وعند أهل العراق يكون يوماً. ومسائل الاعتكاف قد بينها في النهاية، والمبسوط في الفقه، فلا نطول بذكرها. والمختلف فيها ذكرناه في مسائل الخلاف.

سبب النزول: ص : ١٣٧

وقيل أن هذه الآية نزلت في شأن أبي قيس بن صرمه، فكان يعمل في أرض له، فأراد الأكل، فقالت امرأته: يصلح لك شيئاً فغلبت عيناه، ثم قدمت إليه الطعام، فلم يأكل، فلما أصبح لاقى جهداً، فأخبر رسول الله (ص) بذلك، فنزلت هذه الآية. وروى أن عمراً أراد أن يوقع زوجته في الليل، فقالت: إني نمت فظن أنها تعتل عليه، فوقع عليها، ثم أخبر النبي (ص) بذلك من الغد، فنزلت الآية فيهما.

المعنى: ص : ١٣٧

وقوله تعالى: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» يعني ما بين لهم من الأدلة على ما أمرهم به، ونهاهم عنه، لكلي يتقوا معاصي، وتعدى حدوده التي أمرهم الله بها، ونهاهم عنها، وأباحهم إياها. وفي ذلك دلالة على أنه تعالى: أراد التقوى من جميع الناس: الذين بين لهم هذه الحدود.

وروى عن أبي عبد الله (ع) أنها نزلت في خوات بن جبير مثل قصة أبي قيس بن صرمه.

وأنه كان ذلك يوم التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٨

الخدق. وروى عن أبي جعفر (ع) حديث أبي قيس سواء.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٨] ص : ١٣٨

إشارة

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)
آية

المعنى: ص : ١٣٨

قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- أن يكون ذلك على جهة الظلم، نحو الخيانة، والسرقة، والغصب، ويكون التقدير لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل كأكل مال نفسه بالباطل، ومثله «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» «١» ومعناه لا يلزم بعضكم بعضاً. وقوله: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» «٢» والمعنى لا يقتل بعضكم بعضاً.

الثاني- لا تأكلوه على وجه الهزاء واللعب، مثل ما يوجد في القمار والملاهي ونحوها، لأن كل ذلك من أكل المال بالباطل.

وقال أبو جعفر (ع) «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ» يعني باليمين الكاذبة يقتطعون بها الأموال،

و قال أبو عبد الله (ع): علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق، فنهى الله المؤمنين أن يتحاكموا إليهم، وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق.

وقوله تعالى: «وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» فالحكم هو الخبر الذي يفصل به بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الآخر. وقيل في معناه قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، والحسن، و قتادة: إنه الوديعه و ما تقوم به بينة.

الثاني- قال الجبائي: في مال اليتيم الذي في يد الأوصياء، لأنه يدفعه إلى

(١) سورة الحجرات آية: ١١.

(٢) سورة النساء آية: ٢٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٣٩

الحاكم إذا طولب به، ليقطع بعضه، و يقوم له في الظاهر حجة.

اللغة: ص: ١٣٩

يقال أدلى فلان بالمال الى الحاكم إذا دفعه إليه. و أدلى فلان بحقه و حجته:

إذا هو احتج بها و أحضرها، و دلوت الدلو في البئر أدلوها: إذا أرسلتها في البئر، و أدليتها إدلاء: إذا انتزعتها من البئر، و منه قوله تعالى: «فَأَدْلَى دَلْوَهُ» (١) أى انتزعتها. و قال صاحب العين: أدليتها إذا أرسلتها أيضاً. و أدلى الإنسان شيئاً فى مهوى، و يتدلى هو بنفسه. و الدالية معروفة.

الاعراب: ص: ١٣٩

و موضع «تدلو» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون جزماً على النهى، و عطفاً على قوله: «لا تَأْكُلُوا».

و الثانى- أن يكون نصباً على الظرف، و يكون نصبها بإضمار أن كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (٢)

لا تجمع بينهما. و الأول أجود.

المعنى: ص: ١٣٩

وقيل فى اشتقاق «تدلو» قولان: أحدهما- أن التعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الحبل. و الثانى- أنه يمضى فيه من غير تثبيت، كمضى الدلو فى الإرسال من غير تثبيت. و الباطل هو ما تعلق بالشيء على خلاف ما هو به، خبراً كان أو اعتقاداً أو تخيلاً أو ظناً. و الفريق: القطعة المعزولة من الشيء.

و الإثم الفعل الذى يستحق به الذم.

و قوله: «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» معناه إنكم تعلمون أن ذلك التفريق من المال

(١) سورة يوسف آية: ١٩.

(٢) مر تخريجه في ١: ١٩٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٠

ليس بحق لكم لأنه أشد في الزجر. وفي الآية دلالة على أن تفرقه الحاكم بشهادة الزور غير جائزة، ولا- يستباح به النكاح لأحد الشاهدين كما لا يحل ذلك في المال.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٨٩] ص : ١٤٠

إشارة

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْهَالِكِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجُّ وَ لَيْسَ الْبُرِّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبُرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ١٤٠

البيوت و السيوح و الغيوب و الجيوب- بكسر أولها- شامى و الكسائى، و الأعشى لا يكسرون، الغيوب، و يكسرهما حمزة، و يحيى إلا الجيوب. و يكسرهما ابن كثير إلا- الجيوب و الغيوب. و ابن فليح يكسرهما كلها. و قالون يكسر منها البيوت فقط. و أبو عمرو يضمها كلها.

اللغة: ص : ١٤٠

الأهله جمع هلال و سمي الهلال، لرفع الصوت بذكره عند رؤيته، و منه أهل بالحج: إذا رفع الصوت بالتلبية. و اختلف أهل العلم الى كم يسمى هلالا، فقال قوم: يسمى ليلتين هلالا من الشهر. و منهم من قال: يسمى هلالا ثلاث ليال، ثم يسمى قمراً. و قال الأصمعي: يسمى هلالا- حتى يحجر. و تحجيره: أن يستدير بخطه دقيقة. و منهم من قال: يسمى هلالا- حين يبهر ضوءه سواد الليل، فإذا غلب ضوءه، سمي قمراً. و ذلك لا يكون إلا في الليلة السابعة. و قال الزجاج: يسمى هلالا ليلتين. و اسم القمر الزبرقان، و اسم دارته الهاله. و الفخت اسم ضوءه، أو ظلمته على خلاف فيه. و اسم ظله السمر. و منه قيل: سمار الذين يتحدثون بالليل. و إنما التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤١

اقتصر في جمعه على أهله، و هو لأدنى العدد، دون الفعل الذي هو للجمع الكثير، استتقالا له في التضعيف، كما قالوا، فيما ليس بمضعف: حمار و أحمره و حمر.

المعنى: ص : ١٤١

فان قيل عما كان وقع السؤال من حال الأهله قيل عن زيادتها و نقصانها، و ما وجه الحكمة في ذلك، فأجيب بأن مقاديرها تحتاج إليه الناس في صومهم، و فطرهم، و حجهم و عدد نسائهم، و محلل ذنوبهم، و غير ذلك. و فيها دلالة واضحة على أن الصوم لا- يثبت بالعدد، و أنه يثبت بالهلال، لأن العدد لو كان مراعى، لما أحيل في مواقيت الناس في الحج على ذلك بل أحيل على العدد.

اللغة: ص: ١٤١

وقوله تعالى: «قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ» والميقات: هو مقدار من الزمان، جعل علماً لما يقدر من العمل، ومنه قوله تعالى: (إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) «١» و التوقيت:

تقدير الوقت. وقت توقيتاً، ومنه قوله تعالى: (وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتُوا) «٢» وكلما قدرت غاية، فهو موقت. والميقات: منتهى الوقت، ومنه قوله تعالى: (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ) «٣» فالآخرة ميقات الخلق. والإهلال: ميقات الشهر. وإنما لم يصرف موقيت، و صرف قوارير، لأن قوارير فاصله في رأس آية، فصرفت لتجرى على طريقه واحدة في الآيات، كالقوافي، و ليس ذلك تنوين الصرف.

المعنى: ص: ١٤١

وقوله تعالى «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى قِيلَ فِي مَعْنَاهُ وَجِهَان: أَحَدُهُمَا- «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى كَمَا قُلْنَا فِي قَوْلِهِ «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ».

(١) سورة الحجر آية: ٣٨، و سورة ص آية: ٨١.

(٢) سورة المرسلات آية: ١١.

(٣) سورة الاعراف آية: ٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٢

و الثاني - على وقوع المصدر موقع الصفة، كأنه قال: و لكن البار «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ». و قيل في معنى الآية قولان:

أحدهما- أنه كان قوم من الجاهلية إذا أحرموا، نقبوا في ظهر بيوتهم نقباً، يدخلون منه، و يخرجون، فنهوا عن التدين بذلك، و أمروا أن يأتوا البيوت من أبوابها. في قول ابن عباس، و البراء، و قتادة، و عطا. و [الثاني - قال قوم، و اختاره الجبائي: إنه مثل ضربه الله لهم. «وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» أي أتوا البر من وجهه الذي أمر الله به، و رغب فيه، و هذا الوجه حسن.

و روى جابر عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) في قوله: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ» الآية، قال: يعني أن يأتي الأمر من وجهه أي الأمور.

و روى أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) مثل قول ابن عباس سواء. و قال قوم: أراد بالبيوت النساء، لأن المرأة تسمى بيتاً على ما بيناه فيما مضى، فكأنه نهى عن إتيان النساء في أدبارها، و أباح في قبلهن. و الأولان أقوى و أجود.

و الباب: هو المدخل، تقول منه: بوب تبويباً إذا جعله أبواباً. و البواب:

الحاجب، لأنه يلزم الباب. و البابة القطعة من الشيء كالباب من الجملة.

فان قيل أي تعلق لقوله: «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» بسؤال القوم عن الأهلة؟ قلنا: لأنه لما بين ما فيه من وجه الحكمة، اقتضى لتعلموا على أمور مقدره، و لتجرى أموركم على استقامة فإنما البر أن تطيعوا أمر الله.

و من كسر (الباء) من البيوت، فلاستتقال الخروج من الضم الى الياء. و من ضم غيوب و كسر البيوت، فلأن الغين لما كان مستعلياً، منع الكسر، كما منع الامالة.

و أما الحج، فهو قصد البيت الحرام، لأداء مناسك مخصوصة بها في وقت مخصوص. و البر: النفع الحسن. و الظهر: الصفيحة المقابلة لصفيحة الوجه.

و قوله: «وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» يعني و اتقوا ما نهاكم الله عنه، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٣

و زهدكم فيه، لكي تفلحوا بالوصول الى ثوابه الذي ضمنه للمتقين.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٠] ص: ١٤٣

إشارة

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ١٤٣

القتال هو المقاتلة، و هو محاولة الفاعل لقتل من يحاول قتله، و التقاتل محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر. و الخطاب بقوله «وَ قَاتِلُوا» متوجه الى المؤمنين.

و لو قال: «تقاتلوا» لكان أمراً للفريقين. و ذهب الحسن، و ابن زيد، و الربيع، و الجبائي: الى أن هذه الآية منسوخة، لأنه قد وجب علينا قتال المشركين و إن لم يقاتلونا بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» «١» و قوله: «وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً» «٢». و روى عن ابن عباس، و مجاهد، و عمر بن عبد العزيز:

أنها غير منسوخة. و قال بعضهم: أمروا بقتال المقاتلين دون النساء. و قيل: إنهم أمروا بقتال أهل مكة. و الأولى حمل الآية على عمومها إلا من أخرجه الدليل.

و قوله «تعدوا» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها- لا تعدوا بالقتال بقتال من لم تؤمروا بقتاله. الثاني- لا تعدوا الى النساء، و الصبيان، و من قد أعطيتهم الأمان. الثالث- لا- تعدوا بالقتال على غير الدين. فان قيل: إذا كان الاعتداء في قتال من لم يقاتلهم فكيف يجوز أن يؤمروا به فيما بعد؟ قيل: إنما كان اعتداء من أجل أنه مجاوزة لما حده الله لهم مما فيه الصلاح للعباد، و لم يكن فيما بعد على ذلك، فجاز الأمر به.

و قوله: «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى دين الله، و هو الطريق الذى بينه للعباد، ليسلكوه على ما أمرهم به و دعاهم إليه.

(١) سورة التوبة آية: ٦.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٤

و قوله: «لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» معناه لا يريد ثوابهم، و لا مدحهم، كما يحب ثواب المؤمنين. و قد بينا فيما مضى أن المحبة هي الارادة. و إنما قلنا إنها من جنس الارادة، لأن الكراهة تنافياها، و لا يصح اجتماعهما، و لأنها تتعلق بما يصح حدوثه لا كالارادة، فلا يصح أن يكون محباً للايمان كارهاً له، كما بينا فى أن يكون مريداً له و كارها. و تعلق المحبة بأن يؤمن، كتعلق الارادة بأن يؤمن. و إنما اعتيد فى المحبة الحذف، و لم يعتد ذلك فى الارادة، فيقال: الله يحب المؤمن، و لا يقال: الله يريد المؤمن. و قوله: «لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ظاهره يقتضى أنه يسخط عليهم، لأنه على وجه الذم لهم إذ لا يجوز أن يطلق على من لا ذنب له من الأطفال، و المجانين.

و الاعتداء مجاوزة الحق. و أصله المجاوزة، يقال: عدا إذا جاوز حده فى الاسراع.

و روى عن أئمتنا (ع) أن قوله تعالى: (وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ناسخ لقوله: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» «١» و كذلك قوله:

«وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ» (٢) ناسخ لقوله «وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَّ أَدَاهُمْ» (٣).

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩١] ص: ١٤٤

إشارة

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُواكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)
آية واحدة بلا خلاف.

(١) سورة النساء آية: ٩٠.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٤٨. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٥

القراءة: ص: ١٤٥

قرأ حمزة، و الكسائي، (و لا تقتلوهم) (حتى يقتلوكم) (فان قتلوكم) كله بغير ألف. الباقرن بألف في جميع ذلك.

المعنى: ص: ١٤٥

و المعنى لا تبدؤهم بقتل و لا قتال حتى يبدؤكم. إلا أن القتل نقض بنية الحياة، و القتال محاولة القتل ممن يحاول القتل.
و قوله: «وَأَقْتُلُوهُمْ» أمر للمؤمنين بقتل الكفار «حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ».

الاعراب: ص: ١٤٥

و يجوز في حيث ثلاثة أوجه: ضم الثاء، و فتحها، و كسرهما، فالضم لشبهها بالغاية، نحو قبل و بعد، لأنه منع الاضافة الى المفرد مع لزوم معنى الاضافة له، فجرى لذلك مجرى قبل و بعد في البناء على الضم، و لا يجب مثل ذلك في (إذ) لأنها مبنية على الوقف، كما أن (مذ) لا يجب فيها ما يجب في منذ. و الفتح، لأجل الياء، كما فتحت (أين، و كيف) و الكسر فعلى أصل الحركة، لالتقاء الساكنين. و إنما كتبت بغير ألف - في الثلاث و الكلام «١» في المصحف للإيجاز، كما كتبوا الرحمن بلا ألف. و كذلك صالح و خالد، و ما أشبهها، من حروف المدّ و اللين، لقوتها على التغيير.

اللغة: ص: ١٤٥

و قوله «ثَقِفْتُمُوهُمْ» تقول: ثقفته أثقفه ثقفاً: إذا ظفرت به، و منه قوله:

«فَإِمَّا تَثَقَفَنَّهْمُ فِي الْحَرْبِ» (٢) و ثقفت الشيء ثقافة: إذا حذقته، و منه اشتقاق الثقافة بالسيف، و قد ثقف ثقافة فهو ثقف. و الثقافة حديده تكون مع القواس، و الزمّاح يقوم بها المعوج. و ثقف الشيء ثقفاً: إذا لزم، و هو ثقف إذا كان سريع

(١) هكذا في المطبوعة. و في العبارة سقط.

(٢) سورة الانفال آية: ٥٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٦

التعلم. و ثقفته تثقيفاً: إذا قومته. و أصل الباب: التثقيف التقيوم.

المعنى: ص : ١٤٦

وقوله «وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» قال الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و ابن زيد، و جميع المفسرين: إنها الكفر. و أصل الفتنة الاختبار، فكأنه قال:

و الكفر الذى يكون عند الاختبار أعظم من القتل فى الشهر الحرام و وجه قراءة من قرأ (و لا- تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه) أنه جاء فى كلام العرب إذا قتل بعضهم، قالوا: قتلنا، فتقديره حتى يقتلوا بعضكم.

و معنى قوله «وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ» أى أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها. و روى أن هذه الآية نزلت فى سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار فى الشهر الحرام، فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله تعالى أن الفتنة فى الدين أعظم من قتل المشركين فى الشهر الحرام و إن كان محظوراً لا يجوز.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٢] ص : ١٤٦

فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢)

معنى قوله تعالى: «فَإِنْ انْتَهَوْا» يعنى عن كفرهم بالتوبة منه، فى قول مجاهد، و غيره من المفسرين. و الانتهاء الامتناع يقال: نهى نهياً، و أنهى إنهاء، و تنهى تنهياً، و النهى الزجر عن الفعل بصيغته (لا تفعل) و الأمر الدعاء الى الفعل بصيغته (افعل) مع اعتبار الرتبة. و النهى الغدير يكون له الحاجز يمنع الماء أن يفيض، فالنهي بمنزلة المنع. و نهاية الشيء غايته. و نهية الوتد: الفرض، و هو الحز في رأسه الذى يمنع الحبل أن ينسلخ، لأنه ينهيه عن ذلك. و النهى: جمع نهية. و هى العقل. و التنهاية و جمعها تنهى، و هى مواضع تنهيط. و يتنهى إليها ماء السماء.

و الإنهاء إبلاغ الشيء نهايته. و فى الآية دلالة على أنه يقبل توبة القاتل عمداً، لأنه بين أنه يقبل توبة المشرك، و هو أعظم من القتل، و لا يحسن أن يقبل التوبة من الأعظم، و لا يقبل من الأقل، فان قيل فما معنى جواب الشرط، و الله غفور التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٧

رحيم و إن لم ينتهوا، الجواب: إن معناه فان الله غفور لهم رحيم بهم، و يجوز فان الله يغفر لهم، لأنه غفور رحيم، و اختصر الكلام لدلالة ما تقدم على أنه فى ذكرهم و إن الذى اقتضى انتهاءهم إنما هو ذكر المغفرة لهم، فكان الدلالة عليها بغير إفصاح عنها أحسن لما فى ذلك من الإيجاز، و الاحالة على الاستدلال لتمكين الاشعار لمتضمن الكلام، و المغفرة: تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع فى الحكم.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٣] ص : ١٤٧

وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)
آية.

المعنى: ص: ١٤٧

هذه الآية ناسخة للأولى التي تضمنت النهي عن القتال عند المسجد الحرام حتى يبدءوا بالقتال فيه، لأنه أوجب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الإسلام في قول الجبائي، والحسن، وغيره، وعلى ما حكيناه عن ابن عباس، وعمر ابن عبد العزيز: أن الأولى ليست منسوخة، فلا تكون هذه ناسخة بل تكون مؤكدة،

والفتنة الشرك في قول ابن عباس، و قتادة، ومجاهد، والربيع، وابن زيد، وهو المروى عن أبي جعفر (ع).
و إنما سمي الكفر فتنة، لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك كما تؤدي الفتن إلى الهلاك، ولأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار، والفتنة إنما هي الاختبار. والدين هاهنا قيل في معناه قولان:
أحدهما- الإذعان لله بالطاعة كما قال الأعشى:
هو دان الرباب إذ كرهوا هو اللد ين دراكا بغزوة و صيال «١»

(١) ديوانه: ١١، رقم القصيدة ١. قيل: انه قالها في مدح الأسود بن المنذر اللخمي أخى النعمان بن المنذر لأمه، و أم الأسود من تيم الرباب. وقيل: انه قالها في مدح المنذر بن الأسود لما غز الحليفين، أسداً و ذبيان، ثم أغار على- رهط الأعشى- بنى ساعدة بن ضبة بن ثعلبة و كان الأعشى غائباً، فلما قدم وجد الحى مباحاً فاتاه، فأنشده، و سأله أن يهبه الأسرى، ففعل- و الرباب- بكسر الراء- بنو عبد مناة بن أد، و هم تيم و عدى و عوف و ثور، اجتمعوا فتحالفوا مع بنى عمهم ضبة تيم بن أد، فجاءوا برب (تمر مطبوخ) فغمسوا أيديهم فيه، فسموا الرباب.

و قوله: دان الرباب أى أذلهم و حملهم على الطاعة. و قوله: دراكا أى تتابعاً.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٨

و الثانى- الإسلام دون الكفر. و أصل الدين العادة في قول الشاعر: «١»

تقول إذا درأت لها و ضينى أ هذا دينه أبداً و دينى «٢»

و قال آخر:

كدينك من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بما سل «٣»

و قد استعمل بمعنى الطاعة في قوله تعالى: «ما كان ليأخذ أخاه في دين المليك» «٤» و استعمل بمعنى الإسلام، لأن الشريعة فيه يجب أن تجرى على عادة قال الله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» «٥».

و قوله: «فَإِنْ انْتَهَوْا» معناه امتنعوا من الكفر و أذعنوا بالإسلام، «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» أى فلا- قتل عليهم، و لا- قتل إلا- على الكافرين المقيمين على الكفر، و سمي القتل عدواناً مجازاً من حيث كان عقوبته على العدوان، و الظلم، كما قال: «فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» «٦» و كما قال «وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» «٧» و كما قال: «وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا» «٨» و حسن ذلك لاندواج الكلام، و مزاجته هاهنا على المعنى، لأن تقديره «فَإِنْ انْتَهَوْا» عن العدوان، «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ». فان قيل: أ يجوز أن تقول لا ظلم إلا على الظالمين كما جاز «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ»؟ قلنا: على القياس لا- يجوز، لأن ذلك مجاز، و المجاز لا يقاس عليه- عند المحصلين- لثلاث تلتبس الحقيقة بالمجاز. و إنما جاز في المزاجه، لأن الكلام

- (١) هو المثقب العبدى.
- (٢) اللسان (دين)، (درأ)، (وضن) و روايته (دأبه) بدل (دينه). ردأت لها وضينى: أى وضعت عنها حملها، و الوضين هو المنسوج من أى شىء كان.
- (٣) لم أجد هذا البيت فيما حضرني من المصادر.
- (٤) سورة يوسف آية: ٧٦.
- (٥) سورة آل عمران آية: ١٩.
- (٦) سورة البقرة آية: ١٩٤.
- (٧) سورة الشورى آية: ٤٠.
- (٨) سورة النحل آية: ١٢٦.
- التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٩
- معه أبلغ، و أبلغ، كما قال عمرو بن شاس الأسدى:
- جزينا ذوى العدوان بالأمس فرضهم قصاصاً سواء حذوك النعل بالنعل «١»
- و أصل الظلم الانتقاص. من قوله تعالى «وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً» «٢» و حقيقة ما قدمنا ذكره من أنه ضرر محض لا نفع فيه يوفى عليه عاجلاً و لا آجلاً و لا هو واقع على وجه المدافعة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٤] ص: ١٤٩

إشارة

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)

آية واحدة بلا خلاف.

أشهر الحرم أربعة: رجب، و هو فرد و ثلاثه أشهر سرد: ذو القعدة، و ذو الحجة، و المحرم. و المراد هاهنا: ذو القعدة، و هو شهر الصد عام الحديبية. و إنما سمي الشهر حراماً، لأنه كان يحرم فيه القتال، فلو أن الرجل يلقي قاتل أبيه أو ابنه لم يعرض له بسبيل و سمي ذو القعدة، لعودهم فيه عن القتال.

الاعراب: ص: ١٤٩

و الشهر مرتفع بالابتداء، و خبره بالشهر الحرم، و تقديره: قتال الشهر الحرم أى فى الشهر الحرم، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه. و يحتمل أن يكون تقديره: الشهر الحرم على جهة العوض لما فات من الحج فى السنة الأولى.

المعنى: ص: ١٤٩

و قوله: «وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- «الْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ» بالمراغمة بدخول البيت فى الشهر الحرم. قال

(١) تفسير الطبري ٣: ٥٧٣.

(٢) سورة الكهف آية: ٣٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٠

مجاهد: لأن قريشاً فخرت بردها رسول الله (ص) - يوم الحديبية - محرماً - في ذى القعدة - عن البلد الحرام، فأدخله الله عز وجل مكة في العام المقبل في ذى القعدة، ففضى عمرته، وأقصه بما حيل بينه وبينه يوم الحديبية، وهو معنى قول قتادة، والضحاك، والربيع، وابن زيد.

وروى عن ابن عباس، وأبي جعفر محمد بن علي (ع) مثله.

والقول الثاني - «وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ» بالقتال في الشهر الحرام أى لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً. وقال الحسن: إن مشركى العرب قالوا لرسول الله (ص):

أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام، قال نعم، فأراد المشركون أن يغزوه في الشهر الحرام، فيقاتلوه، فأنزل الله تعالى: «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ» أى إن استحلوا منكم في الشهر الحرام شيئاً، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم. وبه قال الزجاج، والجبائي.

وإنما جمع الحرمات لأحد أمرين: أحدهما - إنه يريد حرمة الشهر، وحرمة البلد، وحرمة الإحرام.

الثاني - كل حرمة تستحل، فلا يجوز إلا على وجه المجازاة. وفي الناس من قال: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: «قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً» (١) وقال آخرون ليست منسوخة، لأنه يجوز اجتماعه مع تلك الفريضة - وهو الأولى - لأنه لا دلالة على نسخها. والحرام: هو القبيح الممنوع من فعله. والحلال: المطلق المأذون فيه.

والقصاص الأخذ للمظلوم من الظالم، من أجل ظلمه إياه. فان قيل: كيف جاز قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» مع قوله «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» (٢) قلنا الثاني ليس باعتداء على الحقيقة، وإنما هو على وجه المزاج، ومعناه المجازات على ما بينا. والمعتمدى مطلقاً لا يكون إلا ظالماً لضرر قبيح، وإذا كان مجازاً فإنما يفعل ضرراً

(١) سورة التوبة آية: ٣٧. [.....]

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥١

حسناً. فان قيل: كيف قال بمثل ما اعتدى عليكم، والأول جور، والثاني عدل؟

قلنا، لأنه مثله في الجنس وفي مقدار الاستحقاق، لأنه ضرر، كما أن الأول ضرر، وهو على مقدار ما يوجب الحق في كل جرم. وقيل إن عدا، واعتدى لغتان بمعنى واحد، ومثله قرب واقترب، و جلب واجتلب. وقال قوم: في افتعل مبالغه ليس في فعل. ومعنى قوله: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» يعنى بالنصرة لهم، كأنه قال:

«أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» بالنصرة أو إن نصره الله معهم. وأصل (مع) المصاحبة في المكان أو الزمان.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٥] ص: ١٥١

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ١٥١

أمر الله تعالى جميع المكلفين المتمكنين من الإنفاق في سبيل الله: أن ينفقوا في سبيله، و سبيل الله: هو كل طريق شرعه الله تعالى لعباده، و يدخل فيه الجهاد، و الحج، و عمارة القناطر، و المساجد، و معاونة المساكين، و الأيتام، و غير ذلك، و الإنفاق: هو إخراج الشيء عن ملك مالكة إلى ملك غيره، لأنه لو أخرجته إلى هلاك لم يسم إنفاقاً.
و قوله تعالى: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» معناه لا تطرحوا أنفسكم في الهلاك، بأن تفعلوا ما يؤدي إليه. و حقيقة الإلقاء تصير الشيء إلى جهة السفلى.
و إنما يقال: ألقى عليه مسألة مجازاً، كما يقال: طرح عليه مسألة.

الاعراب: ص : ١٥١

و الباء في قوله بأيديكم يحتمل وجهين: أحدهما- أن تكون زائدة كقولك التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٢
تعلقت زيدا، و تعلقت بزید و جذبت الثوب، و جذبت بالثوب، و علمته، و علمت به.
قال الشاعر:

و لقد ملأت على نصيب جلده بمساءة إن الصديق يعاتب «١»

و المراد ملأت جلده مساءة. و الثاني- أن يكون على أصل الكلام من وجهين:

أحدهما- أن كل فعل متعد إذا كنى عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء، كقولك ضربته ثم تكنى عنه فتقول فعلت به. و الآخر أن تقول: أوقعت الضرب به فجاء على أصل الأفعال المتعدية.
و الوجه الآخر: أنه لما كان معناه: لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم، فدخلت الباء ليدل على هذا المعنى، و هو خلاف أهلك نفسه بيد غيره.

المعنى: ص : ١٥٢

و قيل في معنى الآية وجوه: أحدها- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الضحاك، و هو المروى عن حذيفة، و ابن عباس: إن معناها «لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» بالامتناع من الإنفاق في سبيل الله. الثاني- ما روى عن البراء ابن عازب، و عبدة السلماني: لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة. الثالث- ما قال البلخي، من أن معناها: لا- تتفحموا الحرب من غير نكايه في العدو، و لا- قدرة على دفاعهم. الرابع- ما قاله الجبائي لا تسرفوا في الإنفاق الذي يأتي على النفس.
و الأولى حمل الآية على عمومها في جميع ذلك.

اللغة: ص : ١٥٢

و التهلكة، و الهلاك واحد. و قيل: التهلكة: ما أهلكهم الله عنده. و أصل الهلاك الضياع، و هو مصدر ضاع الشيء بحيث لا يدرى أين هو، و منه يقال للكافر:
هالك، و للميت: هالك، و للمعذب: هالك. و الهلوك: المهوأة البعيدة، لأن الذي يهوى فيها هالك. و الهلوك: الفاجرة. و الهلوك:

المتحيرة، تشبيهاً بالهلوك: الفاجرة

(١) لم أجد هذا البيت الا في مجمع البيان و روايته (يعاقب) بدل (يعاتب).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٣

التي تمايل في مشيتها، تقول: هلكت يهلك هلكا، و هلاكا، و أهلكه إهلاكا، و تهالك تهالكا، و اهتلك اهتلاكا: إذا ألقى نفسه في المهالك. و استهلكه استهلاكا، و انهلك انهلاكا. إذا حمل نفسه على الأمر الصعب. و الهالكى: الحداد. و أصل ذلك أن بنى الهالك بن عمر، كانوا قيوناً، فسمى بذلك كل قين: هالكياً. و التهلكة: كلما كان عاقبته الى الهلاك. و الهالك: الفقير الذى بمضيعة.

و الإحسان: هو الإفضال الى المحتاج، فى قول زيد بن أسلم. و حدّ الإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير، و ليس المحسن من فعل الفعل الحسن، لأن الله تعالى بفعل العقاب و هو حسن، و لا يقال: إنه محسن به، و لا يسمى مستوفى الدين محسناً، و إن كان حسناً، فان أطلق ذلك فى موضع، فعلى وجه المجاز. و إنما اعتبرنا أن يكون النفع حسناً، لأن من أوصل نفعاً قبيحاً الى غيره لا يقال: إنه محسن اليه. و قد بينا حقيقة المحبّة، فيما مضى، فلا وجه لإعادته، و محبة الله للمحسنين: إرادة الثواب بهم و المنفعة لهم. و قال عكرمة: أحسنوا الظن بالله يراكم. و قال ابن زيد:

أحسنوا بالعود على المحتاج «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»

و روى عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: لو أن رجلاً أنفق ما فى يديه فى سبيل من سبيل الله ما كان أحسن و لا وفق لقوله «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» يعنى المقتصدین.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٦] ص: ١٥٣

إشارة

وَ اتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٤

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص: ١٥٤

و روى عن الشعبي: أنه قرأ «و العمره لله» رفعا، و ذهب إلى أنها ليست واجبة، كما قال أهل العراق. و عندنا، و عند الشافعى: أنها واجبة، كوجوب الحج.

و القراء كلهم على النصب، و العمره عطفاً على قوله «وَ اتَّمُوا الْحَجَّ» و تقديره، و أتموا العمره لله. و أمر الله تعالى جميع من توجه إليه و جوب الحج أن يتم الحج و العمره. و قيل فى إتمام الحج و العمره أقوال:

أحدها- أنه يجب أن يبلغ آخر أعمالهما بعد الدخول فيهما و هو قول مجاهد، و أبى العباس المبرد، و أبى على الجبائى.

و الثانى- قال سعيد بن جبیر، و عطاء، و السدى: إن معناه إقامتهما الى آخر ما فيهما، لأنهما واجبان.

الثالث- قال طاوس: إتمامهما إفرادهما.

الرابع- قال قتادة: الاعتمار في غير أشهر الحج. و أضح الأقوال الأول.

و الحج هو القصد الى البيت الحرام، لأداء مناسك مخصوصة بها في أوقات مخصوصة. و مناسك الحج تشتمل على المفروض، و المسنون. و المفروض يشتمل على الركن، و غير الركن، فأركان الحج أولاً: النية، و الإحرام، و الوقوف بعرفة، و الوقوف بالمشعر، و طواف الزيارة، و السعى بين الصفا و المروة. و الفرائض التي ليست بأركان: التلبية، و ركعتا طواف الزيارة، و طواف النساء، و ركعتا الطواف له.

و المسنونات: الجهر بالتلبية و استلام الأركان، و أيام منى، و رمى الجمار، و الحلق أو التقصير، و الأضحية إن كان مفرداً. و إن كان متمتعاً فالهدى واجب عليه، و إلا- فالصوم الذي هو بدل عنه، و تفصيل ذلك ذكرناه في النهاية، و المبسوط، و الجمل و العقود، لا نطول بذكره. و في هذه المناسك خلاف كثير- بين الفقهاء- ذكرناه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٥ في مسائل الخلاف.

و العمرة واجبة كوجوب الحج، و به قال الحسن، و ابن عباس، و ابن مسعود، و ابن عمر، و عطاء، و ابن جبير، و عمرو بن عبيد، و واصل بن عطاء، و الشافعي.

و قال ابراهيم النخعي، و الشعبي، و سعيد بن جبير، و أهل العراق: إنها مسنونة.

و عن ابن مسعود فيه خلاف، فمن قال: إنها غير واجبة قال: لأن الله تعالى أمر بإتمام الحج و العمرة، و وجوب الإتمام لا يدل على أنه واجب قبل ذلك، كما أن الحج المتطوع به يجب إتمامه و إن لم يجب الدخول فيه، قالوا: و إنما علينا وجوب الحج بقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» (١). و هذا ليس بصحيح، لأننا قد بينا أن معنى أتموا الحج و العمرة أقيموهما، و هو المروى عن علي (ع) و عن علي بن الحسين مثله، و به قال مسروق، و السدي.

و العمرة هي الزيارة في اللغة. و في الشرع عبارة عن زيارة البيت لأداء مناسك مخصوصة أي وقت كان من أيام السنة. و أفعال العمرة الواجبة: النية، و الإحرام، و الطواف، و الصلاة عند المقام، و السعى بين الصفا و المروة، و طواف النساء. و في بعض ذلك خلاف ذكرناه في الخلاف.

و قوله «فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ» فيه خلاف، قال قوم: فان منعكم خوف، أو عدو، أو مرض، أو هلاك بوجه من الوجوه، فامتنعتم لذلك. و قال آخرون: إن منعكم حابس قاهر. فالأول قول مجاهد، و قتادة، و عطاء، و هو المروى عن ابن عباس.

و هو المروى في أخبارنا. و الثاني ذهب اليه مالك بن أنس. فالأول أقوى لما روى في أخبارنا، و لأن الإحصار هو أن يجعل غيره بحيث يمتنع من الشيء. و حصره منعه، و لهذا يقال: حصر العدو، و لا يقال: أحصر.

اللغة: ص: ١٥٥

و اختلف أهل اللغة في الفرق بين الإحصار، و الحصر، فقال الكسائي،

(١) سورة آل عمران آية: ٩٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٦

و أبو عبيدة، و أكثر أهل اللغة: إن الإحصار المنع بالمرض، أو ذهاب النفقة.

و الحصر بحبس العدو و قال الفراء: يجوز كل واحد منهما مكان الآخر، و خالف في ذلك أبو العباس، و الزجاج، و احتج المبرد بنظائر ذلك. كقولهم حبسه أي جعله في الحبس و أحبسه أي عرّضه للحبس، و قتله: أوقع به القتل، و أقتله: عرّضه للقتل، و قبره: دفنه

في القبر، و أقبره: عرضه للدفن في القبر، فكذلك حصره: حبسه أى أوقع به الحصر، و أحصره: عرّضه للحصر. و يقال: أحصره إحصاراً. إذا منعه، و حصره يحصره حصراً إذا حبسه، و حصر حصراً: إذا عيى فى الكلام. و حاصره محاصرة: إذا ضيق عليه فى القتال. و الحصر الضيق. هذا حصر شديد. و الحصر:

الذى لا ييوح بسرّه، لأنه قد حبس نفسه عن البوح به. و الحصر: الملك. و الحصر:

المحبس، و منه قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) «١» و الحصور:

الذى لا إربة له فى النساء. و الحصور: الغيوب المحجّم عن الشىء. و الحصر البخيل لحبسه رفته، و أصل الباب: الحبس.

الاعراب: ص : ١٥٦

و قوله: «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» موضع (ما) رفع، كأنه قال: فعلية «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ». و يجوز النصب و تقديره: فليهدى ما استيسر من الهدى.

و الرفع أقوى لكثرة نظائره، كقوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ» و قوله «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» «٢» و قوله «فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ».

المعنى: ص : ١٥٦

و فى معنى «فَمَا اسْتَيْسَرَ» خلاف،

فروى عن على (ع)، و ابن عباس، و الحسن، و قتادة: أنه شاء.

و روى عن ابن عمر، و عائشة: أنه ما كان من الإبل و البقر دون غيره، و وجّها التيسر على ناقه دون ناقه، و بقرة دون بقرة. و الأول هو المعمول عليه عندنا.

(١) سورة الاسراء آية: ٨.

(٢) سورة البقرة آية: ١٨٤، ١٨٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٧

اللغة: ص : ١٥٧

و فى اشتقاق الهدى، و أصله قولان:

أحدهما- أنه من الهدية، يقال منه: أهديت الهدية إهداء، و أهديت الى البيت الهدى إهداء، فعلى هذا يكون هدياً لأجل التقرب به الى الله بإخلاص الطاعة فيه، على ما أمر به.

الثانى- من هديته هدى: إذا سقته الى طريق الرشاد، و واحد الهدى هدية، و روى أبو عبيدة عن أبى عمرو: أنه لا يعرف له نظير إلا جديّة السرج و جدى، و قال المبرد: و هو مطرد فى الأجناس، كتمرة و تمر، و شريّة و شرى، و هو الحنظل.

و قوله «وَلَا تَخْلُقُوا رُؤُسَكُمْ» معناه لا تزيلوا شعور رؤوسكم: يقال حلق يحلق حلقاً، و حلق تحليقاً، و انحلق انحلاقاً. و الحلق: مجرى الطعام، و الشراب فى المرى. و الحلقة: حلقة القوم، و حلقة الحديد، و الحلقة السلاح، و يقال أيضاً بالتخفيف. و حلق الطائر فى الهواء إذا ارتفع، و هوى من حالق أى من علو الى سفلى. و حلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها. و حلاق المنيّة، و جاء بالحلق إذا جاء بالمال الكثير. و المحلق: محلق الشعر كالموسى. و حلق الأرض مجاريها فى أوديتها.

و المحلق: موضع حلق الرأس بمنى. و أصل الباب الاستمرار.

و الرؤوس جمع رأس يقال: رأس يرأس رأسه، و ترأس ترأساً، و رأسه ترئيساً. و الرأس أعلى كل شيء، و الرؤاسى العظيم الرأس فوق قدره، و كلبه رؤس: و هى التى تساور رأس الصيد. و سحابة رأيسه: و هى التى تتقدم السحاب. و رجل مرعوس إذا أصابه البرسام فى رأسه. و رأس فلان فلاناً إذا ضربه على رأسه. و أصل الباب الرأس. و قوله: «حَتَّى يَبْلُغَ الْهَيْدَى مَحَلَّهُ» معناه حتى ينتهى إليه، يقال: بلغ يبلغ بلوغاً، و أبلغه إبلاغاً، و بلغه تبليغاً، و بالغ مبالغه، و تبالغ تبالغاً، و تبلغ تبالغاً، و بلغ الرجل بلاغه إذا صار بليغاً. و البلغة: القوت. و أصل الباب البلوغ، و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٨ الانتهاء، فمنه البلاغه، لأنها تبلغ بالمعنى الى القلب.

المعنى ص: ١٥٨

و قيل فى محل الهدى قولان: أحدهما- ما روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن، و عطا: أنه الحرم فإذا ذبح به يوم النحر أحل. و الثانى- قال مالك: إنه الموضع الذى صد فيه، و هو المكان الذى يحل نحره فيه قال، لأن النبى (ص) نحر الهدى، و أمر أصحابه فنحروا بالحديبية. و عندنا:

أن الأول حكم المحصر بالمرض، و الثانى حكم المحصور بالعدو، و روى أيضاً أن محله منى إن كان فى الحج، و إن كان فى العمرة فمكة.

و قوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ» فالأذى كلما تأذيت به و رجل آذ إذا كان شديد التأذى تقول: آذى يآذى أذى. و أصله الضرر بالشىء، و روى أصحابنا أن هذه الآية نزلت فى إنسان يعرف بكعب بن عجرة. و روى أيضاً ذلك أصحاب التأويل فى أنه كان قد قمل رأسه فأنزل الله فيه هذه الآية، لكنها محمولة على جميع الأذى. و قوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ» فالذى رواه أصحابنا أن الصيام ثلاثة أيام أو صدقة ستة مساكين. و روى عشرة مساكين. و النسك شاء. و فيه خلاف بين المفسرين. و روى عن كعب بن عجرة الانصارى، و مجاهد، و علقمة، و ابراهيم، و الربيع، و اختاره الجبائى: مثل ما قلناه: إن الصوم ثلاثة أيام و الإطعام لسته مساكين. و قال الحسن و عكرمة: صوم عشرة أيام أو إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع بلا-خلاف. و لم يختلفوا فى النسك أنه شاء. و النسك: جمع نسيكه، و يجمع أيضاً نسائك، كصحيفة و صحائف و صحف.

و قوله «فَإِذَا أَمِنتُمْ» معناه أمنتكم أن يحصركم العدو أو أمنتكم المرض «فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ»، ففرض التمتع- عندنا- هو اللازم لكل من لم يكن من حاضرى المسجد الحرام، و حد حاضرى المسجد الحرام: من كان على اثنى عشر ميلا التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٥٩

من كل جانب الى مكة، ثمانية و أربعين ميلا، فما خرج عنه فليس من الحاضرين، لا يجوز له مع الإمكان غير التمتع، و عند الضرورة، يجوز له القران و الافراد. و من كان من حاضرى المسجد الحرام، لا يجوز له التمتع، و إنما فرضه القران أو الافراد على ما نفسه فى القران و الافراد، و سياق المتمتع أن يحرم من الميقات فى أشهر الحج و هى: شوال، و ذو القعدة، و عشر من ذى الحجة، ثم يخرج الى مكة، فيطوف بالبيت، و يسعى بين الصفا و المروة، و يقصر، ثم ينشئ إحراماً آخر بالحج من المسجد الحرام، و يخرج الى عرفات، و يقف هناك، و يفيض الى المشعر، و يغدوا منها الى منى، و يقضى مناسكه هناك، و يدخل فى يومه الى مكة، فيطوف بالبيت طواف الزيارة، و يسعى بين الصفا و المروة، و يطوف طواف النساء، و قد أحل من كل شىء و يعود الى منى، فبيت ليلالى بها، و يرمى الجمار فى ثلاثة أيام- على ما شرحناه فى النهاية، و المبسوط- و فى بعض ذلك خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف و للمفسرين فى

التمتع أربعة أقوال: فالأول

رواه أنس بن مالك: أن النبي (ص) أهل بعمره وحجته، و سموه قارناً

، و أنكرك ذلك ابن عمر، و الثاني روى ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن المسيب و عطاء، و اختاره الجبائي: و هو أن يعتمر في أشهر الحج ثم يأتي مكة، فيطوف، و يسعى، و يقصر ثم يقيم حلالاً الى يوم التروية، أو يوم قبله، فيهل فيه بالحج من مكة، ثم يحج. و هذا مثل ما قلناه سواء. و قال البلخي: إن هذا الضرب كرهه عمر، و نهى عنه، و كرهه ابن مسعود. الثالث- هو الناسخ للحج بالعمرة رواه جابر بن عبد الله، و أبو سعيد الخدري: أن رسول الله (ص) أمرهم- و قد أهلوا بالحج، لا ينوون غيره- أن يعتمروا ثم يحلوا الى وقت الحج

، هذا عندنا جائز أن يفعل. و روى عن أبي ذر: أنها كانت لأصحاب النبي (ص) خاصة. و كذلك يقولون: إن عمراً أنكرك هذه المتعة.

الرابع- قال ابن الزبير: إن المحصر إذا دخل مكة بعد فوت الحج، تمتع بالعمرة، لأنه يحل بها الى وقت الحج، و كذلك من اعتمر في غير أشهر الحج ثم حج تلك السنة، فهو المتمتع، و لا هدى عليه. و هذا عندنا فاسد بما قدمناه. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٠

وقوله تعالى: «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ» فالهدى واجب على المتمتع بلا خلاف، لظاهر التنزيل، على خلاف فيه أنه نسك أو جبران، فعندنا أنه نسك، و فيه خلاف فان لم يجد الهدى و لا ثمنه، صام ثلاثة أيام في الحج، و عندنا أن وقت صوم الثلاثة أيام: يوم قبل التروية، و يوم التروية، و يوم عرفه، فان صام في أول العشرة جاز ذلك رخصة. و إن صام يوم التروية و يوم عرفه قضى يوماً آخر بعد التشريق فان فاته يوم التروية صام بعد القضاء من التشريق ثلاثة أيام متتابعات، و روى عن ابن عباس، و ابن عمر، و الحسن، و مجاهد: أنه يجوز ما بين إحرامه في أشهر الحج الى يوم عرفه. و استحبا أن يكون يوماً قبل التروية، و يوم عرفه. و وقت صوم السبعة أيام إذا رجع الى أهله، و به قال عطاء، و قتادة. و قال مجاهد: إذا رجع عن حجه في طريقه. فأما أيام التشريق، فلا يجوز صومها عندنا، و به قال جماعة من المفسرين، و اختاره الجبائي، لنهي النبي (ص) عن صوم أيام التشريق. و روى عن ابن عمر، و عائشة جواز ذلك.

وقوله: «تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» اختلفوا في معناه، فقال الحسن، و الجبائي،

و هو المروى عن أبي جعفر (ع) أن المعنى كاملة من الهدى أى إذا وقعت بدلا منه، استكملت ثوابه.

الثانى- ما ذكره الزجاج، و البلخي أنه لازالة الإيهام لثلا يظن أن (الواو) بمعنى (أو) فيكون كأنه فصيام ثلاثة أيام في الحج أو سبعة أيام إذا رجعتم، لأنه إذا استعمل (أو) بمعنى (الواو) جاز أن يستعمل (الواو) بمعنى (أو) كما قال: «فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعًا» و المراد «أو» فذكر ذلك لارتفاع اللبس.

و الثالث- قاله المبرد: إنه أعاد ذلك للتأكيد قال الشاعر:

ثلاث و اثنتان فهن خمس و سادسة تميل الى شمام»

(١) فى مجمع البيان نسبة الى جرير و لم أجد فى ديوانه. فى المطبوعة (شمام) بدل (شمام) (و اثنتان) بدل (اثنتان).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦١

اللغة: ص: ١٦١

و تقول: ثلث القوم أثلثهم، فأنا ثلثهم، وربما قالوا: ثلث الرجلين أى صرت لهما ثالثاً. و الثلث جزء من ثلاثة. و المثلث: شكل على

ثلاثة أضلاع. و المثلوث:

ما أخذ ثلثه. و الثلاثاء: اليوم الثالث من الأحد. و الثلاثي: ما نسب الى ثلاثة أشياء، و أصله الثلاثة من العدد. و أهل الرجل: زوجته. و المتأهل: المتزوج. و أهل الرجل: أخص الناس به. و أهل البيت: سكانه. و أهل الإسلام: من تدين به. و أهل القرآن: من يقرأه، و يقوم بحقوقه. و أهله لهذا الأمر أى جعلته أهلاً له. و الأهلى: خلاف البرى. و قولهم مرحباً و أهلاً أى اختصاصاً بالتحية، و التكرمة.

المعنى: ص : ١٦١

و قد بينا أن (أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) من كان من بينه و بينها اثنا عشر ميلاً من أربع جوانبها. و قال ابن عباس، و مجاهد، و غيرهما: إنهم أهل الحرم، فروى فى أخبارنا أيضاً ذلك. و قال مكحول، و عطا: من بين مكة، و المواقيت. و قيل: هم أهل الحرم، و من قرب منزله منها، كأهل عرفه، ذهب اليه الزهرى و مالك.

اللغة: ص : ١٦١

و قوله تعالى: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» تقول: عقب الشيء يعقب بمعنى خلف بعد الأول. و أعقب إعقاباً، و تعقب الرأى تعقباً. «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» «١» أى الآخرة. و نرد على أعقابنا أى نعقب بالشر بعد الخير. و العقبه: ركوب أعقبه المشى. «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ» «٢»: ملائكة الليل تخلف ملائكة النهار. و عقب الإنسان:

(١) سورة الاعراف آية: ١٢٧.

(٢) سورة الرعد آية: ١٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٢

نسله، و عقبه، مؤخر قدمه. و العقبه: المصعد فى الجبل. و العقب: الصعب. و العقب:

الطائر. و يعقوب: ذكر القبج. «لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» أى لا راد لقضائه. و أصل الباب: العقب: الخلف بعد الأول.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٧] ص : ١٦٢

إشارة

الْحِجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلُمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)
آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ١٦٢

قرأ ابن كثير، و أبو عمرو (فلا-رفث و لا فسوق) بالرفع، (و لا جدال) بالنصب. الباقر بالنصب فىهن تقدير الآية: أشهر الحج أشهر معلومات، فحذف المضاف، و أقام المضاف اليه مقامه. و أشهر الحج - عندنا - شوال، و ذو القعدة، و عشر من ذى الحجة، على ما

روى عن أبي جعفر (ع) و به قال ابن عباس، و ابن عمر، و ابراهيم، و الشعبي، و مجاهد، و الحسن، و اختاره الجبائي. و قال عطاء، و الربيع، و ابن شهاب، و طاوس: أشهر الحج شوال، و ذو القعدة، و ذو الحجة.

و روى ذلك في أخبارنا، و إنما كانت هذه أشهر الحج، لأن الإحرام بالحج لا يصح أن يقع إلا فيها- بلا خلاف- و عندنا- أن الإحرام بالعمرة التي يتمتع بها لا يقع أيضاً إلا فيها. و من قال: إن جميع ذى الحجة من أشهر الحج، قال: لأن جميع ذى الحجة يصح أن يقع فيه شيء من أفعال الحج، مثل صوم الثلاثة أيام، فانه يصح أن يقع في جميع ذى الحجة، و كذلك يصح أن يقع ذبح الهدى فيه. و قال قوم: إن المعنى واحد في قول الفريقين. و قال آخرون: هو مختلف من حيث أن الثاني معناه: أن العمرة لا ينبغي أن تكون في الأشهر الثلاثة على الكمال، لأنها أشهر الحج، و الأول على أنها لا ينبغي أن تكون في شهرين و عشر من الثالث، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٣

فقد روى عن ابن عمر: ان تفصلوا بين الحج و العمرة، فتجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتم لحج أحدكم و أتم لعمرته. و روى ذلك عن القاسم بن محمد عن ابن شهاب عن عبد الله، و ابن سيرين. و قد بينا مذهبنا في ذلك. فان قيل كيف جمع شهرين، و عشرة أيام ثلاثة أشهر؟ قلنا: لأنه قد يضاف الفعل الى الوقت و إن وقع في بعضه.

و يجوز أن يضاف الوقت اليه كذلك، كقولك: صليت صلاة يوم الجمعة، و صلاة يوم العيد و إن كانت الصلاة في بعضه. و يقال أيضاً: قدم زيد يوم كذا، و خرج يوم كذا و إن كان قدومه أو خروجه في بعضه، فكذلك جاز أن يقال: شهر الحج ذو الحجة، و إن كان في بعضه، و إنما يفرض فيهن الحج، بأن يحرم فيهن بالحج- بلا خلاف- أو بالعمرة التي يتمتع بها بالحج- عندنا خاصة- و في الإحرام بالحج وافقنا فيه ابن عباس، و الحسن، و قتادة. و قال ابن عمر، و مجاهد: إنما يفرض فيهن بالتلبية. و قال بعض المتأخرين: يفرض بالعزم على أعمال الحج.

الاعراب: ص : ١٦٣

و لا- يجوز نصب أشهر- في العربية- على ما بيناه من المعنى من أن تقديره أشهر «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ» أو وقت «الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ» و قد أجازوا الحج شهر ذى الحجة، لأنه معرفة كما نقول العرب: المسلمون جانب، و الكفار جانب بالرفع، فإذا أضافوا نصبوا، فقالوا: المسلمون جانب أرضهم، و الكفار جانب بلادهم. و انما جاز ذلك، لأن النكرة لما جاءت على شرط الخبر: في كونه نكرة من حيث كانت الفائدة فيه، رفعت بأنها خبر الابتداء فلما صارت معرفة، و الخبر يطلب النكرة نصبت ليصح تقدير الاستقرار الذي هو نكرة كأنك قلت: الكفار مستقرون جانب بلادهم، ففائدة الأول من جانب، و فائدة الثاني في مستقر.

المعنى: ص : ١٦٣

و قوله تعالى: «فَلَا رَفْثٌ» فالرفث هاهنا- عند أصحابنا- كناية عن الجماع و هو قول ابن مسعود، و قتادة. و أصله الافحاش في النطق كما قال العجاج: التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٤

عن اللغا و رفث التكلم «١»

و قيل الرفث بالفرج: الجماع، و باللسان: المواعدة للجماع، و بالعين: الغمز للجماع. و قال ابن عباس، و ابن عمر و عطاء: المراد هاهنا: المواعدة للجماع، و التعريض للنساء به. و قال الحسن: الجماع، و التعرض له بمواعدة أو مداعبة كله رفث.

و قوله تعالى: (وَلَا فُشُوقٌ) روى أصحابنا: أنه أراد الكذب. و الأولى أن نحمله على جميع المعاصي التي نهى المحرم عنها، و به قال ابن عمر. و قال الحسن:

المعاصي نحو القذف و شبهه، و قال ابن عباس و مجاهد و عطا: هو جميع المعاصي مثل ما قلناه. و قال بعضهم لا يجوز أن يكون المراد إلا- ما نهى عنه المحرم هاهنا، مما هو حلال له في غير الإحرام، لاختصاصه بالنهاي عنه و هذا غلط، لأنه تخصيص للعموم بلا دليل، و قد يقول القائل: ينبغي أن تقيّد لسانك في رمضان لثلا يبطل صومك، فيخصه بالذكر لعظم حرمة. و قوله: (وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) فالذي رواه أصحابنا: أنه قول: لا و الله و بلى و الله صادقاً، و كاذباً. و للمفسرين فيه قولان: أحدهما- قال ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن: أنه لا مرأ بالسباب و الأعصاب على جهة المحك، و اللجاج. الثاني- قال مجاهد و السدي: إنه لا جدال في أن الحج قد استدار «٢» في ذى الحجة، لأنهم كانوا ينسون الشهور فيقدمون و يؤخرون، فربما اتفق في غيره.

اللغة: ص : ١٦٤

و أما اشتقاقه في اللغة فالجدال و المجادلة، و المنازعة، و المشاجرة، و المخاصمة

(١) مر تخريجه في ٢: ١٣٢.

(٢) في المطبوعة (استداد) و معنى استدار: أى يدار معه كيف دار.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٥

واحد، و تقول: جدلت الحبل أجدله و أجدله جدلاً: إذا فتلته، و جادلت الرجل مجادله و جدالاً: إذا خاصمته، و تجادلا تجادلا. و جدلته تجديلاً: إذا ألقيته على الأرض. و تجدّل تجدّلاً و انجدل انجدالاً. و الجديل: زمام البعير. و الجدول: نهر صغير. و المجدل: القصر. و الجدالة: الأرض ذات الرمل الرقيق. و الأجدل: الصقر، و كل مفتول: مجدول. و غلام جادل: إذا ترعرع و اشتد. و الجديلة: شريحة الحمام. و رجل أجدل المنكب: فيه تطأطؤ، بخلاف الاشراف من المناكب. و أصل الباب: القتال، و الجدال: القتال.

الاعراب: ص : ١٦٥

و من نصب (الثلاثة) أخرج اللفظ مخرج عموم النفي للمبالغة في معنى النفي. و من رفع بعضاً و نصب بعضاً، فلاختلاف المعنى، لأن الأول على معنى النهي، و الثاني بمعنى الاخبار عن زمان الحج: قد استدار في ذى الحجة، فكان أحقّ بالنصب، لعموم النفي. فأما الأول، فقد يقع من الخاطيء، فلا- يصح فيه عموم النفي. هذا قول النحويين. و الصحيح أن الكل معناه النهي، و ان خرج مخرج النفي، و الاخبار. و المراد به النهي بلا خلاف.

المعنى: ص : ١٦٥

و قوله تعالى: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ) معناه و ما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به، لأن الله عالم على كل حال، إلّا أنه جعل (يعلمه) في موضع يجازيه للمبالغة في صفة العدل، لأنه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم، فيجازى به، و ذلك تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه.

وقوله: (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى قِيلَ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و مجاهد: أن قوماً كانوا يرمون بازوادهم، و يتسمون بالمتوكلة، فقيل لهم تزودوا من الطعام، و لا تلقوا كلكم على الناس، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٦
و خير الزاد مع ذلك التقوى.

و الثاني- (تزودوا) من الأعمال الصالحات (فإن خير الزاد التقوى ، فذكر ذلك في الحج، لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البر فيه، و الزاد:

الطعام الذي يتخذ للسفر. و المزود: وعاء يجعل فيه الزاد. و كل من انتقل بخير من عمل أو كسب، فقد تزود منه تزوداً.
و قوله: (وَ اتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) يعنى يا ذوى العقول، لأن اللب العقل، و إنما سمي لباً لأنه أفضل ما فى الإنسان. و أفضل كل شيء لبه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٨] ص : ١٦٦

إشارة

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨)
آية واحدة بلا خلاف.

هذه الآية فيها تصريح بالاذن فى التجارة، و نحوها فى حال الإحرام، لأنهم كانوا يتحرّجون بذلك فى صدر الإسلام، على قول ابن عباس، و ابن عمر، و مجاهد، و عطاء، و الحسن، و قتادة، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (ع).

اللغة و الاعراب: ص : ١٦٦

و الجناح هو الجرح فى الدين، و هو الميل عن الطريق المستقيم، و أصله الميل - على ما مضى القول فيه-.
و قوله: (فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ) يعنى دفعتم من عرفه الى المزدلفة عن اجتماع، كفيض الأناء عن امتلائه، تقول: فاض الماء يفيض فيضاً: إذا انصب عن امتلاء، و أفاض إفاضة فى الحديث: إذا اندفع فيه. و استفاض الخبر إذا شاع.
و الافاضة الضرب بالقداح. و فيض الصدر بما فيه: البوح به. و الافاضة: امتلاء الحوض حتى يفيض. و رجل فياض: جواد. و درع مفاضة، و فيوض إذا كانت واسعة «١».

(١) فى المطبوعة (سابقة) و الصحيح ما أثبتناه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٧

و فيض البصرة: نهرها. و أصل الباب: الفيض: الانصباب عن الامتلاء.

و (عرافات) صرفت و إن كان فيها التعريف، و التأنيث، لأنها على حكاية الجمع، كما يجب أن يحكى المذكر إذا سمي به الجمع، و يجوز فيها ترك الصرف تشبيهاً بالواحد فيسقط التنوين و يسقط الاعراب كما كان فى الجمع كقول امرئ القيس:

تَوَّرْتُهَا مِنْ أذْرَعَاتٍ وَ أَهْلُهَا يِثْرِبٌ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرٌ عَالِيٌّ «١»

و الأول اختيار النحويين، و قد أجاز بعضهم فتح التاء بغير تنوين على قياس طلحة، و أنشدوا البيت على ثلاثة أوجه (أذرعَات) - منوناً

مكسوراً- و مجروراً بلا تنوين- و مفتوحاً بلا تنوين- و أنكر الزجاج الوجه الثالث.

و المشعر هو معلم المتعبد. و قال المبرد: المشعر- بفتح الميم و العين- مكان الشعور، كالمدخل لمكان الدخول. و المشعر- بكسر الميم- الحديد التي يشعر بها أى يعلم بها. فكسرت، لأنها آله كالمخرز، و المقطع، و المخيط. و قال: الكسائي: لا فرق بين الفتح و الكسر.

المعنى: ص : ١٤٧

و (المشعر الحرام) هو المزدلفة: و هو جُمع بلا خلاف. و سميت عرفات عرفات، لأن إبراهيم (ع) عرفها بما تقدم له من النعت لها، و الوصف، على ما روى عن علي (ع) و ابن عباس. و قال عطاء، و السدي، و قد روى ذلك في أخبارنا: أنها سميت بذلك، لأن آدم و حواء اجتمعا فيه، فتعارفا بعد أن كانا افترقا. و قيل:

سميت عرفات لعلوه و ارتفاعه، و منه عرف الديك.

و وجه التشبيه في قوله (وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أن الذكر بالشكر، و الثناء يجب أن يكون بحسب الانعام، و الهداية في العظمة لأنه يجب أن يكون الشكر

(١) ديوانه ١٤٠. و هو من قصيدته الرائعة المشهورة. و الضمير في تنورتها عائد للمرأة التي بذكرها، و تنور النار: رآها من بعيد، جعل المرأة تضيء له كما تضيء النار المشبوبة. و أذرع: بلد في الشام، و يثرب: مدينة الرسول (ص).

يقول: لاح لي نورها و أنا في أذرع و هي بيثرب ثم يقول: قرب مكانها مني نظر نظرتة نحو جو السماء.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٤٨

كالنعمه في عظم المنزلة كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمه، و لا يجوز التسويه في الشكر بين من عظمت نعمته و من صغرت.

الاعراب: ص : ١٤٨

و قوله: (وَ اِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ) معنى (إن) هاهنا المخففه من الثقيله بدلاله دخول لام الابتداء معها، و إذا خففت لم تعمل و جار دخولها على الاسم، و الفعل، كقوله تعالى: (وَ اِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَمَدِينًا مُخَصَّرُونَ) «١». و أما (كنتم) فلا موضع لها من الاعراب، لأنها بعد حرف غير عامل. و ليس (لان) موضع كما ليس لها موضع في الابتداء. و إنما هذه الواو عطف جمله على جمله. و روى جابر عن أبي جعفر (ع) قال: (لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم) معناه أن تطلبوا المغفرة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ١٩٩] ص : ١٤٨

إشارة

ثُمَّ أٰفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا لِلّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ (١٩٩)

آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ١٦٨

قيل في معنى هذه الآية قولان:

أحدهما- قال ابن عباس، و عائشة، و عطاء، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و السدي، و الربيع، و هو المروي عن أبي جعفر (ع): أنه أمر لقريش و خلفائهم، لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة، و لا يفيضون منها، و يقولون: نحن أهل حرم الله لا نخرج عنه، فكانوا يقفون بجمع و يفيضون منه، دون عرفة، فأمرهم الله تعالى أن يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها. و الثاني- قال الضحاك، و الجبائي و حكا المبرد، لكنه اختار الأول، لأنه

(١) سورة يس آية ٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٦٩

خطاب لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم (ع) من المزدلفة. و الأول إجماع، و هذا شاذ، و ليس لأحد أن يقول على الوجه الآخر: كيف يقال لإبراهيم وحده الناس، و ذلك أن هذا جائز كما قال: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) «١» و إنما كان واحداً بلا خلاف: و هو نعيم بن مسعود الاشجعي، و ذلك مستعمل. و قيل إن إبراهيم لما كان إماماً، كان بمنزلة الأمة التي تتبع في سنه. فان قيل: إذا كانت (ثم) للترتيب، فما معنى الترتيب هاهنا؟ قلنا: الذي رواه أصحابنا أن هاهنا تقديماً، و تأخيراً. و تقديره (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) (ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَمَاذُكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) (وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). و قال قوم:

المعنى (ثُمَّ أَيْضُوا) من المزدلفة. و الذي أجاب به المتأولون: أن قالوا: رتبت الافاضة بعد المعنى الذي دل الكلام الأول عليه، كأنه قيل: أحرمو بالحج على ما بين لكم (ثُمَّ أَيْضُوا) يا معشر قريش (من حيث أفاض الناس) بعد الوقوف بعرفة. و هذا قريب مما قلناه. و إنما عدل الذي تأوله على الافاضة من المزدلفة، لأنه رآه بعد قوله، فإذا أفضتم من عرفات، قال: فأمرنا أن يفيضوا من المزدلفة بعد الوقوف بها، كما أمرنا في عرفة، و قد بينا ترتيب الكلام في التأويل المختار. و الاستغفار هو طلب المغفرة، كما أن الاستخبار: طلب السؤال. و المغفرة: التغطية للذنب بإيجاب المثوبة. و قيل في معنى الاستغفار قولان: أحدهما- الحض عليه في تلك المواطن الشريفة، لأنها خليقة بالاجابة. الثاني- استغفروه لما سلف من مخالفتكم في الوقوف و الافاضة، كما سنه الله تعالى للناس عامة. و الفرق بين غفور و غافر أن في غفور مبالغة لكثرة المغفرة، فأما غافر، فيستحق الصفة فيه بوقوع الغفران. و العفو هو المغفرة. و قد فرق بينهما بأن العفو ترك العقاب على الذنب، و المغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة. و لذلك كثرت المغفرة في صفات الله تعالى، دون صفات العباد، فلا يقال: استغفر السلطان كما يقال: استغفروا الله.

(١) سورة آل عمران آية ١٧٢. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٠

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٠] ص: ١٧٠

إشارة

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (٢٠٠)

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ١٧٠

قوله تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ) معناه فرغتم منها. وأصل القضاء: فصل الأمر على أحكام. وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل بالعمل له على تمام كقوله (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) «١» وقد يفصل بالأخبار على القطع كقوله تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) «٢» وقد يفصل بالحكم كقضاء القاضى على وجه الإلزام بالقهر.

و المناسك الأمور بها هاهنا جميع أفعال الحج المتعبد بها في قول الحسن وغيره من أهل العلم- وهو الصحيح- وقال مجاهد: هي الذبائح.

وقوله (فَإِذَا ذُكِّرُوا لِلَّهِ) فالذكر هو العلم وقيل: هو حضور المعنى للنفس بالقول أو غيره مما هو كالعلة، لحضوره بها. وقيل: المراد به هاهنا التكبير أيام منى لأنه الذكر الذى يختصه بالترغيب فيه على غيره من الأوقات. وقيل أيضاً: إنه سائر الدعاء لله تعالى فى ذلك الموطن، لأنه أفضل من غيره- وهو الأقوى- لأنه أعم.

وقوله: (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) معناه

ما روى عن أبى جعفر (ع) أنهم كانوا يجتمعون، يتفاخرون بالآباء، وبما آثرهم، ويبالغون فيه.

وقوله (أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) إنما شبه الأوجب بما هو دونه فى الوجوب، لأمرين: أحدهما- أنه خرج على حال لأهل الجاهلية كانت معتادة: أن يذكروا آباءهم بأبلغ الذكر على وجه التفاخر، فقيل: اذكروا الله كالذكر الذى كنتم تذكرون به آباءكم فى المبالغة، أو أشد ذكراً

(١) سورة حم السجدة آية ١٢.

(٢) سورة الاسراء آية: ٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧١

بما له عليكم من النعمة. هذا قول أنس، و أبى وائل، والحسن، و قتادة. و الثانى- قال عطاء: أذكروه بالاستعانة به، كذكركم آباءكم: الصبى لأبيه إذا قال: يا أباه.

و الأول هو المعتمد.

الاعراب: ص : ١٧١

و إنما نصب (ذكراً) و لم يخفض كما يخفض فى قولهم هذا الذكر أشد ذكر، لأن فيه ضميراً منهم نظير قولك: هم أشد ذكراً، و فى أشد ضميرهم، و لو قلت مررت به أشد ذكراً لكان منصوباً على الحال فأما الذكر، فعلى التمييز.

المعنى: ص : ١٧١

فان قيل: الأمر بالذكر هاهنا بعد قضاء المناسك أو معه؟ قيل: أجاز أبو على الوجهين، و استشهد بقولهم: إذا وقفت بعرفات فادع الله، و إذا حججت، فطف بالبيت.

و الخلاق: النصيب من الخير، و أصله التقدير، فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠١] ص : ١٧١

إشارة

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)
آية واحدة.

الاعراب: ص : ١٧١

(رَبَّنَا) منصوب، لأنه منادى و تقديره: يا رَبَّنَا. وإنما حذف حرف النداء، لما كان أصله تنبيه المنادى، ليقبل عليك، و كان الله عزّ و جل لا- يغيب عنه شيء- تعالى عن ذلك-، سقط حرف النداء للاستغناء عنه. فأما يا الله اغفر لي، فيجوز أن يخرج مخرج التنبيه للتأكيد: أن يقبل عليك برحمته، ولأنك تسأله سؤال المحتاج أن ينبه على حالة، لأن ذلك أبلغ في الدعاء، و أحسن في المعنى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٢

اللغة: ص : ١٧٢

و الفرق بين القول و الكلام: أن القول يدلّ على الحكاية، و ليس كذلك الكلام، نحو قال: الحمد لله، فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق، و الحكاية تكون على ثلاثة أوجه: حكاية على اللفظ و المعنى، و حكاية على اللفظ فقط، و حكاية على المعنى فقط، فالأول نحو (أَتُونِي أَوْعِزْ عَلَيْهِ قَطْرًا) «١» إذا حكاها من يعرف لفظه و معناه. الثاني- إذا حكاها من يعرف لفظه دون معناه. الثالث- نحو أن يقول: أتوني أفرغ عليه نحاساً، فيكون حكاها على معناه دون لفظه.

المعنى: ص : ١٧٢

و قوله (آتِنَا) معناه: أعطنا، فالإتيان الإعطاء. و أصله الأتى، و المجيء، فأتى إذا كان منه المجيء، فأتى إذا حمل غيره على المجيء، كما يقال: أتاه ما يجب، و آتاه غيره ما يجب. و الحسنه التي سألوها قيل في معناها قولان:

أحدهما- قال قتاده، و الجبائي، و أكثر المفسرين: إنه نعم الدنيا، و نعم الآخرة.

الثاني- قال الحسن: العبادة في الدنيا، و الجنة في الآخرة، و سميت نعمه الله حسنة، لأنها مما تدعو إليه الحكمة. و قيل: الطاعة و العبادة حسنة، لأنها مما يدعو إليه العقل.

اللغة: ص : ١٧٢

و قوله تعالى: (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) فالوقاء: الحاجز الذي يسلم به من الضر.

يقال وقاه يقيه وقاء، و وقاية. و توقي هو توعية و أصل الوقاء الحجز بين الشيئين.

و أصل قنا: أوقنا مثل احملنا، فذهبت الواو لسقوطها في يقي، لوقوعها بين ياء و كسرة ثم أتبع سائر تصاريف الفعل ما لزمته العلة، و

سقط ألف الوصل للاستغناء

(١) سورة الكهف آية: ٩٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٣

عنها بتحريك ما بعدها، وحذفت الياء، للوقف الذي هو نظير الجزم.

و الفائدة في الاخبار عنهم بهذا الدعاء، الاقتداء بهم فيه، لأنه لما حذر من الدعاء الأول رغب في الثاني.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٢] ص: ١٧٣

إشارة

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ص: ١٧٣

(أولئك) رفع بالابتداء وخبره لهم نصيب. ومعناه أولئك لهم نصيب من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه.

اللغة: ص: ١٧٣

و النصيب: الحظ، و جمعه أنصباء و أنصبه. و حدّ النصيب الجزء الذي يختص به البعض من خير أو شر.

و الكسب: الفعل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر. و تقول: نصب ينصب نصباً، و نصب نصباً من التعب، و أنصبتني هذا إنصاباً. و

انتصب الشيء انتصاباً.

و ناصبه العداوة مناصبةً. و النصب إقامة الشيء. و النصب: الرفع. نصب القوم السير: إذا رفعوه. و كل شيء رفعته، فقد نصبته، و منه

نصب الحرف، لأن الصوت يرفع فيه إلى الغار الأعلى. و النصب بتغير الحال من مرض أو تعب. و النصب: جمع أنصاب و هي حجارة

كانت تنصب في الجاهلية، و يطاف بها، و يتقرب عندها و هي التي ذكرها الله تعالى في قوله: (وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ) «١» و قال: (وَأَنَّصَابُ وَالْأَزْلَامِ) «٢». و أنصاب الحرم حدوده، و هي حجارة تنصب، ليعرف بها

(١) سورة المائدة آية: ٤.

(٢) سورة المائدة آية: ٩٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٤

الحرم. و نصاب السكين، و غيره معروف، و فلان في نصاب صدق: في حسب ثابت.

و النصبة: السارية. و المنصب الذي ينصب عليه القدور. و كل شيء استقبلت به شيئاً، فقد نصبته. و أصل الباب القيام.

و قوله تعالى: (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يعني في العدل من غير حاجة إلى خط و لا عقد، لأنه (عز و جل) عالم به. و إنما يحاسب العبد

مظاهرة في العدل، و إحالة على ما يوجب الفعل من خير أو شر. و السرعة هو العمل القصير المدة. تقول: سرع سرعاً، و أسرع في

المشى إسرعاً، و سارع اليه مسارعةً، و تسرع تسرعاً، و تسارع تسارعاً، و أقبل فلان في سرعان قومه أى فى أوائلهم المتسرعين. و اليسروع: دويبة تكون فى الرمل. و أصل الباب: السرعة.

و تقول من الحساب: حسب الحساب يحسبه حساباً، و حسب الشئ حساباً، و حاسبه محاسبه، و حساباً، و تحاسبوا تحاسباً، و احتسب احتساباً، و أحسبني من العطاء إحساباً، أى كفانى (و عطاءً حساباً) «١» أى كافياً. و الحسبان سهام صغار.

و قيل منه (و يُرْسَل عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) «٢». و قيل عذاباً. و المحسبه سادة من آدم. و المحسبه غبرة مثل كدره. و حسب الرجل مآثر آباءه. و أفعل ذلك بحسب ما أوليتنى. و حسبى أى يكفينى (يُرْزَقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) «٣» أى بغير تضيق (و الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) «٤» أى قدر لهما مواقيت معلومة لا يعدونها.

و التحسب: دفن الميت يجب الحجارة «٥» و أصل الباب: الحساب، و الحسبان:

الظن، لأنه كالحساب فى الاعتداد به، و العمل به على بعض الوجوه.

و روى عن على (ع) أنه قال: معناه إنه يحاسب الخلق دفعه كما يرزقهم دفعه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٣] ص : ١٧٤

إشارة

وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِى اَيّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَا- اِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا- اِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقٰى وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)

(١) سورة النبا آية: ٣٦.

(٢) سورة الكهف آية: ٤١.

(٣) سورة البقرة آية: ١١٢.

(٤) سورة الرحمن آية: ٥.

(٥) هكذا فى المطبوعة و فى لسان العرب (حسب) التحسب دفن الميت فى الحجارة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٥

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ١٧٥

هذا أمر من الله تعالى للمكلفين أن يذكروا الله فى الأيام المعدودات: و هى أيام التشريق: ثلاثة أيام بعد النحر، و هو قول ابن عباس، و الحسن و مالك، و الأيام المعلومات: عشر ذى الحجة، و هو قول ابن عباس أيضاً، و ذكر الفراء: أن المعلومات:

هى أيام التشريق، و المعدودات العشر. و فيه خلاف ذكرناه فى اختلاف الفقهاء.

و سميت معدودات لأنها قلائل، كما قال: «و شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ» «١» أى قليلة. و الجمع بالألف و التاء يصلح للقليل و الكثير، و القليل أغلب عليه. و أنكر الزجاج ما يروى فى قول حسان:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى و أسيفنا يقطرن من نجده دما «٢»

من أنه عيب عليه، و زعم أن الخبر موضوع، و قال الألف و التاء يصلح للكثير قال الله تعالى: «وَهُمْ فِى الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ» «٣» و قال: «إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» (٤) وإنما احتمل هذا الجمع القليل والكثير، لأن جمع السلامة على طريقة واحدة لا يتميز فيه قليل من كثير، وكان القليل أغلب عليه، لشبهه بالثنية.
والآية تدل على وجوب التكبير في هذه الأيام، وهو أن يقولوا: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد. وبه قال الحسن والجبائي، وزاد أصحابنا على هذا القدر: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أولانا،

(١) سورة يوسف آية: ٢٠.

(٢) ديوانه: ٦٩. الجففات جمع جفنة وهي القصة الكبيرة، والغر: البيض. وهذا البيت قيل: ان حسان قد فاز به في بعض السنين بسوق عكاظ وقد أعابته الخنساء في الجففات لأنها جمع قلة وفي الغر لأنه لا يدل على أن القصاص ممتلئة طعاماً، وعلى قوله: يقطرن، ولم يقل يجرين.

(٣) سورة سبأ آية: ٣٧.

(٤) سورة الحجر آية: ٤٥. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٦

ورزقنا من بهيمة الانعام. وأول التكبير- عندنا- لمن كان بمنى، عقيب الظهر من يوم النحر الى الفجر يوم الرابع من النحر: عقيب خمسة عشرة صلاة، وفي الأمصار عقيب الظهر من يوم النحر الى عقيب الفجر يوم الثاني من التشريق: عقيب عشر صلوات، واختار الجبائي من صلاة الغداة من يوم عرفه الى صلاة العصر آخر يوم التشريق. وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف.
وقوله تعالى: «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ».

المعنى في ذلك الرخصة في جواز النفر في اليوم الثاني من التشريق وإن أقام الى النفر الأخير، وهو اليوم الثالث من التشريق، كان أفضل، فإن نفر في الأول، نفر بعد الزوال الى الغروب، فإن غربت فليس له أن ينفر. وقال الحسن إنما له أن ينفر بعد الزوال الى وقت العصر، فإن أدركته صلاة العصر، فليس له أن ينفر إلا يوم الثالث وليس للإمام أن ينفر في النفر الأول، وبه قال الحسن.

وقوله تعالى: «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» قيل فيه قولان: أحدهما- لا إثم عليه لتكفير سيئاته بما كان من حجه المبرور وهو معنى قول ابن مسعود. الثاني- قال الحسن: لا- إثم عليه في تعجله ولا- تأخره. وإنما نفى الإثم، لثلاث يتوهم ذلك متوهم في التعجل، وجاء في التأخر على مزاجه الكلام كما تقول: إن أظهرت الصدقة، فجائز. وإن أسررتها، فجائز، والأسرار أفضل.

وقوله تعالى: «لِمَنِ اتَّقَى قِيلَ فِيهِ قولان: أحدهما- لما قال «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» دل على وعده بالشواب، فقيده ذلك بالتقوى لله تعالى، لثلاث يتوهم أنه بالطاعة في النفر فقط. والثاني- أنه لا إثم عليه في تعجله إذا لم يعمل لضرب من ضروب الفساد، ولكن لا يتابع إذن الله فيه. وقالوا: معنى تجديد الأمر بالتقوى هاهنا التحذير من الاتكال على ما سلف من أعمال البر في الحج، فبين أن عليهم مع ذلك ملازمة التقوى، ومجانبة المعاصي.

وروى أصحابنا: أن قوله «لِمَنِ اتَّقَى متعلق بالتعجل في اليومين، وتقديره «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» «لِمَنِ اتَّقَى الصيّد الى انقضاء النفر الأخير التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٧

وما بقي من إحرامه، ومن لم يتقها، فلا يجوز له النفر في الأول، وهو اختيار الفراء، والمروى عن ابن عباس، وروى عن أبي عبد الله (ع) في قوله تعالى «فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ» أي من مات في هذين اليومين، فقد كفر عنه كل ذنب. ومن تأخر أي أنسى أجله، فلا إثم عليه بعدها إذا اتقى الكبائر.

و العامل في اللام في قوله «لِمَنْ أَتَقَى قِيلَ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا- ذَلِكَ (مَنْ اتَّقَى) فَحُذِفَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكَلَامَ الْأَوَّلَ دَلَّ عَلَى وَعْدٍ لِلْعَامِلِ. وَ الثَّانِي- أَنْ يَكُونَ الْعَامِلَ مَعْنَى «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»، لِأَنَّهُ قَدْ تَضَمَّنَ مَعْنَى جَعْلِنَاهُ «لِمَنْ أَتَقَى» .

اللغة: ص : ١٧٧

و قوله تعالى: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اجتنبوا معاصي الله، «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أى تحققوا أنكم بعد موتكم تردون الى الله، فيجازيكم على أعمالكم.

تقول: حشر يحشر حشراً، فالحشر: جمع القوم من كل ناحية الى مكان.

و المحشر: مجتمعهم: و هو المكان الذى يحشرون فيه، و حشرتهم السينة: إذا أجمعت بهم، لأنها تضمهم من النواحي الى المصر. و سهم حشر: خفيف لطيف، لأنه ضامر باجماعه. و منه أذن حشره: لطيفه ضامرة. و حشرات الأرض: دوابها الصغار، و الواحدة حشرة، لاجتماعها من كل ناحية. و دابة حشور: إذا كان ملززة الحلق شديدة. و رجل حشور: إذا كان عظيم البطن. و حشرت السنان، فهو محشور: إذا رفقته و ألطفته. و أصل الباب الاجتماع.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٤] ص : ١٧٧

إشارة

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) آية واحدة.

قال الحسن: المعنى بهذه الآية المنافق. و قال قوم: المعنى: بها المرائى. و قيل: التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٨ إنها نزلت فى الأخنس بن شريق ذكره السدى و غيره.

اللغة: ص : ١٧٨

و الاعجاب هو السرور بالشىء سرور العجب بما يستحسن. و منه العجب بالنفس، و السرور بها سرور العجب من الشىء استحساناً له، و ذلك إذا تعجب من شدة حسنه. و تقول: عجب عجباً، و تعجب تعجباً، و عجبه تعجبياً، و أعجبه إعجاباً، و استعجب استعجاباً أى اشتد تعجبه. و العجاب: العجيب، و أعجبنى هذا: إذا كان حسناً جداً. و المعجب بنفسه أو بالشىء معروف. و قال الأزهري: العجب كل شىء غير مألوف، و عجب الذنب: العظم الذى ينبت عليه شعر الذنب فى المعز، و رأيت أعجوبة و أعاجيب. و أصل الباب العجب. و قوله تعالى: «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى وقت الحياة الدنيا فالحي هو من لا يستحيل، و هو على ما هو عليه أن يكون عالماً قادراً. و قوله: «وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ» فأصل الاشهاد: هو الإقرار بالشىء ليشهد به المقر عنده. و المراد فى الآية: من يقر بالحق، و يقول: اللهم اشهد على، و ضميره على خلافة.

و قوله تعالى: «وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» يقال لده يلدّه لداً: إذا غلبه فى الخصومة، و لده يلدّه: إذا أوجره فى أحد خفى فمه. و لدت لداً و هو شدة الخصومة. و جانباً كل شىء لديداه، فمنه لديدى الوادى. و لديدى العنق:

صفحتاه. و لده عن كذا: إذا حبسه. و التلدد: التلفت عن تحير و أصل الباب اللديد: الجانب.

و الخصام: هو المخاصمة. تقول: خصمه يخاصمه مخاصمةً، و خصاماً، و تخاصماً، و اختصماً اختصاماً، و استخصمهم استخصاماً. و

الخصم طرف الرواية الذي بحيال العزلاء «١» من مأخرها، و طرفها الأعلى و هو العصم. و الأخصام من

(١) في المطبوعة (الدراية الذي بحبال العولاء) و هو تصحيف.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٧٩

كل شيء جوانبه، كجوانب الخوالت الذي فيه العرى، يحمل به. و أصل الباب الخصومة.

المعنى: ص : ١٧٩

و معنى «ألد» فى الآية: هو الشديد الجدل بالخصومة الى ما يريد، قال الشاعر:

ثم أردى و بهم من تُردى تلد أقران الخصوم اللد «١»

و قال الزجاج: الخصام جمع خصم. و المعنى هو أشد المخاصمين خصومة.

و قال غيره: هو مصدر. و معنى الآية أنه تعالى وصف المنافقين، فقال: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ» يا محمد «قوله» فى الظاهر، و باطنه

بخلافه «وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُ الْخِصَامِ» جدل مبطل.

و من قرأ (و يشهد الله) - بفتح الياء - معناه أنه تعالى يشهد عليه بنفاقه، و إظهاره خلاف ما يبطن. و القراءة العامة هى الأولى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٥] ص : ١٧٩

إشارة

وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥)
آية واحدة.

فى قوله تعالى: «وَ إِذَا تَوَلَّى» ضمير عن تقدم ذكره و هو «مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» و التولى: هو الانحراف، و الزوال عن
الشيء الى خلاف جهته. و السعى هو الاسراع فى المشى و قيل: إنه العمل، و قال الأعشى:

و سعى لکنده غير سعى مواكل قيس فضرّ عدوها و بنى لها «٢»

(١) معانى القرآن للفراء ١: ١٢٣ قدم البيت الثانى على الأول، و اللسان (لدد) ذكر البيت الثانى فقط. و رواية اللسان (ألد) بدل (تلد). و
رواية معانى القرآن:

ألد أقران الرجال اللد

و فى تفسير الطبرى ٤: ٢٣٥ كالذى ذكره الشيخ سراء.

(٢) ديوانه: ٣١. رقم القصيدة: ٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٠

أى عمل لها. و قوله: «فِي الْأَرْضِ» دخلت الألف و اللام فى الأرض، لتعريف الجنس، لأن الأرض و إن كانت واحدة بعينها فلو خلق
الله مثلها، لكانت أرضاً، كما أن الشمس، و القمر كذلك، و فارق ذلك زيدا و عمراً - فى أسماء الأعلام - و امتناع دخول الألف و
اللام عليهما، لأن الله تعالى لو خلق مثل زيد لم يجب أن يكون زيدا، على أن الأرضين السبعة كما قال تعالى: «خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ
مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» «١» فعلى هذا لا يتوجه السؤال.

و الإفساد: هو عمل الضرر بغير استحقاق، ولا وجه من وجوه المصلحة.

و الإهلاك: العمل الذى ينفى الانتفاع.

و قوله: «لِيُفْسِدَ فِيهَا» نصب بإضمار (أن) و يجوز إضمارها، فتقول: لأن يفسد فيها، و لا- يجوز إظهارها فى قوله: «ما كان الله ليذَرَ الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

و إنما جاز حذفها فى «ليفسد» لدلالة الكلام عليها مع كونها فى حروف الاضافة حتى حذفت فى قولهم: غلام زيد، و ما أشبهه مع كثرته فى الكلام، و جاز إظهارها، لأنه الأصل من غير مانع فى الاستعمال، و إنما امتنع فى قوله: «ليذر» لما يرجع الى المعنى، لأن معناه كمعنى (ما كان زيد ليفعل) أى ما كان فاعلا، فلما تضمن غير المعنى الذى توجه صورته لم يتصرف فى لفظه، و لأنه لما كان محمولاً- على تأويل معنى لم يذكر، حمل أيضاً على تأويل لفظ لم يذكر. و الفرق بين دخول اللام فيها أن اللام دخلت فى «ليفسد» على إضافة السعى الى الفساد، على أصل الاضافة فى الكلام. و دخولها فى «ليذر» فإنما هو لتأكيد النفى بتحقيق تعلقه بالخبر كما دخلت الباء فى (ليس زيد بقائم)، لأن النفى لما كان للخبر و ولى حرف النفى الاسم، دخلت الباء، لتدل على اتصاله فى المعنى بحرف النفى.

اللغة: ص : ١٨٠

و الحرث: الزرع. و النسل: العقب من الولد. و قال الضحاك: الحرث: كل

(١) سورة الطلاق آية: ١٢.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٧٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨١

نبات، و النسل: كل ذات. و يقال: نسل ينسل نسلًا: إذا خرج، فسقط. و منه نسل و بر البعير أو شعر الحمار أو ريش الطائر. و النسالة: قطعة من الوبر، قال الله تعالى: «إِلَى رَبِّهِمْ يُنْسَلُونَ» (١) أى يسرعون، لأنه إسراع الخروج بحدّة.

و النسل: الولد، ما نسل بعضه من بعض. و الناس نسل آدم، لخروجهم من ظهره.

و النسل و النسلان: عدو من عدو الذئب فيه اضطراب. و النسيلة: فتيلة السراج، و أصل الباب النسول: الخروج. و حكى الزجاج: أن الحرث: الرجال، و النسل:

الأولاد. و ذكر الأزهرى: أن الحرث: النساء، و النسل الأولاد، لقوله تعالى:

«نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ» (٢).

المعنى: ص : ١٨١

و قوله تعالى: «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ» يدل على فساد قول المجبرة: إن الله تعالى يريد القبائح، لأن الله تعالى نفى عن نفسه محبة الفساد. و المحبة هى الارادة، لأن كل ما أحب الله أن يكون، فقد أراد أن يكون، و ما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون. و معنى الآية: إذا خرج هذا المتناقض من عندك يا محمد غضبان، عمل فى الأرض بما حرم الله عليه و حاول معصيته، و قطع الطريق، و أفسد النسل، و الحرث على عباده. «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ».

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٦] ص : ١٨١

إشارة

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ١٨١

قيل فى المعنى بهذه الآية قولان: أحدهما- قال ابن عباس: إنه كل منافق.
و الثانى- قال السدى: إنه الأخنس بن شريق، و الالتقاء طلب السلامة بما يحجز

(١) سورة يس آية: ٥١.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٢٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٢

من المخافة، و اتقاء الله إنما هو اتقاء عذابه.

و قوله: «أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ» قيل فى معناه قولان: أحدهما- قال الحسن أخذته العزة الى الإثم، كما تقول: أخذت فلاناً «١» بأن يفعل: أى
دعوته الى أن يفعل «٢».

و معنى قوله: «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» هو الاشعار بالدليل على نفاقه، لفضيحه بذلك عند المؤمنين- على ما قاله
قتادة- و يجوز أن يكون الذاً له على تلك الحال القبيحة.

و قوله: «وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ» الوطاء. فان قيل: كيف قيل لجهنم مهاد. قلنا عنه جوابان:

أحدهما- قال الحسن: معناه القرار هاهنا، و القرار كالوطأ فى الثبوت عليه.

الثانى- لأنها بدل من المهاد كما قال تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» «٣» لأنه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه.

اللغة: ص: ١٨٢

و المهاد فى اللغة: الوطاء من كل شىء تقول: مهدت الفراش تمهيداً، و كل شىء وطأته فقد مهدته، و تمهد الشىء: إذا يوطأ، و
كذلك امتهد امتهاداً، و مهد الصبى معروف، و جمع المهاد، مُهد، و ثلاثة أمهدة «و الأَرْضُ مِهَاداً» «٤» لأجل التوطئة للنوم، و القيام
عليها، و أصل الباب التوطئة.

و الأخذ: ضد الإعطاء. و العزة: القوة التى يمتنع بها من الذلة.

المعنى: ص: ١٨٢

فمعنى الآية: أن هذا المنافق الذى نعتته لك بأنه يعجبك قوله فى الحياة الدنيا

(١) فى المطبوعة «قد كنا» و هو تصحيف.

(٢) ذكر قولاً واحداً و لم يذكر الثانى و فى مجمع البيان ذكر القولين و نقل القول الثانى عن الحسن، و أطلق هذا و لم يذكر قائله،

راجع صفحة: ٣٠١ من مجمع البيان طبع صيدا.

(٣) سورة آل عمران آية: ٢١.

(٤) سورة النبأ آية: ٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٣

«إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ» في سعيك في الأرض بالفساد وإهلاك الحرث والنسل، دخلته عزة وحمية، فقال تعالى: فكفاه عقوبته من ضلاله أن يصلى نار جهنم، فإنها بثس المهاد لمن يصلها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٧] ص: ١٨٣

إشارة

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)
آية بلا خلاف.

النزول: ص: ١٨٣

قال قتادة: نزلت هذه الآية في المهاجرين والأنصار. وقال عكرمة: نزلت في أبي ذر الغفاري: جندب بن السكن، و صهيب بن سنان، لأن أهل أبي ذر أخذوا أبا ذر، فانفلت منهم، فقدم على النبي (ص)، فلما رجع مهاجراً عرضوا له، و كان بمر الظهران، فانفلت أيضاً منهم حتى قدم النبي (ص)، فلما رجع مهاجراً عرضوا له، فانفلت حتى نزل على النبي (ص). فأما صهيب، فانه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجراً، فأدرکه منقذ بن ظريف بن خدعان، فخرج له مما بقى من ماله، و خلّى سبيله. و روى عن أبي جعفر (ع) أنه قال: نزلت في علي (ع) حين بات على فراش رسول الله (ص) لما أرادت قريش قتله، حتى خرج رسول الله (ص) و فوات المشركين أغراضهم ، و به قال عمر بن شبه.

المعنى: ص: ١٨٣

و روى عن علي (ع)، و ابن عباس: أن المراد بالآية: الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر. و قال الحسن: هي عامة في كل من يبيع نفسه لله بأن يقيم نفسه في جهاد عدوّه، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر و غير ذلك مما أمر الله به، و توعّد على خلافه. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٤
و قوله تعالى: «يَشْرِي نَفْسَهُ» معناه يبيع نفسه، و قد بينا فيما مضى أن الشراء يكون بمعنى البيع، كما قال: «و شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» «١» أى باعوه و قال الشاعر: «٢»

و شريت برداً لیتنى من بعد برد كنت هامه «٣»

أى بعت. و الشراء استبدال العوض بالثمن. و شرى باع و اشترى ابتاع.

و شرا هاهنا مجاز، لأن أصله في الأثمان من العين، و الورق، لذلك لا يقال:

باع متاعه إذا تصدق به، لأن الأظهر إذا أطلق أنه باعه بالثمن.

و قوله تعالى: «إِتِّغَاءَ مَرَضَاتِ اللَّهِ» معناه طلب مرضات الله، و مثله «حذر الموت» (٤) قال الشاعر: «٥»

و أغفر عوراء الكريم ادخاره و أعرض عن شتم اللثيم تكوما «٦»

و لا يجوز قياساً على ذلك فعله زيداً أى لزيد. و يجوز فعله خوفاً، لأن في ذكر المصدر دليلاً على العرض الداعى الى الفعل، و ليس كذلك ذكر زيد، و المرضاءة و الرضى واحد و هو ضد السخط.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ» قد بينا فيما مضى معنى الرؤوف، و الخلاف فيه، و معناه ذو رحمة واسعة بعبدته الذى شرى نفسه له فى جهاد من جاهد فى أمره من أهل الشرك، و الفسوق. و إنما ذكر الرؤوف بالعباد هنا للدلالة على أنه انما رغب العبد فى بيع نفسه بالجهاد فى نفسه رافة به، و حسن نظر له، لئيتليه من الثواب المستحق على عمله ما لا يجوز أن يصل إليه فى جلالته إلا بتلك المنزلة.

(١) سورة يوسف آية: ٢٠.

(٢) هو يزيد بن مفرغ الحميرى.

(٣) مر تخريجه فى ١: ٣٤٨. و روايته هناك (من قبل) بدل (من بعد) و البيت مروى بالوجهين. [.....]

(٤) سورة البقرة آية: ١٩.

(٥) هو حاتم.

(٦) ديوانه ٢٤، و نوادر أبى زيد: ١١، و الخزانة ١: ٤٩١. و غيرها و فى البيت اختلاف كثير فى الرواية، و الشاهد فيه عندهم نصب (ادخاره) على أنه مفعول له.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٥

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٨] ص: ١٨٥

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)
آية واحدة.

القراءة: ص: ١٨٥

قرأ أهل الحجاز، و الكسائى «السلم» - بفتح السين - الباقون - بكسرهما -

اللغة: ص: ١٨٥

قال الأخفش: السلم - بكسر السين - الصلح، و بفتحها، و فتح اللام:

الاستسلام. و قال الزجاج: السلم جميع شرائعه. و يقال: السلم، و السلم معناه الإسلام، و الصلح. و فيه ثلاث لغات: كسر السين، و فتحها مع تسكين اللام، و فتحها. و قال أبو عبيدة: السلم - بكسر السين - و الإسلام واحد، و هو فى موضع آخر المسالمة، و الصلح.

المعنى: ص: ١٨٥

وقال ابن عباس، و السدي، و الضحاك، و مجاهد: معنى السلم هاهنا الإسلام، و به قال قتادة. و قال الربيع: معناه ادخلوا في الطاعة، و هو اختيار البلخي قال: لأن الخطاب للمؤمنين بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و اختار الطبري الوجه الأول، و الأمران جميعاً عندنا جائزان محتملان، و حملها على الطاعة أعم، و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من أن المراد به الدخول في الولاية، قال أبو علي: من قرأ بفتح السين، ذهب إلى أن معناه: المسالمة، و الصلح، و ترك الحرب بإعطاء الجزية. و من كسرهما، اختلفوا منهم من حمله على الإسلام، و منهم من حمله على الصلح أيضاً.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٦

اللغة: ص: ١٨٦

و قوله تعالى: «كافة» معناه جميعاً، و هو نصب على الحال من ضمير المؤمنين. و قيل من حال السلم، و اشتقاقه في اللغة مما يكف الشيء في آخره، من ذلك كفه القميص، يقال لحاشية القميص: كفه. و كل مستطيل، فحرفه كفه. و يقال في كل مستدير: كفه، نحو كفه الميزان. و إنما سميت كفه الثوب، لأنها تمنعه أن ينتشر. و أصل الكف: المنع، و منه قيل لطرف اليد: كف، لأنها يكف بها عن سائر البدن: و هي الراحة مع الأصابع، و من هذا قيل: رجل مكفوف أى قد كف بصره أن يبصر، و كفّ من الشيء يكف كفاً: إذا انقبض عنه. و كل شيء جمعه، فقد كففته. و استكفّ السائل: إذا بسط كفه يسأل. و استكف القوم بالشيء: إذا أهدقوا به. و تكفف السائل: إذا مدّ كفه للسؤال. و لقيته كفه لكفه: إذا لقيته مفاجأة. و المكفوف: الأعمى. و الكفف: دارات الوسم. و الكفة: ما يصاد به الطباء: كالطوق.

المعنى: ص: ١٨٦

فمعنى الآية على هذا: ابلغوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه، فتكفوا من أن تعدوا شرائعه. و ادخلوا كلكم حتى يكف عن عدد واحد لم يدخل فيه. و قيل: معنى الآية: أن قوماً من اليهود أسلموا و أقاموا على تحريم السبت، و تحريم لحم الإبل، فأمرهم الله تعالى أن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام. و قال بعض أهل اللغة: جائز أن يكون أمرهم و هم مؤمنون أن يدخلوا في الإيمان: أى يقيموا على الإيمان كما قال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» (١) و كلا القولين جائز. و قوله «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ» أى لا تتبعوا آثاره، لأن ترككم شيئاً من شرائع الإسلام اتباع الشيطان. و خطوات: جمع خطوة و فيها ثلاث لغات: خطوات - بضم الطاء، و فتحها، و إسكانها.

(١) سورة النساء آية: ١٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٧

و قوله تعالى: «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» عداوته للمؤمنين. و إبانة عداوته لنا هو أن ينسها لمن يراه من الملائكة، و الجن، و نحن و إن لم نشاهده، فقد علمنا معاداته لنا، و دعاء إيانا الى المعاصي، فجاز أن يسمى ذلك إبانة. و قال الجبائي: أبان عداوته لآدم و الملائكة (ع)، فكان بذلك مبيناً لعداوته إيانا.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٠٩] ص: ١٨٧

إشارة

فَإِنْ زَلَّتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)
آية واحدة.

المعنى واللغة: ص : ١٨٧

أنزل الله تعالى هذه الآية، وقد علم أنه سيزل الزالون من الناس، فتقدم في ذلك، و أوعده فيه، لكي تكون الحجة على خلقه. يقال: زلَّ يزل زلاً، و زللاً، و مزلاً، و زلواً. ومعنى الآية «فَإِنْ زَلَّتُمْ» بمعنى تنحيتهم عن القصد، و الشرائع، و تركتم ما أنتم عليه من الدين «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» في نعمته «حكيم» في أمره، لا تعجزونه، و حكيم فيما شرع لكم من دينه، و فطركم عليه، و فيما يفعل بكم من عقوبته على معاصيكم إياه بعد إقامة الحجة عليكم.

و ذكر جماعة من أهل التأويل: أن «البيّنات» هم محمد (ص) و القرآن، ذهب اليه السدي، و ابن جريج، و غيرهما. و قيل: زلَّ في الآية: مجاز تشبيهاً بمن زلَّ عن قصد الطريق، و حقيقته: عصيتم الله فيما أمركم به أو نهاكم عنه. و الأولى أن يكون ذلك حقيقة بالعرف. و في الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة: أن الله يريد القبيح، لأنه لو أراد له ما صح وصفه بأنه حكيم. فان قيل: سواء زلَّ العباد أو لم يزلوا، و جب أن يعلم أن الله عزيز حكيم فما معنى الشرط؟ قيل، لأن معنى «عزيز» هو القادر الذي لا يجوز عليه المنع من عقابكم «حكيم» في عقوبته إياكم، فكأنه قال: فاعلموا أن العقاب واقع بكم لا محالة، لأنه عزيز لا يجوز أن يحول بينه و بين عقوبتكم حائل، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٨

و لم يمنعه مانع «حكيم» في عقوبته إياكم، و ذلك أن حرى لهم وصفه بأنه عزيز أنه قد لا يمنع، لأنه قادر لنفسه. و «حكيم» معناه عليم بتدبير الأمور.

و يقال: «حكيم» في أفعاله بمعنى محكم لها و أصل العزة الامتناع، و منه أرض عزاز: إذا كانت ممتنعة بالشدة و أصل الحكمة المنع من قول الشاعر:

أبني حنيفه أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا (١)
و منه حكمة الدابة

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٠] ص : ١٨٨

إشارة

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)
آية واحدة.

القراءة: ص : ١٨٨

قرأ أبو جعفر (و الملائكة) بالخفض. الباقر بضمها. وقرأ ابن عامر، و حمزة، و الكسائي (ترجع الأمور) بفتح التاء. الباقر بضمها.

المعنى: ص : ١٨٨

الظلل: جمع ظلّة. و معنى الآية أن يأتيهم عذاب الله، و ما توعدهم به على معصيته، كما قال: «فَأَنذَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» (٢) أى آتاهم خذلانه إياهم.

و المختار عند أهل اللغة الرفع فى «الملائكة» عطفاً على الله، كأنه قال: و تأتيهم الملائكة. و من كسر عطف على ظلل، و تقديره فى ظلل من الغمام، و ظلل من الملائكة. و قوله: «وَقُضِيَ الْأَمْرُ» أى فرغ لهم مما كانوا يوعدون به.

(١) قائله جرير، ديوانه ١: ٢٣، و اللسان (حكم).

(٢) سورة الحشر آية: ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٨٩

و قوله: «وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» لا- يدلّ على أن الأمور ليست إليه الآن و فى كل وقت. و معنى الآية الاعلام فى أمر الحساب، و الثواب، و العقاب أى إليه، فيعذب من يشاء، و يرحم من يشاء، فلا حاكم سواه. و يحتمل أن يكون المراد: أنه لا أحد ممن يملك فى دار الدنيا إلا و يزول ملكه ذلك اليوم.

و شبهت الأهوال بالظلل من الغمام، كما قال: «مَوْجٌ كَالظَّلْلِ» (١) و معنى الآية: ما ينظرون- يعنى المكذبين بآيات الله- محمداً و ما جاء به من القرآن و الآيات إلا- أن يأتيهم أمر الله و عذابه «فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ»، فهل بمعنى (ما)، كما يقول القائل: هل يطالب بمثل هذا إلا متعنت أى ما يطالب. و ينظرون- فى الآية- بمعنى ينتظرون. و قد يقال: أتى و جاء فيما لا يجوز عليه المجيء، و الذهاب، يقولون أتانى و عيد فلان، و كلام فلان، و كل ذلك لا يراد به الإتيان الحقيقى قال الشاعر:

أتانى كلام من نصيب يقوله و ما خفت يا سلام أنك عائبى (٢)

و قال آخر:

أتانى نصرهم و هم بعيد بلادهم بلاد الخيزران (٣)

فكأن المعنى فى الآية: إن الناس فى الدنيا يعتصم بعضهم ببعض، و يفزع بعضهم الى بعض فى الكفر و العصيان، فإذا كان يوم القيامة انكشف الغطاء، و أيقن الشاك، و أقرّ الجاحد، و علم الجاهل، فلم يعصم أحد من الله أحداً، و لم يكن له من دون الله ناصر، و لا من عذابه دافع، و علم الجميع أن الأمر كله لله.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١١] ص: ١٨٩

إشارة

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١) آية واحدة.

(١) سورة لقمان آية: ٣٢.

(٢) البيت فى نوادر أبى زيد: ٤٦، و معانى القرآن للفراء ١: ١٤٦.

(٣) البيت للنابغة الجعدى اللسان (خزر) فى المطبوعة (بأرض) بدل (بلاد).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٠

القراءة: ص : ١٩٠

أهل الحجاز يقولون: سل بغير همز. و بعض بنى تميم يقولون: اسأل بالهمز، و بعضهم يقولون: اسل بالألف و طرح الهمز- و الأولى أحسنها لأنها خط المصحف.

المعنى: ص : ١٩٠

و فى الآية تنبيه و تفرغ للكفار من بنى إسرائيل، و نظيره قول الرجل فى صاحبه إذا فرّعه و ربحه و أراد أن يلزمه الحجة، و يبين عن كفرانه للنعمة ليوقع به العقوبة- لمن بحضرته-: سله كم أعددت له و حذرته.

و الآيات البينات ما ذكرها الله تعالى: من قلب عصا موسى حية، و يده البيضاء، و فلقه البحر، و تغريق عدوهم من فرعون و أصحابه، و تظليله عليهم الغمام، و إنزال المن و السلوى، و ذلك من آيات الله التى أتى بها بنى إسرائيل، فخالقوا جميع ذلك، و قتلوا أنبياءه، و رسله، و بدّلوا عهده، و وصيته إليهم.

و قوله: «وَمَنْ يُدِدْ لِنِعْمَةِ اللَّهِ» معناه: يغير معنى بها الإسلام، و ما فرض فيه من شرائع دينه بعد ما عهد إليه و أمره به من الدخول فى الإسلام، و العمل بشرائعه، فيكفر به، فانه يعاقبه بما أوعده على الكفر به من العقوبة «وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ». و قال الزجاج فيه حذف و تقديره شديد العقاب له، و يجوز أن يكون معناه: شديد العقاب لكل من يستحقه، فيدخل فيه هذا المذكور، فأما أن يكون على معنى شديد العقاب لغيره، فلا يجوز إذا لم يكن للمذكور مدخل فيه. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: من أنه ليس لله على الكافر نعمة، لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله، كما قال: «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ» (١) و قال: «يَدُلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ» (٢).

(١) سورة النحل آية: ٨٣.

(٢) سورة ابراهيم آية: ٢٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩١

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٢] ص : ١٩١

إشارة

زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) آية واحدة.

المعنى: ص : ١٩١

إنما ترك التأنيث فى قوله زَيْن و الفعل فيها مسند الى الحياة و هى المرتفعه به، لأنها لم يسم فاعلها لشيئين:

أحدهما- أن تأنيث الحياة ليس بحقيقى، و ما لا- يكون تأنيثه حقيقياً، جاز تذكيره، كقوله تعالى: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» (١) و قوله: «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ» (٢) «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» (٣).

والثانى- أنه لما فصل بين الفعل و الفاعل بغيره، جاز ترك التأنيث، و قد ورد ذلك فى التأنيث الحقيقى، و هو قولهم حضر القاضى

اليوم امرأة، فإذا جاز ذلك في التأنيث الحقيقي، فبيما ليس بحقيقي، أجوز، وقد قيل: إنما ترك التأنيث في هذا الموضع، لأنه قصد بها المصادر، فترك لذلك التأنيث. وقيل في معنى تزيين الحياة الدنيا قولان:

أحدهما- قال الحسن، و الجبائي، وغيرهما- أن المزين لهم إبليس و جنوده، لأنهم الذين يغنون، و يقوون دواعيه، و يحسنون فعل القبيح، و الإخلال بالواجب و يسوفون لهم التوبة، فأما الله تعالى، فلا يجوز أن يكون المزين له، لأنه زهد فيها، فأعلم أنها متاع الغرور، و تواعد على ارتكاب القبائح فيها.

و القول الثاني- إن الله تعالى خلق فيها الأشياء المعجبة، فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها، كما قال:

(١) سورة البقرة آية: ٢٧٥.

(٢) سورة الانعام آية: ١٠٤.

(٣) سورة هود آية: ٦٧. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٢

«زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ النَّبِيِّنَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ» (١) و إنما أراد بذلك ما جبل الخلق عليه من الميل الى هذه الأشياء، لا أنه حسن جميعها، و لم يقبح شيئاً منها، و كلاهما جائزان حسنان.

و التزيين، و التحسين واحد، و الزين: خلاف الشين، و الزينة: اسم جامع لكل ما يزين به، و هذا أمر زائن له أى مزين له.

و قوله: «وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه: أن قوماً من المشركين كانوا يسخرون من قوم من المسلمين، لأن حالهم فى ذات اليد كانت قليلة، فأعلم الله تعالى:

أن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، لأن المسلمين فى عليلين، و الفجار فى الجحيم، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» (٢) ثم أخبر عن المؤمنين أنهم يضحكون منهم- فى الآخرة-، فقال: «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» (٣).

و قوله: «وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قيل فيه خمسة أقوال:

أحدها- أن معناه: أنه يعطيهم الكثير الواسع الذى لا يدخله الحساب من كثرته.

الثانى- أنه ليس يرزق المؤمن على قدر إيمانه، و لا الكافر على قدر كفره فى الدنيا، و لكن الرزق فى الآخرة على قدر العمل، و ما يتفضل الله به، و يضاعف به عن رجل على المؤمنين ما يشاء من فضله زيادة على كفايته.

الثالث- أنه يعطى عطاء لا- يأخذه بذلك أحد، و لا- يسأله عنه سائل، و لا- يطالب عليه بجزاء، و لا مكافأة، و لا يثبت ذكره مخافة الاعداء، و الاقلال، لأن عطيته ليست من أصل ينقص، بل خزائنه لا تنفى، و لا تنفذ (جل الله تعالى).

و الرابع- قال قطرب معناه: أنه يعطى العدد من الشىء، لا مما يضبط بالحساب، و لا يأتى عليه العدد، لأن ما يقدر عليه غير متناه، و لا محصور، فهو

(١) سورة آل عمران آية: ١٤.

(٢) سورة المطففين آية: ٢٩.

(٣) سورة المطففين آية: ٣٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٣

يعطى الشىء لا من عدد أكثر منه و لا ينقص منه كالمعطى من الآدميين الألف من الألفين و العشرة من المائة.

و الخامس- قال بعضهم: إنما عنى بذلك إعطاء أهل الجنة، لأن الله تعالى يعطيهم ما لا يتناهى، و لا يأتى عليه الحساب، فكل ذلك

حسن جائز، وإنما قال:

«وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» و لا فضل للكفار فى الآخرة لأمرين:

أحدهما- أن أحوالهم فى الآخرة فوق حال هؤلاء الكفار فى الدنيا.

و الثانى- أن يكون محمولا على قوله تعالى «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا» «١» و كما قال حسان يعنى رسول الله و أبا جهل.

فشر كما لخير كما الفداء «٢»

و معنى «يَسْتَخْرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى يهزءون بهم فى زهدهم فى الدنيا، لأنهم يؤهمهم أنهم على حق، و يفهم عنهم أن اعتقادهم بخلاف ذلك.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٣] ص : ١٩٣

إشارة

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أوتوه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)
آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ١٩٣

قرأ أبو جعفر المدنى (ليحكم)- بضم الياء- الباقون بفتحها.

(١) سورة الفرقان آية: ٢٤.

(٢) انظر ١: ١٠١ من هذا الكتاب

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٤

المعنى: ص : ١٩٤

معنى قوله: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أهل مله واحده كما قال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبه و هل يائمن ذو أمة و هو طائع «١»

أى ذو مله و دين. و أصل الأمة الأم من قولك: أمّ يؤم أمًا: إذا قصده.

و هى على أربعة أوجه:

فالأمة: الملة، و الأمة: الجماعة، و الأمة: المنفرد بالمقابلة، و الأمة: القابلة.

و اختلفوا فى الدين الذى كانوا عليه، فقال ابن عباس، و الحسن، و اختاره الجبائى: إنهم كانوا على الكفر. و قال قتادة، و الضحاك:

كانوا على الحق، فاختلّفوا.

فان قيل: إذا كان الزمان لا- يخلوا من حجة كيف يجوز أن يجتمعوا كلهم على الكفر، قلنا: يجوز أن يقال ذلك على التغليب لأن

الحجة إذا كان واحداً أو جماعةً يسيرة، لا يظهرون خوفاً و تقيّة، فيكون ظاهر الناس كلهم الكفر بالله، فلذلك جاز الاخبار به على الغالب من الحال، و لا يعتد بالعدة القليلة.

وقوله: «وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- بما فيه من البيان عن الحق من الباطل. الثاني- أن معناه: بأنه حق للاستصلاح به على ما توجه الحكمة فيه.

وقوله: «لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» فحقيقته، ليحكم منزل الكتاب، لأن الله هو الحاكم بما أنزل فيه، فهو مجاز- في قول الجبائي- قال: إلا أنه جعل اللفظ على الكتاب تفخيماً له، لما فيه من البيان. و يجوز أن يكون في يحكم ضمير اسم الله، فيكون حقيقة. و من ضم الياء قراءته لا شبهة فيها. و المعنى ليحكم الناس أو العلماء بما فيه من الحق.

وقوله تعالى: «وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ» الهاء عائدة على الحق. و قيل على الكتاب.

و الأول أصح، لأن اختلافهم في الحق قبل إنزال الكتاب. فان قيل: إذا كانوا مختلفين على إصابة بعضهم له، فكيف يكون الكفر عمهم به؟ قلنا: لا يمتنع

(١) ديوانه: ٤٠، و اللسان (أمم) من قصيدته في اعتذاره للنعمان.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٥

أن يكون الكل كفاراً، و بعضهم يكفر من جهة الغلو، و بعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود، و النصرى في عيسى (ع)، فقالت النصرى: هو ربّ، فغالوا. و قصّرت اليهود، فقالوا: كذاب متخرص. فان قيل: كيف يكون الكل كفاراً مع قوله: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا؟ قلنا: لا- يمتنع أن يكونوا كلهم كانوا كفاراً، فلما بعث الله اليهم بالأنبياء مبشرين، و منذرين اختلفوا، فأمن قوم، و لم يؤمن آخرون.

و روى عن أبي جعفر (ع) أنه قال: كانوا قبل نوح أمه واحدة على فطرة الله، لا مهتدين، و لا ضلّالاً، فبعث الله النبيين.

الاعراب: ص: ١٩٥

وقوله تعالى: «بَغِيًّا بَيْنَهُمْ» نصب على المفعول له، كأنه قال للبغي بينهم- على قول الأخفش، و الزجاج-. و قال بعضهم: الاستثناء متعلق بثلاثة أشياء، كأنه قال: «وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ»، ما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات، ما اختلفوا فيه إلا بغياً بينهم. إلا أنه حذف الثاني للدلالة الأول عليه. قال الرماني: و الصحيح الأول، لأنه لا يحكم بالحذف مع استقامة الكلام من غير حذف إلا لعذر.

المعنى: ص: ١٩٥

وقوله: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ» معناه: هداهم للحق، و هو الذي اختلفوا فيه. و قيل في معنى باذنه قولان: أحدهما- بلطفه، و لا بد من محذوف على هذا التأويل، أى فاهتدوا باذنه، لأن الله عز و جل، لا يفعل الشيء بإذن أحد يأذن له فيه، و لكن قد يجوز أن يكون على جهة التفسير للهدى، كأنه قال: هداهم بأن لطف لهم، و هداهم بأن أذن لهم. و قال الجبائي: لا بد من أن يكون على حذف (فاهتدوا) باذنه.

و القول الثاني- هداهم بالحق بعلمه، و الاذن بمعنى العلم معروف في اللغة قال التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٦

الحارث بن جلة:

آذنتنا بينها أسماء «١»

أى أعلمتنا. و هو قول الزجاج، وغيره من أهل اللغة. فان قيل: إذا كانوا إنما هدوا للحق من الاختلاف فلم قيل: للاختلاف من الحق؟ قيل: لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف، كان أولى بالتقديم، ثم تفسيره ب (من). و قال الفراء هو من المقلوب نحو قول الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم «٢»

و إنما الرجم فريضة الزنا. و كما قال الآخر:

إن سراجاً لكريم مفخرة تحلى به العين إذا ما تجره «٣»

و إنما يحلى هو بالعين. قال غيره إنما يجوز القلب في الشعر للضرورة. و وجه الكلام على ما بيناه واضح. فان قيل: ما الهدى الذى اختص به من يشاء؟ قيل فيه ثلاثة أقوال: قال الجبائي: اختص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف، و هو البيان، و الدلالة و الثاني- قال: و يجوز أن يكون هداهم على طريق الجنة، و يكون للمؤمنين خاصة. و قال ابن الأخشاد، و البلخي: يجوز أن يكون هداهم باللطف، فيكون خاصاً لمن علم من حاله أنه يصلح به. و لا يجوز أن يكون المراد بالهداية هاهنا الإرشاد الى الدين، و نصب الدلالة عليه، لأنه تعالى لا يخص بذلك قوماً دون قوم، بل لا يصلح التكليف من دونه. و قد بين الله تعالى: أن اختلافهم كان بعد أن جاءتهم البينات فعم بذلك جميعهم، فلو أراد الله بقوله «فَهَيَّدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالبينات، لكان متناقضاً- أللهم- إلا أن يحمل ذلك على أنه أضاف اليهم الهداية، من حيث كانوا هم المتفيعين بها، و المتبعين لها، فكأنهم كانوا هم المخصوصين بها كما قال: «هَيَّدَى لِلْمُتَّقِينَ» «٤» و قوله تعالى: «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ» «٥»

(١) انظرا: ٣٨٠ من هذا الكتاب.

(٢) انظر ٢: ٧٩.

(٣) انظر ٢: ٧٩.

(٤) سورة البقرة آية: ٢.

(٥) سورة يس آية: ١١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٧

«إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا» «١» و إن كان منذراً لجميعهم، و الذى يقوى ذلك قوله: «وَأَمَّا تَمُودُ فَهَيَّدَيْنَاهُمْ فَاسْتَوَجَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى» «٢» فبين أنه هداهم. و إنما لم يهتدوا، فكيف يجوز أن تحمل الهداية على نصب الدلالة، و إقامة الحجج على قوم دون قوم. و الفرق بين: هدى المؤمنين الى الايمان، و بين أنعم عليهم بالايمان، قال الجبائي: إن الهدى للأيمان غير الايمان، و الانعام بالايمان هو نفس الايمان. و الصحيح أنه هداه بالأيمان يجرى مجرى قوله: أنعم عليه بالايمان لأنه يراد بذلك التمكين منه. و الاقتدار عليه و الدعاء إليه و لا يراد به نفس الايمان.

و قوله: «وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى الى طريق الدين الواضح.

و اختلفوا فى الامة المعنية بهذه الآية، فقال ابن عباس، و قتادة: هم الذين كانوا بين عاد، و نوح، و هم عشر فرق كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك. فالتقدير- على قول هؤلاء- كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين. و قال مجاهد: المراد بالآية آدم، فبعث النبيين الى ولده، لما اختلفوا. و قال أبى بن كعب، و الربيع: كان الناس أمة حين استخرجوا من ظهر آدم، فأقروا له بالعبودية، و اختلفوا فيما بعد، فبعث الله اليهم النبيين. و قال ابن عباس فى رواية أخرى: كانوا أمة واحدة على الكفر، فبعث الله النبيين. و قال السدى: كانوا على دين واحد من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين. و قال الربيع و الطبرى: الكتاب الذى اختلفوا فيه التوراة. و قال آخرون كل كتاب أنزل الله مع النبيين.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٤] ص: ١٩٧

إشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبُاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)

(١) سورة النازعات آية: ٤٥.

(٢) سورة حم السجدة آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٨

آية واحدة.

القراءة والنزول: ص: ١٩٨

قرأ نافع (حتى يقول الرسول) بضم اللام. الباقون بنصبها.

ذكر السدي، و قتادة، وغيرهما من أهل التفسير: أن هذه الآية نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة، و حوصر المسلمون في المدينة، و استدعاهم الله الى الصبر، و وعدهم بالنصر.

الاعراب واللغة: ص: ١٩٨

و قال الزجاج: معنى (أم) هاهنا بمعنى (بل). و قال غيره: هي بمعنى الواو. و إنما حسن الابتداء ب (أم) لاتصال الكلام بما تقدم، و لو لم يكن قبله كلام، لما حسن. و الفرق بين (أم حسبتم) و بين (أ حسبتم) أن (أم) لا تكون إلا متصلة لكلام، معادلة للألف، أو منقطعة، فالمعادلة نحو (أزيد في الدار أم عمرو) فالمراد أيهما في الدار، و المنقطعة نحو قولهم: (إنها لإبل أم شاء يا فتى)، و أما الألف، فتكون مستأنفة. و إنما لم يجز في (أم) الاستئناف، لأن فيها معنى (بل) كأنه قيل: (بل حسبتم). و حسبت، و ظننت و خلت نظائر. و قوله تعالى: «وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» معناه و لما تمتحنوا، و تبتلوا بمثل ما امتحنوا، فتصبروا كما صبروا. و هذا استدعاء الى الصبر و بعده الوعد بالنصر.

و المثل، و الشبه واحد، يقال: مثل و مثل، مثل شبه و شبه. و «خلوا» معناه مضوا.

و قوله: «مستهم» فالمس، و اللمس واحد. و البأساء ضد النعماء، و الضراء ضد السراء.

و قوله: «زلزلوا» معناه هاهنا: أزعجوا بالمخافة من العدو. و الزلزلة: شدة التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ١٩٩

الحركة. و الزلزال: البلبله المزعجة بشدة الحركة، و الجمع زلازل، و يقال: زلزل الأرض يزلزلها زلزلاً، و تزلزل تزلزلاً، مثل تدكدك تدكدكاً، و أصله زلّ، و إنما ضوعف، مثل صرصر، و صلصل.

و قوله: «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ» من نصب اللام، ذهب الى تقدير: الى أن يقول الرسول، فيكون على معنى الاستقبال إذا قدرت معها (أن)، و هو يشبه الحكاية، كأنك تقدر حالا، ثم استأنف غيره فعلا، كما تستأنف عن حال كلامك.

و يوضح ذلك (كان زيد سيقول كذا و كذا). و انما قدرت بكان زيد وقتاً، ثم يستأنف عنه فعلا، فكذلك «زلزلوا» قد دلّ على وقت، ثم استأنف بعده الفعل.

و من رفع، فعلى الحال للفعل المذكور، و الحال لكلام المتكلم، و ذلك القول قد يكون في حال الزلزلة. فأما الغاية فلا يكون إلا بعد

تقضيها و إن كان متصلاً بها، و الرفع يوجب التأديب بمعنى: أن الزلزلة أدت الى قول الرسول. فأما النصب، فيوجب الغاية، فقد حصل الفرق بين الرفع و النصب من ثلاث جهات:

الأول- أن أحدها على الحال، و الآخر على الاستقبال. و الثاني- أن أحدها قد انقضى، و الآخر لم ينقض. و الثالث- أن أحدها على الغاية، و الآخر على التأديب. و معنى الغاية فى الآية أظهر، لأن النص جاء عند قول الرسول، فلذلك كان الاختيار فى القراءة النصب.

المعنى: ص : ١٩٩

فان قيل: ما معنى قول الرسول و المؤمنين: «مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟» قلنا: قال قوم:

معناه الدعاء لله بالنصر، و لا يجوز أن يكون معناه الاستبطاء لنصر الله على كل حال لأن الرسول يعلم: أن الله لا يؤخره عن الوقت الذى توجهه الحكمة. و قال قوم:

معناه الاستبطاء لنصر الله. و ذلك خطأ، لا يجوز مثله على الأنبياء (ع) إلا أن يكون على الاستبطاء لنصره لما توجهه الحكمة من تأخره. و النصر ضد الخذلان.

و القريب ضد البعيد. و القرب و الدنو واحد. و من قال: إن ذلك على وجه الاستبطاء قواه بما بعده من قوله «أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ».

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٠

اللغة: ص : ٢٠٠

و أصل (لما) (لم) فزيد عليها (ما) فغيرت معناها، كما غيرت فى (لو لما زيد عليها (ما) إذا قلت: (لو ما) فصارت بمعنى هلا. و الفرق بين (لم) و (لما) أن (لما) يصح أن يوقف عليها، مثل قولك: أقدم زيد؟ فيقول: لما، و لا يجوز (لم)، و فى (لما) توقع لأنها عقيبة (قد)، إذا انتظر قوم ركوب الأمير، قلت:

قد ركب، فان نفيت هذا قلت: لما يركب، و ليس كذلك (لم)، و يجمعهما نفى الماضى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٥] ص : ٢٠٠

إشارة

يَسِّرْ لَكُمْ مَا ذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

آية واحدة.

المعنى: ص : ٢٠٠

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها: أن الآية الأولى فيها دعاء الى الصبر على الجهاد فى سبيل الله، و فى هذه بيان لوجه النفقة فى سبيل الله، و كل ذلك دعاء الى فعل البر.

و النفقة: إخراج الشئ عن الملك ببيع، أو هبة، أو صلة، أو نحوها، و قد غلب فى العرف على إخراج ما كان من المال: من عين، أو ورق.

و قوله «يسألونك» خطاب للنبي (ص) بأن القوم يسألونه، و السؤال:

طلب الجواب بصيغته مخصوصه في الكلام.

و ذكر السدي: أن هذه الآية منسوخة بفرض الزكاة. و قال الحسن: ليست منسوخة، و هو الأقوى، لأنه لا دليل على نسخها.

و الجواب المطابق لقوله: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» أن يقول: قل النفقة التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠١

التي هي خير، و إنما عدل عنه لحاجه السائل الى البيان الذي يدل عليه، و على غيره، و ذلك يحسن من الحكماء إذا أرادوا تعليم غيرهم، و تبصيرهم أن يضمنا الجواب مع الدلالة على المسئول عنه الدلالة على ما يحتاج إليه السائل في ذلك المعنى مما أغفله أو حذف السؤال عنه لبعض الأسباب المحسنة له. فأما الجدل الذي يضايق فيه الخصم، فالأصل فيه التحقيق، بأن يكون الجواب على قدر السؤال من غير زيادة و لا نقصان، و لا عدول عما يوجبه نفس السؤال، لأن كل واحد من الخصمين قد حل محل النظر للآخر. و لا يجوز إعطاء الزكاة للوالدين، و كل من تلزمه نفقته - و به قال الحسن - و الآية عامه في الزكاة و في التطوع - و به قال الحسن - غير أنها فيمن تلزمه النفقة عليه، خاصة بالنفقة.

الاعراب: ص : ٢٠١

و موضع (ما) في قوله: «ماذَا يُنْفِقُونَ» من الاعراب يحتمل وجهين:

الرفع، و النصب، الرفع على ما الذي ينفقون، فيكون المعنى الذي، و ينفقون صلته، و النصب بمعنى أى شيء ينفقون، فيكون (ذا) و (ما) بمنزلة شيء واحد. و المساكين جمع مسكين و هو المحتاج.

المعنى: ص : ٢٠١

و معنى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» أى ما فعلوا من خير فان الله يجازى عليه من غير أن يضيع منه شيء، لأنه عليم لا يخفى عليه شيء. قال مجاهد: معنى «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» إنهم سألو ما لهم في ذلك، فقال الله تعالى: «قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» الآية. و قال قتادة: أهمتهم النفقة، فسألوا عنها النبي (ص) فأنزل الله «قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» الآية.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٦] ص : ٢٠١

إشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٢

آية واحدة.

المعنى: ص : ٢٠٢

معنى قوله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ» فرض عليكم القتال، و هذه الآية دالة على وجوب الجهاد، و فرضه، و به قال مكحول، و سعيد بن المسيب، و أكثر المفسرين، غير أنه فرض على الكفاية. و حكى عن عطاء: أن ذلك كان على الصحابة، و الصحيح الأول، لحصول

الإجماع عليه اليوم، وقد انقرض خلاف عطا.

اللغة: ص : ٢٠٢

وقوله: «وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ» يقال: كره كراهةً، وكرهه إكراهاً: إذا أجبره، وتكره تكزهاً، واستكره استكراهاً، وكرهه تكريهاً. والكراهة: المشقة التي يحمل عليها، والكره: المشقة من غير أن يحمل عليها. وقيل: هما لغتان، مثل ضَعْف، و ضِعْف. و جمل كره: شديد الرأس، لأنه لا ينقاد إلا على كره، والكريهة: الشديد في الحرب، لأنه يدخل فيها على كره. و كراهية «١» الدهر: نوازله، و كرهت الأمر كراهةً و كراهيةً و مكرهه، و كرهه إلى هذا الأمر تكريهاً: أى صيره إلى بحال كريهة. و الكرهاء: صفحة الوجه، لأن الكره يظهر فيها.

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٢٠٢

فان قيل: كيف كره المؤمنون الجهاد، و هو طاعة لله؟ قيل عنه جوابان: أحدهما- أنهم يكرهونه كراهية طباع و الثاني- أنه كره لكم قبل أن يكتب عليكم، و على الوجه الأول يكون لفظ الكراهة مجازاً، و على الثاني حقيقة. و قوله: «عسى» معناه الطمع، و الإشفاق من المخاطب، و لا يكون إلا مع مثله في الأمر. و قيل: معناها هاهنا قد، و إنما قال: «عسى» و قال في موضع آخر:

(١) في المطبوعة (كراهية). [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٣

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ» فجمع، لأنه استغنى في الغائب عن الجمع كما استغنى عن علامة الضمير في اللفظ، و ليس كذلك المخاطب، فجرى في كل غائب على التوحيد، لامتناعه من التصريف. و تقول: عسى أن يقوموا، فإذا قلت: عسيتم أن تقوموا جمعت. و في قوله «وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ» حذف- في قول الزجاج وغيره- لأن تقديره و هو ذو كره لكم، و يجوز أن يكون معناه: و هو مكروه لكم، فوقع المصدر موقع اسم المفعول، و مثله قولهم: رجل رضى بمعنى ذو رضى، و يجوز أن يكون بمعنى مرضى. و قوله: «وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ» فالشر السوء، و هو ضد الخير، تقول: شرّ يشرّ شرارةً. و شرار النار، و شررها لهيها، و شررت اللحم و الثوب تشريراً: إذا بسطته، ليجف، و كذلك أشرته إشراً، و أشررت الكتاب: إذا أظهرته، و شرّة الشباب: نشاطه، و إنما قال الله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ» تنبيهاً على أنه يعلم مصالحكم، و ما فيه منافعكم، فبادروا إلى ما يأمركم به و إن شق عليكم. و الفرق بين الشهوة، و المحبة واضح، لأن الصائم في شهر رمضان يشتهي شرب الماء، و لا يكون مؤاخذاً به، و لا يحبه كما لا يريد، و لو أراد و أحبه، لكان مذموماً، و يكون مفطراً- عند كثير من الفقهاء-. و قوله: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» يدل على فساد قول المجبرة، لأنه تعالى إنما رغبتهم في الجهاد، لما علم من مصالحهم، و منافعهم، فيدبرهم لذلك، لا لكفرهم و فسادهم يتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٧] ص : ٢٠٣

يَسْتُلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلٌّ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيُمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٤

آية واحدة بلا خلاف.

اختلفوا في: من السائل عن هذا السؤال: أهم أهل الشرك، أم أهل الإسلام، فقال الحسن، وغيره: هم أهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال في الشهر الحرام، و به قال الجبائي، و أكثر المفسرين. و قال البلخي: هم أهل الإسلام، سألوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه.

الاعراب: ص : ٢٠٤

و قوله تعالى: «قِتَالٍ فِيهِ» مجرور على البدل من الشهر، و هو من بدل الاشتمال، و مثله قوله تعالى: «قِتْلَ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ» (١) و قال الأعشى:

لقد كان في حول ثواءٍ ثويته تقضى لبانات و يسأم سائم (٢)

و الذى يشتمل عليه المعنى هو أحوال الشيء، و ما كان منه بمنزلة أحواله مما يغلب تعلق الفعل به، فلا يجوز رأيت زيدا لونه، لأن لونه يجوز أن يرى كما يجوز أن يرى نفسه، و يجوز سرق زيد ثوبه، لأن تعلق السرقة إنما هى بالملك دون النفس فى غالب الأمر، و يجوز أن تقول: رأيت زيدا مجيئه، و لا يجوز رأيت زيدا إياه، لأنه يجرى مجرى حاله.

و قوله تعالى: «وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» رفع بالابتداء، و ما بعده معطوف عليه، و خبره «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» هذا قول الزجاج. و قال أبو على الفارسي: لا يخلو

(١) سورة البروج آية: ٥.

(٢) ديوانه: ٧٧ رقم القصيدة: ٩. يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني و معنى البيت يعلم من البيت قبله الذى هو مطلع القصيدة و هو.

هريرة ودعها و ان لام لائم غداة غد أم أنت للبين واجم

و هريرة قد ذكرها فى قصيدة قبل هذه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٥

أن يكون ارتفاع قوله: «وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ» من أن يكون بالعطف على الخبر الذى هو «كبير» كأنه قال: قتال فيه كبير و صد و كفر: أى القتال، قد جمع أنه كبير، و أنه صد، و كفر. و يكون مرتفعاً بالابتداء، و خبره محذوف لدلالة «كبير» المتقدم عليه، كأنه قال:

و الصد كبير، كقولك: زيد منطلق و عمرو، أو يكون مرتفعاً بالابتداء، و الخبر المظهر، فيكون الصد ابتداء، و ما بعد من قوله:

«وَكُفْرٌ بِهِ وَ... إِخْرَاجُ أَهْلِهِ» مرتفع بالعطف على الابتداء، و الخبر قوله: «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» قال: و لا يجوز الوجهان الأولان- و قد أجازهما

الفراء- أما الوجه الأول، فلأن المعنى يصير: قل: قتال فيه كبير و صد عن سبيل الله كبير، و القتال و إن كان كبيراً، و يمكن أن يكون

صدًا، لأنه ينفر الناس عنه، فلا يجوز أن يكون كفرًا، لأن أحداً من المسلمين لم يقل ذلك، و لم يذهب إليه، فلا يجوز أن يكون خبر

المبتدأ شيئاً لا يكون المبتدأ. و يمنع من ذلك أيضاً قوله بعد: «وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» و محال أن يكون إخراج أهله منه

أكبر من الكفر، لأنه لا شىء أعظم منه، و يمتنع الوجه الثانى أيضاً، لأن التقدير: فيه يكون قتال فيه كبير و كبير الصد عن سبيل الله و

الكفر به، و كذلك مثله الفراء، و قدره، فإذا صار المعنى:

و إخراج أهل المسجد الحرام أكبر عند الله من الكفر، فيكون بعض خلال الكفر أعظم منه كله، و إذا كان كذلك امتنع كما امتنع الأول و إذا امتنع هذان ثبت الوجه الثالث، و هو أن يكون قوله «وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» ابتداءً «وَكُفْرٌ بِهِ ... وَ إخراج أهله» معطوفاً عليه «و أكبر» خبراً.

المعنى: ص : ٢٠٥

فيكون المعنى: «وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى منعهم لكم أيها المسلمون عن سبيل الله، و عن المسجد الحرام، و إخراجكم منه- و أنتم ولا-ته، و الذين هم أحق به منهم- و كفر بالله أكبر من قتاله فى الشهر الحرام. قال الرماني، و الفراء: إن التخلص من التأويل الثانى أن تقول: إخراج أهله منه أكبر من القتل فيه، لا من الكفر، لأن المعنى فى إخراج أهله منه إخراج النبى (ص) و المؤمنين عنه. قال: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٦

و أما التأويل الأول، فلا يجوز إلا أن يجعل «كُفْرٌ بِهِ» يعنى بالمسجد الحرام، لانتهاك حرمة. قال: و التأويل الأول أجود. و هذا القتال فى الشهر الحرام هو ما عابه المشركون على المسلمين، من قتل عبد الله بن جحش، و أصحابه عمر بن الحضرمي، لما فصل من الطائف، فى غير- فى آخر جمادى الآخر- و أخذهم العير، و هو أول من قتل من المشركين- فيما روى، و أول فى أصابه المسلمون.

و أما قوله تعالى: «وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» فقال الفراء: إنه محمول على قوله:

يسألونك عن القتال، و عن المسجد الحرام هذا لفظه. قال أبو على الفارسي: و هذا أيضاً يمتنع، لأنه لم يكن السؤال عن المسجد الحرام، و إنما السؤال عن قتال ابن جحش الحضرمي و أصحابه الذين عابهم المشركون و غيرهم، فقالوا إنكم استحلتم الشهر الحرام، و هو رجب بقتلهم فيه، فكان السؤال عن هذا، لا- عن المسجد الحرام و إذا لم يجر هذا الوجه، لم يجر حمله على المضمهر المجرور، لأن عطف المظهر على المضمهر غير جائز، لأنه ضعيف جداً، فيكون محمولاً على الضمير فى به، لأن المعنى ليس على كفر بالله أو بالنبى (ص)، و المسجد، فثبت «١» أنه معطوف على (عن) من قوله: «وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»، لأن المشركين صدوا المسلمين عنه، كما قال: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»، «٢» فكما أن المسجد الحرام محمول فى هذه الآية على (عن) المتصلة بالصد- بلا إشكال- كذلك فى هذه الآية، و هو قول أبى العباس، أيضاً قال الرماني: ما ذكره الفراء، و اختاره الحسن ليس يمتنع، لأن القوم لما استعظمو القتال فى الشهر الحرام، و كان القتال عند المسجد الحرام يجرى مجراه فى الاستعظام جمعوهما لذلك فى السؤال، و إن كان القتال إنما وقع فى الشهر الحرام خاصة، كأنهم قالوا: قد استحللت الشهر الحرام، و المسجد الحرام. و ظاهر الآية يدل على أن القتال فى الشهر الحرام كان محرماً لقوله:

(١) فى المطبوعة «بيت».

(٢) سورة الحج آية: ٢٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٧

«قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و ذلك لا يقال إلا فيما هو محرم، محظور.

اللغة: ص : ٢٠٧

و الصد، و المنع، و الصدق و واحد. صدّ يصدّ صدوداً إذا صدق عن الشىء لعدوله عنه، و صددته عن الشىء، أصدده صدداً إذا عدلته

عنه، و منه قوله تعالى:

«إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» (١) قرئ بالضم، و الكسر. قال أبو عبيدة: يَصِدُّونَ يعرضون، و يَصِدُّونَ يَضجون، و ذلك لأنهم، يعدلون الى الصحيح. و الصيد: و الصيد:

الدم المختلط بالقيح يسيل من الجرح. و الصد: ما استقبلك و صار في قبالتك، لأنه يعدل (٢) الى مواجهتك. و الصدان: ناحيتا الشعب أو الوادي. و الصداد:

ضرب من الجردان يعدل لشدة تحرزه. و الصداد: الوزغ (٣)، لأنه يعدل عنه استقذاراً له، و أصل الباب العدول.

المعنى: ص : ٢٠٧

و قوله: «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» معناه الفتنة في الدين، و هي الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام. و قال قتادة و غيره، و اختاره الجبائي: إن القتال في الشهر الحرام و عند المسجد الحرام منسوخ بقوله: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» (٤) و بقوله: «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» (٥) و قال عطاء: هو باق (٦) على التحريم. و روى أصحابنا: أنه على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة، فإنهم لا يبتدئون فيه بالقتال، و كذلك في الحرم، و إنما أباح تعالى للنبي (ص) قتال أهل مكة وقت الفتح، و لذلك قال (ص): إن الله أحلها في هذه الساعة، و لا يحلها لأحد بعدى الى يوم القيامة. و من لا يرى ذلك، فقد نسخ في جهته و جاز قتاله أى وقت كان.

(١) سورة الزخرف آية: ٥٧.

(٢) في المطبوعة (بعدك).

(٣) في المطبوعة (الورع).

(٤) سورة البقرة آية: ١٩٣.

(٥) سورة التوبة آية: ٦.

(٦) في المطبوعة (فاق).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٨

و قوله: «يردوكم» قال الجبائي: هو مجاز هاهنا، لأن حقيقته: حتى ترتدوا بالجماع إليكم الى الارتداد، و الأولى أن يكون حقيقة ذلك بالعرف.

اللغة: ص : ٢٠٨

و قوله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ» فالزوال: العدول. و لا يزال موجوداً، و ما زال: أى ما دام، و زال الشيء عن مكانه يزول زوالاً، و أزلته عنه، و زلته، و زالت الشمس زوالاً و زيالاً و زالت الخيل بركبائها زيالاً، و رجل زول، و امرأة زولة، و هو الظريف الركيب (١) و أصل الباب الزوال.

و قوله: «وَمَنْ يَزِدْكُمْ عَنْ دِينِهِ»، فهو على إظهار التضعيف، لسكون الثانى. و يجوز «يرتد» - بفتح الدال - على التحريك، لالتقاء الساكنين، و الفتح أجود.

و قوله: «فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» معناه: أنها صارت بمنزلة ما لم يكن، لا يقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به، و ليس المراد

أنهم استحقوا عليها الثواب ثم انحبطت، لأن الإحباط - عندنا - باطل على هذا الوجه. و يقال: حبط عمل الرجل يحبط حبطاً وحبوطاً، و أحبطه الله إحباطاً، و الحبط: فساد، يلحق الماشية في بطونها، لأكل الحباط، و هو ضرب من الكلاء. يقال: حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا أصابها ذلك.

و روى عن عطا عن ابن عباس: أن المسجد الحرام الحرام كله.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٨] ص : ٢٠٨

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)
آية واحدة بلا خلاف.

(١) الركبين - بفتح الراء و الباء - أصل الفخذين.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٠٩

النزول والاعراب: ص : ٢٠٩

ذكر جندب بن عبد الله، و عروة بن الزبير: أن هذه الآية نزلت في قصة عبد الله بن جحش و أصحابه لما قاتلوا في رجب، و قتل واقد التميمي بن الحضرمي، ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجره، فأنزل الله الآية فيهم - بالوعد-
و خبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» الجملة التي هي قوله: (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) أولئك ابتداء، و يرجون خبره، و الجملة خبر (إن).

اللغة: ص : ٢٠٩

و قوله: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا» فالهجر ضد الوصل، تقول: هجره يهجره هجراً، و هجراناً: إذا قطع مواصلته. و الهجر: ما لا ينبغي من الكلام، تقول: هجر المريض يهجر هجراً، لأنه قال ما لا ينبغي أن يهجر من الكلام، و ما زال ذلك هجيراً أي دأبه «١». و الهاجرة: نصف النهار، و هجر القوم تهجيراً: إذا دخلوا في الهاجرة.

و سمي المهاجرون لهجرتهم قومهم، و أرضهم. و أهجرت الجارية إهجاراً: إذا شبت شباباً حسناً، فهي مهجرة، و يقال ذلك للناقة، و النخلة. و الهجار: حبل يشد به يد الفحل الى إحدى رجله، لأنه يهجر بذلك التصرف و أصل الباب الهجر: قطع المواصلة.

و قوله تعالى: «و جاهدوا» تقول: جهدت الرجل جهداً: إذا حملته على مشقة، و جاهدت العدو مجاهدة إذا حملت نفسك على المشقة في قتاله. و اجتهدت رأياً: إذا حملت نفسك على المشقة في بلوغ صواب الرأي. و الجهاد: الأرض الصلبة، و أصل الباب الجهد: الحمل على المشقة.

و قوله تعالى: «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى قتال العدو، و يدخل في ذلك مجاهدة النفس.

و قوله «أُولَئِكَ يَرْجُونَ» فالرجاء الأمل، رجا يرجو رجاءً، و ترجى

(١) هجيره - بكسر الهاء و الجيم مع تشديد الجيم - في المطبوعة (أى داته).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٠

ترجياً، وارتجى ارتجاء، والرجاء- مقصوفاً- ناحية كل شىء، و يثنى رجوان و جمعه أرجاء، و منه أرجاء البئر نواحيه، و قوله تعالى «ما لكم لا ترجون لله وقاراً» (١) «أى لا تخافون، قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عواسل (٢)

أى لم يخف، و ذلك أن الرجاء للشىء الخوف من أن لا يكون، فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء، و أصل الباب الأمل، و هو ضد اليأس.

المعنى: ص: ٢١٠

و فى الآية دلالة على أن من مات مصراً على كبيرة لا يرجو رحمة الله لامرين:

أحدهما- أن ذلك دليل الخطاب، و ذلك غير صحيح عند أكثر المحصلين.

و الثانى- أنه قد يجتمع- عندنا- الايمان و الهجرة و الجهاد مع ارتكاب الكبيرة، فلا يخرج من هذه صورته عن تناول الآية له، و إنما ذكر المؤمنين برجاء الرحمة و إن كانت هى لهم لا محالة، لأنهم لا يدرون ما يكون منهم من الاقامة على طاعة الله أو الانقلاب عنها الى معصيته، لأنهم لا يدرون كيف تكون أحوالهم فى المستقبل. و قال الجبائى: لأنهم لا يعلمون أنهم أدوا كما يجب لله عليهم، لأن هذا العلم من الواجب، و هم لا- يعلمونه إلا- بعلم آخر، و كذلك سبيل العلم فى أنهم لا يعلمونه إلا بعلم غيره، و هذا يوجب أنهم لا يعلمون إذاً كما يجب لله عليهم. و قال ابن الأخشاد: لأنه لا يتفق للعبد التوبة من كل معصية، و استدل على ذلك بإجماع الأمة على أنه ليس لأحد غير النبى (ص). و من شهد له عليه، فلا.

و يمكن فى الآية وجه آخر- على مذهبنا- و هو أن يكون رجاءهم لرخصة الله فى غفران معاصيهم التى لم يتفق لهم التوبة عنها، و اخترموا دونهم، فهم يرجون أن يسقط الله عقابها عنهم تفضلاً. فأما الوجه الاول، فإنما يصح على مذهب من

(١) سورة نوح آية: ١٣.

(٢) اللسان (رجاء)، (خلف) فى المطبوعة (عوامل) بدل (عواسل) أى دخل عليها و أخذ عسلها. و يروى (و خالفها) أى لزمها. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١١

يجوز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه أو يفعل فى المستقبل كبيرة يحبط ثواب إيمانه، و هذا لا يصح على مذهبنا فى الموافات و ما قاله الجبائى يلزم عليه و جوب ما لا- نهاية له، لأنه إذا وجب عليه أن يعلم أنه فعل ما وجب عليه بعلم آخر، و ذلك العلم مما وجب عليه أيضاً فيجب ذلك بعلم آخر، و فى ذلك التسلسل.

و إنما ضم الى صفة الايمان غيره فى اعتبار الرجاء للرحمة ترغيباً فى كل خصلة من تلك الخصال، لأنها من علامات الفلاح. فأما الوعد، فعلى كل واحدة منها إذا سلمت مما يبطلها. و قال الحسن: الرجاء، و الطمع هاهنا على الايمان إذا سلم العمل. و ذكر الجبائى: أن هذه الآية تدل على أنه لا يجوز لأحد أن يشهد لنفسه بالجنة، لأن الرجاء لا يكون إلا مع الشك، و قد بين الله تعالى: أن صفة المؤمن الرجاء للرحمة، لا القطع عليها لا محالة.

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر فى الأولى العذاب، ذكر بعدها آية الرحمة، ليكون العبد بين الخوف و الرجاء إذ ذلك أوكد فى الاستدعاء، و أحق بتدبير الحكماء.

و كتبت «رَحِمَتَ اللَّهِ» بالتاء فى المصحف على الوصل، و الأقيس بالهاء على الوقف، كما كتب «يَدْعُ الدَّاعِ» (١) و «يَقْضَى بِالْحَقِّ» (٢) «وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا» (٣) كل ذلك على الوقف.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢١٩] ص : ٢١١

إشارة

يَسْرِ تَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْرِ تَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)

(١) سورة القمر آية: ٦.

(٢) سورة المؤمن آية: ٢٠.

(٣) سورة الكهف آية: ٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٢

القراءة: ص : ٢١٢

قرأ أهل الكوفة إلا عاصم (إثم كثير) بالثاء. الباقون بالباء، وقرأ أبو عمرو وحده (قل العفو) بالرفع. الباقون بالنصب.

اللغة: ص : ٢١٢

قال أكثر المفسرين: الخمر عصير العنب إذا اشتد. وقال جمهور أهل المدينة:

ما أسكر كثيره فهو خمر، وهو الظاهر في رواياتنا.

و أما اشتقاقه في اللغة: تقول خمرت الدابة أخمرها خمراً إذا سقيتها الخمر، وخمرت العجين والطين أخمره خمراً: إذا تركته فلم تستعمله حتى يوجد. وأخمر القوم إخماراً: إذا تواروا في الشجر. ويقال لما سترك من شجر: خمري «١»، مقصوراً، واختمرت المرأة، وخمرت إذا لبست الخمار: وهي المقنعة. وخامره الحزن مخامرة إذا خالطه. وخمر الأثناء وغيره تخمراً: إذا غطيته، واستخمرت فلاناً: إذا استعبده.

والخمار بخار يعقبه شرب الخمر. والمخامرة: المقاربة. والخمر: ما وارك من الشجر، وغيره. والخمر: شبيه بالسجادة. والمخمرة من الغنم: سواد و رأسها أبيض. ودخل في خمار الناس: إذا دخل في جماعة، فخفي فيهم، وأصل الباب الستر.

والميسر: قال ابن عباس، وعبد الله بن مسعود، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن سيرين: هو القمار كله وهو الظاهر في رواياتنا. واشتق الميسر من اليسر، وهو وجوب الشيء لصاحبه، من قولهم: يسر لي هذا الشيء: إذا وجب لي، فهو تيسر لي يسراً، وميسراً، و

الياسر: الواجب بقдах وجب لك أو غير ذلك. وقيل للمقامر: ياسر، ويسر، قال النابغة:

أو ياسر ذهب القдах بوفره أسف تأكله الصديق مخلع «٢»

(١) في المطبوعة (ضراً) وهو تصحيف.

(٢) لم أجد هذا البيت في شعر النابغة، وهو موجود في تفسير الطبري ٤: ٣٢٢.

الياسر: المقامر. القдах: تستعمل في لعب القمار الوفرة: المال الكثير. مخلع: قد لعب في القمار مرة بعد مرة. وكأنه يصف لاعب قمار قد خسر ماله الواسع وقد أسف عليه عند ما رأى أصدقاءه الذين يلعبون دائماً قد أخذوه منه وتقاسموه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٣

يعنى القامر. وقيل أخذ من التجزئة، لأن كل شىء جزأته، فقد يسرته، و الياسر: الجازر. و الميسر: الجزور. وقيل الميسر مأخوذ من اليسر، و هو تسهل الشىء، لأنهم - كانوا - مشتركون فى الجزور، ليسهل أمرها إلا أنه المعنى الجهه: القمار.

المعنى: ص: ٢١٣

و قوله: «قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ» فالنفع التى فى الخمر: ما كانوا يأخذونه فى أثمانها، و ربح تجارتها، و ما فيها من اللذة بتناولها: أى فلا تغتروا بالنفع فيها، فالضرر أكثر منه. و قال الحسن، و غيره: هذه الآية تدل على تحريم الخمر، لأنه ذكر أن فيها إثماً، و قد حرم الله الإثم بقوله: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ» (١) على أنه قد وصفها بأن فيها إثماً كبيراً و الكبير يحرم بلا خلاف.

و قال قوم: المعنى و إثمهما بعد تحريمهما أكبر من نفعهما قبل تحريمهما. و قال آخرون: المعنى إن الإثم بشرب هذه، و القمار بها أكبر و أعظم، لأنهم كانوا إذا استكروا و ثب بعضهم على بعض، و قاتل بعضهم بعضاً. و قال قتادة: لا تدل الآية على تحريمهما، و إنما تدل الآية التى فى المائدة فى قوله: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ» (٢) الى آخرها. و وجهه قتادة على أنه قد يكثر فيهما «إِثْمٌ كَبِيرٌ». و قوله: «يَسِبُّ لَوْلَاكَ مَا ذَا يُنْفِقُونَ» قال السدى: نسخته آية الزكاة. و قال مجاهد: هو فرض ثابت. و قال قوم: هو أدب من الله ثابت غير منسوخ، و هو الأقوى، لأنه لا دليل على نسخها.

و «العفو» هنا قيل فى معناه ثلاثة أقوال:

قال ابن عباس، و قتادة: هو ما فضل عن الغنى.

و قال الحسن، و عطا: هو الوسط من غير إسراف و لا إقتار.

و قال مجاهد: هو الصدقة المفروضة.

(١) سورة الاعراف آية: ٣٢.

(٢) آية: ٩٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٤

و روى عن أبى جعفر (ع) أن العفو: ما فضل عن قوت السنة، فنسخ ذلك بآية الزكاة.

و روى عن أبى عبد الله (ع) أن العفو هاهنا: الوسط.

و العفو مأخوذ من الزيادة و منه قوله: «حَتَّى عَفْوًا» (١) أى حتى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر:

و لكننا نعضُّ السيف منها باسبِق عافيات الشحم كوم (٢)

أى زائدات الشحم. و قال قوم: هو مأخوذ من الترك من قوله: «فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» (٣) أى ترك له، فيكون العفو المتروك غنى عنه، و من رفع معناه ما الذى ينفقون، و فى الأول كأنه قال: أى شىء ينفقون، فقالوا: العفو. و إنما وحد الكاف فى كذلك، و إن كان الخطاب لجماعة، لأحد أمرين: أحدهما - فى تقدير كذلك أيها السائل. و الثانى - أن يكون الخطاب للنبي (ص) و يدخل فيه الأمة، كما قال: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» (٤).

و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» أى لكى تتفكروا، و هى لام الغرض. و فى ذلك دلالة على أن الله تعالى أراد منهم التفكر سواء تفكروا أو لم يتفكروا.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٠] ص : ٢١٤

إشارة

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)
آية واحدة.

الاعراب والمعنى: ص : ٢١٤

العامل في الظرف من قوله: «فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» يحتمل أمرين:

- (١) سورة الاعراف آية: ٩٤.
 - (٢) قائله لبيد بن ربيعة، ديوانه: ١٩ رقم القصيدة: ٣ في المطبوعة (يعض السيف منا) و هو خطأ، لأن هذا البيت من قصيدة يفتخر بها في كرمهم: يقول:
 - (٣) سورة البقرة آية: ١٨٧.
 - (٤) سورة الطلاق آية: ١.
- التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٥
أحدهما- «يبين» على قول الحسن. و الثاني- «يتفكرون» في قول غيره.
و أجاز الزجاج الوجهين معاً.
و كيفية فكرهم في الدنيا والآخرة، قال قتادة: يتفكرون في أن الدنيا دار بلاء، و فناء، و الآخرة دار جزاء و بقاء.

اللغة: ص : ٢١٥

وقوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ، فهو جمع يتيم، و الفعل منه يتم يتيم يتماً، كقولك: نكر نكراً. و حكى الفراء: يتم يتيم يتماً، كشغل شغلاً.
و قوله: «وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ» فالمخالطة: مجامعة يتعذر معها التمييز، كمخالطة الخل للماء، و الماء للماء و ما أشبه ذلك، تقول: خلط يخلط خلطاً، و خالطه خلطاً و مخالطته، و اختلاطاً، و تخالطوا تخالطاً، و خلطه تخليطاً، و تخلط تخلطاً. و أخلط الفرس: إذا قصير في جريه. و استخلط الفحل: إذا خالط ثيله حياء الناقة «١» و الخلاط: الجنون، لاختلاط الأمور على صاحبه. و الخليطان: الشريكان، لاختلاط أموالهما. و الخليط: القوم أمرهم واحد. و الخلاط: داء في الجوف. و رجل خَلِطَ: متحجب الى الناس، لطلبه الاختلاط بهم.

المعنى: ص : ٢١٥

و معنى الآية الاذن لهم فيما كانوا متحرّجون منه من مخالطة الأيتام في الأموال: من المأكل، و المشرب و المسكن، و نحو ذلك، فأذن الله لهم في ذلك إذا تحزوا «٢» الإصلاح بالتوفير على الأيتام- في قول الحسن، و غيره- و هو المروى في أخبارنا.

الاعراب: ص : ٢١٥

و قوله: «فإخوانكم» رفع على فهم «٣» إخوانكم خالطوهم أو لم تخالطوهم،

(١) في المطبوعة (ثيله حال الناقه) و هو تصحيف.

(٢) في المطبوعة (إذا انحروا) و هو تصحيف.

(٣) في المطبوعة (فهو). [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٦

و قوله: «فَبِإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا» «١» نصب على فصلوا «٢» و هو حال الصلاة خاصة لا- حال معنى فأنتم رجال أو ركبان، كيف تصرفت الحال. و يجوز- في العربية- إخوانكم على نصب على تقدير: إخوانكم تخالطون، و الوجه الرفع، لما بيناه.

اللغة: ص : ٢١٦

و قوله: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَأَعْتَنَّاكُمْ» معناه: التذكير بالنعمة في التوسعة على ما توجه الحكمة مع القدرة على التضيق الذي فيه أعظم المشقة، و الاعنات: الحمل على مشقة لا تطاق فعلا. و عنت العظم عنتاً إذا أصابه وهن أو كسر، و أعنته إعناتاً إذا عسفه «٣» بالحمل على مكروه لا يطيقه. و عنت عنتاً إذا اكتسب مأثماً، و تعنته تعنتاً إذ لبس عليه في سؤاله له. و الاكمة العنوت: هي الطويلة من الآكام، و أصل الباب المشقة.

المعنى: ص : ٢١٦

و قال البلخي: في هذه الآية دلالة على فساد قول من قال: إنه تعالى لا يقدر على الظلم، لأن الاعنات- بتكليف ما لا يجوز في الحكمة- مقدور له، إذ لو يشاء لفعله.

و قال الجبائي: لو أعتتم لكان جائزاً حسناً، لكنه تعالى وسع على العباد، لما في التوسعة من تعجيل النعمة. و في الآية دلالة على بطلان قول المجبر «٤» في البذل، و تكليف ما لا يطاق، أما البذل، فلأنهم يذهبون الى النهي عن الكفر الموجود في حالة بأن يكون الايمان بدلا منه، و هذا أعظم ما يكون من الاعنات، لأنه أمر له «٥» بالمحال، و هو ليكن منك الايمان بدلا من الكفر الموجود في

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٩.

(٢) في المطبوعة «فضلوا» بتشديد الضاد.

(٣) عسفه: ظلمه، و العسف الظلم.

(٤) في المطبوعة (بطلان) ساقطة.

(٥) في المطبوعة (أمر) ساقطة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٧

الحال، و كذلك النهي فيما لم يكن منك ما هو كائن من الكفر الموجود في الحال كل ذلك محال، و كذلك الأمر بالايمان، من لم يقدر على الايمان، فإذا لم يفعله عذب بأشد العذاب، و إذا لم يكلف من الممكن ما فيه مشقة و شدة، للمظاهرة على عباده بالنعمة، لم

يجز أن يكلف ما ليس عليه قدره، لأنه أسوء تناقض المظاهرة بالنعمة.
وقوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى يفعل بعزته ما يحب، لا يدفعه عنه دافع.
«حكيم» ذو حكمة فيما أمركم به من أمر اليتامى وغيره.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢١] ص : ٢١٧

إشارة

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) آية واحدة.

اللغة: ص : ٢١٧

نكح ينكح نكحاً ونكاحاً: إذا تزوج، و أنكح غيره إنكاحاً، إذا زوجه و تناكحوا تناكحاً، و ناكحه مناكحة قال الأعشى:
و لا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا «١»
أى تعفف و أصل الباب الترويح.

المعنى: ص : ٢١٧

و هذه الآية على عمومها- عندنا- فى تحريم مناكحة الكفار، و ليست منسوخة و لا مخصوصة. و قال ابن عباس فى رواية شهر بن حوشب عنه قال: فرق

(١) ديوانه: ١٣٧ رقم القصيدة ١٧. التأبد: التعزب أبداً و هو الابتعاد عن النساء.

يقول: لا تزوج جارتك و تزوج غيرها أو استعفف و لا تقرب من النساء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٨

عمر بين «١» طلحة و حذيفة و بين امرأتهما اللتين كانتا عندهما «٢» و قال غيره عن ابن عباس، و إليه ذهب الحسن، و مجاهد و الربيع: هى عامة إلا أنها نسخت بقوله:

«وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»، و قال قتادة، و سعيد بن جبيرة: هى على الخصوص. و إنما اختير ما قلناه لأنه لا دليل على نسخها، و لا على خصوصها، و سنيين وجه الآية فى المائدة إذا انتهينا إليها.

فأما المجوسية، فلا يجوز نكاحها إجماعاً. و الذى لا يجوز: أن يتزوج مسلمة إجماعاً، و إمرأاً و اجباراً «٣».

وقوله «وَأَمَّا الْمُؤْمِنَةُ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» فالأمة: المملوكة. يقال أقرت بالأموه أى بالعبودية و أميت فلانة، و تأميتها إذا جعلتها أمة قال الراجز:

يرضون بالتعبيد و التأمى «٤»

و جمع أمة إماء و آام و أصل أمة فعلة بدلالة قولهم إماء و آام فى الجمع نحو أكمة و آكام و آكم. و الفرق

بين (و لو أعجبكم) و بين إن أعجبكم: أن لو للماضى و إن للمستقبل و كلاهما يصح فى معنى الآية، و لا يجوز نكاح الوثنية إجماعاً، لأنها تدعو الى النار كما حكاها الله تعالى، و هذه العلة بعينها قائمة فى الذمىة من اليهودية و النصرىة، فيجب أن لا يجوز نكاحها. و فى الآية دلالة على جواز نكاح الأمة المؤمنة مع وجود الطول، لقوله «و لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ» فأما الآية التى فى النساء، و هى قوله: «وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً» (٥) فإنما هى على التنزيه دون التحريم، و متى أسلم الزوجان معاً ثبتا على النكاح - بلا خلاف - و به قال الحسن. و إن أسلمت قبله طرفه عين، فقد وقعت الفرقة - عند الحسن،

(١) فى المطبوعة (عمر بن طلحة) و هو تحريف.

(٢) فى المطبوعة (و حذيفة و امرأتها اللتين كانتا عنهما أبين) و هو تحريف فاحش.

(٣) هكذا فى الأصل و لم أجد لها مخرجاً، مقطوعاً به، و لعلها: اجماعاً و قولاً و أخباراً أى اجماعاً على الفتوى، و أقوال المفسرين و الأخبار المأثورة.

(٤) قائله رؤية. اللسان (أما) فى المطبوعة (ترضون) بدل (يرضون).

(٥) سورة النساء آية: ٢٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢١٩

و كثير من الفقهاء، و عندنا ينتظر عدتها فان أسلم الزوج بنينا أن الفرقة لم تحصل، و رجعت إليه، و إن لم يسلم بنينا أن الفرقة وقعت حين الإسلام غير أنه لا يمكن من الخلو بها. فان أسلم الزوج و كانت ذمىة استباح وطؤها بلا خلاف. و إن كانت وثنية انتظر إسلامها ما دامت فى العدة، فان أسلمت ثبت عقده عليها، و إن لم تسلم بانت منه.

فان قيل: كيف قيل للكافر الموحد مشرك! قيل فيه قولان:

أحدهما - أن كفره نعمة الله بمنزلة الاشراك فى العبادة فى عظم الجرم.

و الآخر ذكره الزجاج - و هو الأقوى -، لأنه إذا كفر بالنبي (ص) فقد أشرك فيما لا يكون إلا من عند الله، و هو القرآن بزعمه أنه من عند غيره.

و قوله «بأذنه» معناه أحد أمرين: أحدهما - بإعلامه. و الآخر - بأمره، و هو قول الحسن، و أبى على و غيرهما.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٢] ص: ٢١٩

إشارة

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاغْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)
آية واحدة.

القرءة: ص: ٢١٩

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا (حتى يطهرن) بتشديد الطاء و الهاء. الباقرن بالتخفيف.

المعنى: ص: ٢١٩

قيل: إنما سألوا عن المحيض، لأنهم كانوا على تجنب أمور: من مواكله الحائض، و مشاربتها حتى كانوا لا يجالسونها في بيت واحد، فاستعلموا ذلك، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٠

أ واجب هو أم لا؟ في قول قتادة، و الربيع، و الحسن، و قال مجاهد: كانوا على استجارة إتيانهم في الأدبار أيام الحيض، فلما سألوا عنه، بين تحريمه، و الأول- عندنا- أقوى.

اللغة: ص : ٢٢٠

و المحيض مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً و محيضاً، فهي حائض. و المرأة حيضة «١» و جمعه حيض و حيضات. و نساء حيض. و المستحاضة: التي عليها الدم فلا رواق «٢» و أصل الباب الحيض: مجيء الدم لأنثى على عادة معروفة.

أحكام الحيض، و الاستحاضة: ص : ٢٢٠

و صفة الحيض: هو الدم الغليظ الأسود الذي يخرج بحرارة. و أقل الحيض ثلاثة أيام، و أكثره عشرة، و هو قول الحسن، و أهل العراق. و قال الشافعي، و أكثر أهل المدينة: أقل الحيض يوم و ليلة، و أكثره خمسة عشر يوماً. و حكى أن قوماً قالوا: ليس له وقت محدود: إنما هو ما رأت دم الحيض. و أقل الطهر عشرة أيام، و خالف الجميع و قالوا: خمسة عشر يوماً. و الاستحاضة: دم رقيق أصفر بارد. و حكم الاستحاضة حكم الطهر في جميع الأحكام إلا في تجديد الوضوء- عند كل صلاة- و وجوب الغسل عليها على بعض الوجوه- عندنا-

و قوله: «أذى» معناه: قدر و نجس- في قول قتادة و السدي-.

و قوله: «فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ» معناه: اجتنبوا الجماع في الفرج، و به قال ابن عباس، و عائشة، و الحسن، و قتادة، و مجاهد. و ما فوق المثزر أو دونه، عن شريح، و سعيد بن المسيب. و عندنا: لا يحرم منها غير موضع الدم فقط. و من وطئ الحائض في أول الحيض، كان عليه دينار، و إن كان في وسطه، فنصف دينار، و في آخره ربع دينار. و قال ابن عباس: عليه دينار، و لم يفصل. و قال الحسن: يلزمه رقبه أو بدنة أو عشرون صاعاً.

(١) في المطبوعة (و المرأة حيضة) و هو تصحيف.

(٢) هكذا في المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢١

اللغة: ص : ٢٢١

و يقال: عزلته يعزله عزلاً، و اعتزل اعتزالاً، و عزله تعزيراً. و الأعزل: الذي لا سلاح معه. و عزلاً المزايدة: مخرج الماء من أحد جوانبها، و الجمع عزال. و كل شيء نحيته عن موضع، فقد عزلته عنه، و منه عزل الوالى. و أنت عن هذا بمعزل: أى منتحى. و الأعزل من السماكين: الذي نزل به القمر. و المعزال من الناس: الذي لا ينزل مع القوم في السفر، لكنه ينزل ناحية، و أصل الباب الاعتزال، و هو التنحي عن الشيء.

المعنى: ص : ٢٢١

وقوله: «حَيْتَى يَطْهَرْنَ» بالتخفيف معناه: ينقطع الدم عنهن. وبالتشديد معناه: يغتسلن - في قول الحسن، و الفراء - وقال مجاهد، و طاوس: معنى تطهرن:

توضآن، و هو مذهبا.

والفرق بين (طهرت) و (طهرت) أن فعل لا يتعدى، لأن ما كان على هذا البناء لا يتعدى، و ليس كذلك فعل. و من قرأ بالتشديد قال: كان أصله «يتطهرن» فأدغمت التاء في الطاء.

و عندنا يجوز وطئ المرأة إذا انقطع دمها، و طهرت و إن لم تغتسل إذا غسلت فرجها. و فيه خلاف، فمن قال: لا يجوز وطؤها إلا بعد الطهر من الدم، و الاغتسال:

تعلق بالقراءة بالتشديد، فإنها تفيد الاغتسال، و من قال: يجوز، تعلق بالقراءة بالتخفيف و أنها لا تفيد الاغتسال. و هو الصحيح. و يمكن في قراءة التشديد أن تحمل على أن المراد به توضآن على ما حكيناه عن طاوس، و غيره. و من استعمل قراءة التشديد يحتاج أن يحذف القراءة بالتخفيف أو يقدر: محذوفاً تقديره حتى يطهرن و يتطهرن، و على ما قلناه لا يحتاج إليه.

وقوله: «فَإِذَا تَطَّهَرْنَ» معناه: اغتسلنا، و على ما قلناه: حتى يتوضآن.

وقوله: «فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ» صورته صورة الأمر، و معناه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٢

الاباحة، كقوله: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» (١) «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا» (٢) و قوله: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ اللَّهُ؟ معناه من حيث أمركم الله بتجنبه في حال الحيض، و هو الفرج، على قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الربيع. و قال السدي، و الضحاك: من قبل الطهر دون الحيض. و عن ابن الحنفية من قبل النكاح دون الفجور، و الأول أليق بالظاهر. و يحتمل أن يكون من حيث أباح الله لكم دون ما حرمه عليكم من إتيانها و هي صائمه أو محرمة أو معتكفة، ذكره الزجاج. و قال الفراء: لو أراد الفرج لقال في حيث، فلما قال: «من حيث» علمنا أنه أراد من الجهة الذي أمركم الله بها.

و قال غيره: إنما قال: «من حيث» و لم يقل في حيث، لأن (من) لا ابتداء الغاية في الفعل، نحو قولك: ائت زيدا من مأتاه أى من الوجه الذي يؤتى منه.

وقوله: «يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» قال عطا: المتطهرين بالماء. و قال مجاهد: المتطهرين من الذنوب، و الأول مروى في سبب نزول هذه الآية، و المعنى يتناول الأمرين. و إنما قال: «المتطهرين» و لم يقل المتطهرات، لأن المؤنث يدخل في المذكر، لتغليب عليه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٣] ص: ٢٢٢

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

آية واحدة بلا خلاف.

قيل في معنى قوله: «حَرْثٌ لَكُمْ» قولان:

أحدهما - أن معناه: مزرع أولادكم، كأنه قيل: محترث لكم، في قول ابن عباس، و السدي، و إنما الحرث: الزرع في الأصل. و القول الثاني: نساؤكم ذو حرث لكم، فأتوا موضع حرثكم أنى شئتم،

(١) سورة المائدة آية: ٣. [...]

(٢) سورة الجمعة آية: ١٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٣

ذكره الزجاج. و قيل: الحرث كناية عن النكاح على وجه التشبيه.

وقوله: «أَنْتَى شَيْئْتُمْ» معناه: من أين شئتم - في قول قتادة، و الربيع - و قال مجاهد: معناه كيف شئتم. و قال الضحاك معناه متى شئتم، و هذا خطأ عند جميع المفسرين، و أهل اللغة، لأن (أنى) لا يكون إلا بمعنى من أين، كما قال:

«أَنْتَى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» (١). و قال بعضهم: معناه من أى وجه و استشهد بقول الكميت بن زيد:

أنى و من أين أبك الطرب من حيث لا صبوء و لا ريب (٢)

و هذا لا - شاهد فيه، لأنه يجوز أن يكون أتى به، لاختلاف اللفظين، كما يقولون: متى كان هذا و أى وقت كان، و يجوز أن يكون بمعنى كيف. و تأول مالك، فقال: «أَنْتَى شَيْئْتُمْ» تفيد جواز الإتيان فى الدبر، و رواه عن نافع عن أبى عمرو، و حكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر، و روى من طرق جماعة عن ابن عمر، و به قال أكثر أصحابنا، و خالف فى ذلك جميع الفقهاء، و المفسرين، و قالوا: هذا لا يجوز من وجوه:

أحدها - أن الدبر ليس بحرث، لأنه لا يكون فيه الولد. و هذا ليس بشيء لأنه لا يمتنع أن تسمى النساء حرثاً، لأنه يكون منهن الولد، ثم يبيح الوطء فيما لا يكون منه الولد، يدل على ذلك أنه لا خلاف أنه يجوز الوطء بين الفخذين و إن لم يكن هناك ولد. و ثانيها - قالوا: قال الله: «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» و هو الفرج، و الإجماع على أن الآية الثانية ليست بنسخة للأولى. و هذا أيضاً لا دلالة فيه، لأن قوله: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» معناه: من حيث أباح الله لكم، أو من الجهة التى شرعها لكم، على ما حكيناه عن الزجاج، و يدخل فى ذلك الموضوعان معاً.

(١) سورة آل عمران آية: ٣٧.

(٢) الهاشميات: ٤١. قوله (أبك) معترضه بين كلامين، كما تقول: (ويحك) و هى بمعنى ويلك. و قيل: أن أبك بمعنى راجعك الطرب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٤

و ثالثها - قالوا: إن معناه: من أين شئتم: أى اتوا الفرج من أين شئتم، و ليس فى ذلك إباحة لغير الفرج. و هذا أيضاً ضعيف، لأننا لا نسلم أن معناه الفرج، بل عندنا معناه: اتوا النساء، أو اتوا الحرث من أين شئتم، و يدخل فيه جميع ذلك. و رابعها - قالوا: قوله فى المحيض (قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) فإذا حرم للآذى فى الدم، و الأذى بالنجو أعظم منه. و هذا أيضاً ليس بشيء، لأن هذا حمل الشيء على غيره من غير علته، على أنه لا يمتنع أن يكون المراد بقوله:

«قُلْ هُوَ أَذَىٰ» غير النجاسة، بل المراد أن فى ذلك مفسدة، و لا يجوز أن يحمل على غيره إلا بدليل يوجب العلم على أن الأذى بمعنى النجاسة حاصل فى البول، و دم الاستحاضة و مع هذا، فليس بمنهى عن الوطء فى الفرج.

و يقال: أن هذه الآية نزلت رداً على اليهود، و أن الرجل إذا أتى المرأة من خلف فى قبلها خرج الولد أحول، فأكذبهم الله فى ذلك، ذكره ابن عباس، و جابر، و رواه أيضاً أصحابنا. و قال الحسن: أنكر اليهود إتيان المرأة قائمة، و باركة، فأنزل الله إباحته بعد أن يكون فى الفرج، و هو السبب الذى روى، و لا يمنع أن يكون ما ذكرناه مباحاً، لأن غاية ما فى السبب أن تطابقه الآية، فأما أن لا تتعدها، فلا يجب عند أكثر المحصلين (١).

و قوله: «وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ» أى قدموا الأعمال الصالحة التى أمر الله بها عباده، و رغبهم فيها، فتكون ذخراً عند الله.

و وجه اتصال قوله: «وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ» بما قبله: أنه لما قدم الأمر بعد أشياء قيل: «قَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ» بالطاعة فيما أمرتم به، و اتقوا مجاوزة الحد فيما بين لكم، و فى ذلك الحث على العمل بالواجب الذى عرفوه، و التحذير من مخالفة ما أزموه.

و قوله: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» فالبشارة: الدلالة على ما يظهر به السرور فى

(١) في المطبوعة (المحطين).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٥

بشر الوجه.

وقوله: «أَنْتُمْ مُلَاقُوهُ» أى اتقوا من معاصيه التى نهاكم عنها، و اتقوا عذابه، و اعلموا أنكم ملاقوا عذابه إن عصيتموه، و ملاقوا ثوابه إن أطعتموه، و إنما أضافه اليه على ضرب من المجاز، كما يقول القائل لغيره: ستلقى ما عملت، و إنما يريد جزاء ما عملت، فيسمى الجزاء باسم الشيء.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٤] ص: ٢٢٥

إشارة

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)
آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص: ٢٢٥

قيل فى معنى قوله: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ» ثلاثة أقوال:

أحدها- أن العرضة: علة، كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البرّ، و التقوى: من حيث تتعمدوا، لتعتلوا بها، و تقولوا: قد حلفنا بالله، و لم تحلفوا به، هذا قول الحسن، و طاوس، و قتادة، و أصله- فى هذا الوجه- الاعتراض به بينكم و بين البرّ و التقوى، للامتناع منهما، لأنه قد يكون المعترض بين الشئيين مانعاً من وصول أحدهما الى الآخر، فالعلة مانعة كهذا المعترض. و قيل: العرضة:

المعترض، قال الشاعر:

لا تجعلينى عرضة اللوائم

الثانى- «عرضة»: حجة، كأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجة فى المنع «أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا» بأن تكونوا قد سلف منكم يمين ثم يظهر أن غيرها خير منها، فافعلوا الذى هو خير، و لا تحتجوا بما سلف من اليمين، و هو قول ابن عباس، و مجاهد، و الربيع، و الأصل فى هذا القول و الأول واحد، لأنه منع من جهة الاعتراض بعلة أو حجة. و قال بعضهم: إن أصل عرضة: قوة، فكأنه قيل: و لا تجعلوا الحلف

بالله قوة لأيمانكم فى ألا تبرّوا و أنشد لكعب بن زهير: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٦

من كل نضاحة الدفرى إذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول «١»

و على هذا يكون الأصل العرض، لأن بالقوة يتصرف فى العرض و الطول، فالقوة: عرضة لذلك.

الثالث- بمعنى:

و لا تجعلوا اليمين بالله مبتدلة فى كل حق و باطل، لأن تبرّوا فى الحلف بها، و اتقوا المآثم فيها، و هو المروى عن عائشة، لأنها قالت:

لا تحلفوا به و إن بررتم، و به قال الجبائى، و هو المروى عن أئمتنا (ع)

و أصله على هذا معترض بالبدل: لا تبدل يمينك فى كل حق و باطل. فأما فى الأصل، فمعترض بالمنع أى لا يعترض بها مانعاً من البرّ، و التقوى، فتقدير الأول: لا- تجعل الله مانعاً من البرّ و التقوى باعتراضك به حالفاً، و تقدير الثانى: لا تجعل الله مما تحلف به دائماً باعتراضك بالحلف فى كل حق و باطل، لأن تكون من البررة، و الأتقياء.

اللغة: ص: ٢٢٦

و اليمين، و القسم، و الحلف واحد. و اليمينية: ضرب من برود اليمن. و أخذ يمينه، و يسره. و يُمن ييمن يميناً، فهو ميمون. و يمن، فهو ميمن: إذا أتى باليمن، و البركة. و تيمن به تيمناً، و تيامن تيامناً. و اليمين خلاف الشمال، و أصل الباب اليمن، و البركة.

المعنى: ص: ٢٢٦

و قوله: «أن تبروا» قيل في معناه ثلاثة أقوال:
أحدها- «أن تبروا»: لأن تبروا على معنى الأثبات.
الثاني- أن يكون على معنى لدفع أن تبروا، أو لترك أن تبروا- في قول

(١) ديوانه: ٩، و اللسان (عرض). نضح الرجل بالعرق نضحاً: نض به حتى سال سيلاً، و نضاحه: شديدة النضح. و الذفرى: الموضع الذي يعرق خلف الاذن، و هو من كل حيوان حتى الإنسان و هو العظم الشاخص خلف الاذن. و الطامس: الدارس الذي أمحى أثره. و الاعلام:

أعلام الطريق. و أرض مجهولة. إذا كان لا أعلام فيها و لا جبال. يقول: إذا نزلت هذه المجاهل، عرقت حينئذ قوتها و شدتها و صبرها على العطش و السير في الملوات.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٧

أبي العباس.

الثالث- على تقدير: أَلَّا تَبْرُوا، و حذف (لا) لأنه في معنى القسم كما قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً و لو قطعوا رأسي لديك و أوصالي «١»

أى لا أبرح، هذا قول أبي عبيد، و أنكر أبو العباس هذا، لأنه لما كان معه (أن)، بطل أن يكون جواباً للقسم، و إنما يجوز (و الله أقم في القسم بمعنى لا- أقوم، لأنه لو كان إثباتاً، لقال لأقوم، باللام و النون. و المعنى في قول أبي العباس، و أبي عبيد واحد، و التقدير مختلف، فحملة أبو العباس على ما له نظير من حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه، و أنكر قياسه على ما يشبهه.

الاعراب: ص: ٢٢٧

و في موضع أن تبروا ثلاثة أقوال:

قال الخليل، و الكسائي: موضعه الخفض بحذف اللام مع أن خاصة.

الثاني- قال سيبويه، و أكثر النحويين: إن موضعه النصب، لأنه لما حذف المضاف وصل الفعل و هو القياس.

الثالث- قال قوم: موضعه الرفع على «أَنْ تَبْرُوا وَ تَتَّقُوا وَ تُضِلُّوْا بَيْنَ النَّاسِ» أولى، و حذف، لأنه معلوم المعنى، أجاز ذلك الزجاج و إنما حذف اللام جاز مع (أن)، و لم يجز مع المصدر، لأن (أن) يصلح معها الماضي، و المستقبل، نحو قولك جئتك أن ضربت زيدا، و جئتك أن تضرب زيدا، و المصدر ليس كذلك، كقولك: جئتك لضرب زيد، فمعنى ذلك: أنه لما وصل بالفعل، احتمال الحذف كما يحتمل (الذى) و إذا وصل بالفعل من حذف ضمير المفعول، ما لا يحتمله الألف و اللام إذا وصل بالاسم، نحو الذى ضربت زيد: يريد ضربته. فأما الضاربة أنا زيد، فلا يحسن إلا بالهاء، و ذلك لأن الفعل أثقل، فهو بالحذف أولى. و يجوز أن

(١) ديوانه: ١٤١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٨

يكون لما صلح للأمرين كثير في الاستعمال، فكان بالحذف أولى مما قل منه.

وقال الزجاج إنما جاز حذف اللام مع (أن)، ولم يجز مع المصدر، لأن (أن) إذا وصلت، دل بما بعدها على الاستقبال، والمعنى تقول: جئتك أن ضربت زيدا، وجئتك أن تضرب زيدا، فلذلك جاز حذف اللام، فإذا قلت. جئتك ضرب زيدا، لم يدل الضرب على مضى ولا استقبال.

المعنى: ص : ٢٢٨

فإذا حلف لا يعطى من معروفه، ثم رأى أن برّه خيراً، أعطاه، ونقض يمينه. وعندنا لا كفارة عليه، وإنما جاز ذلك، لأنه لا يخلو من أن يكون حلف يميناً جائزة أو غير جائزة، فإن كانت جائزة، فهي مقيدة بأن لا يرى ما هو خير، فليس في هذا مناقضة للجائزة، وإن كانت غير جائزة، فنقضها غير مكروه. وقوله: «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه: أنه سميع ليمينه، عليم بنيته فيه، وفي ذلك تذكير، وتحذير.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٥] ص : ٢٢٨**إشارة**

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) آية.

المعنى: ص : ٢٢٨

اختلفوا في يمين اللغو في هذه الآية، فقال ابن عباس، وعائشة، والشعبي:

هو ما يجرى على عادة اللسان: من لا والله، وبلى والله من غير عقد على يمين يقطع بها مال، يظلم بها أحد، وهو المروى عن أبي جعفر، وأبي عبد الله (ع).

وقال الحسن، ومجاهد، وإبراهيم: هي يمين الظان، وهو يرى أنه حلف، فلا- إثم عليه، ولا- كفارة. روى أيضاً عن ابن عباس، وطاوس: أنها يمين الغضب، لا يؤاخذ بالحنث فيها، وبه قال سعيد بن جبير، إلا أنه أوجب فيها الكفارة. وقال مسروق التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٢٩

كل يمين ليس له الوفاء بها، فهي لغو ولا- يجب فيها كفارة. وقال الضحاك: روى أيضاً عن ابن عباس: أن لغو اليمين ما يجب فيه الكفارة. وروى عن إبراهيم: أنها يمين الناسي إذا حنث. وقال زيد بن أسلم: هو قول الرجل: أعمى الله بصرى، أو أهلك الله مالى، فيدعو على نفسه.

اللغة: ص : ٢٢٩

وأصل اللغو: هو الكلام الذي لا فائدة فيه، وكل يمين جرت مجرى مالا فائدة فيه حتى صارت بمنزلة ما لم يقع، فهي لغو، ولا شيء

فيها، و هو اختيار الرماني. تقول: لغا يلغو لغواً: إذا أنى بكلام. و ألقى إلغاء: إذا أطرح الكلام، لأنه لا فائدة فيه. و قوله: «و أَلْغُوا فِيهِ» معناه: ارفعوا الصوت بكلام لا فائدة فيه. و الحساب الذي يلغى: أى يطرح، لأنه بمنزلة كلام لا فائدة فيه. و لاغية: كلمة قبيحة فاحشة، و منه اللغا، لأنها كلام لا فائدة فيه عند غير أهله، و هو مشتق من لغا الطائر، و هو منطقه، و قال ابن صغير المازني:

باكرتم بسباء جونِ ذارعٍ قبل الصباح و قبل لغو الطائر «١»

المعنى: ص : ٢٢٩

الأيمن على ضربين: أحدهما لا كفارة فيها. و الثاني- يجب فيها الكفارة، فما لا كفارة فيه: هو اليمين على الماضي إذا كان كاذباً فيه، مثل أن يحلف أنه ما فعل، و كان فعل أو «٢» أن يحلف أنه فعل، و ما كان فعل، فهاتان لا كفارة فيهما- عندنا- و كذلك إذا حلف على مال، ليقطعه كاذباً، فلا كفارة عليه، و يلزمه الخروج مما حلف عليه، و التوبة، و هى اليمين الغموس، و فى هذه أيضاً خلاف، و منها أن يحلف على أمر فعل، أو ترك، و كان خلاف ما حلف عليه أولى

(١) اللسان (لغا) فى المطبوعه (بسيا) بدل (بساء) و (الصياح) بدل (الصباح) و (رزاع) بدل (ذارع) و كل ذلك تحريف، باكرتم بسباء: أى بشرب الخمره.

(٢) فى المطبوعه (أو) ساقطه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٠

من المقام عليه، فليخالف، و لا كفارة عليه- عندنا- و فيه خلاف عند أكثر الفقهاء.

و ما فيه كفارة، فهو أن يحلف على أن يفعل، أو يترك و كان الوفاء به إما واجباً أو ندباً أو كان فعله، و تركه سواء، فمتى خالف كان عليه الكفارة، و قد بينا أمثلة ذلك فى النهايه فى الفقه. و قال الحسن: الأيمان على ثلاثة أقسام: منها أن يحلف على أمر، و هو يرى أنه على ما حلف، فهذا هو اللغو، لا عقوبه فيه، و لا كفارة.

و منها: أن يحلف على أمر، و هو يعلم أنه كاذب، فهذا آثم فاجر عليه التوبه، و لا كفارة عليه. و منها أن يحلف: لا يفعل كذا، فيفعل، أو يحلف: ليفعلن، و لا يفعل، ففى ذلك الكفارة. و كان يقول: إذا حلف على مملوك، أو على حرّ، فقال:

و الله لتأكلن من هذا الطعام، فلم يأكل، فعليه الكفارة. و قال: اليمين على أربعة أوجه- فى قول أكثر الفقهاء: اثنتان: لا كفارة فيها، و اثنتان: فيها الكفارة، فالأول- قول الرجل: و الله ما فعلت، و قد فعل، و قوله: و الله لقد فعلت، و ما فعل، فهاتان لا كفارة فيهما، لأنه لا حث فيهما. و الثاني- قول الحالف: و الله لا- فعلت، ثم يفعل. و قوله: و الله لأفعلن، ثم لا- يفعل، فهاتان فيهما الكفارة. و قد بينا الخلاف فى خلاف الفقهاء.

اللغة: ص : ٢٣٠

و الفرق بين اللغا، و اللغو، أن اللغا: الذكر بالكلام القبيح. لغيت ألقى لغاً، قال العجاج:

و ربّ أسراب حجاج كظّم عن اللغا و رفث التكلم «١»

و جواب اليمين على أربعة أقسام: اللام، و ما، و إن، و لا، نحو: و الله لأتيناك، و الله ما فعلت، و و الله إنه لكاذب، و و الله لا كلمته. و قوله: «و الله عَفُورٌ حَلِيمٌ» فالحلم الامهال بتأخير العقاب «٢» على الذنب، تقول: حلم حلماء، و تحلم تحلماء، و حلمه تحليماً. و حلم فى

نومه حلمًا: إذا رأى

(١) مر تخريجه في ٢: ١٣٢.

(٢) في المطبوعة (العقل).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣١

الأحلام، و منه «أضغاث أحلام» (١). و الحلم الرؤيا في النوم، و منه الاحتلام.

و الحلم: ما عظم من القردان، و الواحد حَلْمَةٌ، لأنه كحلمة «٢» الثدي، و حلمة الثدي، لأنها تحلم المرتضع. و الحلمة: شجرة السعدان، و هي من أفضل المرعى.

و تحلمت الضباب: إذا سمت لأنه يكسبها دعة كدعة الحلم. و الحلام: الجدى، و أصل الباب الحلم: الأناة. و أما حِلْم الأديم إذا نغل «٣» فلأنه وقع فيه الحلم.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٦] ص : ٢٣١

إشارة

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦)
آية واحدة بلا خلاف.

اللغة: ص : ٢٣١

قوله: «يؤلون» معناه: يحلفون- بلا خلاف بين أهل التأويل- و هو المروى عن سعيد بن المسيب و هو مأخوذ من الألية قال الشاعر:

كفينا من تغيب من نزار و أحثنا إلية مقسمينا «٤»

و يقال: ألى الرجل- من امرأته- يؤلى إيلاء، و ألية، و ألوة، و هو الحلف قال الأعشى:

إني أليت على حلفه و لم أقلها سحر الساحر «٥»

و جمع ألية: الأيا، و أليات، كعشية، و عشايا، و عشيات، فأما جمع ألوة، فألأيا، كركوبه و ركائب، و جمع ألية: ألاء كصحيفة، و صحائف، و منه اثلى يأتلى

(١) سورة يوسف آية: ٤٤.

(٢) في المطبوعة (كجملة).

(٣) حلم- بفتح الحاء و كسر اللام- و نغل الأديم: فسد في دباغته.

(٤) تفسير الطبرى ٤: ٤٥٦، و روايته (في تراب) بدل (من نزار) و فى مجمع البيان طبع صيدا ١: ٣٣٢ (من نزار) كما ذكر الشيخ سواء. و

قد اعترف محقق الطبرى أنه بدل (من) ب (فى) و كانت فى المخطوطة و المطبوعة عنده (من). [.....]

(٥) ديوانه: ١٤٣ رقم القصيدة: ١٨. و روايته

(و لم اقله عشر العاشر)

بدل

(و لم أقلها سحر الساحر).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٢

اثتلاء، و في التنزيل «و لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» (١)، و تقول: لا- تألوا ألياً، و ألؤ، نحو العتى، و العتؤ. و ما ألوت جهداً، و لا ألوته نصحاً، أو غشا، و منه قوله: «لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا» (٢)، و قال الشاعر:

نحن فصلنا جهدنا لم نأته

أى لم نقصر. و أصل الباب التقصير، فمنه لا يألوا جهداً، و منه الألية:

اليمن، لأنها لنفى التقصير. و عود ألوة، و ألوة: أجود العمود، لأنه خالص.

المعنى: ص: ٢٣٢

و الإيلاء في الآية: المراد به: اعتزل النساء، و ترك جماعهن على وجه الإضرار بهن، و كأنه قيل: «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ» أن يعتزلوا نساءهم (تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) منهم،

و اليمن التي يكون بها الرجل مؤلياً: هي اليمن بالله عزّ و جلّ، أو بشيء من صفاته التي لا يشركه فيها غيره، على وجه لا يقع موقع اللغو الذي لا فائدة فيه، و يكون الحلف على الامتناع من الجماع على جهة الغضب، و الضرار، و هو المروى عن علي (ع)

، و ابن عباس، و الحسن. و قال ابراهيم، و ابن سيرين، و الشعبي: في الغضب.

و قال سعيد بن المسيب: هو في الجماع، و غيره من الضرار، نحو الحلف ألا يكلمها.

اللغة: ص: ٢٣٢

و التربص بالشىء انتظارك به خيراً، أو شراً يحل، و تقول: تربصت بالشىء تربصاً، و ربصت به ربصاً، و منه قوله: «فَتَرْبِصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ» (٣) و «نَتَرْبِصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ» (٤) قال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوماً أو يموت حليلها (٥)

و مالى على هذا الأمر ربصه: أى تلبث، و أصله الانتظار.

و قوله: «فَإِنْ فَأُو» معناه: فان رجعوا، و منه قوله:

(١) سورة النور آية: ٢٢.

(٢) سورة آل عمران آية: ١١٨.

(٣) سورة المؤمن آية: ٢٥.

(٤) سورة الطور آية: ٣٠.

(٥) اللسان (ربص) في المطبوعة (خليلها) بدل (حليلها). و المعنى فيهما واحد.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٣

«حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ» (١) أى ترجع من الخطأ الى الصواب. و الفرق بين الفىء و الظل: ما قال المبرد: إن الفىء ما نسخ الشمس، لأنه هو الراجع، و أما الظل: فما لا شمس فيه.

و كل فىء ظل، و ليس كل ظل فىء، و لذلك أهل الجنة فى ظل، لا فى فىء، لأنه لا شمس فيها، كما قال الله تعالى: «و ظِلٌّ مَّمْدُودٍ»

«٢». و جمع الفىء أفياء، تقول:

فأء الفىء: إذا تحول عن جهة الغداة برجوع الشمس عنه. و تفيأت في الشجر، و فيأت الشجرة. و الفىء: غنائم المشركين، فأء الله علينا فيهم، لأنه من رجع الشيء الى حقه، و الفىء الرجوع عن الغضب. إن فلاناً لسريع الفىء من غضبه.

المعنى: ص : ٢٣٣

فان قيل: ما الذى يكون المولى به فائتاً؟ قيل - عندنا: - يكون فائتاً بأن يجامع، و به قال ابن عباس، و مسروق، و سعيد بن المسيب. و قال الحسن، و ابراهيم، و علقمة:

يكون فائتاً بالعزم فى حال العذر إلا أنه ينبغي أن يشهد على فيئه، و هذا يكون - عندنا - للمضطر الذى لا يقدر على الجماع، و يجب على الفايء - عندنا - الكفارة، و به قال ابن عباس، و سعيد بن المسيب، و قتادة، و لا عقوبة عليه، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (ع).

و قال الحسن، و ابراهيم: لا كفارة عليه، لقوله: «فَإِنْ فَاؤُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: أى لا يتبعه بكفارة، و لا عقوبة.

الاعراب: ص : ٢٣٣

و يجوز فى «تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» ثلاثة أوجه: الجر بالاضافه، و عليه جميع القراء. و يجوز النصب، و الرفع فى العرييه «تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» كما قال: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا» (٣) أى يكفتهم (٤) أحياء، و أمواتاً، و «تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» كقوله: «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ» (٥)

(١) سورة الحجرات آية: ٩.

(٢) سورة الواقعة آية: ٣٠.

(٣) سورة المرسلات آية: ٢٥-٢٦.

(٤) فى المطبوعه كيفيهم

(٥) سورة النور آية: ٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٤

و مثله (فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ) «١». و إنما جعل اختصاص الإيلاء بحال الغضب، لأن مدة التربص جعل فسحة للمرأة فى التخلص من المضارة، فإذا لم يكن ضرار لم يصح إيلاء. و من لم يخص بحال الغضب، حمله على عموم الإيلاء، و هو الأقوى. و متى حلف بغير الله فى الإيلاء، فلا تنعقد يمينه، و لا يكون مؤلياً.

و قال الجبائى: إذا حلف بما يلزمه فيه عزم، نحو الصدقة، أو الطلاق، أو العتاق، فهو إيلاء، و إلا، فهو لغو، نحو قوله: و حياتك، و ما أشبهه. و قال الشافعى:

لا إيلاء إلا بالله، كما قلناه. و متى حلف ألا يجامع أقل من أربعة أشهر، لا يكون مؤلياً، لأن الإيلاء على أربعة أشهر، أو أكثر.

و متى حلف ألا يقربها، و هى مرضعة خوفاً من أن تحبل، فيضر ذلك بولدها، لا يلزمه حكم الإيلاء، و هو المروى عن على (ع) ، و به قال الحسن، و ابن شهاب. و يجوز أن يكون فى الآية تقديم، و تأخير، و يكون تقديره «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ» «تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» «مِنْ نِسَائِهِمْ».

و يجوز أن يكون معناه: «لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ» أجل «نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ» كما تقول: غضبت لفلان: أى من أجل فلان. و إذا مضت أربعة أشهر لم تبين منه إلا- بطلاق، و يلزمه الحاكم، إما الرجوع و الكفارة، و إما الطلاق، فان امتنع حبسه حتى يفىء، أو يطلق. و فيه خلاف.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٧] ص: ٢٣٤

إشارة

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)
آية واحدة.

المعنى: ص: ٢٣٤

عزيمة الطلاق فى الحكم- عندنا- أن يعزم، ثم يتلفظ بالطلاق، و متى لم يتلفظ بالطلاق بعد مضى أربعة أشهر، فان المرأة لا تبين منه إلا أن تستدعى، فان استدعت، ضرب الحاكم مدة أربعة أشهر ثم توقف بعد أربعة أشهر، فيقال له: فىء

(١) سورة المائدة آية: ٩٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٥

أو طلق، فان لم يفعل، حبسه حتى يطلق، و مثل هذا قال أهل المدينة غير أنهم قالوا:

متى امتنع من الطلاق و الفيئة، طلق عنه الحاكم طلقه رجعية. و قال أهل العراق:

الإيلاء: أن يحلف ألا يجامعها أربعة أشهر فصاعداً، فإذا مضت أربعة أشهر فلم يقربها، بانته منه بتطبيقه لا رجعة له عليها، و عليها عدة ثلاث حيض، يخطبها فى العدة، و لا يخطبها غيره، فان فاء قبل أربعة أشهر: أى إن جامع، كفر يمينه، و هى امرأته. و قال الحسن، و قتادة، و ابن مسعود، و ابراهيم، و ابن عباس، و حماد: هو مضى أربعة: أشهر قبل أن يفىء من غير عذر.

اللغة: ص: ٢٣٥

و العزم: هو العقد على فعل شىء فى مستقبل الوقت. و العزم على الشىء هو إرادته له: إذا كانت مقدمة للفعل بأكثر من وقت واحد، و تكون متعلقة بفعل العازم، و لا يدخل بينهما، و بين الفعل سهو، و لا نسيان. يقال: عزم عزمًا: إذا عقد على أن يفعل الشىء، و اعتزم اعتزامًا. و عزمت عليك لتفعلن: أى أقسمت.

و عزم الراقى: كأنه أقسم على الداء. و رجل ماضى العزم: حاد فى أمره. و ما لفلان عزيمة: أى ما يثبت على أمر، لتلونه، و منه قوله: «فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «١». و عزائم القرآن التى تقرأ على ذوى الآفات، لما يرجى من البرء بها. و أصل الباب العزم على العقد على الشىء.

و الطلاق: حل عقدة النكاح بما يوجبه فى الشريعة. تقول: طلقت تطلق طلاقاً، فهى طالق- بلا علامة التأنيث، حكاة الزجاج. و قال قوم: لأنه يختص بالمؤنث. قال الزجاج: هذا ليس بشىء، لأن فى الكلام شيئاً كثيراً يشترك فيه المؤنث، و المذكور- بلا علامة التأنيث- نحو قولهم: بعير ضامر، و ناقه ضامر، و بعير ساعل، و ناقه ساعل. و زعم سيويوه، و أصحابه: أن هذا واقع على لفظ التذكير صفة للمؤنث،

لأن المعنى: هي طالق حقيقة- عندهم- أنه على جهة

(١) سورة الأحقاف آية: ٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٦

النسب، نحو قولهم: امرأة مذكارة، ورجل مذكارة، ورجل مثنى، وامرأة مثنى، ومعناه: ذات ذكران، وذات أنثى، وكذلك مطلق: ذات طفل، وكذلك طالق:

ذات طلاق. فان أجرته على الفعل قلت طالق، قال الشاعر:

أيا جارتا بيني فإنك طالق! كذاك أمور الناس غاد وطارقه «١»

تقول: طلقها، وطلق إطلاقاً، وأطلق إطلاقاً، واستطلق استطلاقاً، وانطلق انطلاقاً، وتطلقت المرأة عند الولادة، فهي مطلوقة إذا تمخضت. وطلق:

الشوط من الجرى. وطلق: قيد من قدم أو عقب «٢» تقيده بالإبل. ورجل طلق الوجه: بهلول ضحاك. و يوم طلق إذا لم يكن فيه حرّ، ولا قرّ. و الطليق:

الأسير يخلى عنه ورجل طلق اليمين: سمح بالعطاء. و الطلق: الحبل الشديد القتل، يقوم قتيام. وأصل الباب الانطلاق، و الطلاق، لانطلاق المرأة فيه على عقدة النكاح.

المعنى: ص: ٢٣٦

و الطلاق بعد الإيلاء، و الايقاف يكون واحدة رجعية، و به قال سعيد بن المسيب، و ابن عمر. و قال الحسن و ابن مسعود، و ابن عباس: تكون بئنه.

و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» فيه دلالة على الأخذ بالفىء أو الطلاق، لأنه بمعنى.

أن الله يسمع قوله، و يعلم ضميره. و قيل: بل هو راجع الى يسمع الإيلاء، و يعلم بنيته، و كلاهما يحتمل فى اللغة- على قول الزجاج- و حقيقة السميع: هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المسموعات إذا وجدت. و هو يرجع الى كونه حياً لا آفة به «٣». و السامع: هو المدرك. و الله تعالى يوصف بما لم يزل بأنه

(١) قائله الأعشى. ديوانه: ٢٦٣ رقم القصيدة: ٤١ و اللسان (طلق) قالها لأمراته الهزانية حين فارقتها بينى: فارقى. غاد: يأتي غدوة فى الصباح. و الطارق: الذى يطرق أى يأتي ليلاً. [.....]

(٢) هكذا فى المطبوعة و فى اللسان (طلق) بالتحريك- قيد من جلود، و الطلق- بالتحريك- قيد من آدم.

(٣) فى المطبوعة (لا حربه) بدل (حياً لا آفة به).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٧

سميع، و لا- يوصف فيما لم يزل بأنه سامع، و إنما يوصف بأنه سامع إذا وجدت المسموعات. و إنما ذكر عقيب الأول «فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ» لأنه لما أخبر عن المولى أنه يلزمه الفىء، أو الطلاق بين أنه إن فاء «فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ» بأن يقبل رجوعه، و لا يتبعه بعقاب ما ارتكبه. و ذكر هاهنا أنه «سَمِيعٌ عَلِيمٌ» لما أخبر عنه بإيقاع الطلاق، و كان ذلك مما يسمع، أخبر أنه لا يخفى عليه، و أنه يسمعه، لأنه على صفة يوجب إدراكه لذلك، و أنه عالم ببيانه، فلا الذى ذكر فى الآية الأولى يليق بهذه الآية، و لا الذى ذكرها هنا يليق هناك، و ذلك من عظم فصاحة القرآن، و جلالة واقعه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٨] ص : ٢٣٧

إشارة

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٣٧

القرء: الطهر- عندنا- و به قال زيد بن ثابت، و عائشة، و ابن عمر، و سالم، و أهل الحجاز. و روى عن ابن عباس، و ابن مسعود، و الحسن، و به قال أهل العراق، و روه عن علي (ع) أنه الحيض.

اللغة: ص : ٢٣٧

و أصل القرء يحتمل وجهين فى اللغة:
أحدهما- الاجتماع، فمنه قرأت القرآن، لاجتماع حروفه، و منه قولهم: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٨
ما قرأت الناقة سلاً قط: أى لم تجمع رحمها على ولد قط. قال عمرو بن كلثوم:
ذراعى عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا «١»
و منه قرأت النجوم: إذا اجتمعت فى الأفول، فعلى هذا، يقال: أقرأت المرأة: إذا حاضت، فهى مقرئ، فى قول الأصمعى، و الأخفش،
و الكسائى و الفراء، و أنشدوا له:
قروؤ كقروء الحائض

فتأويل ذلك: اجتماع الدم فى الرحم. و يجىء على هذا الأصل أن يكون القرء: الطهر، لاجتماع الدم فى جملة البدن، هذا قول الزجاج.
و الوجه الثانى- أن يكون أصل القرء: وقت الفعل الذى يجرى على آخر عادة، فى قول أبى عمرو بن العلاء، و قال: هو يصلح للحيض،
و الطهر، يقال: هذا قارئ الرياح أى وقت هبوبها قال الشاعر:
شنت العقر عقر بنى شليل إذا هبت لقارئها الرياح «٢»
أى لوقت شدة بردها، و قال آخر:

رجا أياس أن تتوب و لا أذى إياساً لقرؤ الغائبين يؤوب «٣»
أى لحين الغائبين، فعلى هذا يكون القرء الحيض، لأنه وقت اجتماع الدم فى الرحم على العادة المعروفة فيه، و يكون الطهر، لأنه وقت ارتفاعه على عادة جارية فيه، قال الأعشى فى الطهر:
و فى كل عام أنت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيز عرائكا

(١) اللسان (عطل) (قرأ) و قد رواه الجوهري برواية أخرى و هى:

ذراعى عيطل أدماء بكر تربعت الأماعز و المتونا

و في المطبوعة (اللوم) بدل (اللون) و هو تصحيف، و العيطل: طويل العنق من الإبل و غيرها. و الأدماء من الإبل البيضاء، و كذلك هجان اللون أى بيض اللون. و لم تقرأ جنينا: أى لم تجمع رحمها على جنين، و هو الولد.

(٢) قائله مالك ابن الحرث الهذلي، ديوان الهذليين ٣: ٨٣. و اللسان (قرأ) شئت:

أى كرهت، و العقر: اسم مكان. و شليل: هو جد جرير بن عبد الله البجلي.

(٣) لم أجد هذا البيت فيما حضرني من المصادر.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٣٩

مورثة مالا و في الحمد رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائك «١»

و الذى ضاع هاهنا الاطهار، لأنه بعد غيبته، فيضيع بها طهر النساء، فلا يطأهن، و الوقت الجارى فى الفعل على عادة راجع الى معنى الاجتماع، و ذلك، لاجتماع الفعل مع الوقت الدائر، فالاجتماع أصل الباب. و أخذ القرء من الوقت رداً له الى فرع، و كلا الأمرين يحتمل فى اللغّة.

المعنى: ص : ٢٣٩

و من خفف الهمزة فى «قروء» قال: قروء، و مثله «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً»

«٢» و استشهد أهل العراق بأشياء يقوى أن المراد الحيض،

منها قوله (ع) فى مستحاضه سألته: دعى الصلاة أيام أقرائك.

و استشهد أهل المدينة بقوله: «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» «٣» أى طهر لم يجامع فيه كما يقال لغرة الشهر، و تأوله غيرهم: لاستقبال عدتهن، و هو الحيض.

فان قيل: لو كان المراد- فى الأقرء فى الآية- الاطهار، لوجب استيفاء الثلاثة أطهار بكمالها، كما أن من كانت عدتها بالأشهر، و جب عليها ثلاثة أشهر على الكمال، و قد أجمعنا على أنه- لو طلقها فى آخر يوم الطهر الذى ما قربها فيه، لا- يلزمها أكثر من طهرين آخرين، و ذلك دليل على فساد ما قلتموه! قلنا: تسمى القرآن الكاملان، و بعض الثالث ثلاثة أقرء، كما تسمى- الشهران و بعض الثالث-: ثلاثة أشهر قال الله تعالى: «الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ» «٤» و إنما هى شوال، و ذى القعدة، و بعض من ذى الحجة. و روى عن عائشة أنها قالت: الأقرء الاطهار.

و قوله: «وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أحدها- قال إبراهيم: الحيض. و ثانيها- قال قتادة: الحبل. و ثالثها-

(١) ديوانه: ٩١ رقم القصيدة: ١١ يمدح بها هودة بن على الحنفى، و معنى البيتين:

لك فى كل عام غزوة، تجمع لها صبرك و جلدك، فتعود منها بالغنيمة و المجد الذى يعوضك عما عاينت من البعد عن نسائك.

(٢) سورة النساء آية: ١٠٩، ١٢٢.

(٣) سورة الطلاق آية: ١.

(٤) سورة البقرة آية: ١٩٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٠

قال ابن عمر، و الحسن: هو الحبل، و الحيض، و هو الأقوى لأنه أعم. و إنما لم يحل لهن الكتمان، لظلم الزوج بمنعه المراجعة- فى قول ابن عباس- و قال قتادة:

لنسبة الولد الى غيره، كفعل الجاهلية.

اللغة: ص : ٢٤٠

و إنما قال: «ثَلَاثَةٌ قُرُوءٍ» و لم يقل: ثلاثة أقرء على جمع القليل، لأنه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا، دخله معنى الكثرة فأتى ببناء الكثرة، للاشعار بذلك، فالقروء كثيرة إلا أنها ثلاثة في القسمة. و وجه آخر- أن بناء الكثير فيه أغلب في الاستعمال، لأنه على قياس الباب في جمع فعل الكثير، فأما القليل، فقياسه، أفعل دون أفعال، فصار بمنزلة ما لا يعتد به فجاء مجيء قولهم: ثلاثة شسوع، فاستغنى فيه ببناء الكثير عن القليل. و وجه ثالث- أن يذهب مذهب الجنس نحو قولهم: ثلاثة كلاب يعنون ثلاثة من الكلاب إذا أريد رفع الإيهام.

المعنى: ص : ٢٤٠

و الشرط بقوله: «إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر، فهذه صفته فيما يلزمه، لا أنه يلزم المؤمن دون غيره. و خرج ذلك مخرج التهديد. «وَبَعُولَتَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ» يعنى أزواجهن أحق برجعتهن، و ذلك يختص بالرجعيات و إن كان أول الآية عاماً في جميع المطلقات الرجعية و البائنة. و سمي الزوج بعلاً، لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها.

اللغة: ص : ٢٤٠

تقول: بعل يبعل بعولة، و هو بعل. و قوله «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» «١» أى رباً، لأنه بمعنى من سميتموه باستعلاء الربوبية تخرصاً، و قيل أنه صنم. و البعل النخل يشرب بعروقه، لأنه مستعل على شربه، و بعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعاً،

(١) سورة الصافات آية: ١٢٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤١

لأنه علاه منه ما ضاق به صدره. و بعل الرجل فى معنى بطر، لأنه استعلى معظماً، و كبراً. و امرأة بعلة: لا تحسن لبس الثياب، لأن الحيرة تستعلى عليها، فتدهشها. و بعل الرجل يبعل بعلاً إذا دهش دهشاً.

المعنى: ص : ٢٤١

و قوله: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» قال الضحاك: لهن من حسن العشرة بالمعروف على أزواجهن مثل ما عليهن من الطاعة فيما أوجبه الله عليهن لهم. و قال ابن عباس: لهن على أزواجهن من التصنع و التزين مثل ما لأزواجهن عليهن. و قال الطبرى: لهن على أزواجهن ترك مضارتهن، كما أن عليهن لأزواجهن. و قوله: «وَالرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» قيل معناه: فضيلة منها الطاعة، و منها أن يملك التخليه، و منها زيادة الميراث [على قسم «١» المرأة، و الجهاد. هذا قول مجاهد، و قتادة. و قال ابن عباس: منزلة فى الأخذ عليها بالفضل فى المعاملة حتى قال: ما أحب أن استوفى منها جميع حتى، ليكون لى عليها الفضيلة.

اللغة: ص : ٢٤١

و تقول: رجل بين الرجولة أى القوة، و هو أرجلها أى أقواهما، و فرس رجل قوى على المشى. و الرجل معروفه، لقوتها على المشى. و رجل من جراد أى قطعته منه تشبيهاً بالرجل، لأنها قطعته من الجملة. و الراجل الذى يمشى على رجله. و ارتجل الكلام ارتجالاً، لأنه قوى عليه من غير ركوب فكرة، و لا- روية. و ترجل النهار، لأنه قوى ضياؤه بنزول الشمس الى الأرض. و رجل شعره إذا طوله، لأنه قوى بكثرته من غير أن يركب بعضه بعضاً، فيقل فى رأى العين. و المرجل معروف. و أصل الباب: القوة.

و الدرجة: المنزلة، تقول: درجت الشىء أدرجه درجاً، و أدرجته إدراجاً، و درج القوم قرناً بعد قرن أى فنوا. و أدرجه الله إدراجاً، لأنه كطى الشىء

(١) ما بين القوسين من مجمع البيان، لأن الجملة لا تتم بدونه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٢

بمنزلة بعد منزلة و الدرج سفيط للطيب، لأنه بمنزلة ما يدرج فيه. و مدرجة الطريق: قارعته. و أصل الباب الطى، فالدرجة منزلة من منازل الطى، و منه الدرجة التى يرتقى فيها.

المعنى: ص : ٢٤٢

وقيل إن فى الآية نسخاً، لأن التى لم يدخل بها، لا عدّه عليها بقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» الى قوله: «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا» (١) و لأن الحامل عدتها وضع ما فى بطنها بقوله «وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ». (٢)

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٢٩] ص : ٢٤٢

إشارة

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)

آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ٢٤٢

قرأ حمزة، و أبو جعفر «إلا أن يخافا» بضم الياء، و الباقون بفتحها.

المعنى: ص : ٣٤٢

قيل في معنى قوله: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ» قولان:

أحدهما- ما قال ابن عباس، و مجاهد: إن معناه البيان عن تفصيل الطلاق في السنة، و هو أنه إذا أراد طلاقها فينبغي أن يطلقها في طهر لم يقربها فيه بجماع،

(١) سورة الأحزاب آية: ٤٩.

(٢) سورة الطلاق آية: ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٣

تطليقة واحدة، ثم يتركها حتى تخرج من العدة، أو حتى تحيض و تطهر، ثم يطلقها ثانية.

و الثاني- ما قاله عروة، و قتادة: إن معناه البيان عن عدد الطلاق الذي يوجب البينونة، مما لا يوجبها. و في الآية بيان أنه ليس بعد التطليقتين إلا الفرقة البائنة. و قال الزجاج: في الآية حذف، لأن التقدير: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان، بدلالة قوله: «فإمسأك بَمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ». و المرتان معناه: دفعتان.

اللغة: ص : ٣٤٣

و تقول مَرَّ مَرًّا و استمر استمراراً، و أمَّره إمراراً و تمرَّ تمرراً، و مَرَّه تمريراً. و المر: خلاف الحلو، و منه المرارة، لأن فيها المرة. و المرة مزاج من أمزجة البدن. و المرة شدة الفتل، لاستمراره على إحكام. و المرير: الحبل المفتول. و في التنزيل «ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (١)» أى ذو قوة و شدة. و المر الذي يعمل به في الطين و أصل الباب المرور: خلاف الوقوف.

و قوله «فإمسأك بَمَعْرُوفٍ» رفع، و معناه: فالواجب إمساك عليه، و كان يجوز النصب على فليمسك إمساكاً، و الإمساك خلاف الإطلاق. تقول أمسك إمساكاً، و تمسك تمسكاً، و تماسك تماسكاً، و امتسك امتسكاً، و مسك تمسيكاً، و استمسك استمسكاً. و فلان ممسك: أى بخيل، و ما بفلان مُسكَةً، و لا تمسك:

إذا لم يكن فيه خير، لأنه منحل عن ضبط شيء من أموره. و المسك: الإهاب، لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه. و المسك السواء «٢»، و سمي باستمسাকে في اليد.

المعنى: ص : ٣٤٣

و قوله: «معروف» أى على وجه جميل سائق «٣» فى الشرع لا على وجه الإضرار بهن.

(١) سورة النجم آية: ٦. [.....]

(٢) فى مجمع البيان: السواد، و فى لسان العرب: السوار.

(٣) فى المطبوعة (سابع).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٤

و قوله: «أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ» قيل فيه قولان:

أحدهما- أنها الطلقة الثالثة،

و روى عن النبى (ص) أن رجلاً سأله، فقال:

الطلاق مرتان فأين الثالثة؟ فأجابه: أو تسريح بإحسان. وقال السدي، والضحاك: هو ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة، وهو المروى عن أبي جعفر، وأبي عبد الله (ع).

اللغة: ص : ٣٤٤

والتسريح مأخوذ من السرح، وهو الانطلاق. تقول: سرح تسريحاً، و سرح الماشية في الرعى سرحاً: إذا أطلقها ترعى: و السرحان: الذئب، لاتباعه السرح. و السرحه: الشجرة المرتفعة، لانطلاقها في جهة الطول. و المسرح: المشط، لإطلاق الشعر به. و سرحت الماشية: إذا انطلقت في المرعى. و سرحت العبد إذا أعتقته. و السرح: الجراد، لانطلاقه في البلاد، و السريحة: القطعة من القديش يد بها يقال الإبل، و كل شيء قد دته مستطيلاً، فهو سريح.

النزول: ص : ٣٤٤

و روى أن هذه الآية نزلت في ثابت بن قيس، و زوجته، و ردت عليه حديثه، و طلقها بإذن النبي (ص) رواه ابن جريج.

المعنى، و العجة، و الاعراب: ص : ٣٤٤

و قوله: «إِلَّا أَنْ يَخَافَا» معناه: إلا أن يظنا و قال الشاعر:
أتانى كلام عن نصيب بقوله و ما خفت يا سلام أنك عائي «١»
يعنى ما ظننت و أنشد الفراء:
إذا مت فادفنى الى جنب كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقه
و لا تدفنى فى الفلاة فاننى أخاف إذا ما مت ألا أدوقها «٢»

(١) مر تخريجه فى ٢: ١٨٩. من هذا الكتاب.

(٢) قائلهما أبو محجن الثقفى، ديوانه: ٢٣، و معانى القرآن للفراء ١: ١٤٦ و غيرها كثير، و خبر أبو محجن فى الخمر مشهور.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٥

و من ضم الياء، فتقديره: إلا- أن يخافا على أن لا يقيما حدود الله. و قال أبو عبيدة «إِلَّا أَنْ يَخَافَا» معناه: يوقنا، «فَإِنْ خِفْتُمْ» معناه فان أيقنتم و قال أبو على الفارسى: خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد، و ذلك المفعول تارة يكون (أن) وصلتها، و أخرى غيرها، فأما تعديه الى غير (أن) فنحو قوله: «تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» «١». و تعديته الى (أن) كقوله: «تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ» «٢» و قوله: «أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولَهُ» «٣» فان عديته الى مفعول بأن ضعفت العين، أو اجتلبت حرف الجر كقولك: خوّفت ضعف الناس قولهم، و حرف الجر كقوله:

لو خافك الله عليه حرّمه

و من ذلك قوله: «إِنَّمَا ... الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» «٤» فيخوف قد حذف معه مفعول يقتضيه تقديره يخوف المؤمنين بأوليائه، فحذف المفعول، و الجار، فوصل الفعل الى المفعول الثانى، ألا ترى أنه لا يخوف أولياءه على حدّ قولك خوّفت اللصّ، و إنما يخوف غيرهم مما لا استنصار لديهم، و مثله فإذا خفت عليه بمنزلة المحذوف من قوله: «أوليائه» فإذا كان تعدى هذا الفعل على ما وصفنا، فقول حمزة «إلا أن يخافا»، مستقيم لأنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه، فلم يبق شيء يتعدى إليه، و أما (أن) من قوله: «أَلَّا يُقِيمَا

حُدُودَ اللَّهِ»، فان الفعل يتعدى إليه بالجارّ، كما تعدى بالجارّ في قوله:

لو خافك الله عليه حرمه

و موضع أن في الآية جر بالجارّ المقدر، على قول الخليل، و الكسائي. و نصب، في قول سيبويه، و أصحابه، لأنه لما حذف الجارّ، وصل الفعل الى المفعول الثانى، مثل استغفر الله ذنباً، و امرأتك الخير، فقوله مستقيم على ما رأيت. فان قال قائل: لو كان يخافا كما قد أخبره، لكان ينبغى أن يكون فان خيفاً! قيل لا يلزمه هذا السؤال لأمرين:

(١) سورة الروم آية: ٢٨.

(٢) سورة الانفال آية: ٢٦.

(٣) سورة النور آية: ٥٠.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٧٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٦

أحدهما- أن يكون انصرف من الغيبة الى الخطاب، كما قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» (١) ثم قال: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» (٢)، و قال: «ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» (٣) و نظائر ذلك كثيرة.

و الآخر- أن يكون الخطاب في قوله: «فَإِنْ خِفْتُمْ» مصروفاً الى الولاية، و الفقهاء الذين يقومون بأمر الكافة، و جاز أن يكون الخطاب للكثرة في من جعله انصرفاً من الغيبة الى الخطاب، لأن ضمير الاثنين في «يخافا» ليس يراد به اثنان مخصوصان، و إنما يراد كل من كان هذا شأنه، فهذا حكمه.

و أما من قرأ بالفتح، فالمعنى أنه إذا خاف: من كل واحد من الزوج و المرأة «أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» حل الافتداء، و لا يحتاج في قولهم الى تقدير الجار، لأن الفعل يقتضى مفعولاً يتعدى إليه، كما اقتضى في قوله: «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ» (٤) و لا بد من تقدير الجار في قراءة من ضم الياء، لأن الفعل قد استند الى المفعول، فلا يتعدى الى المفعول الآخر إلا بالجار. قال أبو على: فأما ما قاله الفراء في قول حمزة «إِلَّا أَنْ يَخَافَا» من أنه اعتبر قراءة عبد الله (إلا- أن يخافوا) فلم ينصبه، لأن الخوف في قول عبد الله واقع على (أن). و في قراءة حمزة على الرجل، و المرأة، و حال الخوف التي معه.

المعنى: ص: ٣٤٦

«أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» قال ابن عباس و عروة و الضحاك: هو نشوز المرأة بغضا للزوج. و قال الشعبي هو نشوزها و نشوزه، و الذى روى عن أبي عبد الله (ع) أنه إذا خاف أن تعصى الله فيه بارتكاب محذور، و إخلال بواجب، و ألا تطيعه فيما يجب عليها، فحينئذ يحل له أن يخلعها، و مثله روى عن الحسن.

و قيل: إن الخوف من الإخلال بالحقوق التي تجب لكل واحد منهما على صاحبه، و حسن العشرة و جميل الصحبة.

(١) سورة الفاتحة آية: ١، ٤.

(٢) سورة الفاتحة آية: ١، ٤.

(٣) سورة الروم آية: ٣٩.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٧٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٧

فان قيل كيف قال: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا»، و إنما الإباحة لأخذ الفدية! قيل لأنه لو خص بالذكر لأوهم أنها عاصية، و إن كانت الفدية له جائزة، فبين الاذن لهما لثلا يومهم أنه كالزنا المحرم على الآخذ، و المعطى. و ذكر الفراء وجهين:
أحدهما- أنه قال: هو كقوله «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ» (١) و إنما هو من الملح دون العذب، فجاز الاتساع، و هذا هو الذى يليق بمدهنا، لأن الذى يبيح الخلع- عندنا- هو ما لولاه، لكانت المرأة به عاصية.
و الوجه الثانى- على

قوله (ص): إن أظهرت الصدقة، فحسن و إن أسررت فحسن
, و إنما على مزوجة الكلام كقوله «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» (٢)
و الثانى ليس بعد، و إن الفدية الجائزة فى الخلع- فعندنا- إن كان البغض منها، وحدها و خاف منها العصيان، جاز أن يأخذ المهر فما زاد عليه، و إن كان منهما، فيكون دون المهر. و روى عن على (ع)
فقط، و لم يفصلوا، و به قال الربيع، و عطا، و الزهرى، و الشعبى. و قال ابن عباس، و ابن عمر، و رحا بن حوة، و ابراهيم، و مجاهد: إنه يجوز الزيادة على المهر، و النقصان، و لم يفصلوا، و الآية غير منسوخة عند أكثر المفسرين، ابن عباس و الحسن، و جميع أهل العلم إلا بكر بن عبد الله، فانه زعم أنها منسوخة بقوله «وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ» (٣) الآية. و الخلع بالفدية على ثلاثة أوجه:
أحدها- أن تكون المرأة عجوزاً و ذميمة، فيضار بها ليفتدى بها، فهذا لا يحل له الفدى، لقوله «وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ» (٤) الآية.

و الثانى- أن يرى الرجل امرأته على فاحشته، فيضاربها لتفتدى بخلعها، فهذا يجوز، و هو معنى قوله «وَ لَا تَغْضُؤْهُنَّ لِيَتَّهَبُوا بِنِعْصِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» (٥) و الوجه الثالث:
«أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» لسوء خلق أو لقله نفقه من غير ظلم، أو

(١) سورة الرحمن آية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٤. [.....]

(٣) سورة النساء آية: ١٩

(٤) سورة النساء آية: ١٩

(٥) سورة النساء آية: ١٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٨

نحو ذلك فيجوز الفدية لهما جميعاً على ما فصلناه.

و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد، لا يقع، لأنه قال: «مرتان» ثم ذكر الثالثة على الخلاف فى أنها قوله: «أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ» أو قوله: «فَإِنْ طَلَّقَهَا» و من طلق بلفظ واحد لا يكون أتى بالمرتين، و لا بالثالثة كما أنه لو أوجب فى اللعان أربع شهادات: و لو أثنى بلفظ واحد لما وقع موقعه. و كما لو رمى تسع حصيات فى الجمار دفعة واحدة، لم يكن مجزياً له، فكذلك الطلاق، و متى ادعوا، فى ذلك خبراً، فعليهم أن يذكروه ليتكلم عليه، فأما مسائل الخلع، و فروعه، و شروطه فقد ذكرناها فى النهاية، و المبسوط، فلا معنى للتطويل بذكرها هاهنا لأن المطلوب هاهنا معانى القرآن، و تأويله دون مسائل الفقه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٠] ص: ٢٤٨

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)
آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٤٨

قوله: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ» المعنى فيه التطليقة الثالثة على ما روى عن أبي جعفر (ع) و به قال السدى، والضحاك، والزجاج، والجبائي، والنظام. وقال مجاهد: هو تفسير لقوله: «أَوْ تَشِيرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» (١) فانه التطليقة الثالثة، وهو اختيار الطبرى.
وصفة الزوج الذى تحل المرأة، للزوج الأول أن يكون بالغاً، ويعقد عليها عقداً صحيحاً دائماً و يذوق عسيتها، بان يطأها و تذوق هى عسيتها - بلا

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٩

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٤٩

خلاف بين أهل العلم - فلا يحل لأحد أن يتزوجها فى العدة، و أما العقود الفاسدة أو عقود الشبهة فإنها لا تحل للزوج الاول، و متى وطأها بعقد صحيح فى زمان يحرم عليه وطؤها مثل أن تكون حائضاً، أو محرمة، أو معتكفة، فإنها تحل للأول لأن الوطء قد حصل فى نكاح صحيح، و إنما حرم الوطء لأمر، صار عليه، هذا عند أكثر أهل العلم. و قال مالك: الوطء فى الحيض لا يحل للأول و إن وجب به المهر كله، و العدة.

الاعراب: ص : ٢٤٩

و موضع (أن) فى قوله: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا» خفض، و تقديره فى أن يتراجعا - عند الخليل، و الكسائي، و الزجاج - و قال الفراء: موضعه النصب، و اختاره الزجاج، و باقى النحويين. و قال الفراء: الخفض لا - أعرفه، و موضع (أن) الثانية فى قوله: «أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» نصب - بلا - خلاف ب (ظنا)، و إنما جاز حذف (فى) من أن يتراجعا و لم يحز من التراجع، لأنه إنما جاز مع (أن) لطلوها بالصلة، كما جاز (الذى ضربت زيد)، لطول الذى بالصلة، و لم يحز فى المصدر، كما لم يحز فى اسم الفاعل نحو (زيد ضارب عمرو) و تريد ضاربه.

المعنى: ص : ٢٤٩

و قوله: «فَإِنْ طَلَّقَهَا» الثانية يعنى به الزوج الثانى و ذلك يدل على أن الوطء بعقد لا تحل للزوج الأول، لأن الطلاق لا يلحق نكاح شبهة. و الراجع المذكور هاهنا، هو بعقد مستأنف، و مهر جديد، بلا خلاف.

القراءة: ص : ٢٤٩

و قوله: «يبينها» قرأ المفضل عن عاصم بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه. الباقون بالياء، الكناية عن الله.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٠

المعنى: ص: ٢٥٠

قوله: «لَقَوْمٌ يَعْلَمُونَ» إنما خص العلم بذكر البيان وإن كان بياناً لغيرهم، لأنهم الذين ينتفعون ببيان الآيات، فصار غيرهم بمنزلة من لم يعتد به. ويجوز أيضاً أن يكونوا خصوا بالذكر تشريفاً لهم، كما قال: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ» (١).
والحدود: المراد بها ما تقدم بيانها من أحكام الطلاق، والإيلاء، والخلع، وغير ذلك.
وقوله: «إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» لا يدل على وجوب الاجتهاد في الشريعة، لأنه لا يمنع من تعلق أحكام كثيرة- في الشرع- في الظن، وإنما فيه دلالة على، من قال: لا يجوز: أن يعمل في شيء من الدين إلا على اليقين، فأما الظن، فلا يجوز أن يتعلق فيه شيء من الأحكام، فالآية تبطل قوله.
وقوله: «فَلَا تَحِلُّ لَهُ ... حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ» يدل على أن النكاح بغير ولي جائز، وأن المرأة يجوز لها العقد على نفسها، لأنه أضاف العقد إليها دون وليها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣١] ص: ٢٥٠

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)
آية واحدة بلا خلاف.
قوله: «فَبَلِّغْنَ أَجْلَهُنَّ» معناه: انقضى عدتهن بالأقراء، أو الأشهر،

(١) سورة البقرة آية: ٩٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥١

أو الوضع. والمعنى: إذا بلغن قرب انقضاء عدتهن، لأن بعد انقضاء العدة ليس له إمساكها، والإمساك هاهنا المراجعة قبل انقضاء العدة، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتدة، وقد يقال لمن دنا من البلد: فلان قد بلغ البلد. والمراد «بالمعروف» هذا الحق الذي يدعو إليه العقل، أو الشرع للمعرفة بصحته، بخلاف المنكر الذي يزرع عنه العقل، أو السمع لاستحالة المعرفة بصحته، فما يجوز المعرفة بصحته: معروف، وما لا يجوز المعروف بصحته منكر.
والمراد به هاهنا أن يمسكها على الوجه الذي أباحه الله له: من القيام بما يجب لها من النفقة، وحسن العشرة، وغير ذلك، ولا يقصد الإضرار بها.

وقد بينا أن التسريح أصله إرسال الماشية في المرعى ومنه قوله: «حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرِحُونَ» (١).

وقوله: «وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَتَعْتَدُوا» معناه: لا تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الإضرار بهن إما في تطويل العدة، أو طلب المفاداة أو غير ذلك، فان ذلك غير جائز.

وقوله: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» فالظلم الضرر الذي ليس لأحد أن يضرب به.

وقوله: «وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا» يعني ما ذكره من الأحكام في الطلاق بما يجوز فيه المراجعة، وما لهم على النساء من التربص حتى تعرا أو رفعوه مما ليس لهم عن ذلك (٢) وروى عن أبي الدرداء وأبي موسى الأشعري: أنهم قالوا: كان الرجل يطلق أو يعتق

ثم يقول: إنما كنت لاعباً،

فلذلك قال رسول الله (ص): من طلق لاعباً، أو أعتق لاعباً، فقد جاز عليه.

وقوله: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معناه: التنبيه على أنه لا يسقط الجزاء على عمل من أعمالهم، لخفائه عنه، لأنه «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» والأجل هو

(١) سورة النحل آية: ٦.

(٢) هكذا في المطبوعة، و لم تتمكن من تصحيحها بما يناسب، و هي كما ترى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٢

انقضاء مدة الانتظار. و الإمساك هاهنا: المنع من الذهاب و التسريح: الإرسال بتركهـن بانقضاء العدة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٢] ص: ٢٥٢

إشارة

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

آية واحدة بلا خلاف.

النزول: ص: ٢٥٢

قال قتادة، و الحسن: إن هذه الآية نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع الى الزوج الأول، فانه طلقها، و خرجت من العدة ثم أراد أن يجتمعا بعقد آخر على نكاح آخر، فمنعها من ذلك، فنزلت فيه الآية. و قال السدي: نزلت في جابر بن عبد الله عضل بنت عم له. و الوجهان لا يصحان على - مذهبننا-، لأن عندنا أنه لا ولاية للأخ، و لا لابن العم عليها و إنما هي ولية نفسها، فلا تأثير لعضلها.

المعنى: ص: ٢٥٢

و الوجه في ذلك أن تحمل الآية على المطلقين، لأنه خطاب لهم بقوله «وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» نكايه قال: «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» بأن تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن، و لا رغبة لكم فيهن، و إنما تريدون الإضرار بهن، فان ذلك مما لا يسوغ في الدين، و الشرع، كما قال في الأولى: «وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا» و لا- يطعن على ذلك قوله: «أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ»، لأن المعنى فيه من يصيروا التبيان في

تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٣

أزواجهن، كما أنهم لا- بد لهم من ذلك إذا حملوا على الزوج الأول، لأن بعد انقضاء العدة لا يكون زوجاً، و يكون المراد من كان أزواجهن، فما لهم إلا- مثل ما عليهم. و يجوز أن يحمل العضل في الآية على الجبر، و الحيلولة بينهن، و بين التزويج دون ما يتعلق بالولاية، لأن العضل هو الحبس.

اللغة: ص: ٢٥٣

وقيل: إن العضل مأخوذ من المنع. وقيل: إنه مأخوذ من الضيق، قال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يذمك إن ولى و يرضيك مقبلاً

ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً (١)

وتقول: عضل المرأة يعضلها إذ منعها من التزويج ظلماً. وفي بعض اللغات يعضلها - بكسر الضاد - فى المضارع. وعضل الداء الأطباء إذا أعياهم أن يقوموا به، لأنه امتنع عليهم بشدة، وهو داء عضال. والأمر المعضل: الذى يغلب الناس، لامتناعه بصعوبته. وعضلت عليه إذا ضيقت عليه بما يحول بينه، وبين، ما يريد ظلماً، لأنك منعته بالضيق عليه مما يريد. وعضلت المرأة بولدها إذا عسرت ولادتها وكذلك أعضلت، وأعسرت، لأن الولد امتنع من الخروج عسراً. وفلان عضله من العضل: أى داهيه من الدواهي، لأنه امتنع بدائه. وعضل الوادى بأهله:

إذا ضاق بأهله: وعضله الساق: لحمه مكتنزه. وأصل الباب المنع. وقيل أصله التضييق.

الاعراب، والمعنى: ص: ٢٥٣

موضع (أن) من قوله: «أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ» جر عند الخليل، والكسائى، وتقديره: من أن، ونصب عند غيرهما بالفعل. وقوله: «ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ» إنما قال بلفظ التوحيد وإن كان الخطاب للجميع

(١) ديوانه رقم القصيدة: ٣١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٤

لأحد ثلاثة أوجه:

أحدها - أن (ذا) لما كان منها ما يستعمل الكاف معه كثيراً، صار بمنزلة شىء واحد. ولا يجوز على ذلك (أيها القوم هذا غلامك). وقال الفراء: توهم أن الكاف من (ذا)، وأنكر ذلك الزجاج، وقال: ليس فى أفصح اللغات بناء على توهم خطأ. والوجه ما قلناه من التشبيه مما جعلت الكلمتان فيه بمنزلة شىء واحد.

والوجه الثانى - على تقدير: ذلك أيها القبيل.

والوجه الثالث - أن يكون خطاباً للرسول (ص).

وقوله: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ» معناه أنه يعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون.

وقوله «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (من) فى موضع رفع ب (يوعظ)، وإنما خص المؤمن بالوعظ لأحد ثلاثة أقوال:

أحدها - لأنهم المشفقون بالوعظ، فنسب إليهم، كما قال «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» (١) و «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا» (٢).

والثانى - لأنهم أولى بالاعتراض.

الثالث - إنما يلزمه الوعظ بعد قبوله الايمان واعترافه بالله تعالى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٣] ص: ٢٥٤

إشارة

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّى الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا- وَسِعَهَا لَا- تَضَارُّ وَالِئِمَّةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهَا وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(٢٣٣)

(١) سورة البقرة آية: ٢.

(٢) سورة النازعات آية: ٤٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٥
آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ٢٥٥

قرأ ابن كثير، وأهل البصرة، و قتيبة: (لا تضار) - بتشديد الراء - و رفعها. و قرأ أبو جعفر بتخفيفها و سكون. الباقر بتشديدها و فتحها. و قرأ ابن كثير (ما آتيتم) قصراً، و كذلك «ما آتيتم من رباً» في الروم «١». قوله: «يُرْضِعَنَّ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» في حكم الله الذي أوجبه على عباده، فحذف للدلالة عليه. الثاني - لأنه وقع موقع يرضعن، صرفاً في الكلام مع رفع الاشكال. و لو كان خبراً لكان كذباً، لوجود والودات يرضعن أولادهن أكثر من حولين، و أقل منهما.

و في الآية بيان لأمرين: أحدهما مندوب، و الثاني فرض، فالمندوب: هو أن يجعل الرضاع تمام الحولين، هي التي تستحق المرضعة الأجر فيهما، و لا تستحق فيما زاد عليهما، و هو الذي بينه الله تعالى بقوله: «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» «٢»، فثبت المدد التي تستحق بها الأجر على ما أوجبه الله في هذه الآية.

اللغة: ص : ٢٥٥

تقول: رُضِعَ يَرْضَعُ، و رَضِعَ يَرْضَعُ رَضَاعاً، و أَرْضَعْتَهُ أُمَّهُ إِرْضَاعاً، و اِرْتَضَاعاً، و اسْتَرْضَعُ اسْتِرْضَاعاً، و رَاضِعُهُ رَضَاعاً، و مَرِاضِعُهُ. و لثيم راضع، لأنه يرضع لبن ناقته من لؤمه، لآلاً يسمع الضيف صوت الشخب. و الرضعتان: الثيتان: مقدمتا الأسنان، لأنه يشرب عليهما اللبن. و أصل الباب الرضع: مصّ الثدي،

(١) سورة البقرة آية: ٣٩، سورة الروم آية: ٥.

(٢) سورة الطلاق آية: ٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٦

لشرب اللبن منه. و معنى «حولين» ستان، و هو مأخوذ من الانقلاب في قولك:

حال الشيء عما كان عليه يحول، فالحول، لأنه انقلب عن الوقت الأول الى الثاني، و منه الاستحالة في الكلام، لأنقلابه عن الصواب. و قيل أخذ من الانتقال من قولك: تحول عن المكان. و إنما قال: «كاملين» فان كانت الثنية تأتي على استيفاء العدة، لرفع التوهم، و إنه على طريقة التغليب، كقولهم: سرنا يوم الجمعة. و إن كان السير في بعضه. و قد يقال: أقمنا حولين، و إن كانت الإقامة في حولين، و بعض آخر «١» فهو لرفع الإيهام الذي يعرض في الكلام.

المعنى: ص : ٢٥٦

فان قيل: هل يلزم في كل مولود قيل: فيه خلاف: قال ابن عباس:

لا، لأنه يعتبر ذلك بقوله: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (٢) فان ولدت المرأة لستة أشهر، فحولين كاملين، وإن ولدت لسبعة أشهر، فثلاثة وعشرون شهراً، وإن ولدت لتسعة أشهر، فأحد وعشرين شهراً تطلب بذلك التكملة لثلاثين شهراً في الحمل و الفصال الذي سقط به الفرض، و على هذا تدل أخبارنا، لأنهم رووا: أن ما نقص عن إحدى وعشرين شهراً فهو جور على الصبي. و قال الثوري: هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه، رجعا الى الحولين من غير نقصان، و لا زيادة، و لا يجوز لهما غير ذلك، و الرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم - عندنا - و به قال ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمر و أكثر العلماء، و روى عن عائشة أن رضاع الكثير يؤثر. و قال أبو علي الجبائي لم يقم بهذا حجة و لا نزل له ظاهر القرآن.

و قوله: «وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» معناه أنه يجب على الأب إطعام أم الولد و كسوتها ما دامت في الرضاعة اللازمة إذا كانت مطلقة، و به قال الضحاك و الثوري و أكثر المفسرين.

(١) هكذا في المطبوعة و لعل الأصح (حول و بعض من آخر).

(٢) سورة الأحقاف آية: ١٥. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٧

اللغة، و الحجة: ص: ٢٥٧

يقال كساه يكسوه كسوة: إذا ألبسه الثياب و اكتسى هو اكتساء: إذا لبس، و اكتست الأرض بالنبات إذا تغطت به، و كسوته مدحاً أو ذماً: إذا أثبت عليه أو ذمته. و الكساء معروف، و أصل الباب الكسوة: اللباس.

و قوله: «لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا» يدل على فساد قول المجبرة: في حسن تكليف ما لا يطاق لأنه إذا لم يجز أن يكلف مع عدم الجدة لم يجز أن يكلف مع عدم القدرة، لأنه إنما لم يحسن في الأول من حيث أنه لا طريق له الى أداء ما كلفه من غير جدة، فكذلك لا سبيل له الى أداء ما كلف الى الطاعة مع عدم القدرة، و لا ينافي ذلك قوله: «فَصَلُّوا فَلَا يَشِيْطُوعُونَ سَبِيْلًا» (١) لأنه ليس المراد نفى القدرة و إنما معناه: أنه يثقل عليهم كما يقول القائل: لا أستطيع أن أنظر الى كذا معناه:

أنه يثقل عليّ، و يقال: كلف وجهه كلفاً، و نجدّه كلف أي أثر، و الكلف بالشىء الايلاع به، لأنه لزوم يظهر أثره عليه، و كلف كلفاً: إذا أحب. و تكلف الأمر تكلفاً: تحمله. و كلفه تكليفاً: ألزمه. و أصل الباب الكلف: ظهور الأثر.

و قوله: «لَا تُضَارُّوْا وَاِئْتَدُوْا بِوَلَدِيْهَا» أصله تضارر - بكسر الراء الأولى - و قيل - بفتحها - و أسكنت و أدغمت في الراء بعدها. و من فتحها باللقاء الساكنين، و هو الأقوى فيما قبله فتحة أو ألف نحو عضّ (٢) و لا - تضارر زيداً. و قال بعضهم: لا يجوز ألا تضارر بفتح الراء الأولى، لأن المولود لا يصح منه مضماره، لأن الأفتح لو كان كذلك الكسر. قال الرماني: غلط في الاعتلايين أما الأول، فلأنه ينقلب عليه في تضارر إذا المضارة من إثنين في الحقيقة، و إن لم يسم الفاعل. و لأنه إنما يرجع ذلك الى الزوج، و المرأة الأولى و الولد. فأما الأفتح، فعلى خلاف ما ذكر، لأن الفتح لغة أهل الحجاز، و بنى أسد، و كثير من العرب، و هو القياس، لأنه إذا جاز مد بالضم للاتباع، كانت الفتحة بذلك أولى، لأنها أخف، و لأنه يجوز مد بالفتح طلباً للخفة، فإذا اجتمع الاتباع و الاستخفاف كان أولى، و قوله: إن

(١) سورة الإسراء آية ٤٨، و سورة الفرقان آية ٩

(٢) هكذا في المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٨

الفتحة في تضار: هي الفتحة في الرء الاولى، دعوى منه لا دليل عليها. و يدل على صحه ما قلناه: قوله: «مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ» «١» «وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ» «٢» كل ذلك بالفتح دون الكسر.

المعنى: ص : ٢٥٨

و إنما قيل: «يضار» و الفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة من إثنين، و ذلك لأنه يضره إن رجع عليه، منه ضرورة، فكأنه قيل: لا تضار والد من الزوج بولدها. و لو قيل في ولدها لجاز في المعنى، و كذلك فرض الوالد.

و عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) أى لا- يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع «وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ» يعنى لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل، فيضر ذلك بالأب و قيل: «لَا تُضَارُّ وَالِدَتُهُ بِوَلَدِهَا» بأن ينزع الولد منها، و يسترضع امرأة أخرى مع إيجابتها الى الرضاع باجرة المثل «وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ» بولده أى لا تمتنع هى من الإرضاع إذا أعطيت أجره مثلها، و الأولى حمل الآية على عموم ذلك.

و قيل: معناه أن على الوالدة ألا تضار بولدها فيما يجب عليها من تعاهده، و القيام بأمره، و رضاعه، و غذاءه. و على الوالد ألا يضار بولده فيما يجب عليه من النفقة عليه، و على أمه، و فى حفظه، و تعاهده.

و قوله: «وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ» قال الحسن، و قتادة، و السدى: الوارث للولد. و قال قبيصة بن ذؤيب: هو الوالد، و الأول أقوى. فان قيل: أعلى كل وارث له، أم على بعضهم؟ قيل: ذكر أبو على الجبائى: أن على كل وارث نفقة الرضاع الأقرب فالأقرب يؤخذ به. و أما نفقة ما بعد الرضاع، فاختلفوا، فعندنا يلزم الوالدين- و إن عليا- النفقة على الولد و إن نزل، و لا يلزم غيرهم. و قال قوم: يلزم العصبه دون الأم، و الأخوة من الأم، ذهب اليه عمر، و الحسن.

و قيل: على الوارث من الرجال، و النساء على قدر النصيب من الميراث، ذكره قتادة، و عموم الآية يقتضيه، غير أنا خصصناه بدليل. و قال أبو حنيفة،

(١) سورة المائدة آية: ٥٧.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٩

و أبو يوسف، و محمد: على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرم، كابن العم و ابن الأخت، فأوجبوا على ابن الأخت و لم يوجبوه على ابن العم و إن كان وارثه فى تلك الحال، و كذلك العمه و ابن العمه حكا ذلك أبو على الجبائى، و البلخى. و قال سفيان «وَعَلَى الْوَارِثِ»: أى الباقي من أبويه، و هذا مثل ما قلناه.

و قد روى فى أخبارنا: أن على الوارث كائناً من كان النفقة

، و هو ظاهر القرآن، و به قال قتادة، و أحمد و إسحاق، و الحسن و إبراهيم.

اللغة: ص : ٢٥٩

و الميراث: تركه الميت، تقول: ورث يرث يرثاً، و ورثته ميراثاً، و توارثوا توارثاً، و ورثته توريثاً. و أورثه الحى ضعفاً. و التراث: الميراث. و ورثت النار، و أورثتها: إذا حركت جمرها، ليشتعل، لأنه تظهر فيه النار عن الأول، كظهور الميراث فى الثانى عن الأول.

المعنى: ص : ٢٥٩

وقوله: «مِثْلُ ذَلِكَ» يعنى من النفقة، و به قال ابراهيم. و قال الضحاك:
من ترك المضارة. و المفهوم من الكلام، و عند أكثر العلماء: الأمران معاً، و هو أليق بالعموم.
وقوله: «فَإِنْ أَرَادَا فَصَالًا» فالفصال: الفطام، لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدى أمه الى غيره من الاغتذاء.
فان قيل: أى فصال ذاك أقبل الحولين أم بعدهما؟ قيل: فصال الحولين، لأن الفرض معلوم «١» إذا تنازعا رجعا إليه، فأما بعد الحولين،
فلا يجب على واحد منهما اتباع الآخر فى دعائه. و به قال مجاهد، و قتادة، و ابن شهاب، و سفيان و ابن زيد. و روى عن ابن عباس:
أنه إذا تراضيا على الفصال قبله أو بعده مضى، فان لم يتراضيا رجعا الى الحولين.

(١) فى المطبوعة (مغلوجة).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٠

اللغة: ص : ٢٦٠

و أصل الباب الفرق، يقال: فصل يفصل فصلا، و فاصله مفاصلة، و تفاضلوا تفضالا، و استفصلوا استفصالا و انفصل انفصالا، و فصله
تفصيلا، و تفصل تفصلا.
و فواصل القلادة: شذر بين نظم الذهب. و الفصل: القضاء بين الحق، و الباطل، و هو الفيصل. و فصيلة الرجل بنو أبيه، لانفصالهم من
أصل واحد. و الفصيل: الواحد من أولاد الإبل، لأنه فصل عن أمه و الفصيل: حائط قصير دون السور.

المعنى: ص : ٢٦٠

وقوله: «فَإِنْ أَرَادَا فَصَالًا» يعنى لا- حرج، على قول ابن عباس، و هو مأخوذ من «جَنَحُوا لِلسَّلَامِ» «١» أى مالوا. و الجناح: الميل عن
الاستقامة.

وقوله: «إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ» معناه على قول مجاهد، و السدى:

أجر الأم بمقدار ما أرضعت أجره المثل. و قال سفيان: أجره المسترضعة. و قال ابن شهاب: سلمتم الاسترضاع. و قال ابن جريج: أجره
الأم و النظير.

وقوله: «أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ» معناه: لأولادكم، و حذف اللام لدلالة الاسترضاع عليه من حيث أنه لا يكون إلا للأولاد، و لا يجوز:
دعوت زيدا، تريد لزيد، لأنه يجوز أن يكون المدعو، و المدعو له، إذ معنى دعوت زيدا لعمرو، خلاف دعوت زيدا فقط، فلا يجوز
لللباس.

و فى الآية دلالة على أن الولادة لسته أشهر تصح، لأنه إذا ضم الى الحولين كان ثلاثين شهراً، و روى عن على (ع)
و ابن عباس ذلك.

الاعراب: ص : ٢٦٠

و من رفع «لا- تضار» فعلا- استثناف النفى. و قال الكسائى، و الفراء: هو منسوق على «لا تكلف». قال الرماني هذا غلط، لأن النسق ب

(لا) إنما هو على إخراج الثاني مما دخل فيه الأول، نحو ضربت زيداً لا عمراً، فأما أن يقوم زيد

(١) سورة الانفال آية: ٦٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦١

لا- يقعد عمرو، فلا- يجوز على النسق، ولكن يرفع على استئناف النفي ب (لا)، فكذلك «لا- تضار» مستأنف في اللفظ متصل في المعنى، وقوله: «وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا» (١) إنما جاز في موضع الجزم للاتباع، وليس ذلك في «لا تضار».

اللغة: ص : ٢٦١

و الوسع: الطاقة مأخوذ من سعة المسلك الى العرض، فيتمكن لذلك. و لو ضاق لأعجز عنه، و السعة فيه بمنزلة القدرة، فلذلك قيل: الوسع بمعنى الطاقة.

وقوله: «و تشاور» فالتشاور مأخوذ من الشور، و هو اجتناء العسل، تقول: شرت العسل، و أنا أشوره شوراً، و اشيره إشارة: إذا اجتنيته من مكانه.

و المشورة: استخراج الرأي من المستشار، لأنه يجتنى منه «٢». و شاوره مشاوره، و أشار عليه إشارة، و استشار استشارة. و استشار العسل: إذا اجتناه و أشار الى الشيء إشارة: إذا أوماً اليه، و المشيرة الإصبع الذي تسمى السبابة لأنه يشار بها الشباب، و غيره. و الشابة: الهيبة، و اللباس الحسن لأنه مما يشاب اليه لحسنه و التشوير: استخراج سير الدابة كالأحسان.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٤] ص : ٢٦١

إشارة

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٦١

هذه الآية ناسخة لقوله:

(١) سورة آل عمران آية: ١٢٠، ١٢٥، ١٨٦.

(٢) في المطبوعة (يخشى منه).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٢

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ» (١) و إن كانت مقدمة عليه في التلاوة و عدة كل متوفى عنها زوجها: أربعة أشهر و عشرًا سواء كانت مدخولا بها، أو غير مدخول، حرة كانت أو أمه، فان كانت حبلية، فعدتها أبعده الأجلين، من وضع الحمل أو مضى الأربعة أشهر، و عشرة أيام، و هو المروى عن علي (ع)،

و وافقنا في الأمة الأصم، و خالف باقي الفقهاء في ذلك، و قالوا: عدتها نصف عدة الحرة: شهران و خمسة أيام، و إليه ذهب قوم من أصحابنا، و قالوا في عدة الحامل:

إنها بوضع الحمل، و إن كان بعد على المغتسل، و روى ذلك عن عمر، و أبي مسعود البدرى، و أبي هريرة. و عندنا أن وضع الحمل يختص بعدة المطلقة. و الذى يجب على المعتدة في عدة الوفاة اجتنابه في قول ابن عباس، و ابن شهاب:

الزينة، و الكحل بالإثمد، و ترك النقلة عن المنزل. و قال الحسن في احدى الروايتين عن ابن عباس: إن الواجب عليها الامتناع من الزواج لا غير. و عندنا أن جميع ذلك واجب.

الاعراب: ص: ٢٦٢

و قوله: «و الَّذِينَ» رفع بالابتداء «و يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» فى صلته الذين «و يَذْرُونَ أَزْوَاجًا» عطف عليه، و خبر الذين قيل فيه أربعة أقوال: أولها- أن تكون الجملة على تقدير «و الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذْرُونَ أَزْوَاجًا» أزواجهم «يتربصن».

الثانى- على تقدير «يتربصن» بعدهم أزواجهم.

الثالث- أن يكون الضمير فى تربصن لما عاد الى مضاف فى المعنى، كان كان بمنزلة على تقدير «يتربصن» أزواجهم: هذا قول الزجاج و الأول قول أبى العباس، و الثانى قول الأخفش و نظير قول الزجاج أن تقول: إذا مات، و خلف ابنتين، يرثان الثلثين، المعنى يرث ابنتاه الثلثين.

الرابع- أن يعدل عن الاخبار عن الأزواج، لأن المعنى عليه، و الفائدة

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٣

فيه ذهب إليه الكسائى، و الفراء، و أنكر ذلك أبو العباس، و الزجاج، لأنه لا يكون مبتدأ لا خبر له، و لا خبر إلا عن مخبر عنه، و أنشد الفراء «١»:

لعلى إن مالت بى الريح ميله على ابن أبى ديان أن يتندما «٢»

المعنى لعل ابن أبى ديان أن يتندم، و هذا يجوز على حذف أن يتندم لأجلى و قال أيضاً:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و رأى مختلف «٣»

و قال أبو عبيدة: نظير الآية قول شداد بن عنتر:

فمن يك سائلا عنى فانى و حروة لا ترود و لا نعار

حروة اسم فرسه و إنما حذف الخبر من الأول، لأن خبر الثانى يدل عليه، لأنه أراد فانى حاضر، و فرسى حاضرة لا ترود، و لا نعار، فدل بقوله: لا ترود و لا نعار: على أنها حاضرة بتوعد و تتهدد فى قول أبى العباس.

و قوله: «يذرون» يتركون و ترك ماضيه يترك تركاً. و تقول ذره تركاً و كذلك يدع ليذر سواء، و العلة فى ذلك أنهم كرهوا الواوات فى أول الكلام حتى أنهم لم يلحقوها، أو على جهة الزيادة أصلاً، ففى رفض و ذر: دليل على الكراهة لها أصلية، و ليس بعد الضعف إلا الاتباع فلما ضعفت أصلية امتنعت زيادة، فان قيل كيف قال و عشرًا بالتأنيث و إنما العدة على الأيام و الليالى، و لذلك لم يجر أن تقول: عندى عشر من الرجال و النساء. قيل لتغليب الليالى على الأيام إذا اجتمعت فى التاريخ، و غيره، لأن ابتداء شهور الأهلة الليالى منذ طلوع الهلال فلما كانت الأوائل غلبت، لأن الأوائل أقوى من الثانى و قال الشاعر:

(١) قائله ثابت قطنه التعكى، و اسمه ثابت بن كعب، ذهبت عينه فى الحرب فكان يحشوها بقطنه، و هو شاعر فارسى من شعراء خراسان فى عهد الدولة الاموية قال فيه حاجب الفيل:

لا يعرف الناس منه غير قطنته و ما سواها من الأنساب مجهول

(٢) تاريخ الطبرى ٨: ١٦٠، و معانى القرآن للفراء ١: ١٥٠ و هو من قصيدة يرثى بها يزيد بن المهلب، لما قتل فى سنة ١٠٢ فى خروجه على يزيد بن عبد الملك بن مروان.

(٣) مر تخريجه فى ١: ١٧٢، ٢٠٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٤

أقامت ثلاثاً بين يوم و ليلة و كان النكير أن تضيف و تجأراً «١»

معنى تضيف تميل و حكى الفراء: صمنا عشراً من شهر رمضان و لو أضاف الى الأيام فقال عشرة أيام، لم يجز إلا التذكير، و إنما جاز فى الأول لأنه بمعنى عشر من رمضان وقع العمل فى نهاره.

اللغة: ص : ٢٦٤

و قوله: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» يقال: أجله تأجيلاً: إذا أخره، و الآجل نقيض العاجل، و تأجل تأجلاً و استأجله استئجالاً، و أجلوا ما لهم يأجلونه أجلاً:

إذا حبسوه فى المرعى، لأنهم أخروه فيه و الأجل: غاية الوقت فى محل الدين و غيره، لتأخره الى ذلك الوقت و أجل الشىء يأجل و هو آجل نقيض العاجل. لتأخره عن وقت غيره، و فعلته من أجل كذا أى لعاقبه كذا و هى متأخرة عن وقت الفعل الذى دعت. إليه و الأجل: القطيع من نفر الوحش، و جمعه آجال، و قد تأجل الصوار أى صار قطعياً لتأخر بعضه عن بعض، و آجل عليهم شراً آجلاً أى خبأه، لأنه أعقبهم شراً، و هو متأخر عن وقت فعله. و الآجلة الآخرة، و العاجلة الدنيا. و المأجل شبه حوض واسع يؤجل فيه ماء البئر أياماً، ثم يفجر فى الزرع، و هو بالفارسية: (كرجه) و ذلك لتأخر الماء فيه.

و قوله: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» فالخبير: العالم، لأنه عالم بمخبر الخبر.

و الخبر: الأرض السهلة فيها حجارة، و أحفار. و أخبرت بالشىء إخباراً، لأنه تسهيل لطريق العلم به، و استخبره استخباراً، و تخبر تخبراً، و خبره تخبيراً، و أخبره إخباراً، و تخبر القوم: بينهم خبرة: إذا اشتروا شاة، فذبحوها، و اقتسموا لحمها، و الشاة: خبيرة. و المخبرة: المزادة العظيمة. و الخابرة: أن يزرع على النصف، أو الثلث، أو نحوه. و الأكار: الخبير. و المخابرة: المؤاكرة، و ذلك لتسهيل الزراعة. و أصل الباب السهولة.

(١) اللسان ضيف. قائله النابغة الجعدى. فى المطبوعة (تجأوا) بدل (تجأراً) و هو تحريف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٥

المعنى: ص : ٢٦٥

و قوله: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أى انقضت هذه المدة، و هى الأربعة أشهر و عشراً «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» أى لا جناح عليكم أن تتركوهن إذا انقضت هذه المدة أن يتزوجن، و أن يتزين زينة لا ينكر مثلها. و هو معنى قوله «بالمعروف».

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٥] ص : ٢٦٥

إشارة

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَيَذُكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)

آية في الكوفي.

المعنى: ص: ٢٦٥

قال ابن عباس: التعريض المباح في العدة هو قول الرجل: أريد التزويج، وأحب امرأة من حالها، ومن أمرها، و شأنها، فيذكر بعض الصفة التي هي عليها، هذا قول ابن عباس. وقال القاسم بن محمد، و عامر تقول: إنك لنا فقء، و إنك لعجبة جميلة، و إن قضى الله شيئاً كان.

اللغة: ص: ٢٦٥

و الخطبة: الذكر الذي يستدعى به الى عقدة النكاح، و الخطبة: الوعظ المنسق على ضرب من التأليف. و قيل: الخطبة: ما له أول، و آخر، مثل الرسالة. و الخطبة التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٦

للحال نحو الجلسة، و القعدة، تقول: خطب المرأة يخطبها خطبة، لأنه خاطب في عقد النكاح. و خطب خطبة، لأنه خاطب بالزجر، و الوعظ على ضرب من تأليف اللفظ المخصوص. و خاطب مخاطبة، و خطاباً، و تخاطبوا تخاطباً. و الخطب: الأمر العظيم. و الخطبان: الحنظل الذي تشتد خضرته حتى تستحيل الى الغبرة، و الصفرة.

و أصل الباب الخطاب.

و الفرق بين التعريض، و الكناية أن التعريض: تضمين الكلام دلالة على شيء ليس فيه ذكر له، و الكناية: العدول عن الذكر الأخص بالشىء الى ذكر يدل عليه، فالأول كقول القائل: ما أقبح البخل، يعرض بأن المخاطب بخيل، و لعن الله الملحدين، يعرض له بالإلحاد. و الثانى كقولك: زيد ضربته، كنيته عنه بالهاء الموجودة في (ضربته).

و قوله: «أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ» فالأكتنان: إسرار العزم على النكاح دون إظهاره على قول ابن زيد، و مجاهد. و قال قوم: هو معنى التعريض بالخطبة إن شئت أظهرته، و ان شئت أضمرته. و تقول: كنت الشىء: إذا سترته، أكنه كئياً و كوناً و أكننته إكناً إذا أضمرته، لأنك سترته في نفسك. و استكن الرجل، و أكنن إذا صار فى كئ، لأنه صار فيما يستره. و الكنانة الجعبة غير أنها صغيرة تتخذ للنبل. و الكنة: امرأة الابن أو ابن الأخ. و الجمع كنانن. و سمي الكانون كانوناً، لأنه يحتاج إليه فى وقت الاكتنان من البرد، و منه قوله:

«كَانَّهُنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ» (١) «وَرُبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ» (٢) و أصل الباب الكن: الستر.

و الفرق بين الأكتنان و الكن: أن الأكتنان: الإضمار فى النفس، و لا يقال كنته فى نفسى. و قيل: كنته معناه صنته كما قال: «كَانَّهُنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ».

(٢) سورة النمل آية ٧٤، و سورة القصص آية: ٦٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٧

المعنى: ص: ٢٦٧

وقوله: «لا- تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا» قال الحسن، وإبراهيم، وأبو مجيلة: السر المنهى عنه هاهنا الزنا. وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والشعبي: هو العهد على الامتناع من تزويج غيرك. وقال مجاهد: هو أن تقول لها لا تفوتيني بنفسك، فاني ناكحك. وقال ابن زيد: هو اسرار عقدة النكاح في العدة.

اللغة: ص: ٢٦٧

و السر في اللغة على ثلاثة أوجه: الإخفاء في النفس، و الشرف في الحسب، يقال: فلان في سر قومه إذا كان في شرفهم، و صميمهم. و الجماع في الفرج قال الشاعر:

ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت و ألا يشهد السر أمثالى «١»

و قال رؤبة:

فعمت عن أسرارها بعد العسق و لم يضعها بين فرك و عشق «٢»

العشق اللصوق و قال الحطيئة:

و يحرم سر جارتهم عليهم و يأكل جارهم أنف القصاع «٣»

وقوله: «إلا أن تقولوا قولاً معزوفاً» يعنى التعريض الذى أباحه الله تعالى.

و (إلا) بمعنى (لكن) لأن ما قبلها هو المنهى عنه، و ما بعدها هو المأذون فيه.

و تقديره: و لكن قولوا قولاً معزوفاً.

و قوله: «و لا تغزموا عقدة النكاح»: تقديره على عقدة النكاح، و حذف على،

(١) قائله امرؤ القيس ديوانه: ١٥٩ و روايته (و ألا يحسن السر) بدل (و ألا يشهد السر).

(٢) ديوانه: ١٠٤، و اللسان «عسق»، «عشق»، «فرك»، «سرر»، الأسرار جمع سر. و العسق مصدر «عسق به يعسق» لزمه و أولع به. و الفرك- بكسر الفاء و سكون الراء- بغضة الرجل امرأته أو بالعكس، و امرأة فارك، و فروك: تكره زوجها و قد روى «العشق».

(٣) اللسان (أنف). أنف كل شىء: طرفه، و أوله.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٨

لدلالة العزم عليها، لأنه لا يكون إلا على معزوم عليه، كما قيل: ضربه الظهر و البطن أى على الظهر و البطن.

و العقد: الشد، تقول: عقد يعقد عقداً، و أعقدت العسل إعتقاداً، و اعتقد صحة الأمر اعتقاداً، و تعاقدوا على الأمر تعاقداً، و عاقده معاقد، و عقد كلامه تعقيداً، و تعقد تعقداً، و انعقد انعقاداً، و عقد العبد، لأنه كعقد الحبل فى الوثيق.

و العقد: السمط من الجوهر. و العقد: الرمل للتداخل. و عقد اليمين: خلاف اللغو.

و ناقة عاقد أى لاقح، لأنها تعقد بذنبها، فيظهر أنها قد لقت.

المعنى: ص: ٢٦٨

وقوله: «حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» معناه انقضاء العدة بلا خلاف. و الكتاب الذي يبلغ أجله هو القرآن و معناه: فرض الكتاب أجله. و يجوز أن يكون الكتاب نفسه هو الفرض، ذكره الزجاج، و وجه ثالث أن يكون ذلك على وجه التشبيه بكتاب الدين، ذكره الجبائي. و قوله: «أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» قد بينا أن الحلم من الله هو إمهال العقوبة المستحقة. و قال أبو علي الجبائي هو كل فعل يضاد حدوث العقوبة في الإنسان، و هو من الإنسان ترك العقاب. و الله تعالى لا يجوز عليه الترك، فهو ما وصفنا من نعمه التي تضاد عقوبته.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٦] ص : ٢٦٨

إشارة

لا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَتَعَوُّهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)
آية بلا خلاف.

القراءة: ص : ٢٦٨

قرأ حمزة، و الكسائي، و خلف «تماسوهن» بضم التاء و بألف هاهنا التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٦٩
موضعان، و موضع في الأ-حزاب، و قرأ أبو جعفر و أهل الكوفة إلا أبا بكر، و ابن ذكوان «قدره» بفتح الدال في الموضعين. الباقيون بإسكانها.

المعنى: ص : ٢٦٩

المفروض صداقها داخله في دلالة الآية و إن لم يذكر، لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن أو لم تفرضوا لهن فريضة، لأن أو تنبئ عن ذلك، لأنه لو كان على الجمع لكان بالواو.
و الفريضة المذكورة في الآية: الصداق، بلا خلاف، لأنه يجب بالعقد للمرأة، فهو فرض لوجوبه بالعقد.
و متعة التي لم يدخل بها و لا يسمى لها صداق على قدر الرجل، و المرأة، قال ابن عباس، و الشعبي، و الربيع: خادم أو كسوة أو رزق، و هو المروي عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع).
و قيل مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحه، حكى ذلك عن أبي حنيفة و أصحابه. و في وجوب المتعة لكل مطلقه خلاف. قال الحسن و أبو العالية: المتعة لكل مطلقه إلا المختلعة، و المبارية، و الملائنة. و قال سعيد بن المسيب:
المتعة التي لم يسم لها صداق، خاصة، و هو المروي عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع).
و قد روى أيضاً أنها لكل مطلقه، و ذلك على وجه الاستحباب.
و المتعة للتي لم يدخل بها و لم يعرض لها يجبر عليها السلطان، و هو قول أهل العراق.
و قال أهل المدينة و شريح يؤمر لها، و لا يجبر عليها.

اللغة: ص : ٢٦٩

و الموسع: الغنى فى سعته من ماله لعياله. و المقتر: الذى فى ضيق لفقره، تقول:

أقتر الرجل إقتاراً: إذا أقل، فهو مقتر أى مقل، و قترت الشىء أقتره قترأً، و أقترته إقتاراً، و قترته تقترأً: إذا ضيقت الإنفاق منه. و القتار: دخان الشحم على النار، و نحوه، لغلبته بالاضافة الى بقيته. و القتر: الغبار. و القتره: ما يغشى الوجه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٠

من غير الموت، و الكرب، لأنه كالتقار أو كالتقار يغشى الوجه، و فى التنزيل «تَزَهَّقُهَا قَتْرَةٌ» (١) و القتير: مسامير الدروع، لقلتها و صغرها. و القتير ابتداء الشيب، لقلته. و يجوز أن يكون مشبهاً بالدخان أول ما يرتفع. و القتره ناموس الصائد، لأنها كالتقار باخفائه إياها. و رجل قاتر: حسن الأخذ من ظهر البعير لا يعقره لقله ما يأخذ منه، و أصل الباب الاقلال. و ابن قتره: حيه خبيثه لا ينجو سليمها.

المعنى: ص : ٢٧٠

و المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق عليها العدة- بلا خلاف- و لها الميراث إجماعاً. و قال الحسن و الضحاك و أكثر الفقهاء. لها صداق مثلها. و حكى الجبائى عن بعض الفقهاء: أنه لا مهر لها، و هو الذى يليق بمذهبننا، و لا نص لأصحابنا فيها.

الاعراب، و المعنى: ص : ٢٧٠

و يحتمل نصب «متاعا» وجهين: أحدهما- أن يكون حالا من قدره، لأنه معرفه، و العامل فيه الظرف. و الثانى- على المصدر، و العامل فيه «وَمَتَّعُوهُنَّ».

و يحتمل نصب حقا وجهين: أحدهما- أن يكون حالا من «بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا» و العامل فيه معنى عرف حقا. الثانى- على التأكيد، لجملة الخبر كأنه قيل: أخبركم به حقا كأنه قيل: إيجاباً «عَلَى الْمُحْسِنِينَ» و إنما خص التى لم يدخل بها بالذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها بالذكر و إن كان حكمهما واحداً لأمرين: أحدهما- لإزالة الشك فى الحرج على هذا الطلاق. و الثانى- لأن له أن يطلق أى وقت شاء، و ليس كذلك حكم المدخول بها، لأنه يجب أن يطلقها للعدة.

«و قدره» على تقدير أعطوهن قدر الوسع كما يقال: أخذ صدقاتهن لكل أربعين شاه بالرفع، و النصب. و قال الشاعر فى تسكين الدال:

(١) سورة عبس آية: ٤١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧١

و ما صبّ رجلى فى حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لى أريدها (١)
و قال آخر:

ألا يا قومى للنوائب و القدر! و للأمر يأتى المرء من حيث لا يدري! (٢)

قال أبو زيد: قدر القوم: أمرهم يقدرونه قدرأً، و هذا قدر هذا أى مثله، و قدر الله الرزق يقدره. و روى السكونى يقدره قدرأً. و قدرت الشىء بالشىء أقدره قدرأً. و قدرت على الأمر أقدر عليه قدره، و قدورأً، و قدارة. و نسأل الله خير القدر. و قال أبو الصقر: هذا قدر هذا، و أحمل قدر ما تطيق. قال أبو الحسن:

هو القدر، و القدر. و خذ منه بقدر كذا، و قدر كذا: لغتان فيه. و قوله:

«فَسَأَلْتُ أُوْدِيَّةً بِقَدْرِهَا» و قدرها (٣).

الحجة: ص : ٢٧١

و من قرأ «تمسوهن» بلا الف، فلقوله تعالى: «وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا» (٤) فانه من جاء على (فعل)، و كذلك قوله: «لَمْ يَطْمِئْتَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ» (٥) و من قرأ «تماسوهن بالف»، لأن (فاعل)، و (فعل) قد يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر، نحو طابقت النعل و عاقبت اللصّ و لا- يلزم على ذلك في آية الظهر «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا» (٦) لأن المماسه محرمة في الظهر على كل واحد من الزوجين للآخر، فلذلك لم يجز إلا- «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا». و في الآية دليل على أن العقد بغير مهر صحيح، لأنه لو لم يصح لما جاز فيه الطلاق، و لا وجبت المتعة.

(١) قائله الفرزدق ديوانه: ٢١٥، و اللسان (صوب)، (قدر)، و مقاييس اللغة ٥: ٦٢ و الأساس (صوب)، و إصلاح المنطق: ١٠٩.

(٢) البيت لهدي بن خشم. اللسان (قدر) في المطبوعة (بالقوم) بدل (لقومي) و (للام) بدل (للأمر).

(٣) سورة الرعد آية: ١٩ و قد قرأت الآية «بقدرها» بفتح الدال، و بسكونها.

و خط المصحف بالسكون.

(٤) سورة آل عمران آية: ٤٧.

(٥) سورة الرحمن آية: ٧٤.

(٦) سورة المجادلة آية: ٣، ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٢

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٧] ص: ٢٧٢

إشارة

وَ إِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

آية واحدة بلا خلاف.

روى سعيد بن المسيب: أن هذه الآية ناسخه لحكم المتعة في الآية الأولى.

قال البلخي: و هذا ليس بصحيح، لأن الآية الأولى تضمنت حكم من لم يدخل بها، و لم يسم لها مهراً إذا طلقها، و هذه تضمنت حكم التي فرض لها صداق إذا طلقت قبل الدخول، و أحد الحكمين غير الآخر. و الذي قاله سعيد بن المسيب متوجه على ما قدمناه في الآية من أن دليلها يتناول التي فرض لها المهر. و إن حملنا قوله:

«و متعوهن» على عمومه لزم أن تمتع كل مطلقة و إن سمى لها مهراً. و إن قلنا:

لا متعة للمفروض لها الصداق، فلا يلزم نسخ الآية أو تخصيصها إن نزلت معها.

و قال جميع أهل التأويل: إنه إذا طلق الرجل من سمى لها مهراً معلوماً قبل أن يدخل بها، فانه يستقر لها نصف المهر، فان كانت ما قبضت شيئاً وجب عليه تسليم نصف المهر، و إن كانت قد سلمت جميع المهر، وجب عليها ردّ نصف المهر، و يستقر لها النصف الآخر.

و النصف: هو سهم من اثنين، تقول: نصفه ينصفه، و انتصف انتصافاً، و نصفه تنصيفاً، و أنصفه إنصافاً، و تناصفوا تناصفاً، و ناصفه مناصفةً، و تنصف تنصفاً. و النصف: المرأة بين المسنة و الحدة، لأنها على نصف المسنة. و الناصف: الخادم، هو ينصف الملوک أى يخدمهم، لأنه يعطيهم النصف من نفسه قسراً و ذلاً. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٣ و الانصاف، لأنه كالنصف فى العدل. و النصيف: الخمار، لأنه كالنصف فى أنه وسط بين الصغير، و الكبير، و يقال له: نصيفه. و منتصف الطريق: وسطه. و المنصف من الشراب الذى طبخ حتى ذهب نصفه. و النصيف: مكيال، لأنه على النصف بالتعديل بين الكبير و الصغير.

المعنى: ص: ٢٧٣

و قوله: «أَنْ يَغْفُونَ» معناه: أن يصح عفوها، من الحرار البالغات غير المولى عليها، لفساد عقلها، فترك ما يجب لها من نصف الصداق، و هو قول ابن عباس، و مجاهد، و جميع أهل العلم.
و قوله: «أَوْ يَغْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ» قال مجاهد، و الحسن، و علقمة:
إنه الولي، و هو المروى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (ع)
، غير أنه لا ولاية لأحد - عندنا - إلا الأب أو الجد على البكر غير البالغ، فأما من عداها، فلا ولاية له إلا بتولية منهما، روى عن على (ع).
و عن سعيد بن المسيب، و شريح، و حماد، و إبراهيم، و أبى حذيفة، و ابن شبرمة: أنه الزوج، و روى ذلك أيضاً فى أخبارنا غير أن الأول أظهر، و هو المذهب، و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف، و قوينا ما أخبرنا هناك.
و الألف و اللام فى قوله «عُقْدَةُ النِّكَاحِ» بدل من الاضافة، فمن جعل الزوج قال: تقديره: الذى بيده عقدة نكاحه، و من جعل الولي، قال: تقدير الذى بيده عقدة نكاحها، و مثله قوله تعالى: «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» (١) و معناه: هى مأواه و قراره و قال النابغة:
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس و الأحلام غير عواذب (٢)

(١) سورة النازعات آية: ٤١.

(٢) ديوانه: ٤٥ من قصيدته فى مدح عمرو بن الحارث الأصغر الأعرج الغساني و ذلك حين فر من النعمان بن المنذر الى الشام. و الضمير فى «لهم» عائد الى ملوك غسان من بنى جفنة. و الشيمة: الخلق، و الطبيعة.
التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٤
معناه و أحلامهم غير عواذب. و من جعل العفو للزوج قال: له أن يعفو عن جميع نصفه.
و من جعله للولي: قال أصحابنا له أن يعفو عن بعضه، و ليس له أن يعفو عن جميعه، فان امتنعت المرأة من ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضت المصلحة ذلك، عن أبى عبد الله (ع).
و اختار الجبائي أن يكون المراد به الزوج، قال: لأنه ليس للولي أن يهب مال المرأة، و قوله: «وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى خُطَابَ لِلزَّوْجِ وَ الْمَرْأَةِ، قَالَ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلزَّوْجِ أَنْ يَهْبَ مَالَ الْمَرْأَةِ، وَ لَيْسَ لَهَا أَنْ يَهْبَ مَالَ الْمَرْأَةِ.»
و قوله: «وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى خُطَابَ لِلزَّوْجِ، وَ الْمَرْأَةِ جَمِيعاً» فى قول ابن عباس - و قيل: للزوج وحده عن الشعبى، و إنما جمع لأنه لكل زوج و قول ابن عباس أقوى لأنه العموم. و إنما كان العفو أقرب للتقوى من وجهين:
أحدهما - لاتقاء ظلم كل واحد صاحبه مما يجب من حقه.
الثانى - أنه أدعى الى اتقاء معاصى الله، للرجبة فيما رغب فيه من العفو عماله.

الاعراب: ص : ٢٧٤

وقوله: «فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» رفع على: عليكم نصف ما فرضتم، و كان يجوز أن ينصب في العربية على فأدوا نصف ما فرضتم. وقوله: «وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» الواو مضمومة، لأنها واو الجمع، وقياسها أن تكون مع ضم ما قبلها، فإذا لم يوصل اليه جعل الضم منها، و كان يجوز فيها الكسر، و مثله «اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ» (١) على ضعف فيه، و قد مضى ذكره.

المعنى: ص : ٢٧٤

و الذى يوجب المهر كاملا الجماع، و هو المراد بالمتيسر، و قال أهل العراق: و هو الخلوة التامة إذا أغلق الباب و أرخى الستر، و قد روى ذلك أصحابنا غير أن هذا يعتبر فى حق الثيب.

(١) سورة البقرة آية: ١٦، ١٧٥. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٥

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٨] ص : ٢٧٥**إشارة**

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) آية.

اللغة: ص : ٢٧٥

الحفظ ضبط الشىء فى النفس، ثم يشبه به ضبطه بالمنع من الذهاب. و الحفظ خلاف النسيان تقول: حفظ حفظاً، و حافظ محافظاً، و حفاظاً، و احتفظ به احتفاظاً، و تحفظ تحفظاً، و استحفظ استحفاظاً، و أحفظه إحفاظاً: إذا أغضبه، لأنه حفظ عليه ما يكرهه. و منه الحفيظة: الحمية. و الحافظ: خلاف المضيع. و الحفيظ: الموكل بالشىء، لأنه و كل به ليحفظه و أهل الحفاظ: أهل الذمام، و منه قوله: «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» (١).

المعنى: ص : ٢٧٥

و معنى الآية الحث على مراعات الصلوات، و مواقيتهن، و ألا يقع فيها تضييع و تفريط.

و قوله «و الصلوة الوسطى» هى العصر فيما روى عن النبى (ص) و على (ع)

و ابن عباس، و الحسن. و قال زيد بن ثابت، و ابن عمر:

إنها الظهر، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (ع).

و قال قبيصة بن ذؤيب: هى المغرب، و قال جابر ابن عبد الله هى الغداة. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه فى الخلاف. و روى عن ابن

عمر أنه قال: واحدة من الخمس غير متميزة. و قال الحسين بن على المغربى:

المعنى فيها صلاة الجماعة، لأن الوسط العدل، فلما كانت صلاة الجماعة أفضلها خصت بالذكر، وهذا وجه مليح غير أنه لم يذهب إليه أحد من المفسرين، فمن جعلها العصر قال: لأنها بين صلاتي النهار، و صلاتي الليل، وإنما حُصَّ عليها، لأنها وقت شغل الناس في غالب الأمر، و من قال: إنها الظهر قال: لأنها وسط النهار، وقيل: هي أول صلاة فرضت، فلها بذلك فضل. و من قال: هي المغرب قال: لأنها وسط في الطول، و القصر من بين الصلوات، فهي أول صلاة الليل الذي رغب في الصلاة

(١) سورة النساء آية: ٧٩، و سورة الشورى آية: ٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٦

فيه، و أما من قال هي الغداة قال: لأنها بين الظلام و الضياء، و صلاة لا تجمع مع غيرها. و قد جمع النبي (ص) بين الظهر و العصر بعرفه، و جمع بين المغرب و العشاء بالمزدلفة، فهذه متواخية و تلك مفردة.

وقوله: «وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» قال ابن عباس، و الحسن: معناه طائعين.

و قال عبد الله بن مسعود: ساكتين، لأنهم نهوا بذلك عن الكلام في الصلاة.

و قال مجاهد: معناه خاشعين فنهوا عن العبث، و التلفت في الصلاة. و قال ابن عباس في رواية: داعين و لذلك قال هي صلاة الصبح، لأنه لا صلاة فرض فيها قنوت إلا هي.

و عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) مثل ذلك إلا أنهما قالوا: القنوت في كل ركعتين قبل الركوع.

اللغة، و الاعراب: ص : ٢٧٦

و أصل القنوت الدوام على أمر واحد. و قيل أصله الطاعة. و قيل أصله الدعاء في حال القيام. و قال الرماني و الوجه الأول أحسن بصرفه في الباب، لأن المدوام على الطاعة قانت، و قال المدوام في صلاته على السكوت إلا عن الذكر المشروع له، و كذلك المدوام. و يقال: فلان يقنت عليه أى يدعوا عليه دائماً.

و الصلاة الوسطى محفوظة بالعطف على الصلوات و كان يجوز النصب على «وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ فَحُصِّمَتْ بِهَا بِمَحَافِظَتِهَا. و من حمل الصلاة الوسطى على صلاة الجماعة جعل قوله: «عَلَى الصَّلَوَاتِ» على عمومها. و من حملها على واحدة من الصلوات على الخلاف فيه اختلفوا، فمنهم من قال أراد بقوله «عَلَى الصَّلَوَاتِ» ما عدا هذه الصلاة و إلا- كان يكون عطف الشيء على نفسه، و منهم من قال لا يمتنع أن يريد بالأول جميع الصلوات، و خص هذه بالذكر تعظيماً لها و تأكيداً لفضلها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٣٩] ص : ٢٧٦

إشارة

فَإِنْ حَفِظْتُمْ فَرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

آية. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٧

اللغة: ص : ٢٧٧

معنى قوله: «فرجالاً» أى على أرجلكم، لأن الرجل: هو الكائن على رجله واقفاً كان، أو ماشياً. وأحد الرجال: راجل وجمعه رجال، مثل تاجر وتجار، وصاحب، وصحاب، وقائم، وقيام. وواحد الركبان: راكب، وجمعه ركبان، وركاب، كفارس، وفرسان. وتقول: ركب يركب ركوباً، وأركبه إركاباً، وارتكب ارتكاباً، وتراكب الشيء تراكباً، وتركب تركيباً، وركبه تركيباً، واستركب استركاباً، وكل شيء علا شيئاً، فقد ركبه. وركبه الدين، ونحوه. والركبة معروفة، لروب البدن لها. وركبة البعير فى يده. والركاب: المطى. وركاب السرج، لأنه يركب. والركبان: أصلاً الفخذين الذين عليهما لحم الفرج لركوبه إياهما. وفسركب، والأنتى ركبى: إذا عظمت ركبتيهما وهو عيب. وأركب المهر: إذا أمكن أن يركب. ورجل مركب: الذى يغزوا على فرس غيره. والراكبة: فسيلة تتعلق بالنخلة لا تبلغ الأرض. وركبت الرجل أركبه ركباً: إذا ضربته بركبته.

والركوب: كل دابة تركب، ومنه قوله: «فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ» (١) وأصل الباب الركوب: العلو على الشيء.

المعنى: ص : ٢٧٧

والعامل فى قوله: «فرجالاً» محذوف، وتقديره: فصلوا رجالاً أو ركباناً.

وصلاة الخوف من العَدُو: ركعتان كيف توجه إنما يجعل السجود أخفض من الركوع- فى قول إبراهيم، والضحاك- فإن لم يستطع، فليكن بتكبيرتين.

وروى أن علياً (ع) صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير.

وإن النبى (ص) صلى يوم الأحزاب إيماء.

وروى أنه قضاها بعد أن فاتت بالليل.

وقال ابن عباس والحسن: يجوز فى صلاة الخوف ركعة واحدة. وقال الحسن، وقاتدة، وابن زيد: يجوز أن يصلى الخائف ماشياً. وقال أهل العراق: لا يصلى ماشياً، لأن المشى

(١) سورة يس آية: ٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٨

عمل. والذى نقوله: إن الخائف إن صلى منفرداً صلاة شدة الخوف صلى ركعتين يومئى إيماء، ويكون سجوده أخفض من ركوعه، وإن لم يتمكن كبر عن كل ركعة تكبيره، وهكذا صلاة شدة الخوف إذا صلوا جماعة، وإن صلوا جماعة غير صلاة شدة الخوف، فقد بينا الخلاف فيه وكيفية فعلها فى خلاف الفقهاء.

والذكر فى الآية قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أنه الصلاة، أى فصلوا صلاة الأمان كما علمكم الله، هذا قول الحسن، وابن زيد.

الثانى- اذكروه بالثناء عليه، والحمد له كما علمكم ما لم تعلموا من أمر دينكم، وغير ذلك من أموركم. والأولى حمل الآية على عمومها فى الأمرين.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٠] ص : ٢٧٨

إشارة

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي

أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)

آية واحدة بلا خلاف.

قرأ نافع، وابن كثير، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «وصية» بالرفع.

الباقون بالنصب.

المعنى: ص : ٢٧٨

هذه الآية منسوخة الحكم بالآية المتقدمة، وهي قوله: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» بلا خلاف في نسخ العدة إلا أبا حذيفة، فانه قال: العدة أربعة أشهر وعشراً، وما زاد الى الحول يثبت بالوصية والنفقة، فان أمتع الورثة من ذلك كان لها أن تتصرف في نفسها، فأما حكم الوصية، فعندنا باق لم ينسخ وإن كان على وجه الاستحباب. وحكى عن ابن

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٧٩

عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد: أنها منسوخة بآية الميراث، وقد بينا فساد قولهم: لا وصية لوارث. فأما آية الميراث، فلا تنافي الوصية، فلا يجوز أن تكون ناسخة لها، وقد مضى الكلام في خبر الذين «١» في الآية المتقدمة، فلا وجه لإعادته.

المعنى، والاعراب: ص : ٢٧٩

ومن نصب «وصية» فانه يحتمل قوله: «وصية» أمرين:

أحدهما- فليوصوا وصية لأزواجهم، فينصب على المصدر.

الثاني- كتب الله عليهم وصية لأزواجهم، فينصب على أنه مفعول به.

والمصدر المنصوب يدل على فعل الأمر المأخوذ منه، أما دلالاته على فعله، فلأنه مشتق منه، وأما دلالة نصبه على الأمر منه، فلغلبة الباب في الأمر، فأما دلالاته على كتب، فلأن ما أمر الله به، فقد كتبه. والنصب يدل على الأمر به. والرفع يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها-

فعلهم وصية لأزواجهم. الثاني- فلأزواجهم وصية كما تقول: لزيد مال. الثالث- كتب عليهم وصية لأزواجهم. وقال بعضهم:

لا يجوز غير الرفع، لأنه، لا يمكن الوصية بعد الوفاء، لأن الفرض كان لهن أوصى أو لم يوص. قال الرماني: وهذا غلط، لأن المعنى و

الذين يحضرهم الوفاء منكم، فلذلك قال: «يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» على لفظ الحاضر الذي يتناول على نحو قولك: الذين يصلون، فليعرضوا

عن الذكر فيما يشغلهم. فأما قوله: الفرض كان لهم، فان لم يوصوا فقال قتادة والسدي: إنما كان لهن بالوصية على أنه لو كان على ما

زعم، لم ينكر أن يوجه الله على الورثة إن فرط الزوج في الوصية.

وقوله: «مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ» نصب، والعامل فيه أحد أمرين:

أحدهما- جعل الله لهن ذلك متاعاً، لأن ما قبله دل عليه.

والثاني- متعهن متاعاً. وقوله غير إخراج نصب بأحد الشيين: أحدهما- بأن يكون صفة لمتاع. والثاني- أن يكون مصدرًا كأنه قيل:

لا إخراجاً. قال

(١) في تفسير آية: ٢٣٤. وفي المطبوعة (جر الدين) وهو تصحيف.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٠

الفراء: هو كقولك: جئتك عن رغبة اليك فكأنه قال: متعهن مقاماً في مساكنهن، فيكون مصدرًا وقع موقع الحال. ويجوز أن يكون

بمعنى الاقامة في مساكنهن. وقال الحسن، والسدى: قوله: «فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ» دليل على سقوط النفقة، والسكنى بالخروج، لأنه إنما جعل لهن ذلك بالاقامة الى الحول، فان خرجن قبله بطل الحق الذي وجب بالاقامة. وإنما يحتاج الى هذا التخريج من يوجب النفقة للمعتدة عن الوفاة. فأما من قال: لا نفقة لها، ولا سكنى، فلا يحتاج الى ذلك، وهو مذهبنا، لأن المتوفى عنها زوجها لا نفقة لها، وإذا قلنا القرآن لا ينسخ بالسنة، قلنا: النفقة هاهنا على وجه الاستحباب أو أنها تثبت بالوصية، لأننا بينا أن الوصية غير منسوخة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤١] ص : ٢٨٠

إشارة

وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٍ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٨٠

قال سعيد بن المسيب الآية منسوخة بقوله: «فِيصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» وعندنا أنها مخصوصة بتلك إن نزلت معاً. وإن كانت تلك متأخرة فالأمر على ما قال سعيد ابن المسيب: إنها منسوخة، لأن عندنا لا تجب المتعة إلا للتي لم يدخل بها ولم يسم لها مهر. وإن سمي لها مهر، فلها ما سمي وإن لم يدخل بها فان فرض لها مهراً كان لها نصف مهرها، ولا متعة لها في الحالين، فلا بد من تخصيص هذه الآية. وقال سعيد ابن جبير وأبو العالية والزهرى: المتعة واجبة لكل مطلقة، وبه قال أبو حنيفة. وقال الحسن: هي للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق مثل ما قلناه. وقال عطاء، ومجاهد: هي للمدخول بها، وحكى أبو علي: للمطلقة الباتنة.

وإنما كرر ذكر المتعة هاهنا وقد تقدم ذكرها قبل هذه الآية، لأنه ذكر في غيرها خاصاً وذكر فيها عاماً فدخل فيه الأمة، وغيرها، والمتعة في الموضع الذي يجب التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨١
على قدر الرجل بظاهر الآية، لأنه قال: «وَعَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ»: مثلها وإن كان فوق قدره حكاة البلخي.

وقوله: «بالمعروف» معناه بالمعروف صحته، لأنه عدل بين الإفراط، والتقصير. وقال الضحاك: على قدر الميسرة، وإنما خص المتاع بالمتقين وإن كان واجباً على الفاسقين، تشريفاً لهم بالذكر اختصاصاً، وجعل غيرهم على وجه التبع، كما قال: «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» (١) و قيل: لأنه أخرج الكلام مخرج من لا يعتد بغيرهم لاحتقارهم، وجلالة المتقين بالتقوى، ولأنه إذا وجب على المتقين، فهو واجب على جميع المتعبدين، لأن التقوى واجب على المكلفين، وهذا إنما يدل على أنه واجب بشرطة التقوى. فأما إذا وجب على التقى والفاجر، فالجواب هو الأول.

الاعراب: ص : ٢٨١

وقوله: «حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» نصب على المصدر، وقع موقع الحال، والعامل فيه «بالمعروف» كأنه قيل: عرف حقاً، ويجوز أن يكون العامل فيه الظرف.

و يجوز أن يعمل فيه معنى الجملة، كأنه قيل: أحق ذلك حقاً و كان يجوز أن يرفع على أنه صفة لمتاع.

المعنى: ص : ٢٨١

و المتاع: النفقة مقدار ما تقيم في العدة على قول الجبائي: و على ما قلناه قدر ما يوصى به لها بالمعروف الذي لا يضرّ بباقي الورثة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٢] ص : ٢٨١

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)
آية.

التشبيه بقوله: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ» وقع على البيان الذي تقدم في الأحكام و الحجاج و المواعظ و الآداب و غير ذلك مما يحتاج الناس الى عمله، و العمل عليه في

(١) سورة البقرة آية: ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٢

أمر دينهم و دنياهم شبه البيان الذي يأتي بالبيان الماضي، و البيان: هو الأدلة التي يفرق بها بين الحق، و الباطل. و عبر عنه بأنه فعل يظهر به أمر على طريقه حسنه، و ليس كلما يظهر به غيره ما لا يأتيه. و قد يكون ذلك بكلام فاسد يفهم به المراد، فلا يستحق صفة بيان. و الآية هي العلامة فيما كان من الأمور العظيمة، لأن في الآية تفخيماً ليس في العلامة. و قوله: «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» معناه: لكي تعقلوا آيات الله بالبيان عنها. و العقل مجموع علوم ضرورية يميز بها بين القبيح، و الحسن، و يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٣] ص : ٢٨٢

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)
آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٨٢

معنى «أَلَمْ تَرَ» ألم تعلم، لأن الرؤية مشتركة بين العلم- و هي رؤية القلب- و بين رؤية القلب. و قيل في معنى قوله: «وَهُمْ أُلُوفٌ» قولان:

أحدهما- أن معناه: الكثرة، فكأنه: و هم أكثر الناس، ذهب إليه ابن عباس، و الضحاك، و الحسن. و قال ابن زيد: معناه هم مؤتلفو القلوب، لم يخرجوا عن تباعض. و من قال: المراد به العدد الكثير، اختلفوا، فقال ابن عباس: كانوا أربعين ألفاً. و قال قوم: أربعة آلاف. و قال آخرون: ثمانية آلاف و قال السدي:

بضعه و ثلاثون ألفاً. و الذي يقضى به الظاهر: أنهم أكثر من عشرة آلاف، لأن بناء (فُعول) للكثير، و هو ما زاد على العشرة. فأما ما نقص، فيقال فيه:

آلاف على وزن (أفعال) نحو عشرة آلاف و لا يقال: عشرة ألوف. و قال الحسن، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٣

و أكثر المفسرين: كانوا فرّوا من الطاعون الذي وقع بأرضهم. و قال الضحاك:

فَرّوا من الجهاد.

و معنى الآية: الحُصَّ على الجهاد، بأنه لا- ينفع- من الموت- فرار، و من أمر الله، لأنه يجوز أن يعجله على جهة العقاب، كما عجله لهؤلاء، للاعتبار. و فى الآية دليل على من أنكر عذاب القبر و الرجعة معاً، لأن الأحياء فى القبر، و فى الرجعة مثل إحياء هؤلاء الذين أحياهم للعبرة.

و قوله: «فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- أن معناه أماتهم الله، كما يقال: قالت السماء، فهطلت، و قلت برأسى كذا، و قلت بيدي، و ذلك لما كان القول فى الأكثر استفتاحاً للفعل، كالقول الذى هو تسمية، و ما جرى مجراها مما كان يستفتح به الفعل، صار معنى قالت السماء، فهطلت أى استفتحت الهطلان، و صار بمنزلة استفتاح الأفعال فلذلك صارت أماتهم بمنزلة استفتاح الأفعال.

الثانى- أن يكون أحياهم عند قول سمعته الملائكة بضرب من العبارة. و يجوز- عندنا- أن يكونوا أحيوا فى غير زمان نبى. و قالت المعتزلة: لا يجوز أن يكون ذلك إلا فى زمان نبى، لأن المعجزة لا يجوز ظهورها إلا للدلالة على صدق نبى، تكون له آية. و قد بينا فساد ذلك فى غير موضع، و أنه تجوز المعجزات على دين من الصادقين: من الأئمة، و الأولياء و إن لم يكونوا أنبياء. و روى عن ابن عباس: أنه مرّ بهم نبى، فدعا الله تعالى، فأحياهم.

و قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَمَدُّو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» إنما ذكر، و اتصل بما تقدم، لأنه لما ذكر النعمة عليهم بما آتاهم من الآية العظيمة فى أنفسهم ليلزموا سبيل الهدى، و يتجنبوا طرق الردى ذكر عند ذلك ماله على الناس من الانعام مع ما هم من الكفران.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٤] ص : ٢٨٣

إشارة

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)

آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٤

المعنى: ص : ٢٨٤

قيل فيمن يتوجه إليه هذا الخطاب قولان:

أحدهما- أنه متوجه الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فرّ من الموت، فلم ينفعه الفرار، حضهم على الجهاد، لئلا يسلكوا سبيلهم فى الفرار من الجهاد، كما فرّ أولئك من الديار.

الثانى- الخطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير، و قيل لهم: قاتلوا فى سبيل الله. و القول الأول أظهر، لأن الكلام على وجهه، لا محذوف فيه.

و قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» معناه هاهنا: أنه «سميع» لما يقوله المنافق «عليم» بما يحبه المنافق، فاحذروا حاله. و قيل: «سميع» لما يقوله المتعلل «عليم» بما يضر، فإياكم و التعلل بالباطل. و قيل: «سميع» لقولكم إن قلتم كقول من قبلكم «عليم» بضمائر كم. و سبيل الله الذى أمر بالقتال فيها: قتل فى دين الله، لا عرازه، و النصر له، و قتل فى طاعة الله، و قتل فى جهاد أعداء المؤمنين.

اللغة: ص : ٢٨٤

و القتل: نقض البنية التي تحتاج إليها الحياة. و القتال: هو تعرض كل واحد منهما للقتل. و الفرق بين سميع و سامع: أن سامعاً يقتضى وجوه السمع، و سميع لا يدل عليه، و إنما معناه: أنه من كان على صفة لأجلها يسمع المسموعات إذا وجدت و لذلك يوصف تعالى فيما لم يزل بأنه سميع، و لا يوصف بأنه سامع إلا بعد وجود المسموعات.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٥] ص: ٢٨٤

إشارة

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)
آية واحدة بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٥

القراءة: ص: ٢٨٥

قرأ أبو عمرو، و نافع، و حمزة، و الكسائي (فيضاعفه) بالرفع. و قرأ عاصم بالألف، و النصب. و قرأ ابن كثير (فيضعفه) بالتشديد، و الرفع. و قرأ ابن عامر بالتشديد و النصب.

المعنى، و اللغة: ص: ٢٨٥

و القرض الذى دعا الله إليه قال ابن زيد هو الجهاد، و قال فى البر من النفل.
و القرض: هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يردّ بدل منه. و قوله:
«يُقْرِضُ اللَّهُ» مجاز «١» فى اللغة لأن حقيقته أن يستعمل فى الحاجة، و فى هذا الموضع يستحيل ذلك، فلذلك كان مجازاً، و قد يستعمل القرض فى غير الحاجة قال أمية بن أبى الصلت:
لا تخلطن خبيثات بطيبة و اخلع ثيابك منها و انح عريانا
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسناً أو سيئاً و مديناً كالذى دانا «٢»
فهذا يبين أن القرض من غير عوز، و قال آخر:
و إذا جوزيت قرضاً فاجزه إنما ليس الفتى غير الحمل «٣»
و القرض القطع بالناب. قرض يقرض قرضاً: إذا قطع الشيء بنابه، و قرّض تقريضاً، و تقرّض تقرضاً، و اقترض المال اقتراضاً. و القرض ما أعطيته لتكافاه، أو يرد بعينه. و اقترض اقتراضاً، و استقرض استقرضاً، و تقارضا الثناء: إذا أثنى كل واحد منهما على صاحبه، و كذلك قارضه الثناء. و انقرضوا انقرضاً: إذا هلكوا. و الدنيا قروض: أى يتقارضها الناس من بينهم بالمكافأة. و قرض الشيء

(١) فى المطبوعة (محلّه) و هو تحريف.

(٢) اللسان (قرض) ذكر البيت الثانى فقط و روايته

(أو مديناً مثل ما دانا)

بدل (و مديناً....).

(٣) قائله لبيد. اللسان (قرض) و روايته

(انما يجزى الفتى ليس الجمل).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٦

يقرضه قرصاً. و الشعر قريض. و منه قوله: (تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) «١» أى تقطعهم بمرورها عليهم و المقرض: الجلم الصغير، و قرصات الثوب ما ينفيه الجلم.

الاعراب، واللغة: ص : ٢٨٦

و قوله: «فيضاعفه» من رفع عطفه على قوله: «يقرض» و من نصب، فعلى جواب الاستفهام بالفاء. و الاختيار الرفع لأن فيه معنى الجزاء، و جواب الجزاء بالفاء لا يكون إلا رفعاً «و يضاعفه» أكثر فى الاستعمال، و إنما شدد أبو عمرو «يضعف لها العذاب ضعفين» «٢» و لم يشدد «فيضاعفه» لأن المضاعفة عنده لما لا يحد. و التضعيف للمحدود، و تقول: ضعفت القوم أضعفهم ضعفاً: إذا كثرتهم، فصرت مع أصحابك على الضعف منهم، و ضعف الشيء: مثاله فى المقدار.

و أضعفت الشيء إضعافاً، و ضعفته تضعيفاً، و ضاعفته مضاعفة، و هو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر. و تضاعف الشيء تضاعفاً و ضعف ضعفاً. و الضعف خلاف القوة، لأنه قطع القوة عن التمام. و ضعف الشيء مثله فى المقدار إذا زيد عليه، فكل واحد منهما ضعف. و التضعيف: تكرير الخوف، و استضعفت الرجل استضعافاً، و أصل الباب الضعف. و هو زيادة المثل.

و قوله: «وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ» قال الحسن، و ابن زيد فى الرزق، و حكى الزجاج: أنه يقبض الصدقات و يبسط الجزاء عليها عاجلاً، و آجلاً عليها.

و القبض خلاف البسط و القبض ضم الكف على الشيء قبضه قبضاً و تقبض عنه تقبضاً: إذا اشماز منه، لأنه ضم نفسه عن الانبساط إليه. و انقبض انقباضاً، و قبضت الرجل تقييضا: إذا أعطيته لانضمام كفه على ما أخذه. و رجل قبض:

إذا كان منكمشاً سريعاً لتجمعه للاسراع. و راع قبضة: إذا كان لا يتفصح فى رعيه، لانقباضه. و التقبض: التشنج. و قبض الإنسان: إذا مات. و الملك قابض الأرواح.

و البسط خلاف القبض تقول: بسط يبسط بسطاً، و انبسط انبساطاً، و بسطه تبسيطاً، و تبسط تبسطاً. و البساط - بكسر الباء - ما بسطته. و البساط - بفتح الباء - الأرض الواسعة، و ناقة بسط: معها ولدها لانبساطه. و البسطة: الفضيلة فى

(١) سورة الكهف آية: ١٧.

(٢) سورة الأحزاب آية: ٣٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٧

الجسم أو المال، و نحو ذلك «و زَادَهُ بَسِطَةً فِي الْعِلْمِ، وَ الْجِسْمِ» «١» و كتب (بسطه) بالصاد، و بسطة بالسين، لأن القلب على الساكن أقوى منه على المتحرك.

المعنى: ص : ٢٨٧

و معنى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» التلطف فى الاستدعاء الى أعمال البرّ و الإنفاق فى سبيل الخير. و جهلت اليهود لما نزلت هذه الآية، فقالوا الله يستقرض منا فنحن أغنياء و هو فقير إلينا! فأنزل الله تعالى «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ» «٢» ذكره الحسن و الهاء فى قوله: «وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» عائده الى الله.

و معناه الى الله ترجعون في الآخرة. و قيل الى التراب الذي خلقكم منه ذكره قتادة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٦] ص : ٢٨٧

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)
آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ٢٨٧

قرأ نافع عسيتم بكسر السين. الباقون بفتحها.

اللغة: ص : ٢٨٧

الملاء: الجماعة الأشراف من الناس و روى أن رجلا من الأنصار قال يوم

(١) سورة البقرة آية: ٢٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٨

بدر: إن قتلنا ألعجاز صلعا «١»،

فقال النبي (ص): أولئك الملا من قريش لو رأيتهم في أنديةهم لهبتهم، و لو أمروك لأطعتهم، و لاحتقرت فعالك عند فعالهم. و تقول ملأت الإناء أملاءه ملاء إذا أترعته، لأنه يجتمع فيه ما لا يكون معه مزيد عليه، و امتلأ امتلاء: إذا طفح، و ملأت الرجل: إذا عاوتته مملأة.

و تمالؤوا على: إذا تعاونوا. و ملوء الرجل ملاءه، فهو ملوء بالأمر: إذا أمكنه القيام به. و وعاء ملآن و الأثنى ملأى، و الجمع: ملاء. و الملا: الجماعة من الناس يستجمعون للمشاورة. و الجميع الاملاء قال الشاعر:

و قالت لنا الاملاء من كل معشر و خير أقاويل الرجال سديدها

و الاملاء: الربطة و أصل الباب الاملاء، و هو الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد، و منه شاب مالى العين أى قد اجتمع له من الحسن فى العين ما ليس عليه مزيد.

و الملا: الخلق، لأن جميع أفعال صاحبه تجرى عليه.

المعنى: ص : ٢٨٨

و قال السدى: إن النبي الذى قالت له بنوا إسرائيل ما حكاه يقال: شمعون سمته أمه بذلك لأن الله سمع دعاءها فيه. و قال قتادة: هو

يوشع بن نون. و قال وهب بن منية:

هو شمويل، و هو المروى عن أبي جعفر (ع).

و كان سبب سؤالهم هذا استدلال الجابرة لهم من الملوك الذين كانوا في زمانهم إياهم على قول وهب، و الربيع. و قال السدى: قتال العمالق. و إنما سألوها ملكا، ليكون أمراً عليهم تنتظم به كلمتهم، و تجتمع أمورهم، و يستقيم حالهم في جهاد عدوهم.

الاعراب، و اللغة: ص : ٢٨٨

و أكثر النحويين على الجزم في «نقاتل» مع النون، و قالوا: لا يجوز غير

(١) هكذا في المطبوعه، و في مجمع البيان (ان قتلنا عجائز صلعا). و رواه لسان العرب في (صلع)، قال: و في حديث بدر ما قتلنا الا عجائز صلعا: أى مشايخ صلعا. و فى (ملا) قال:

و يروى أن النبي (ص) سمع رجلا من الأنصار- و قد رجعوا من غزوة بدر- يقول: ما قتلنا الا عجائز صلعا، فقال (ص): أولئك الملاء من قريش لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٨٩

الجزم. و أجاز الزجاج الرفع على ضعف فيه على تقرير: فانا نقاتل فى سبيل الله. و لو كان بالتاء لجاز الرفع على أن يكون صفة للملك. و الجزم على الجواب، كما قال «فَهَبْ لِي مِنْ لَمْدُنْكَ وَ لِيَا يَرِثُنِي» (١) بالجزم، و الرفع. و لو كان (نقاتل معه) لحسن الرفع أيضاً لعائد الذكر، و لا يجوز أن تقول: الذى مررت زيد، تريد: به. و دخلت (أن) فى قوله: «ما لنا أَلَّا نُقَاتِلَ فى سَبِيلِ اللَّهِ»، و أسقطت فى قوله: «وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (٢) لأحد ثلاثة أشياء:

أولها- دخلت (أن) لتدل أن فيه معنى: ما منعنا من أن نقاتل، كما دخلت الباء فى خبر هل لما تضمنت معنى ما قال الفرزدق يهجو جريراً، و يذكر أن أباه كان ينكح أتاناً (٣).

يقول إذا اقلولى عليها و أقردت ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم (٤)

معنى اقلولى: علاها، و معنى أقردت: ذلت.

و أما سقوطها فى الموضع الآخر، فعلى الأصل كأنه قيل: ما لنا غير مقاتلين، كما قال: «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ» (٥) هذا قول الفراء.

الثانى- أن تكون (أن) زائدة فى قول الأخفش، و هو ضعيف، لأنه لا يجوز الحمل على الزيادة لا لضرورة.

الثالث- على حذف الواو كأنه قال: و ما لنا و لأن نقاتل، كما قالوا: إياك أن تتكلم بمعنى إياك و أن تتكلم. قال الرماني: و هذا ليس بالوجه، لأنه لا يحكم أحد بالحذف، و لا بالزيادة إلا عند الضرورة قال الشاعر:

فيح بالسرائر فى أهلها و إياك فى غيرهم أن تبوحا (٦)

فالآية مستغنية عن الواو مثل البيت سواء قال الشاعر:

فإياك المحاين أن تحينا

(١) سورة مريم آية: ٤.

(٢) سورة الحديد آية: ٨. [...]

(٣) فى المطبوعه (اناثاً) بدل (أتانا).

(٤) ديوان جرير ٢: ١٢٨، و اللسان (قرد) و رواية الديوان (ليس ذو) بدل (هل أخو) و رواية اللسان (تقول) بدل (يقول).

(٥) سورة المدثر آية: ٤٩.

(٦) معاني القرآن للفراء ١: ١٦٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٠

فإنما هو على احذر المحايين لا على إضمار (أن). و قال المبرد في (ما) وجه آخر، و هو أن يكون جحداً، و يكون تقديره: ما لنا ترك القتال. و على الوجه الأول (ما) استفهام، و إنما جاز، مالك أن تقوم، و لم يجوز مالك أن قمت، لأن المنع إنما يكون على الاستئناف، تقول: منعه أن يقوم، و لا يجوز أن يقوم منعه أن قام، كذا قال الفراء في الكلام حذف، و تقديره: «و ما لنا ألاً نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَثْبَاتِنَا» فسأل، فبعث، فوجب عليهم القتال «فلما كتب» «تولوا»، و إنما وجب أن يكون محذوفاً، لأن الكلام لا يدل عليه إلا من جهة الذكر له أو الحذف منه، فأما ما يدل عليه الكلام من غير جهة الذكر له، أو الحذف منه، فليس بمحذوف نحو قد عُرف زيد، فانه يدل على أنه عرفه عارف، و ليس بمحذوف، لأنه لم يدل عليه من جهة الذكر له و لا الحذف منه. و عسيتم - بكسر السين - لغة، و الفتح أكثر. و قوله: «إِلَّا قَلِيلًا» لا يجوز فيه الرفع، لأنه استثناء بعد موجب، و كذلك قوله: «فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا» لا يجوز فيه الرفع.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٧] ص : ٢٩٠

إشارة

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٩٠

قال السدي، و وهب بن منبه: إنما أنكروا أن يكون طالوت ملكاً، لأنه لم يكن من سبط النبوة، و لا سبط المملكة بل كان من أجمل سبط في بني إسرائيل. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩١
و قوله: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ» معناه اختاره في قول ابن عباس، و ابن زيد، و أصله الصفوة من الأنداس.
و قوله: «وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ» قيل في معناه قولان:
قال الحسن: زيادة في العلم و عظماً في الجسم. و قال الجبائي: كان إذا قام الرجل، فبسط يده رافعاً لها نال رأسه.

اللغة: ص : ٢٩١

يقال: جسم يجسم جسمه يعنى ضخم ضخامه. و رجل جسيم: عظيم الخلق.
و جسمه تجسيماً، و تجسم تجسماً. و هو أجسم منه أى أضخم. و أصل الباب الضخم.
و الجسم: هو الذاهب في الجهات الثلاثة: الطول و العرض و العمق.

الاعراب و المعنى: ص : ٢٩١

و إنما لم يصرف (طالوت)، و صرف (جاموس) إذا سميت به، و إن كانا أعجميين - في قول الزجاج - لأنه لما كان يدخله الألف و اللام نكر، نحو قولهم:

الجاموس. و كلما أعرب في حال تنكيره فانه لا يعتد بالعجمة فيه، لأنه بمنزلة ما أصله عربى فأما ما أعرب في حال تعريفه، فليس كذلك، لأنه لم يستعمل إلا على احدى الحالين دون الأخرى، فنقل لذلك.

و قوله: «و الله واسع عليم» قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها - واسع الفضل، فحذف، كما حذف في قولهم: فلان كبير أى كبير القدر. الثانى - واسع بمعنى: موسع أى يوسع على من يشاء من نعمه، كما جاء (أليم) بمعنى: مؤلم. و الثالث - واسع بمعنى ذو سعة نحو «عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ» أى ذات رضى، و هم ناصب أى ذو نصب. و تامر، و لابن، أى ذو تمر و ذو لبن. و يجيء باب فى فاعل بمعنى ذو كذا. و قوله: «عليم» أى عليم بمن ينبغى أن يؤتاه الفضل إما للاستصلاح، و إما للامتحان. قال البلخى: و فى الآية دلالة على فساد قول من قال بأن الامامة وراثته، لان الله تعالى رد عليهم ما أنكروه من التعليل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٢

عليهم من ليس من أهل النبوة، و لا المملكة، و بين أنه يجب بالعلم و القوة لا بالوراثة. و قال أصحابنا فيها دلالة على أن من شرط الامام أن يكون أعلم رعيته و أفضلهم فى خصال الفضل، لأن الله تعالى علل تقديمه عليهم بكونه أعلم و أقوى فلو لا أنه شرط و إلا لم يكن له معنى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٨] ص: ٢٩٢

إشارة

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) آية.

المعنى: ص: ٢٩٢

قال الحسن: وجه الآية فى التابوت أن الملائكة كانت تحمله بين السماء و الأرض يروونه عياناً و قال ابن عباس و وهب: إن الله انتزعه من أيدي أعدائهم الذين نهبوه منهم، فردّ عليهم «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ» و قيل: إن التابوت كان فى أيدي أعداء بنى إسرائيل من العمالقة الذين غلبوهم عليه - على قول ابن عباس، و وهب - و روى ذلك عن أبى عبد الله (ع).

و قال قتادة: كان فى بريّة التيه: خلفه هناك يوشع ابن نون. و قال وهب بن منبه: كان قدر التابوت نحواً من ثلاث أذرع فى ذراعين.

و روى عن على (ع). أنه قال: السكينة التى كانت فيه ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان.

و قال مجاهد لها رأس كراس الهرة، و روى ذلك فى أخبارنا.

و قال وهب: روح من الله تكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف. و قال عطا: كان فيه آية يسكنون إليها.

و السكينة مصدر وقع موقع الاسم نحو القضية و البقية و العزيمة و أخذ من معنى السكون لأن نفوسهم تسكن إليه و البقية التى ترك

آل موسى، و آل هارون. قال التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٣

ابن عباس، و قتادة، و السدى:

إنها عصا موسى و رصاص للالواح، و هو المروى عن أبي جعفر.

و قال أبو جعفر التابوت هو الذى وضعت أم موسى فيه موسى حين ألقته فى اليم. و أقوى هذه الأقوال أن يحمل على أنه كان فيه ما يسكنون إليه، و يجوز أن يكون ذلك عصا موسى و الرصاص، و غير ذلك مما اختلفوا فيه بعد أن يكون فيه ما تسكن النفس إليه، لأنه تعالى بين أن فيه سكينه، و هى فعيلة من السكون، و لا- يقطع بشىء من ذلك إلا بدليل يوجب العلم. و قال الحسن: كان فيه التوراة و شىء من ثياب موسى.

اللغة: ص : ٢٩٣

و فى التابوت لغتان فلغة جميع العرب إلا الأنصار: التابوت بالتاء. و الأنصار تقول: التابوه بالهاء. و يقال: بقى بقاء و أبقاه إبقاء و استبقاه استبقاء و تبقاه تبقياً و تباقي تباقياً و باقاه مباقاه. و منه بقايا الخراج. و أصل الباب البقاء: خلاف الفناء. و قوله: «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ» تقول: حمل يحمل حملاً و احتمل احتمالا و تحامل تحاملا. و تحمّل تحملاً و حمّله تحميلاً و حامله محاملة. و انحمل انحمالاً و استحمل استحمالاً. و الحمل من الضان: الخروف. و الحمل: السحاب الكثير الماء. و الحمل: ما فى البطن. و الحمل: ما على الظهر. و الحماله علقاه السيف. و المحمل: الذى يوكبه الناس و الحماله الديه، يتحملها قوم عن قوم و الحميل: الكفيل، و الحميل الغريب لأنه يحمل على القوم و ليس منهم. و حميل السيل: غثاؤه. و امرأة حامل: حبلى لحملها الولد. و حملت فلاناً على فلان: إذا حرشته عليه، لأنك حملته على مكروهه. و الحموله الإبل لأنها يحمل عليها الأثقال. و أصل الباب الحمل: كون الشىء على الشىء و قوله: «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه إن كنتم مصدقين و لا- يجوز أن يكونوا على تثبيت الايمان لهم، لأنهم كفروا حين ردوا على نبيهم. و قيل: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٤٩] ص : ٢٩٣

إشارة

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَا مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٤

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ٢٩٤

قرأ «غرفة»- بالفتح- ابن كثير، و أبو عمرو، و نافع. الباقون بالضم، و هما لغتان.

اللغة: ص : ٢٩٤

قوله: «فَلَمَّا فَصَلَ» معناه قطع، و الفصل: القطع. يقال فصل اللحم عن العظم أى قطعه فأبانه عنه، و فصل الصبى فصلاً: إذا قطعه عن اللبن. و قول فصل أى يفصل بين الحق و الباطل. و الجنود جمع جند قال السدى: كانوا ثمانين ألف مقاتل، و الأجناد جمع القلة. و جند الجنود تجييداً أى جمعهم. و الجند الأرض الغليظة و كل صنّف من الخلق: جند على حدة. و فى الحديث: الأرواح جنود مجندة. و أصل الباب الجند: الغليظ من الأرض.

المعنى: ص : ٢٩٤

قوله: «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ» فمعنى الابتلاء هاهنا تمييز الصادق من الكاذب فى قوله- على قول الحسن-. و قال وهب بن منية: السبب الذى لأجله ابتلوا بالنهر شكايتهم قلة المياه، و خوف التلف من العطش. و النهر الذى ابتلوا به، قال ابن عباس، و الربيع، و قتادة: هو نهر بين الأردن، و فلسطين. و روى عن ابن عباس التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٥ أيضاً أنه نهر فلسطين. و قوله: «فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ» الهاء عائدة على النهر فى اللفظ، و هو فى المعنى الماء. و قوله: «فَلَيْسَ مِنِّي» معناه ليس على دينى، و لا من أهل ولايتى، فحذف و دلت من عليه.

اللغة: ص : ٢٩٥

و يقال: طعم الماء كما يقال طعم الطعام و أنشدوا.
و إن شئت لم أطمع نقاخاً و لا برداً
و الغرفة بالفتح المرة من الغرف. و الغرفة بالضم ملء الكف من الماء، فالغرفة اسم للماء المغروف و الغرفة اسم للفعل. و قال بعضهم الاختيار الضم لأنه لو جاء على معنى المرة، لكان اغترافه. و هذا ليس بشىء، لأنه إذا كان المعنى واحداً جاز اغترافه، لأنه الأصل و جاز غرفة، لأنه أخف، و كلاهما حسن. و يقال غرف غرفاً و اغترف اغترافاً و المغرفة الآلة التى يغرف بها. و غرف غروف أى كبير و الغريف:
ماء فى الاجمء، لأنه يغرف من بين القصب. و مزادة غريفه مدبوغه بالغرف: و هو جنس من الدباغ. و الغريف شجر مجتمع من أى شجر كان. و الغرفة العلية. و أصل الباب الغرف.

المعنى: ص : ٢٩٥

و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: من استكثر من ذلك الماء عطش، و من لم يشرب إلا غرفة روى. و قال الفراء، و الحسن، و قتادة، و الربيع: و الذين جازوا النهر مع طالوت كان عددهم مثل عدد أهل بدر، و هم ثلاثه و بضعة عشر، و هم المؤمنون خاصة. و قال ابن عباس، و السدى: جاوزه الكافر، و المؤمن إلا- أن الكافرين انخزلوا عنهم، و بقى المؤمنون على عدد أهل بدر. و هذا قوى، لقوله تعالى:

«فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»، فلما رأوا كثرة جنود جالوت قال الكفار منهم «لا طاقة لنا اليوم بجالوت» و قال المؤمنون حينئذ

الذين عدتهم عدة أهل التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٦

بدر «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» قال البلخى: و يجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين، غير أن بعضهم أشد إيقاناً و أقوى اعتقاداً، و هم الذين قالوا: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ».

اللغة: ص : ٢٩٦

و تقول: جاز الشيء يجوزُه: إذا قطعه. و أجازَه إجازةً: إذا استصوبه. و الشيء يجوز: إذا لم يمنع منه دليل. و اجتاز فلان اجتيازاً، و استجاز فعل كذا استجازةً. و تجوّز في كلامه تجوّزاً. و تجاوز عن ذنبه تجاوزاً. و جاوزه في الشيء تجاوزَه، و جَوّزه تجويزاً. و جوز كل شيء وسطه بمجاز الطريق، و هو وسطه الذي يجاز فيه: و قيل هذا اشتقاق الجوزاء، لأنها تعرض جوز السماء أي وسطها، و أما الجوز المعروف، ففارسي معرّب. و الجواز الصك للمسافر. و المجاز في الكلام، لأنه خروج عن الآجل إلى ما يجوز في الاستعمال. و أصل الباب الجواز: المرور من غير شيء يصد، و منه التجاوز عن الذنب، لأن المرور عليه بالصفح.

المعنى: ص : ٢٩٦

و قوله: «قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها- قال الذين يستيقنون، ذهب إليه السدي قال دريد بن الصمة: فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد أي أيقنوا و قيل إنه استعارة فيما يكفي فيه الظن حتى يلزم العمل، فكيف المعرفة، فجاء على وجه المبالغة في تأكيد لزوم العمل. الثاني- يحدثون نفوسهم و هو أصل الظن، لأن حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك و مع العلم إلا أنه قد على ركبت ما كان مع الشك.

الثالث- يظنون أنهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الواقعة. و قوله: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ» الفئة: الطائفة من الناس، و الجمع: فئتين و فئات. و لا يجوز في عدة إلا عدات، لأن نقص عدة من أوله. و ليس كذلك فئته، و ما نقص التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٧ من أوله يجرى في الباب على اطراد بمنزلة غير المنقوص، فأما فئته و مائه. و ثبته و عزة، فان النقص فيه على غير اطراد، كما يكون في عدة، و صلة، و زنه، و صفه، و جهه. و تقول فأوت رأسه بالسيف إفاءه و فأوا: إذا قطعت و انفاء الشيء إنفاءً: إذا تقطع و أصل الباب القطع، فمنه الفئته، لأنهم قطعته من الناس.

و قوله: «غلبت» تقول: غلب يغلب غلباً و غالبة مغالبه و تغالبوا تغالباً. و تغلب تغلباً و غلبه تغليباً. و أشد أغلب: إذا كان غليظ العنق. و رجل أغلب كذلك، لأنه من إمارة الغلب. و اغلوب العشب إذا كثر لأنه غلب على غيره بكثرته. و أصل الباب الغلب: القهر.

المعنى: ص : ٢٩٧

و قوله: «بِإِذْنِ اللَّهِ» معناه بنصر الله على قول الحسن، لأن الله إذا أذن في القتال نصر فيه على الوجه الذي أذن فيه و يجوز في (كم) الجر و النصب و إن كان على معنى الخبر في قول الفراء. و في الآية حذف لدلالة «١» ما بقى عليه و هو فأتاهم التابوت بالصفة التي وعدوا بها، فصدقوا لأن قوله «فَصَلَّ طَالُوتٌ بِالْجُنُودِ» بعد تلك المنازعة منهم ينبئ أن الآية أتهم، فانقادوا لأجلها.

إشارة

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)
آية بلا خلاف.

اللغة: ص: ٢٩٧

البروز الظهور للقتال، ومنه البراز، وهي الأرض: الفضاء. تقول: برز يبرز بروزاً، وبارزه مبارزته، و تبارز تبارزاً، و برز تبريزاً، و تبرز تبرزاً. و رجل

(١) في المطبوعة الاله

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٨

برز، و امرأة برزة أى ذو عفة و فضل، لظهور ذاك فيها. و الجنود الجموع التى تعد للقتال واحدا جند، مأخوذ من الجند و هو الغلظ. و قوله: «رَبَّنَا أَفْرِغْ» فالافراغ: صب السيل على جهة اخلاء المكان منه «١» و أصله الخلو. و إنما قيل «أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا» تشبيهاً بتفريغ الإناء من جهة أنه نهاية ما توجه الحكمة، كما أنه نهاية ما فى الواحد من الآنية. و تقول فرغ يفرغ فراغاً، و أفرغ إفراغاً، و فرغ تفريغاً و تفرغ تفرغاً، و استفرغ استفراغاً، و افترغت افترغاً: إذا صببت عليك الماء. و قوله: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ» «٢» معناه سنعمد، لأنه عمل مجرد من غير شاغل، و منه قوله: «وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا» «٣» أى خالياً من الصبر و الفرغ مفرغ الدلو، و هو خرقة الذى يأخذ الماء، لأنه يفرغ منه الماء «وَأَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا» أى صب. و درهم مفرغ أى مصبوب فى قالب. و ضربه فريغته: واسعة. و فرغ الإناء، و فرغ الرجل من عمله.

و أصل الباب الفراغ الخلو.

و قوله: «وَتَبَّتْ أقدامنا» تثبيت الأقدام يكون بشيئين: أحدهما- بتقوية قلوبهم. و الثانية- بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائهم حتى يظهر منهم الخور فى قتالهم و قيل باختلاف كلمتهم حتى يقع التخاذل منهم، و كذلك الصبر، لأنه من فعل العبد كما أن الثبوت فى الحرب من فعله، لأنه يجازى عليه، فأما النصر، ففعل الله تعالى، و الصبر: حبس النفس عما تنازع إليه من الفعل. و هاهنا حبسها عما تنازع إليه من الفرار من القتال. و التثبيت تمكين الشىء فى مكانه بلزومه إياه. و قد يقال ثبت يثبت ثبوتاً، و أثبتته إثباتاً و تثبت تثبتاً، و استثبت استثباتاً، و ثبتته تثبيتاً. و رجل ثبت المقام: إذا كان شجاعاً لا يبرح موقفه، و طعنه فأثبت فيه الرمح أى نفذ فيه، لأنه يلزم فيه. و أثبت حجته إذا أقامها. و القول الثابت الصحيح يلزم العمل عليه، و منه قوله: «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» أى يؤدبهم به ليلزموا طريق

(١) فى المطبوعة (على جهة الاخلاص منه المكان).

(٢) سورة الرحمن آية: ٣١.

(٣) سورة القصص آية: ١٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٩٩

الحق فيه. و فلان ثبت أى ثقة مأمون فيما روى. و أثبت الحسنات فى الدفتر، لأنك ضبطه، و أصل الباب اللزوم.

و قوله: «فانصرنا» النصر: هو المعونة على العدو، و يكون ذلك بأشياء منها بزيادة القوة، و منها الرعب من الملاقاة، و منها الاطلاع على

العورة، و منها تخيل الكثرة، و منها اختلاف الكلمة التي تقع بلطف في إعطاء النصر، و الفرق بين النصر، و اللطف: أن كل نصر من الله، فهو لطف، و ليس كل لطف نصراً، لأن اللطف يكون في إحدى طاعاته بدلا من معصيته، و قد يكون في فعل طاعة من النوافل فأما العصمة فلا تكون إلا من معصية.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥١] ص : ٢٩٩

إشارة

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتِيلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) آية.

القراءة: ص : ٢٩٩

قرأ نافع، و أبان عن عاصم «دفاع الله» الباقون «دفع» بلا ألف.

المعنى: ص : ٢٩٩

في الآية حذف و تقديره فاستجاب لهم ربهم، فهزموهم بنصره لهم، لأن ذكر الهزيمة «١» بعد سؤال النصر دليل على أنه كان على معنى الاجابة.

اللغة: ص : ٢٩٩

و الهزم: الدفع، تقول: هزم القوم في الحرب يهزمهم هزماً: إذا دفعهم بالقتال هرباً منه، و انهزموا انهزاماً، و تهزم السقاء: إذا يبس، فتصدع لاندفاع بعضه على بعض، و الاهترام الذبح تقول العرب: اهترموا شاتكم قبل أن تهزل فتهلك،

(١) في المطبوعة (الهزيمة).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٠

لدفع صاعها بتذكيها. و الهزيمة: دفعك الشيء بقوة حتى تدخل عن موضعه في الجسد، و زمزم هزيمة، جبرئيل لإسماعيل (ع) و المهزم خشبة يحرك بها الجمر، لأنها يرفع بها بعضه عن بعض، و هزيمة الرعد صوته، و أصابتهم هزيمة من هوازم الدهر أي داهية كاسرة، لأنها كهزيمة الجيش في البلية، و هزمت عليك أي عطفك عليك.

المعنى: ص : ٣٠٠

فالأولى أن يكون القوم هزموهم حقيقة لأنهم سنوا الهزيمة بأن فعلوا ما يلجئهم اليها و قال الجبائي: ذلك مجاز، لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم، كما يقال: أخرجته من منزله إذا ألجأه الى الخروج، و لم يفعل خروجه، و هذا ليس بصحيح، لأنه ليس معنى هزومه فعل هزيمته، ليكون إذا صرف عن ذلك الى معنى غيره يكون مجازاً في العبارة بل معناه ما قلناه.

وقوله: «يَا ذُنَّ اللَّهِ» يحتمل أمرين: أحدهما- بأمر الله. و الثاني بعلم الله.

وقيل: إن سبب قتل داود جالوت كان أن جالوت طلب البراز، فخرج إليه داود (ع) فرماه بحجر مقلع فوق عينيه و خرج من قفاه، فأصاب جماعة كثيرة من أهل عسكره فقتلهم، و انهزم القوم عن آخرهم، ذكر ذلك وهب بن منبه و غيره من المفسرين.

وقوله: «وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ» قيل في معناه قولان: أحدهما- أنه جمع له الملك و النبوة في حالة واحدة. و الآخر- أنه اختصه من علم السمع بحكمته لم يؤتها غيره.

وقوله: «وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ» معناه أنه علمه أمور الدين و ما يشاء من أمور الدنيا، منها صنعة الدرع و عمل السرد، ذكره الزجاج، و الطبرى. فان قيل:

ما الفائدة في قوله: «وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ» إذا كنا لا ندرى ما الذى شاء من ذلك؟

قيل هو تعالى و إن لم يشرح لنا ما علمه فقد بين لنا أنه خصه من العلم بعد علم الدين بما لم يؤته غيره، لأن غيره من المؤمنين إنما نعلم ما دله الله عليه من أمر دينه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠١

و دنياه، و كان داود مساوياً لهم في ذلك إن لم يكن أكثرهم علماً فيه، لأنه كان مؤمناً مثلهم، و كان معهم فى أمورهم، فلما بين لنا أنه «أَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ» بعد قتل جالوت، علمنا أنه كان خصه بما ذكره من الملك و الحكمة، و خصه منه بما لم يخص به أحداً سواه.

وقوله: «وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال: أحدها-

يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك، هذا قول على (ع) و هو المروى عن أبى جعفر محمد بن على (ع)

، و به قال مجاهد. الثانى- يدفع باللفظ للمؤمن و الرعب فى قلب الفاجر. أن يعم الأرض الفساد. الثالث- قال الحسن، و البلخى: يزغ الله بالسلطان فلا- يزغ بالقرآن، لأنه يغنيه على دفع الأشرار عن ظلم الناس، لأنه يريد منه المنع من الظلم و الفساد، كان مؤمناً أو فاسقاً.

اللغة: ص: ٣٠١

و أصل الدفع: الصّرف عن الشىء، دفع دفعاً، و دافع مدافعةً و دفاعاً، و اندفع اندفاعاً، و تدافع تدافعاً، و تدفع تدفعاً، و دفعه تدفيعاً، و استدفع استدفاعاً.

و الضيف المدفع، لتدافع الحى به لاحتقاره. و الدفاع السيل لتدافع بعضه على بعض.

و الدفعة اندفاع الشىء جملةً. و رجل مدفع أى عن نسبه.

الحجة: ص: ٣٠١

وقال الحسن: لم يكن داود نبياً قبل قتله جالوت، لأنه لا يجوز أن يترأس من ليس بنبى على نبى لأنه قلب ما يوجهه تدبير الحكماء، لأن النبى يوثق بظاهره و باطنه و لا يخبر إلا بالحق و لا يدعو إلا الى حق، و ليس كذلك من ليس بنبى من أهل العقل.

و من قرأ «دفاع» بألف فوجهه: أن الله لما أعان أوليائه على مدافعة أعدائه حتى هزموهم، حسن إضافة الدفاع إليه، لما كان من معاونته، و إرادته له. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٢

و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: إنه ليس لله على الكافر نعمه، لأنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَدُّو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» فعم الجميع بالنعمة و

لم يخص، «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» و يفسد به أيضاً قولهم: في الإرادة و أن جميع ما أعطى الله الكفار إنما هو ليكفروا لا ليؤمنوا، و ما روى أن طالوت هم بقتل داود لما رأى أن وجوه الناس أقبلت عليه بقتله جالوت رواية شاذة، فان صحت دلت على أن طالوت لم يكن نبياً، و لا إماماً، لأن النبي أو الامام لا بد أن يكون معصوماً.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٢] ص : ٢٠٢

إشارة

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

الآيات المذكورة في هذه الآية المراد بها ما تقدم ذكره من إمامة ألوف من الناس دفعة واحدة بخلاف ما جرت به العادة ثم أحياهم في مقدار ساعة، و من تملك طالوت و قد كان من الخاملين الذين لا تنقاد لهم النفوس بما جعله له من الآية علماً على تملكه، و من نصره أصحاب طالوت مع قلة عددهم، و ضعفهم على جالوت و جنوده مع قوتهم و كثرة عددهم و شدة بطشهم حتى قهروهم و استولوا عليهم، و كل ذلك مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فهو دلالة عليه.

وقوله: «وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» دليل على نبوته على وجوه: منها ما في الأحياء بما تقدم من الدلالة على النبوة. و منها أنه يجب التصديق بتلك الأمور لنبوته (ع). و منها أنه أوحى إليه به، كما أوحى إلى المرسلين، لأنه سنة الله عز و جل في مثله. و منها الاستدعاء إلى القيام بما أرسل به بعد قيام الحجة عليه. و منها أنه كما نصب تلك الآيات جعلك من المرسلين لما في ذلك من الحكمة التي تدعو إلى صلاح المكلفين. و إنما صارت الأخبار بذلك دلالة على النبوة من جهة أنها أخبار عن عيون لم تشهداها و لا خالط أهل المعرفة بها، و متى قال قائل: إنه أخذها عن أهل العلم بالأخبار، فان قوله يبطل، لأنه لو كان كذلك لم يتكلم لخروجه عن العادة كخروج أن يصير انسان من أعلم الناس بصناعة لم يشهداها و لا خالط التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٣

أهلها، و لأن في أنبيائه تثبت معجزة من غير تلك الجهة، و هو المنع من الازاحة مع توفر الأسباب الداعية إلى الحديث به، و لا نشر له و هذا مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

اللغة: ص : ٣٠٣

و الرسالة تحمل جملة من الكلام لها فائدة إلى المقصود بالدلالة. و الحق هو وقوع الشيء موقعه الذي هو له من غير تغيير عنه بما لا يجوز فيه. و التلاوة: ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة، لأن التالي للشيء يليه من غير فصل بغيره. و الأصل: التلو و هو إيقاع الشيء بعد الشيء الذي يليه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٣] ص : ٣٠٣

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)

آية واحدة بلا خلاف.

إنما ذكر الله تعالى تفضيل بعضهم على بعض، لأمر: منها أن لا يغلط غلط منهم، فيسوى بينهم في الفضل. كما استوتوا في الرسالة، و ثانيها أن يبين أن تفضيل محمد (ص) كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم على بعض. و ثالثها- أن الفضيلة قد تكون بعد أداء

الفريضة. و المراد الفضيلة المذكورة هاهنا ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليئة التي هي أعلى من منزلة غيره، نحو كلامه لموسى بلا سفير، و إرساله محمداً (ص) الى الكافة من الناس المكلفين و الجن المتعدين، هذا قول مجاهد. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٤

و يحتمل فضلناهم بأعمالهم التي استحقوا بها الفضيلة على غيرهم. و الفرق بين الابتداء بالفضيلة و بين المحاباة ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما توجه الشهوة دون الحكمة، و ليس كذلك الابتداء بالفضيلة، لأنه قد يكون للمصلحة التي لولاها لفسد التدبير و أدى الى حرمان الثواب للجميع. فمن حسن النظر لهذا الإنسان تفضيل غيره عليه إذا كان في ذلك مصلحة له فهذا وجه تدعو إليه الحكمة و ليس كالوجه الأول الذي انما تدعو إليه الشهوة.

و قوله: «وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» معناه قويناه. و الروح: جبريل. و القدس الله - على قول الحسن - و قال ابن عباس: روح القدس: الاسم الذي كان يحيى به الموتى. و الضمير في قوله: «مِنْ بَعْدِهِمْ» عائذ على الرسل. و قال قتادة، و الربيع: على عيسى و موسى (ع). و جاز بلفظ الجميع، لأن ذكرهم قد يغني عن ذكر المتبعين لهم. كما يقال: خرج الأمير فانكوا في العدو نكايه عظيمة.

و قوله: «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا» إخبار عن قدرته على إلجائهم على الامتناع من الاقتال، أو بأن يمنعهم من ذاك. هذا قول الحسن و غيره. و جملة انه أخبر انه قادر على أن يحول بينهم، و بين الاقتال بالإلجاء و الاضطرار. و مثله «وَ لَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» «وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا» فان جميع ذلك دلالة على قدرته عليهم. و لا يدل قوله «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا» على أنه قد شاء اقتالهم، لأنه إذا احتمل الكلام و جهين: أحدهما- يجوز عليه و الآخر لا يجوز عليه، و جب حمله على ما يجوز عليه، دون ما لا يجوز عليه، فلذلك كان تقدير الكلام و لو شاء الله امتناعهم بالإلجاء ما اقتلوا. و نظيره قول القائل و لو شاء السلطان الأعظم، لم يشرب النصارى الخمر في سلطانه و لا نكحت المجوس الأمهات و البنات و ليس في ذلك دليل على أنه قد شاءه و إنما كرر قوله: «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا» لاختلاف المعنى. فمعنى الأول لو شاء الله ما اقتلوا قتالهم، و يجوز أن يكون لتأكيد البيئه على هذا المعنى. و قال قوم: الأول معناه لو شاء الله ما اقتل التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٥

المحققون، و المبطلون بأن يحول. بينهم، و بينهم. و الثاني لو شاء الله ما اقتل المحقون فيما بينهم و المبطلون فيما بينهم.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٤] ص: ٣٠٥

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)
آية واحدة.

القراءة: ص: ٣٠٥

قرأ أبو عمرو و ابن كثير «لَا يَبِّعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ» بالنصب فيها أجمع. الباقون بالضم.

المعنى: ص: ٣٠٥

قوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» خطاب للمؤمنين يأمرهم بالإففاق مما رزقهم.

و الإنفاق المأمور به على وجه الفرض هاهنا الزكاة و غيرها دون الفعل لأن ظاهر الامر الإيجاب فى قول الحسن. قال: لأنه مقرون بالوعيد. و قال ابن جريج: يدخل فى الخطاب الزكاة، و التطوع. و هو أقوى، لأنه أعم. و به قال البلخى. و ليس فى الآية و عيد على ترك النفقة. و انما فيها إخبار عن عظم أهوال يوم القيامة و شدائدها. و قوله: «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ» يعنى يوم القيامة.

اللغة: ص : ٣٠٥

«لا يَبِيعُ فِيهِ» البيع هو استبدال المتاع بالثمن. تقول: باع يبيع بيعاً، و ابتاع ابتياعاً، و استباع استبائعاً، و بايعه مبايعه، و تبايعوا تبايعاً، و البيع: نقيض الشراء و البيع أيضاً الشراء لأنه تارة عقد على الاستبدال بالثمن، و تارة على الاستبدال بالمتاع. و البيعة الصفة على إيجاب البيع. و البيعة الصفة على إيجاب الطاعة. و البيعان البائع التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٦ و المشتري. و البيعة كنيسة النصرى و جمعها بيع. و قوله: «لا خَلَّةٌ». فالخلة خالص المودة. و الخلل: الافراج بين الشئيين. و خللته بالخلال أخله خلا: إذا صككته به و اختلت حاله اختلالاً، لانحرافه بالفقر. و تخلل الطرق تخللاً إذا قطع فرجة بعد فرجة. و أخل به إخلالاً، و خاله يخاله مخالئة: إذا صافاه المودة. و الخلل معروف لتخلله بحدته، و لطفه فيما ينساب فيه. و الخل: الرجل الخفيف الجسم. و الخل: الطريق فى الرمل. و الخل: عرق فى العنق يتصل بالرأس. و الخليل: الخالص المودة من الخلة، لأنه من تخلل الاسرار بينهما. و قيل لأنه يمتنع من الشوب- فى المودة بالنقيصة- و الخليل أيضاً: المحتاج من الخلة. و الخلة: جفن السيف. و فى فلان خلة: أى خصلة. و الخلة خلاف الحصن لأنه مرعى بتخلله الماشية للاعتداء به. و خلل أصابعه تخليلاً. و قوله تعالى: (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) «١» و قوله: «فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ» «٢» و الخلال: البلج. و أصل الباب: الخلل: الافراج.

المعنى: ص : ٣٠٦

و قوله: «وَلَا شَفَاعَةَ» و إن كان على لفظ العموم فالمراد به الخصوص بلا خلاف، لأن عندنا قد تكون شفاعه فى إسقاط الضرر. و عند مخالفينا فى الوعيد قد يكون فى زيادة المنافع فقد أجمعنا على ثبوت شفاعه و إنما نفى نحن الشفاعه قطعاً عن الكفار. و مخالفونا عن كل مرتكب كبيرة إذا لم يتب منها. و قوله: «وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» إنما ذم الله تعالى الكافر بالظلم و إن كان الكفر أعظم منه لأمرين: أحدهما- للدلالة على أن الكافر قد ضر نفسه بالخلود فى النار، فقد ظلم نفسه.

(١) سورة النور آية: ٤٣، و سورة الروم آية: ٤٨.

(٢) سورة الإسراء آية: ٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٧

و الآخر- أنه لما نفى البيع فى ذلك اليوم و الخلة و الشفاعه، قال و ليس ذلك بظلم منا، بل الكافرون هم الظالمون، لأنهم عملوا ما استحقوا به حرمان الثواب.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٥] ص : ٣٠٧

إشارة

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)

آية واحدة «١».

الاعراب: ص : ٣٠٧

«اللَّهُ» رفع بالابتداء «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» خبره. و الكلام مخرجه مخرج النفي أن يصح إله سوى الله. و حقيقة الإثبات الآله واحد هو الله. كأنه قيل الله الآله دون غيره. و ارتفع هو في لا إله إلا هو على أحد وجهين: أحدهما- بالابتداء كأنه قال ما إله إلا الله. والثاني- أن يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتاً إلا الله. و يجوز في العربية لا إله إلا الله بالنصب على الاستثناء. و فيه دلالة على الامر بإخلاص العبادة لله تعالى.

اللغة، والمعنى: ص : ٣٠٧

و الحي هو من كان على صفة لا يستحيل معها كونه عالماً قادراً، و ان شئت قلت: هو من كان على صفة يجب لأجلها أن يدرك المدركات، إذا وجدت. و القيوم أصله قيوم على وزن فيعول. إلا أن الياء الساكنة إذا كانت بعدها واو متحركة قلبت ياء و أدغمت فيها قياساً مطرداً. و القيام أصله قيوام على وزن فيعال. و قيل في معنى القيوم، أربعة أقوال:

(١) و في مجمع البيان و المصحف الهاشمي آيتان، و في أكثر التفاسير آية واحدة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٨

أحدها- قال الحسن إنه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم لا يخفى عليه شيء منه.

الثاني- قال سعيد بن جبير: إن معناه الدائم الوجود.

الثالث- قال قتادة: معناه: القائم بتدبير خلقه.

الرابع- قال قوم: إن معناه العالم بالأمر من قولهم: فلان قيوم هذا الكتاب أي هو عالم به. و كل هذه الوجوه تحتمل. و قال أمية بن أبي الصلت:

لم تخلق السماء و النجوم و الشمس معها قمر يقوم

قدره المهيمن القيوم و الحشر و الجنة و الجحيم

إلا لأمر شأنه عظيم «١»

و قوله: «لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ» فالسنه النوم بلا خلاف قال عدى ابن الرقاع:

و سنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة و ليس بنائم (٢)

فالسنة الثقلة من النعاس، تقول: وسن فلان وسناً إذا أخذته سنة النعاس، و قد علتة و سنة، و رجل و سنان و وسن، و امرأة و سنانة، و وسنى، و أصل الباب:

النعاس. و النوم الاستتقال في النوم، تقول نام ينام نوماً و أنامه إنامته، و نومه تنوياً و تناوم تناوماً، و استنام إليه: إذا استانس إليه، و اطمأن الى ناحيته، لأن حاله معه كحال النائم في المكان أنساً به و أصل الباب النوم خلاف اليقظة.

و قوله: «ما في السماوات و ما في الأرض» معناه أن أحداً ممن له شفاعه لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له في ذلك و يأمره به، فأما أن يبتدئ أحد بالشفاعة من غير إذن، كما يكون فيما بيننا، فليس ذلك لأحد.

(١) ديوانه: ٥٧، و تفسير أبي حيان ٢٥: ٢٧٧ و رواية أبي حيان (قمر يعوم) بدل (قمر يقوم) و في تفسير الطبري قد اجتهد محققه فأخطأ، لأنه اثبت (و الجسر) بدل (و الحشر) راجع صفحة ٣٨٨ من المجلد الخامس في تفسير الطبري.

(٢) الشعر و الشعراء: ٦٠٢، و اللسان (وسن)، (رنق). [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٠٩

و قوله: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» قال: ابن جريج و مجاهد و السدي:

معناه ما مضى من الدنيا و ما خلفهم من الآخرة.

و قوله: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» معناه من علومه، كقول القائل:

أللهم اغفر لنا علمك فينا، فإذا ظهرت آية يقولون قدرة الله أي مقدور الله و قوله:

«وَسِعَ كُرْسِيُّهُ» قال ابن عباس

كرسيه: علمه و هو المروى عن أبي جعفر، و أبي عبد الله (ع).

و قال الحسن: الكرسي هو العرش.

و قيل: هو سرير دون العرش و قد روى ذلك عن أبي عبد الله (ع).

و قيل: أصل ملكه. و كل ذلك محتمل.

أما العلم، فلأنه يقال للعلماء الكراسي، لأنهم المعتمد كما يقال: هم أوتاد الأرض، و هم الأصل الذي يعتمد عليه. و يقال لكل أصل يعتمد عليه. كرسي قال الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه و عصبه كراسي بالاحداث حين تنوب (١)

أي علماء بحوادث الأمور. و قال آخر:

نحن الكراسي ما تعدّ هوازن أفعالنا في النائبات و لا أسد

و قال آخر:

ما لي بأمر كراسي كاتمه و هل بكرسي علم الغيب مخلوق

و كل شيء تراكب فقد تكارس تكارساً، و منه الكراسه لتراكب بعض ورقها على بعض قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه و أبلسا (٢)

أي تكارس عليه التراب، فغطاه، و الكرسي البعر و البول: إذا تلبد بعضه على بعض، و الأكارس الجموع الكثيرة، لا واحد له، لأنه بكثرتة بمنزلة ما تراكب بعضه على بعض. و رجل كروس شديد الرأس، لأنه تضاعف القوى كتراكب الشيء بعضه على بعض، و الكرياس:

كنيف في أعلى السطح بقناة الى الأرض، لتراكب

(١) أساس البلاغة (كرس).

(٢) ديوانه ١: ٣١، و التكامل ١: ٢٥٢، و اللسان (بلس)، (كرس). يقال:

ابلس الرجل أى سكت عما فى نفسه، و أنكر و تحير، و لم ينطق. و قد مر فى ١: ١٥٣

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٠

بعض أبنيته على بعض، و سمي الكرسي بذلك، لتركيب بعضه على بعض. و يقال:

كرسي الملك من مكان كذا الى مكان كذا أى ملكه تشبيهاً بالكرسي المعروف.

و كرس يكرس كرسيًا، و أكرس إكراسًا، و تكارس تكارسًا، و تكرس تكرسًا، و كرسه تكريسًا، و أصل الباب الكرس: تراكب الشيء بعضه على بعض.

و الوجه فى خلق الكرسي إذا قلنا: أنه جسم هو أن الله تعبد تحمله الملائكة و التعبد عنده كما تعبد البشر بزيادة، و لم يخلقه ليجلس عليه، كما تقول المجسمه.

و اختاره الطبرى، لأنه عز و جل يتعالى عن ذلك، لأن ذلك من صفات الأجسام و لو احتاج الى الجلوس عليه، لكان جسمًا و محدثًا و قد ثبت قدمه.

و قوله: «وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا» أى لا يتقله، و الهاء فى يؤوده راجعه الى الله و قيل إنها عائده الى الكرسي. و الأود مصدر، آده يؤوده أودًا و أيادًا إذا أثقله و جهده، و أودت العود فأنا أوده أودًا، فأناد و معناه عجته فانعاج، لأنه اعتمد عليه بالثقل حتى مال، و الأود، و الأوداء على وزن اعوج و عوجاء و المعنى واحد و الجمع الأود بوزن العوج و أصل الباب الثقل.

و قوله: «وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» فالعلى يعنى بالاقتدار و نفوذ السلطان. و يقال علا بالاقتدار، و لا يقال رفيع، لأن الرفعه من المكان، و العلو منقول الى معنى الاقتدار يوضح ذلك قولهم: علا قرنه بمعنى اقتدر و لا يقال ارتفع عليه بمعنى اقتدر و كذلك استعلى عليه بالحجه، و لا يقال ارتفع عليه بالحجه. و تقول: علا يعلو علوًا و أعلى إعلاء و على تعلية و استعلى استعلاء. و تعالى تعليًا. و تعالى تعاليًا و اعتلاه اعتلاء، و على معالاة. و العلو - بضم العين و كسرهما - نقيض السفل، و العلو التجبر، و منه قوله تعالى: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» (١) أى تجبر، لأنه طلب الاستعلاء على الناس بالسلطان و القهر. و الله العالى و المتعالى أى القادر القاهر، لأنه عال بالاقتدار، لأنه لا يعجزه شيء و العالية: القناه المستقيمة، لاستمرارها فى جهه العلو. و فلان من علىه الناس أى من أشرفهم، لأنه علا بشرفه. و العلية: الغرفه

(١) سورة القصص آية: ٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١١

و أصل الباب العلو. و العظيم معناه عظيم الشأن بأنه قادر، و لا يعجزه شيء، و عالم لا يخفى عليه شيء، فلا نهاية لمقدوره و معلومه، و قال قوم: العظيم بمعنى المعظم كما قالوا فى الخمر العتيقه معتقه، و الأول أقوى لأن على هذا كان يجب ألا يوصف بانه عظيم فيما لم يزل و قد علمنا خلافه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٦] ص: ٣١١

إشارة

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ (٢٥٦)

آية واحدة.

المعنى: ص: ٣١١

قيل في معنى قوله: «لا إكراه في الدين» أربعة أقوال: أولها- قال الحسن و قتادة و الضحاك: إنها في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية.

الثاني- قال السدي و ابن زيد: إنها منسوخة بالآيات التي أمر فيها بالحرب نحو قوله: «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» (١) و قوله: «فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ» (٢). الثالث- قال ابن عباس و سعيد بن جبیر: إنها نزلت في بعض أبناء الأنصار و كانوا يهوداً فأريد إكراههم على الإسلام. الرابع- قيل «لا إكراه في الدين» أى لا تقولوا لمن دخل فيه بعد حرب إنه دخل مكرها، لأنه إذا رضى بعد الحرب، و صح إسلامه فليس بمكره، فان قيل كيف تقولون «لا إكراه في الدين» و هم يقتلون عليه! قلنا المراد بذلك لا إكراه فيما هو دين في الحقيقة، لأن ذلك من أفعال القلوب إذا فعل لوجه بوجوبه، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين، فليس بدين، كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً.

و قوله: «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» معناه قد ظهر بكثرة الحجج، و الآيات

(١) سورة النساء آية: ٨٨.

(٢) سورة محمد آية: ٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٢

الدالة لانضمام ما أتى الرسول فيه الى ما فى الفعل منه و الالف و اللام فى قوله «فى الدين» يحتمل أمرين: أحدهما- أن يكون مثل قوله «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (١)» بمعنى هى مأواه فكذلك «لا إكراه في الدين» أى فى دينه، لأنه قد تقدم ذكر الله كأنه قال:

لا إكراه فى دين الله.

و الثانى- لتعريف دين الإسلام.

اللغة، و المعنى: ص: ٣١٢

و الغى ضد الرشد، تقول غوى يغوى غياً و غواية: إذا سلك خلاف طريق الرشد، و غوى: إذا خاب قال الشاعر:

و من يغو لا يعدم على الغى لائما (٢)

أى من يخب. و غوى الفصيل يغوى غياً: إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك و قوله: «رَبِّ بِمَا أَعْوَيْتَنِي» (٣) يحتمل أمرين: أحدهما- خيبتنى. الثانى- بما حكمت بغوايتى، و منه قوله: «أَعْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرُّأْنَا إِلَيْكَ» (٤) و الأصل الغى سلوك طريق الهلاك. و قوله: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ» قيل فيه خمسة أقوال: أحدها- ما روى عن عمر، و مجاهد، و قتادة: أنه الشيطان الثانى- قال سعيد بن جبیر: هو الكاهن.

الثالث- قال أبو العالیه: هو الساحر. و الرابع- قال قوم: هم مردة الجن و الانس.

الخامس- قال بعضهم: هى الأصنام. و أصل طاغوت من الطغيان، و وزنه فعلوت نحو جبروت، و تقديره: طيغوت إلا أن لام الفعل

قلبت الى موضع العين، كما قيل صاعقة

(١) سورة النازعات آية: ٤١.

(٢) قائله المرقش الأصغر و صدره:

من يلق خيراً يحمد الناس أمره العقد الفريد ٢: ١٧٦، ٣: ٧٧، ٥: ٣٣٩.

(٣) سورة الحجر آية: ٣٩.

(٤) سورة القصص آية: ٣٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٣

و صاعقة، ثم قلبت الفاء لوقوعها في موضع حركة، و انفتاح ما قبلها.

و معنى (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) يَصْدَقُ بِاللَّهِ.

و قوله (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) فالعروة الوثقى الايمان بالله، عن مجاهد، و جرى ذلك مجرى المثل لحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الاحساس إلى ما يقع به «١» و العروة: عروة الدلو و نحوه لأنها متعلقة، و عروت الرجل، أعروه عرواً: إذا ألمت به متعلقاً بسبب منه، و اعتراه «٢» يعتريه: إذا تعلق به، و عرته الحمى تعروه: إذا عقلت به و عرّاه يعرّيه إذا اتخذ له عروة. و أصل الباب التعلق. و قال الازهرى العروة: كل نبات له أصل ثابت، كالشيع و القيصوم، و غيره. شبهت عرى الأشياء في لزومها.

و قوله: (لَا انْفِصَامَ لَهَا) أى لا انقطاع لها- فى قول السدى-. و الانكسار، و الانفصام و الانصداع و الانقطاع نظائر. قال اعشى بنى ثعلبة.

و مبسمها عن شتيت النبات غير أكس و لا منفصم «٣»

و انفصم انفصاماً: إذا انصدع، و فصمته تفصمه فصماً: إذا صدعته من غير أن تكسره، و أصل الباب: الفصم، كصدع الزجاج.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٧] ص: ٣١٣

إشارة

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)
آية.

المعنى، و اللغة: ص: ٣١٣

معنى «وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» نصيرهم، و معينهم فى كل ما بهم إليه الحاجة «٤»، مما

(١) به ساقطة من المطبوعة.

(٢) فى المطبوعة اعترأهم.

(٣) ديوانه: ٣٠ رقم القصيدة ٤. الشتيت: المتفرق المفلج من الأسنان الكسس:

قصر الأسنان. فى المطبوعة (عرائس) بدل (غير أكس) و روايته: (منقضم).

(٤) هذا ما استنبطناه و فى المطبوعة (كلما تهم اليه الحاجة).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٤

فيه صلاح لهم في دينهم و دنياهم و إنما يوصف بالولى من كان أولى بغيره و أحق بتدبيره. و منه الوالى، لأنه يلى القوم بالتدبير و الأمر، و النهى، و منه المولى من فوق، لأنه يلى أمر العبد بسد الخلة، و ما به إليه الحاجة، و منه المولى من أسفل لأنه يلى أمر المالك بالطاعة، و المولى ابن العم لأنه يلى أمره بالنصرة لتلك القرابة، و ولى اليتيم لأنه يلى أمر ماله بالحفظ له و القيام عليه. و الولى فى الدين و غيره، لأنه يلى أمره بالنصرة و المعونة لما توجه الحكمة، و المعاقدة لجميع هذه المواضع الأولى و الأحق ملحوظ فيه. و ولى: إذا أدبر عن الشيء لأنه زال عن أن يليه بوجهه و استولى على الشيء: إذا احتوى عليه، لأنه وليه بالقهر. و الله تعالى يتولى المؤمنين على ثلاثة أوجه: يتولاهم بالمعونة على إقامة الحجّة، و يتولاهم بالنصرة لهم فى الحرب حتى يغلبوا، و يتولاهم بالمشورة على الطاعة.

و قوله (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ). و معناه: من ظلمات الكفر إلى نور الايمان، لأن الكفر كالظلمة فى المنع من إدراك الحق كما أن الظلمة مانعة من إدراك البصر. و قال قتادة: يخرجهم من ظلمة الضلالة إلى نور الهدى، و هذا قريب من الأول، و وجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر و الضلال إلى نور الايمان باهدائهم إليه، و نصب الأدلة لهم، و ترغيبهم فيه، و فعله بهم من اللطاف ما يقوى دواعيهم إلى الايمان، فإذا اختاروا هم الايمان، فكأن الله أخرجهم منها، و لم يجز أن يقال: إنه أخرج الكفار من الظلمات إلى النور من حيث قدرهم على الايمان، و دعاهم إليه و رغبتهم فيه، كما فعل بالمؤمنين، لأنهم لم يختاروا الايمان، فلم يجز أن يقال: إنه أخرجهم منه لأنه توهم أنهم فعلوا الايمان. و قوله: (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) إنما أضاف إخراجهم «مِنَ النُّورِ» الذى هو الايمان إلى الكفر إلى الطاغوت، لما كان ذلك باغوائهم، و دعائهم، و إنما كفروا عند ذلك، فأضاف ذلك إليهم، فهو عكس الأول. فان قيل: كيف «يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ» و ما دخلوا فيه؟ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٥

قلنا عنه جوابان:

أحدهما- إن ذلك يجرى مجرى قولهم: أخرجنى والدى من ميراثه. و لم يدخل فيه، و إنما ذلك لأنه لو لم يفعل ما فعل، لدخل فيه، فهو لذلك بمنزلة الداخل فيه الذى أخرج منه. قال الغنوى: فان تكن الأيام أحسن مرة إلى فقد عادت لهنّ ذنوب «١» و لم يكن لها ذنوب قبل ذلك.

و الوجه الثانى- قال مجاهد: إنه فى قوم ارتدوا عن الإسلام، و الاول ألقى بمذهبننا، لأن عندنا لا يجوز أن يرتد المؤمن على الحقيقة، و إنما قال «يخرجونهم» على لفظ الجمع. و ان كان الطاغوت واحداً لأنه فى معنى جميع كما قال العباس بن مرداس: فقلنا: أسلموا أنا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور «٢»

و إنما جاز ذلك فى الخفض، لأن كل واحد يقوم مقام الآخر فصار ذكر واحد ينوب عن جميعه، فأما ما يميز بالخلقة و صار بمنزلة الأشياء المختلفة فقياسه أن يجمع، كرجل و رجال. و إنما حسن فى الطاغوت، لأن جميعه يجرى مجرى واحد فى الضلال. و فى الآية دليل على فساد قول المجبرة فى المخلوق، و الارادة، لأنه تعالى نسب الإخراج من نور الهدى إلى ظلمة الكفر و الضلال إلى الطاغوت منكرّاً لتلك الحال، و لم يكن لينكر شيئاً أراداه و لا يغيب شيئاً عنه فعله (تعالى الله) عن ذلك.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٨]..... ص: ٣١٥

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)

(١) قائله كعب الغنوى من قصيدة يرثى بها أخاه أبا المغوار. المغوار. العقد الفريد ٣: ٢١٧.

و روايته (لقد) بدل (فقد). [.....]

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٩٥، و اللسان (أخو) و مجاز القرآن ١: ٩٧ من قصيدة له في يوم حنين، و في هزيمة هوزان يذكر قارب بن الأسود و فراره من بنى أبيه. و الإحن جمع احنة. و هي الحقد.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٦

آية.

القراءة: ص : ٣١٦

قرأ أهل المدينة «أنا أحيى و أميت» بإثبات الألف إذا كان بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة. فان كان بعدها همزة مكسورة حذفوها إجماعاً.

المعنى: ص : ٣١٦

قال مجاهد، و قتادة و الربيع: إن المحاج لإبراهيم كان نمرود بن كنعان «١» و هو أول من تجبر في الأرض بادعاء الربوبية. و قوله: (ألم تر إلى) دخلت إلى الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل، كما يقولون: أما ترى إلى فلان كيف يصنع، و فيه معنى هل رأيت كفلان في صنيعه كذا، و إنما دخلت (إلى) لهذا المعنى من بين حروف الجر، لأن إلى لما كانت نهاية صارت بمنزلة هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته لتدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه، لأن التعجب إنما يكون مما استبههم شبيه بما لم يجر عادة به، و قد صارت إلى هاهنا بمنزلة كاف التشبيه من حروف الاضافة، لما بينا من العلة إذ كان ما ندر مثله كالذى يبعد وقوعه.

و قوله: (أن آتاه الله الملك) معناه أعطاه و الهاء في «آتاه» قال الحسن و أبو علي: إنها كناية عن المحاج لإبراهيم. و قال أبو حذيفة و البلخي إنها عائدة إلى إبراهيم.

فان قيل: كيف يجوز أن يؤتى الله الكافر الملك؟ قيل: الملك على وجهين:

أحدهما- يكون بكثرة المال و اتساع الحال، فهذا يجوز أن ينعم الله (عز و جل) به على أحد من مؤمن و كافر، كما قال في قصة بنى إسرائيل:

(١) ابن كوش بن منام بن نوح. و قيل: انه نمرود بن فالخ بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٧

(وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا و آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ) «١».

و الثاني- ملك بتمليك الأمر و النهي و التدبير لأمر الناس، فهذا لا يجوز أن يجعله الله لأهل الضلال لما فيه من الاستفساد بنصب من هذا سبيله للناس، لأنه لا يصح مع علمه بفساده إرادة الاستصلاح به كما يصح منا فيمن لا يعلم باطن حاله ممن يؤمن علينا. و من قال الهاء كناية عن إبراهيم (ع) لم يتوجه عليه السؤال، لأنه تعالى لم يؤت الكافر الملك، و إنما آتى نبياً مرسلًا.

وقوله «إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ» معناه يحيى الميت ويميت الحي، فقال الكافر عند ذلك: أنا حيي و أميت، يعنى أحييه بالتخليه من الحبس ممن وجب عليه القتل و أميت بالقتل من شئت ممن هو حي، وهذا جهل منه، لأنه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى، عادلا- عن وجه الحججة بفعل الحياة للميت أو الموت للحي على سبيل الاختراع كما يفعله الله (تعالى) من إحياء من قتل أو مات و دفن و ذلك معجز لا يقدر عليه سواه، فقال إبراهيم (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ) و لم يكن ذلك انتقالا من إبراهيم من دليل إلى دليل آخر من وجهين:

أحدهما- أن ذلك يجوز من كل حكيم بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج، و علامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهه لها تأثير عند التأمل، و التدبر لموقعها من الحججة المعتمد عليها.

الثاني- أن إبراهيم إنما قال ذلك ليتبين أن من شأن من يقدر على إحياء الأموات و إماتة الأحياء، أن يقدر على الإتيان بالشمس من المشرق، فان كنت قادراً على ذلك فأت بها من المغرب «فَبَهَّتِ اللَّيْلُ كَفَرًا» و إنما فعل ذلك، لأنه لو تشاغل معه بأنى أردت اختراع الحياة و الموت من غير سبب و لا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر، فعدل إلى ما هو أوضح و أكشف، لأن الأنبياء (ع) إنما بعثوا للبيان و الإيضاح، و ليس أمورهم مبنية على بناء الخصمين إذا تحاجا، و طلب

(١) سورة المائدة آية: ٢٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٨

كل واحد غلبه خصمه، فلذلك فعل إبراهيم (ع) ما فعل

و قد روى عن أبي عبد الله (ع) أن إبراهيم قال له: احبى من قتلته إن كنت صادقا، ثم استظهر عليه بما قال.

اللغة: ص : ٣١٨

و الشمس معروفة و جمعها شمس، و قد شمس يوما يشمس شمساً، فهو شامس: إذا اشتدت شمسه، و كذلك أشمس. و شمس الفرس شماساً، فهو شمس، إذا اشتد نفوره، لأنه كاشتداد الشمس في اليوم ما يكون من زيادة حرها، و توقدها. و شمس فلان إذا اشتدت عداوته. قال الشاعر:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم و أعظم الناس أحلاماً إذا قدروا «١»

و الشمس في القلادة و غيرها: دائرة مشرقة كالشمس. و شمس الشيء تشميساً إذا ألقاه في الشمس، و تشمس تشمساً: إذا قعد في الشمس.

المعنى: ص : ٣١٨

وقوله: (فَبَهَّتِ اللَّيْلُ كَفَرًا) معناه تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحججة. فان قيل هلا قال لإبراهيم. فليأت ربك بها من المغرب؟ قلنا عن ذلك جوابان:

أحدهما- أنه لما علم بما رأى من الآيات منه أنه لو اقترح ذلك لفعل الله ذلك فتزداد نصيحته، عدل عن ذلك، و لو قال ذلك و اقترح لأتى الله بالشمس من المغرب تصديقاً لإبراهيم (ع).

و الجواب الثاني- أنه (تعالى) خذله عن التليس و الشبهة.

اللغة: ص : ٣١٨

و في بهت ثلاث لغات: بُهت على لفظ القرآن، و بُهت و بهت على وزن ظرف و حذر، و حكى بهت على وزن ذهب و البهت: الحيرة عند استيلاء الحجّة، لأنها كالحيرة للمواجهة بالكذب، لأن تحير المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه،

(١) قائله الأخطل. اللسان (شمس).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣١٩

و منه قوله: (أُتَاخَذُونَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) «١» كأنه قال أ تأخذونه ادعاء للكذب فيه. و في إبراهيم خمس لغات إبراهيم، و ابراهام، و ابراهم، و ابراهم، و ابراهم بإسقاط الياء و تعاقب الحركات الثلاث عليه.

المعنى: ص : ٣١٩

و قوله (وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) لا يعارض قوله: (وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى «٢») لأن الهدى يتصرف على وجوه و أصله واحد و هو الدلالة على الطريق المؤدى إلى البغيء و الله (تعالى) قد هدى جميع المكلفين بأن دلهم على طريق الحق و خص المؤمنين في هدايته لهم بالمعونة على سلوك طريق الحق، لأنه بمنزلة الدلالة على طريق الحق و الله (تعالى) لا يهدى للمعونة على بلوغ البغيء في فساد القوم الظالمين. و في الآية دلالة على فساد «٣» قول من يقول: المعارف ضرورية، لأنها لو كانت ضرورية لما حاج إبراهيم الكافر، و لا ذكر له الدلالة على إثبات الصانع، و فيها دلالة على فساد التقليد و حسن المحاجة و الجدل، لأنه لو كان ذلك غير جائز لما فعل إبراهيم (ع) ذلك.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٥٩] ص : ٣١٩

إشارة

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) آية واحدة.

(١) النساء آية: ١٩.

(٢) حم السجدة آية: ١٧.

(٣) «على فساد» ساقطة من المطبوعة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٠

القرءة: ص : ٣٢٠

قرأ حمزة، و الكسائي، و خلف، و يعقوب. و الكسائي عن أبي بكر (يتسنن) بحذف الهاء و في الوقف بإثباتها بلا خلاف. قرأ ابن عامر و أهل الكوفة (ننشرها) بالزاي الباقون بالراء. و قرأ حمزة و الكسائي (قال اعلم) بهمزة موصولة الباقون بقطعها.

الاعراب: ص : ٣٢٠

هذه الآية معطوفة على الآية الأولى و تقديره أ رأيت ك «الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ» و ك «كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَزَیْةٍ» و موضع الكاف نصب ب (تر) و معناه التعجب منه لأن كلما خرج في بابه يعظمه عن حد نظائره مما يتعجب منه نحو (ما أجهله) أى قد خرج بعظم جهله عن حد نظائره، و كذلك لو قلت: هل رأيت كزید الجاهل، لدلت على مثل الأول فى التعجب، لما بينا إلا أن (ما أفعله) صيغة موضوعة للتعجب، و ليس كذلك هل رأيت لأنها فى الأصل للاستفهام، و نحو قولك: هل رأيت فى الدنانير مثل هذا الدينار فهذا استفهام محض لا تعجب فيه، لأن أمثاله كثير، فلم يخرج بعظم حاله عن حد نظائره، كما خرج الأول بعظم جهله. و قيل: الكاف زائدة للتوكيد، كما زيدت فى ليس كمثله شيء و الأول الوجه، لأنه لا يحكم بالزيادة إلا للضرورة.

المعنى: ص : ٣٢٠

و قال قتادة و الربيع:

الذى مر على قرية هو عزيز، و روى ذلك عن أبى عبد الله (ع).

و قال وهب بن منبه:

هو أرميا، و هو المروى عن أبى جعفر (ع).

و قال ابن إسحاق: هو الخضر، و القرية التى مرَّ عليها. قال وهب بن منبه، و قتادة، و الربيع هى بيت المقدس لما خر به بخت نصر، و قال ابن زيد: هى القرية التى خرج منها الألو ف «حَذَرَ الْمَوْتِ». و قوله: «وَهِيَ خَاوِيَةٌ» معناه خاليه. و قال ابن عباس، و الربيع، و الضحاك خراب. قال قوم: معناه و هى قائمة على أساسها و قد وقع التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢١

و قد وقع سقفها. و أصل الخواء «١» الخلاء قال الراجز:

يبدو خواء الأرض من خويله «٢»

و الخواء: الفرجة بين الشيتين يخلو ما بينهما. و خوت الدار فهى خاوية.

تخوى خواء. إذا باد أهلها بخلوها منهم و الخوى: الجوع، خوى يخوى خوى: يخلو البطن من الغذاء. و التخوية التفريح بين العضدين و الجينين يخلو ما بينهما بتباعدهما.

و التخوية تمكين البعير لنفسه فى بروكه، لأنه تفحصه الأرض بخلوها مما يمنع من تمكنه. و اخواء النجم: سقوطه من غير مطر بخلوه من المطر. خوى النجم و اخوى. و خوى المنزل إذا تهدم، لأنه بتهدمه يخلو من أهله و أصل الباب الخلو.

و قوله: «عَلَى عُرْوَشِهَا» يعنى على أبنيتها و منه «وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ» «٣» أى يبنون. و منه عريش مكة: أبنيتها و خيامها، و كل بناء: عرش، عرش يعرش و يعرش عرشاً: إذا بنى. و العرش البيت، و جمعه عروش لارتفاع أبنيته.

و العرش: السرير، لارتفاعه على غيره. و عرش الرجل: قوام أمره و عرش البيت:

سقفه، لارتفاعه. و التعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه. تقول:

عرشته تعريشاً. و عرشته أعرشه عرشاً. و ذلك، لارتفاعه فى امتداده على الخشب الذى تعمدته. و التعريش رفع الحمار رأسه شاحيا فاه على عاتقه، عرش بعاتته تعريشاً. و العريش ظلّة من شجر أو نحوه، لارتفاعه على ما يستره. و عرش البئر طيها بالخشب بعد طيها

بالحجارة. و العرشان من الفرس: آخر شعر العرف لارتفاع العرف على العنق. و ثل عرشه: إذا قتله. و أصل الباب: الارتفاع.

و القرية أصلها من قريت الماء: إذا جمعت، سميت بذلك لاجتماع الناس فيها للاقامة بها.

المعنى: ص : ٣٢١

وقوله «أَنْتِ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» معناه كيف، و ذلك يدل على أن

(١) في المطبوعة (الخوأ)

(٢) في المطبوعة (خو)

(٣) سورة الاعراف آية: ٣٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٢

«انى». في قوله «فَأْتُوا حَزُونَكُمْ أَنْتِي شِئْتُمْ» (١) معناه كيف شئتم دون ما قاله بعضهم من أن معناه حيث شئتم، لأن معناه هاهنا لا يكون إلا على كيف.

و لقاتل أن يقول: إن اللفظ مشترك. و إنما يستفاد بحسب مواضعه. و قال الزجاج:

معناه من أين في الموضوعين.

وقوله «فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ» قال أبو على لا- يجوز أن يكون الذى أماته ثم أحياه نبيا لأن الله تعالى عجب منه و لو لا ذلك، لجاز أن يكون نبيا على أنه شك في ذلك قبل البلوغ لحال التكليف، ثم نبى في ما بعده، و على هذا لا يمتنع أن يكون نبياً في ما تقدم. و الأول أقوى، و أقرب. و يجوز هذه الآية أن تكون في غير زمان نبى. و قال الجبائى: لا يجوز ذلك لأن المعجزات لا تجوز إلا للأنبياء لأنها دالة عليهم. فلو وقعت المعجزة في غير زمن نبى لم يكن وقوعها دليلاً على النبوة، و هذا ليس بصحيح - عندنا- لأن المعجزات تدل على صدق من ظهرت على يده، و ربما كان نبياً و ربما كان إماماً أو ولياً لله، و ما روى أن الحياة جعلت في عينه أولاً ليرى كيف يحيى الله الموتى لا- يجوز، لأن الرأى هو الإنسان بكماله غير أنه يجوز أن يكون أول ما نفخ فيه الروح عيناه، و تكون الحياة قد وجدت في جميع الروح، و لم يحصل في البدن من الروح إلا ما في العينين دون ما في البدن.

اللغة، و المعنى: ص : ٣٢٢

وقوله: (مِائَةً عَامٍ) معناه مائة سنة، و العام جمعه أعوام، و هو حول يأتي بعد شتوة و صيفه، لأن فيه سبحاً طويلاً بما يمكن من التصرف فيه. و العوم:

السباحة. عام في الماء يُعوم عوماً: إذا سبح. و السفينة تعوم في جريها.

و الإبل تعوم في سيرها، لأنها تسبح في السير بجريها. و الاعتيام: اصطفاء خيار مال الرجل ليجرى «٢» في أحده له شيئاً بعد شىء كالسباح في الماء الجارى

(١) سورة البقرة آية: ٢٠٥

(٢) في المطبوعة (لا يجرى)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٣

و اعتام الموت النفوس أولاً أولاً، لأنه يجرى في أحدها حالاً بعد حال كجرى السباح في الماء، و أصل الباب السبح.

وقوله: «ثُمَّ بَعَثَهُ» يعنى أحياه. و قوله: «كَمْ لَبِثْتُ» موضع نصب بلبثت، كأنه قيل: أ مائة سنة لبثت أو أقل أو أكثر؟ فقال «لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» لأن الله تعالى أماته في أول النهار و أحياه بعد مائة سنة في آخر النهار، فقال:

«يوماً» ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ». و اللبث المكث، لبث لبثاً فهو لا بئث و تلبث تلبثاً إذا تمكث و لبثه تلبثاً، و أصل الباب المكث.

و قوله: «فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» معناه لم يغيره السنون.

و قيل: كان زاده عصيراً و تيناً و عنباً، فوجد العصير حلواً، و التين، و العنب كما جناه لم يتغير، أو هو مأخوذ من السنه، و الأصل فيه على قولهم: سانيته مساناة إذا عاملته سنه سنه أن يكون في الوصل لم يتسن، نحو لم يتعد، و الأصل الواو، بدليل قولهم سنوات فإذا وقف جاء بهاء السكت، و يجوز أن يكون على قولهم: سانهه و سنهات، و اكتريت مسانهه. و الهاء على هذا أصلية مجزومة بلم، و لا يجوز أن يكون من الأسن، لأنه لو كان منه لقليل لم يتأسن. قال الزجاج لا يجوز أن يكون من قوله: «مِنْ حَمًا مَسِينُونَ» (١) لأن معنى مسنون منصوب على سنه الطريق قال الشاعر:

ليست بسنهاء و لا رُجِيئَةٌ و لكن عرايا في السنين الجوائح (٢)

فجعل الهاء أصلية. و السنهات: النخلة القديمة، لأنه قد مرت عليها سنون

(١) سورة الحجر آية: ٢٦، ٢٨، ٣٣

(٢) قائله سويد بن الصامت الانصارى و قيل أحيحة بن الجلاح. اللسان (عرا)، (خور)، (رحب)، (قرح)، (سنه) و أمالي القالي ١: ٢١. الرجبية- بضم الراء و تشديد الجيم المفتوحة أو فتحها بغير تشديد-: نسبة شاذة الى رجة- ضم فسكون-: البناء تحت النخلة الكريمة لدعماها إذا خيف عليها لكثرة حملها. و العرايا جمع عريه و هى التى يوهب ثمرها فى عامها. الجوائح: السنين المجذبة. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٤

كثيرة. و إنما علم بأنه مات مائة سنة بشيئين:

أحدهما- باخبار من أراه المعجزة فى نفسه و حماره و طعامه، و شرابه من تقطع أوصاله، ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى حاله التى كان عليها فى أول أمره.

و الآخر- بالآيات الدالة على ذلك لما رجع الى وطنه فرأى ولد ولده شيوخاً و قد كان خلف أباهم شبابا الى غير ذلك من الأمور التى تغيرت، و الأحوال التى تقلبت مع تظاهر الأخبار عما يسأل عنه أنه كان فى مائة سنة.

و قوله: «وَ لِنَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ» قيل بعث و أولاده أولاده شيوخ.

و روى عن على (ع) أن عزيزاً خرج من أهله و امرأته حامل و له خمسون سنة.

فأماته الله مائة سنة، ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة و له ابن له مائة سنة، فكان ابنه أكبر منه، و ذلك من آيات الله.

و قيل: لتتعظ أنت و يتعظ الناس بك، فيكون الاعتبار عاماً. و دخلت الواو فى الكلام لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال: و لنجعله آية للناس. فعلنا ذاك، لأن الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم.

و قوله: «وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ» فالحمار يقال للوحشى و الأهلى لأن الحمرة أغلب على الوحشى ثم صار لكل حمار تشبيهاً بالوحشى، و الحمرة لون أحمر تقول: احمر احمراراً و احمار احميراراً و المحمر: فرس هجين، لأنه كالحمار فى التقصير، و حمارة القيط: شدة حره، و حمار السرج الذى يركبه السرج و حمر فو الفرس يحمر حمرا إذا أنتن. و الحمارة حجارة عريضة توضع على اللحد لركوب التراب عليها كالحمار و جمعها حمائر. و ما يخفى على الأسود و الأحمر أى العرب و العجم، لأن السواد أغلب على لون العرب كما الحمرة أغلب على العجم. و موت أحمر:

شديد مشبه بحمرة النار فى شدة الإيقاد. و عبث حمر شديد، و أصل الباب الحمرة. و منه الحمرة طائر كالعصفور، لأنه تغلب عليه الحمرة.

وقوله: «وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُشِزُهَا» فمن قرأ بالراء غير المعجمة التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٥

ذهب إلى النشور، وهو الحياة بعد الموت. نشر الميت: إذا عاش ونشره الله وأنشره:

إذا أحياه. ومنه قوله «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» (١) وقوله: «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» (٢) والنشر خلاف الطي. يقال: نشرت الثوب وغيره أنشره نشرًا وانتشر انتشارًا. والنشر إذاعه الحديث والنشر: الرائحة الطيبة، وربما قيل في الخبيثة. والنشر نحت (٣) العود بالمنشار. والنشر نبات الربيع. والنشر: اكتساء البازي ريشًا واسعًا طويلًا. والنشرة عن المريض الرقية حتى يفيق والتناشر: عرض كتابه الغلمان على المعلم ينشرونه عليه أي يرونه إياه، وذلك لبسط الكتاب بين يديه. وأصل الباب الانبساط. ومن قرأ بالزاء فمعناه يرفع بعضها إلى بعض وأصل النشوز: الارتفاع فمنه النشز المرتفع من الأرض. ومنه نشوز المرأة رفعها عن طاعة زوجها.

وقوله: «ثُمَّ نَكَّسُوهَا لَحْمًا» معناه نغطيها باللحم كما نغطي باللباس. وإنما قيل ذلك لأجل التفصيل الذي كان عليه، فوصله الله عز وجل حتى صار كجزء.

منه قال الجعدي «٤»:

فالحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا «٥»

فجعل الإسلام غطاء للكفر كما يجعل غطاء للمعصية قوله «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» أي ظهر. «قَالَ أَعْلَمُ» فمن قطع الهمزة جعل ذلك أخباراً عن نفسه ومن وصلها احتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون ذلك أمراً من الله له. والثاني- أن يكون تذكيراً للنفس بالواجب وأخرجه مخرج الأمر لها كأنه قال: يا أيها الإنسان. وفي الآية دليل على بطلان قول من قال: المعارف ضرورية، لأنه لما شك أراه الله الآيات التي

(١) سورة المؤمنون آية: ١٤.

(٢) سورة عبس آية: ٢٢.

(٣) في المطبوعة (ح).

(٤) هو النابغة الجعدي. وقيل: انه للبيد بن ربيعة العامري. وقيل: لقردة بن نفثة السلولي.

(٥) ديوان النابغة: ٨٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٦

استبصر بها ولو كان مضطراً إلى المعرفة بالله وما يجوز عليه وما لا يجوز لم يحتج إلى دليل يعلم به ما هو مضطر إليه و كان يقال: ان عند الموت لم تحصل له المعارف الضرورية كما يحصل لمن لا يريد الله إعادته إلى التكليف فتكون الاماتة كالنوم. والمعلوم خلافه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٠] ص: ٣٢٦

إشارة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَىٰكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص: ٣٢٦

قرأ حمزة وحده «فصرهن» بكسر الصاد. الباقون بضمها.

الاعراب: ص : ٣٢٦

العامل في قوله: «و إذ» يحتمل أن يكون أحد شيئين: أحدهما- ما قال الزجاج: و اذكر إذ قال. و الثاني- أ لم تر إذ قال عطفًا على «أ لم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه».

المعنى: ص : ٣٢٦

وقيل في سبب سؤال إبراهيم أن يريه كيف يحيى الموتى ثلاثة أقوال:

أحدها- قال الحسن، و قتادة، و الضحاك،

و أبو عبد الله الصادق (ع): أنه رأى جيفه قد مزقها السباع تأكل منها سباع البرّ و سباع الهواء و دواب البحر فسأل الله (تعالى) أن يريه كيف يحييها

و قال ابن إسحاق كان سبب ذلك منازعة نمرود له في الأحياء، و توعده إياه بالقتل إن لم يحيى الله الميت بحيث يشاهده، و لذلك قال التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٧

ليطمئن قلبى إلى أنه لا يقتلنى الجبار، و قال قوم إنما سأل ذلك لقومه، كما سأل موسى الرؤيّه، لقومه. و قال قوم: إنما سأله، لأنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالمًا به من جهة الاستدلال. و هو أقوى الوجوه. و قال قوم: إنما سأل ذلك، لأنه كان شاكًا فيه. و روى فيه رواية، فهذا باطل، لأن الشك في أن الله قادر على احياء الموتى كفر لا يجوز على الأنبياء، لأنه تعالى لا يجوز أن يبعث إلى خلقه من هو جاهل بما يجوز عليه و ما لا- يجوز. و الذى يبين ذلك أن الله تعالى لما قال له «أ و لَمْ تُؤْمِنْ» فقرر أنه قال إبراهيم «بلى و لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي» فبين أنه عارف بذلك مصدق به، و إنما سأل تخفيف المحنة بمقاساة الشبهات، و دفعها عن النفس.

و الالف في قوله «أ و لَمْ تُؤْمِنْ» ألف إيجاب قال الشاعر:

أ لستم خير من ركب المطايا و أندى العالمين بطون راح (١)

أى قد آمنت لا محالة، فلم تسأل ذا، فقال: «لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي» و قوله «لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي» معناه ليزداد يقيناً إلى يقينه، و هو قول الحسن، و قتادة، و سعيد بن جبير، و الربيع، و مجاهد، و لا يجوز «لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي» بالعلم بعد الشك الذى قد اضطرب به لما بيناه، و لكن يجوز أن يطلب علم البيان بعد علم الاستدلال. و قيل معناه «لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي» بأن لا يقتلنى الجبار.

اللغة و المعنى: ص : ٣٢٧

و يقال: اطمأن يطمئن اطمئناناً: إذا تواطئوا المطمئن من الأرض ما انخفض و تطامن، و اطمأن إليه إذا وثق به، لسكون نفسه إليه، و لتوطى حاله بالأمانة عنده، و أصل الباب التوطئة.

و قوله: (قال فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ) قيل أنها الديك، و الطاووس، و الغراب، و الحمام. أمر أن يقطعها و يخلط ريشها بدمها، و يجعل على كل جبل منهن جزءاً،

(١) مر تخرجه ١: ١٣٢-٤٠٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٨

هذا قول مجاهد، و ابن جريج، و ابن زيد، و ابن إسحاق، و الطير معروف يقال:

طار يطير طيراناً و أطاره اطارة و طيره تطيراً، و تطاير تطايراً و طايهه مطايره، و استطار استطاره، فأما تطير تطيراً فمن الطيرة لأنه زجر الطير بما يكره، و تطاير الشيء إذا تفرق في الهواء، و طائر الإنسان: عمله الذي قلده من خير أو شر، لأنه كطائر الزجر في البركة أو الشؤم قال الله (تعالى) (وَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) «١» و المطير ضرب من الوشى لأن عليه تماثيل الطيور. و فجر مستطير أى منتشر في الأفق كانتشار الطيران. و غبار مستطار، كذا كلام العرب للفرق و فرس مطار و هو الحديد الفؤاد لأنه طيار في جريه و أصل الباب الطيران.

و قوله (فصرهن) فمن قرأ بضم الصاد احتمل معنيين:

أحدهما- يقطعهن على قول ابن عباس، و سعيد بن جبير، و الحسن، و مجاهد.

و قال توبه بن الحمير:

فأذنت لى الأسباب حتى بلغتها بنهضى و قد كان ارتقائى يصورها «٢»

أى يقطعها.

و الثانى- أن معناه اضممهن إليك على قول عطا و ابن زيد من صاره يصوره صوراً: إذا أماله. قال المعلى «٣» العبدى:

و جاءت خلعة دهن صفايا يصور عنوقها أحوى زنيم «٤»

معناه أن هذه الغنم يعطف عنوقها هذا التيس الأحوى، و من قال بالكسر احتمل ذلك أيضاً الوجهين اللذين ذكرناهما فى الضم و قال بعض بنى سليم:

(١) سورة الأسرى آية: ١٣.

(٢) بنهضى أى بنهوضى.

(٣) هو المعلى بن جمال العبدى. فى المطبوعه (المعلم) بدل (المعلى).

(٤) اللسان: (ظاب) (ظاب) (صور) (دهس) (خلع) (صوع) (عشق) (زنم) و فى بعض الروايات (يصوع) بدل (يصور). الخلعة- بكسر

الخاء و ضمها:- خيار المال. و الدهس جمع دهساء و هى من المعزى السوداء المشربة حمرة لا تغلو. الأحوى من المعزى:

التيس الذى تضرب حمرة الى السواد. و الزنيم الذى له زنمتان فى حلقة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٢٩

و فرع يصير الجيد و حف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح «١»

معناه يميل الجيد. و إذا كان بمعنى قطعهن فإليك من صلة خذ «٢». و إذا كان بمعنى أملهن يجوز أن يكون إلى متعلقاً به «٣». و يجوز

أن يكون متعلقاً بصرهن، و هو الأقوى على قول سيبويه لأنه أقوى كذا قال أبو على الفارسى و إذا كان بمعنى أملهن إليك و قطعهن

«ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءًا». و الصور العطف يقال صاره يصوره صوراً إذا عطفه. قال الشاعر:

و ما يقبل الأحياء من حب خندف و لكن أطراف الرياح يصورها

و الصور التقطع. صاره يصوره. و الصور: ميل لأنه انقطاع إلى الشيء بالميل إليه و منه الصورة لتقطيعها بالتأليف على بعض الأمثلة

صور يصور تصويراً و تصوّر تصوراً و الصوار: القطيع من بقر الوحش، لانقطاعه بالانفراد عن غيره.

و الصّور: النخل الصغار، و الصور: قرن ينفخ فيه لاجتماع الصورة به. و يجوز للانقطاع إليه بالدعاء إليه و الصور: جمع صورة. و

الصوار. النفحة من المسك و أصل الباب القطع. و قال الفراء: صاره يصيره بمعنى قطعه من المقلوب من صراه يصريه و أنشد:

يقولون ان الشام يقتل أهله فمن لى إذا لم آتته بخلود

تعرب آبائي فهلا صراهم من الموت أن لم يذهبوا و جدودي «٤»

قال المبرد لا يجوز ذلك، لأن سيويه قال: إن كل واحد من اللفظين إذا تصرف في بابه لم يكن أحدهما أصلاً للآخر: نحو جذب يجذب جذباً، فهو جاذب،

(١) اللسان: (صير) و معانى القرآن للفراء ١: ١٧٤. الفرع: الشعر التام. الوحف:

الأسود الحسن الكثير. الليت: العنق. قنوان جمع قنو- بكسر و سكون- عذق النخل بما فيه من الرطب و استعاره هنا لعناقيد العنب. و الدوالج جمع دالج و هو المنقل بالحمل- هنا- و أصله فى ما يمشى. يقال بعير دالج.

(٢) فى المطبوعه (خذ) غير منقطه.

(٣) فى المطبوعه (عليه) بدل (به).

(٤) فى المطبوعه (فمن ان انه بخلود) و (يعرب) بدل (تعرب) اللسان: (شأم)- ذكر البيت الأول فقط-. و معانى القرآن للفراء ٤: ١٧٤ تعرب القوم: سكنوا البادية. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٠

و جذب يجذب جذباً فهو جاذب فلذلك لما تصرف صاره يصيره صيراً كما ينصرف صراه يصريه صرياً، لم يكن أحدهما أصلاً للآخر، و لكن المقلوب نحو قسى لأن بابه على تأخير السين نحو قوس، و اقواس و قويس.

المعنى: ص: ٣٣٠

و قوله «ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا» قال ابن عباس، و الحسن و قتادة: إنها كانت أربعة. و قال ابن جريج، و السدى: كانت سبعة. و قال مجاهد، و الضحاك كل جبل على العموم بحسب الإمكان، كأنه قيل كل فرقة على جبل يمكنك التفرقة عليه.

و روى عن أبى جعفر، و أبى عبد الله (عليهما السلام) «١»

أنها كانت عشرة.

و فى رواية أخرى أنها كانت سبعة،

و الفرق بين الجزء و السهم أن السهم من الجملة ما انقسمت عليه، و ليس كذلك الجزء نحو الاثنين و هو سهم من العشرة لأنها تنقسم عليه، و ليس كذلك الثلاثة و هو جزء منها لأنه بعض لها فان قيل:

كيف أجيب ابراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى فى قوله «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ». «٢» قيل عنه جوابان:

أحدهما- أنه سأل أية لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التى لا يعترضها الشكوك بوجه من الوجوه، و ابراهيم إنما سأل فى شىء خاص يصح معه التكليف.

و القول الآخر- أن الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح الأصوب فى بعض الأوقات الاجابة، و فى وقت آخر المنع فيما لم يتقدم فيه إذن. فان قيل: كيف قال:

«ثم ادعهم» و دعاء الجماد قبيح؟ قلنا إنما أراد بذلك الإشارة إليها و الإيماء لتقبل عليه إذا أحيها الله. فأما من قال أنه جعل على كل جبل طيراً ثم دعاها فبعيد، لأن ذلك لا يفيد ما طلب، لأنه إنما طلب ما يعلم به كونه قادراً على إحياء الموتى، و ليس فى مجيء طير حى بالإيماء إليه ما يدل عليه. و فى الكلام حذف، فكأنه قال: فقطعهن

(١) في المطبوعة زيادة عنها في هذا الموضع.

(٢) سورة الاعراف آية: ١٤٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣١

و اجعل على كل جبل منهن جزءاً فان الله يحييها، فإذا أحياهن فادعهن يأتينك سعيًا، فيكون الإيماء إليها بعد أن صارت أحياء، لأن الإيماء إلى الجماد لا يحسن، فان قيل: إذا أحيها الله كفى ذلك في باب الدلالة، فلا معنى لدعائها، لأن دعاء البهائم قبيح؟ قلنا: وجه الحسن في ذلك أنه يشير إليها، فسمى ذلك دعاء لتأتي إليه فيتحقق كونها أحياء و يكون ذلك أبهر في باب الاعجاز. و قال الطبري معنى الدعاء هاهنا الاخبار عن تكوينها أحياء كما قال «كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ» (١) و قوله: «أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ».

اللغة: ص : ٣٣١

و الجبل وتد من أوتاد الأرض معروف. و جبل فلان على كذا أى طبع عليه و أجبل القوم أجبالًا: إذا صاروا في الجبال و تجبلوا إذا دخلوها، و رجل ذو جبله إذا كان غليظ الجسم، لأنه كالجبل في الغلظ. و الجبله الأمة من الناس و أجبل الحافر: إذا أفضى إلى صلابه لا يمكنه الحفر فيه، و منه أجبل الشاعر إذا صعب عليه القول، و الجزء: بعض. الجزا جزأته تجزئه إذا بعضته، و الجزء الاجترأ بالرطب عن الماء جزأت الوحشية جزوءا لاكتفائها بالجزء الذى فى الرطب منه و الجزاء نصاب السكين و أصل الباب الجزء البعض.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦١] ص : ٣٣١

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)

آية واحدة بلا خلاف.

هذه الآية متصله بقوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» و ما بينهما الاعتراض بالاستدعاء إلى الحق مما أمر الله بالحجج و العبر التي ذكرها من احياء

(١) سورة البقرة آية: ٦٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٢

الموتى لإبراهيم و من حجاجه للذى ادعى أنه رب العباد إلى غير ذلك مما تقدم ذكره مع البيان عنه و قال الربيع و السدى الآية تدل على أن النفقة فى سبيل الله بسبعمائه ضعف لقوله «سَبْعَ سَنَابِلَ» فأما غيرها فبالحسنه عشرة. و قد بينا فى ما تقدم أبواب البر كلها من سبيل الله فيمكن أن يقال ذلك عام فى جميع ذلك. و الذى ذكرناه مروى عن أبى عبد الله (ع) و اختاره الجبائى: فان قيل هل رثى فى سنبله مائه حبه حتى يضرب المثل بها؟ قيل عنه ثلاثة أجوبة: أولها- أن ذلك متصور فشبه لذلك و إن لم ير كما قال امرؤ القيس:

و مسنونه زرق كأنياب أغوال

و قال تعالى «طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ» (١) الثانى- أنه قد رثى ذلك فى سنبل الدخن. الثالث- أن السنبله تنبت مائه حبه فقيل فيها على ذلك المعنى- كما يقال- فى هذه الحبه حب كثير و الاول هو الوجه. و الوعد بالمضاعفه لمن أنفق فى سبيل الله- فى قول ابن عباس- و قال الضحاك و لغيرهم من المطيعين. و قوله: «أَنْبَتَ» فالنبت الحشيش و كلما ينبت من الأرض يقال فيه نبت نبتاً. و نباتاً. و

أنبته الله إنباتاً: ونبته تنيباً قال (تعالى): «وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً» (٢) على تقدير فنبتم نباتاً وانه لحسن النبت. و المنبت الأصل. فلاذن في منبت صدق أى فى أصل كريم، لأنه يخرج منه كما يخرج النبات. و النبوت: شجر الخشخاش. و أنبت الغلام: إذا راهق و استبان شعر عانته.

و السنبله على وزن فعله لقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل. و الأصل فيه الاسبال، و هو إرسال الستر و نحوه. فمنه أسبل الزرع، لأنه استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر فى الاسبال فيطول، لأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالاسبال. فأما السبيل الطريق، فلأنه يرسل فيه المار به. و المائة: عدد معروف يجمع على مئات و مئين «٣». و يقال أمأت الغنم إذا بلغت مائة. و أمأيتها أنا أى وفيتها مائة. و المأى «٤» النميمة بين القوم

(١) سورة الصافات آية: ٦٥.

(٢) سورة نوح آية: ١٧.

(٣) فى المطبوعه (ميين و ميون).

(٤) فى المطبوعه (و الثانى).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٣

مأيت بينهم أمأى إذا دببت بينهم بالشر.

و قوله (واسع عليهم) معناه واسع المقدره لا يضيق عنه ما شاء من الزيادة «عليم» بمن يستحق الزيادة- على قول ابن زيد- و يحتمل أن يكون المراد «واسع» الرحمة لا يضيق عن مضاعفة «عليم» بما كان من النفقة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٢] ص: ٣٣٣

إشارة

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)

آية بلا خلاف.

الاعراب: ص: ٣٣٣

«الذين» رفع بالابتداء. و «ينفقون» خبره و «أموالهم» نصب لأنه مفعول به.

اللغة و المعنى: ص: ٣٣٣

و الإنفاق إخراج الشئ عن الملك. و قوله «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قال ابن زيد: هو الجهاد. و قال الجبائى:

أبواب البر كلها، و هو الصحيح عندنا. و المروى عن أبى عبد الله (ع).

وقوله: «ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا» فالمن هو ذكر ما ينقص المعروف كقول القائل: أحسنت إلى فلان و نعشته و أغنيته و ما أشبه ذلك مما ينقص النعمة و أصل المن: القطع و منه قولهم: حبل منين أى ضعيف، لأنه مقطع و منيته أى قطعته و منه قوله: «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» (١) أى غير مقطوع و سمي ما يكدر النعمة و المعروف بانه منة لأنه قطع الحق الذى يجب به. و المنة: النعمة العظيمة سميت بذلك لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمها. و منه قوله:

(١) سورة التين آية: ٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٤

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ»

أنعم عليكم. و المنة: القوة فى القلب و المن: الذى يقع من السماء، و المن الذى يوزن به، لأنه يقطع على مقدار مخصوص. و قوله: «وَلَا أَدَى» فهو نحو قولهم أنت أبدأ فقير، و من أبلانى بك و أراحنى الله منك، و ما أشبه ذلك مما يؤذى قلب المعطى و قوله «لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و الأجر هو النفع المستحق بالعمل «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فالخوف يوقع الضرر الذى لا يؤمن وقوعه. «وَلَا لَهُمْ يَحْزَنُونَ» فالحزن الغم الذى يغلظ على النفس. و منه الحزن:

الأرض الغليظة. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- لا- خوف عليهم لفوت الأجر. و الثانى- لا- خوف عليهم لاهوال الآخرة. و قيل أنه دليل على أن الوعد بشرط لأنه مغموم الكلام. لأن تقديره فى المعنى ان لم يتبعوا ما أنفقوا منا و لا أذى، فلهم من الأجر كذا، و ليس فى الآية ما يدل على صحة القول بالإحباط أصلاً، لأن الوعد متى كان مشروطاً بأن لا يتبع بالمن و الأذى فمتى اتبع بهما لم يحصل الشرط الذى يوجب استحقاق الثواب فلم يحصل شىء أصلاً ثم انحبط، و إنما كان فيه لبس لو ثبت استحقاقهم بنفس الإنفاق فإذا اتبع بالمن انحبط ذلك. و هذا ليس فى الآية.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: المنان: بما يعطى لا يكلمه الله و لا ينظر إليه و لا يزكيه و له عذاب أليم. و قال الضحاك لأن يمسك ماله خير له من أن ينفقه ثم يتبعه مناً و أذى.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٣] ص: ٣٣٤

إشارة

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)
آية بلا خلاف.

(١) سورة الحجرات آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٥

القول المعروف معناه ما كان حسناً جميلاً لا وجه فيه من وجوه القبح، و هو أن تقول للسائل قولاً معروفاً عليه حسناً من غير صدقة تعطى إياه. و قال الحسن:

و هو قول حسن لاعتراف العقل به، و تقبله إياه دون إنكاره له. و المغفرة هاهنا قيل فى معناها ثلاثة أقوال.

أولها- ستر الحلة على السائل. الثانى- قال الحسن: المغفرة له بالعفو عن ظلمه. الثالث- قال الجبائى: معناه أى سلامته فى المعصية لأن

حالتها كحال المغفرة في الامان من العقوبة.

اللغة: ص : ٣٣٥

وقوله. «وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ» فالغنى هو الحى الذى ليس بمحتاج، ومعناه هاهنا غنى عن كل شىء من صدقة وغيرها. وإنما دعاكم إليها لينفَعكم بها. وقال الرمانى: الغنى الواسع الملك فالله غنى لأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شىء منها. والغنى ضد الحاجة. تقول: غنى يغنى غنى و أغناه اغتناء واستغنى استغناء و غنى غناء و تغنى تغنياً. و الغناء ممدود: الصوت الحسن. و يقال فيه أغنيته و أغانى و الغنى: الكفاية للغنى به عن غيره. و المغنى المنزل غنى بالدار: إذا أقام بها و منه قوله «كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ» (١) و الغانية: الشابة المتزوجة لغناها بزوجه عن غيره. و هى أيضاً العفيفة لغناها بعفتها. و الغنية الاستغناء: و الحلم: الامهال بتأخير العقوبة للانابة، و لو وقع موقع حلیم حميد أو عليم، لما حسن لأنه تعالى لما نهاهم أن يتبعوا الصدقة بالمن، بين أنهم إن خالفوا ذلك فهو غنى عن طاعتهم حلیم. فى أن لا يعاجلهم بالعقوبة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٤] ص : ٣٣٥

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)

(١) سورة يونس آية: ٢٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٦

آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٣٣٦

ضرب الله (تعالى) هذه الآية مثلاً لعمل المنافق و المَنَّان جميعاً، فإنهما إذا فعلاً فعلاً لغير وجه الله أو قرنا الإنفاق بالمن و الأذى، فإنهما لا يستحقان عليه ثواباً. و شبه ذلك بالصفة الذى أزال المطر ما عليه من التراب، فانه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه فكذلك إذا رفع المنان صدقته و قرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه، و تلا فيه لوقوعه على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة للحدوث، فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيتها و ليس فيها ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يزول بالمن فيما بعد و لا بالرياء الذى يحصل فيما يتجدد فليس فى الآية ما يدل على ما قالوه.

وقوله: «رِئَاءَ النَّاسِ» إنما جمع بين همزتين و لم يجمع فى ذوائب جمع ذؤابة، لوقوع الألف فى الجمع بين الهمزتين، فلم يجر ذؤائب (١)، فأما الواحد فاجتمع لخفته و هما أيضاً مفتوحان فهو أخف لها.

وقوله: «كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ» يدخل فيه المؤمن و الكافر إذا أخرج الإنفاق للرياء. و قوله: «وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» صفة للكافر خاصة «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ» يعنى الحجارة الصلبة «عَلَيْهِ تُرَابٌ».

اللغة: ص : ٣٣٦

فالتراب و التراب واحد يقال ترب الرجل إذا افتقر، لأنه لصق بالتراب للفقير و منه قوله: «مَشْرِكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ» (٢) لأنه قعد على التراب للفقير و أترب الرجل إذا استغنى لأنه كثر ماله حتى صار كالتراب. و التراب الذى ينشأ معك. و قيل فيه

(١) فى المطبوعه (فلم يجز ذوائب) و الصحيح ما ذكرنا.

(٢) سورة البلد آية: ١٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٧

أقوال: منها للعبهم بالتراب إذ هم صبيان أقران. و منها- لأنهم خرجوا إلى عفر التراب فى وقت من الزمان. و منها- لأنهم على الاشتباه كالتراب. و قوله:

«عُزْبًا أَتْرَابًا» (١) أى أشباه أمثال. و الترائب (٢) عظام الصدر واحدا تريبة.

قيل لأنها متشابهة كالأتراب أو كتشابه التراب. و منه قوله: «مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» (٣).

و قوله: «فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ» فالوايل: المطر الشديد الوقع، يقال وبلت السماء تبل وبللا: إذا اشتد وقع المطر.

و قوله: «فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا» (٤) أى شديداً. و الوييل: المرعى الوخيم. و الويال: سوء العاقبة. و الموبل: المغلظ القلب. و الوييلة: الحزمة

من الحطب لأنها مشدودة. و الوييل: العصا الغليظة. و الوايلة: طرد العضد فى الكتف. و أصل الباب الشدة. و الصفوان واحده صفوانة

مثل مرجان و مرجانة و سعدان و سعدانة و قال الكسائى: جمع صفوان صُفَى. و أنكر ذلك المبرّد و قال: إنما هو صفاء و صفى مثل

عصا و عَصِي و قفأ و قفى و كذلك ذكران و صفران- بكسر الصاد- و إنما هو جمع صفا نحو حرب و حربان، و وِرل و وِرلان. و قال

معنى صفا و صفوان واحد.

و قوله: «فَتَرَكَهُ صَلْدًا» فالصلد: الحجر الأملس الصلب قال الشاعر:

و لست بجلب جلب ريح و قرّة و لا بصفا صلد عن الخير معزل (٥)

و قال رؤبة.

(١) سورة الواقعة آية: ٣٧.

(٢) فى المطبوعه (التريبة) وِرل: دابة على خلقه الضب الا أنه أعظم منه. و الجمع أورال و وِرلان و أرؤل. [...]

(٣) سورة الطارق آية: ٧.

(٤) سورة المزمل آية: ١٦.

(٥) البيت لتأبط شراً. اللسان (جلب) و روايته (جلب ليل) بدل (جلب ريح) و فى اللسان (عزل) كما هنا. الجلب:- بكسر الجيم أو

ضمها مع سكون اللام:- السحاب المعترض تراه كأنه جبل. و يقال هو السحاب الرقيق. و القرّة- بكسر القاف- و القر- بضم القاف-

البرد الشديد.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٨

لما رأتنى خلق المموه براق أصلاذ الجبين الأجله (١)

و الصلد الذى لا ينبت شيئاً من الأرض لأنه كالحجر الصلد، و الصلد: البخيل و صلد الزند صلوداً إذا لم يور ناراً و فرس صلود: إذا أبطأ

عرقه. و قدر صلود إذا أبطأ عليها. و أصل الباب ملاسة فى صلابه و يقال صلد يصلد صلداً فهو صلد.

و قوله: «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» معناه أنه لا يهديهم إلى طريق الجنة على وجه الانابة لهم و يحتمل لا يهديهم بمعنى لا يقبل

أعمالهم كما يقبل أعمال المهتدين من المؤمنين، لأن أعمالهم لا يقع على وجه بها المدح.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٥] ص : ٣٣٨

إشارة

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيَةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْ بِهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)
آية.

القراءة: ص : ٣٣٨

قرأ عاصم و ابن عامر بربوة- بفتح الراء- الباقون بضمها. وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و نافع (أكلها) بإسكان الكاف الباقون بالثقل.

المعنى: ص : ٣٣٨

و هذا مثل ضربه الله لمن أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله أى طلباً لرضاه. وقوله: «و تَثْبِيَةً مِنْ أَنْفُسِهِمْ» بقوة اليقين و البصيرة فى الدين فى قول ابن زيد، و السدى، و أبى صالح و الشعبى. الثانى- قال الحسن و مجاهد: معناه أنهم يتثبتون أين يضعون صدقاتهم. الثالث- قال أبو على: معناه توطئناً لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله و اعترض على قول مجاهد بأنه لم يقل تثبياً. و هذا ليس بشىء لأنه لا يجوز أن يقول القائل يثبتوا أنفسهم تثبياً إذا كانوا كذلك فهم لا يتثبتون أين يضعون

(١) ديوانه: ١٦٥ من قصيدة مر الاستشهاد ببعض آياتها فى ١: ٢٨-٣٠٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٣٩

الصدقات. و قوله: «كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ» إنما خصت بالربوة لأنها إذا كانت بربوة فتثبتها أحسن و ربيعها أكثر كما قال الأعشى:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل «١»

فخص بها الحزن لما بيناه.

اللغة: ص : ٣٣٩

و الربو: الزيادة يقال ربا الشىء يربو إذا زاد. و أصابه ربو: إذا أصابه نفس فى جوفه، لزيادة النفس على عادته. و الربوة: العلو من الأرض لزيادته على غيره بارتفاعه. و الربا فى المال: المعاملة على أن يأخذ أكثر مما يعطى للزيادة على ما يفرض يقال ربا المال يربو رباً و أربى صاحبه فهو مرب. و أصل الباب الزيادة. و فى الربوة ثلاث لغات- فتح الراء و ضمها و كسرهما-. و فيها أربع لغات أخر رباوة و رباوة و رباوة و ربا. فتلك سبع لغات.

المعنى و اللغة: ص : ٣٣٩

و قال ابن عباس، و الضحاك، و الحسن، و مجاهد، و السدى، و الربيع:

الربوة و الرابية المرتفع من الأرض «فَأَتَتْ أَكْلَهَا» فالفرق بين الاكل و الاكل ان الاكل بالفتح المصدر و الاكل بالضم الطعام الذى يؤكل «ضِعْفَيْنِ» يعنى مثلين فى قول الزجاج لأن ضعف الشىء مثله زائداً عليه و ضعفاه مثلاه زائدين عليه.
و قال قوم: ضعف الشىء مثلاه. و قوله «فَطَل» قال الحسن و الضحاك و الربيع و قتادة هو اللين من المطر. و إنما ذكر الطل هاهنا لتشبيهه أضعاف النفقة به كثرت أو قلت: إذ كان خيرها لا يختلف على حال فى قول الحسن و قتادة. و إنما قيل لما مضى «فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌ» لأن فيه إضمار (كان) كأنه قيل: فان يكن لم يصبها وابل، فطل. و مثله قد أعتقت عبيد بن قيس لم أعتق اثنين فواحداً بقيمتيهما.

(١) ديوانه ٥٧ رقم القصيدة ٦. الرياض جمع روضة و هى البستان. و الحزن ضد المنخفض من الأرض. و رياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها.
مسبل أى منزل للماء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٠

و المعنى ان أكن لم أعتق قال الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدنى لثيمه و لم تجدى من أن تقرى بها بدا (١)

كأنه قال: أكن لم تلدنى لثيمه. و الطل المطر الصغار القطر يقال: أطلت السماء فهى مطلة. و روضة طلة ندية. و الطل: إبطال الذم بأن لا يثار بصاحبه. طل دمه فهو مطلول لأنه بمنزلة ما جاء عليه الطل، و أذبه كأنه قيل غسله. و الطل و الطلل ما شخص من الدار، لأنه كموضع الندى بالطل لغماره الناس له خلاف المستوى، و القفر، لأن الخصب حيث تكون الأبنية. و صار الطلل اسماً لكل شخص. و الاطلاع: الاشراف على الشىء و الطل: الشحم، ما بالناقة طل أى ما بها طرق. و طلة الرجل امرأته. و أصل الباب الطل: المطر. و قوله: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه عالم بأفعالكم، فيجازيكم بحسنها و فى ذلك ترغيب و ترهيب.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٦] ص: ٣٤٠

إشارة

أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)
آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص: ٣٤٠

معنى قوله: «أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ» التقدير (على) مثل ضربه الله فى الحسرة بسلب النعمة فقيل هو مثل للمرائى فى النفقة، لأنه ينتفع بها عاجلاً و تنقطع عنه آجلاً فى أحوج ما يكون إليه. هذا قول السدى و قال مجاهد: هو مثل للمفرط فى طاعة الله بملاذ الدنيا يحصل فى الآخرة على الحسرة العظمى. و قال ابن عباس: هو مثل للذى يختم عمله بفساد.

(١) قائله زائدة بن صعصعة الفقعسى و قد مر فى ١: ٢٨٩-٣٥٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤١

اللغة: ص: ٣٤١

وقوله: «أَيُّوُدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ» فأتى بمستقبل ثم عطف عليه بماض في قوله «وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ» قال الفراء يجوز ذلك في يود لأنها تلتقى مرة ب (أن) و مرة ب (لو) فجاز أن يقدر أحدهما مكان الاخرى، لاتفاق المعنى، فكأنه قال أ يود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل و أعناب و أصابه الكبر. قال الرماني: و عندي أنه قد دل بأن على الاستقبال، و بتضمين الكلام معنى لو على التمني، كأنه قيل أ يحب ذلك متمنياً له. و التمني يقع على الماضي و المستقبل أ لا ترى أنه يصح أن يتمنى أن كان له ولد. و يصح أن يتمنى أن يكون له ولد. و المحبة لا تقع إلا على المستقبل، لأنه لا يجوز أن يقال أحب أن كان لى ولد و يجوز أحب أن يكون لى ولد. و الفرق بين المودة و المحبة أن المودة قد تكون بمعنى التمني نحو قولك: أود لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم، و لا يجوز أحب لو قدم. و قوله أن تكون له جنة، فالجنة: البستان الكثيرة الشجر لأن الشجر يجنه بكثرتة فيه.

و النخل معروف. و قيل: إنه مأخوذ من نخل المنخل، لاستخلافه كاستخلاف الباب بالنخل. و النخل و النخيل جمع نخلة. و هى شجرة التمر. و قوله: «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» (١) و قوله «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْفَعِرٍ» (٢) فذكر على اللفظ و أنث على المعنى. و النخل نخل الدقيق نخلته نخلا. و منه المنخل، لأنه آله النخل و النخاله معروفه و النخل نخل السماء بالثلج أو ما صغر من القطر و الانتخال الاختيار و التنخل (٣): التخير و أصل الباب النخل: الدقيق. و العنب: ثمر الكرم معروف و رجل عانب و عنب. و العناب معروف. و العناب ما تقطعه الخائنه مشبه بالعنب فى التعلق. و رجل عناب: عظيم الانف مشبه بعنقود العنب فى التعلق و العظم. و أصل الباب العنب. و قوله: «مَنْ تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ» و تحت نقيض فوق و فى الحديث

(١) سورة الحاقة آية: ٧.

(٢) سورة القمر آية: ٢٠.

(٣) فى المطبوعة: (التنخر).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٢

«لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت» أى الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يشعر بهم ذلاً.

و الأنهار جمع نهر و هو المجرى الواسع من مجارى الماء قال الشاعر:

ملكته بها كفى فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها (١)

معناه وسعت فتقها كالنهر.

و قوله: «فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» فالثمرة: طعام الناس من الشجر. و قوله:

«وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ» فالأصابة الوقوع على المقصود. و المراد هاهنا: لحقه الكبر، و الكبر حال زائدة على مقدار آخر. و المراد هاهنا:

الشيخوخة. و الفرق بين الكبير و الكثير أن الكثير مضمن بعدد و ليس كذلك الكبير نحو دار واحدة كبيرة. و لا يجوز كثيرة. و الذرية:

الولد من الناس. و الضعفاء: جمع ضعيف، و الضعف نقصان القوة. و قوله: «فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ» فالعصر عصر الثوب و

نحوه من كل شىء رطب عصرته أعصره عصراً فهو معصور، و عصير. و اعتصرته اعتصاراً، و تعصر تعصراً، و عصره تعصيراً. و انعصر

انعصاراً. و العصر الدهر.

و فى التنزيل «وَالْعَصِيرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» (٢) و العصر العشى. و منه صلاة العصر لأنها تعصر أى تؤخر كما يؤخر الشىء بالتعصر

فيه. و العصر النجاة من الحذب و منه قوله تعالى: «فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يُعْصَرُونَ» (٣) لأنه كعصر الثوب فى الخروج من حال إلى

حال. و العصر: العطية. و الاعتصار: الالتجاء. و المعتصر:

الملجأ. و الاعصار: غبار يلتف بين السماء و الأرض كالتفاف الثوب في العصور.
و المعصر فوق الكاعب. و المعصرات السحاب. و منه قوله «وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا» (٤) و العصرة: الدينه يقال هو لأموالنا
عصرة: أى دينه. و أصل الباب: عصر الثوب. و الإحراق إحراق النار أحرقتة بالنار فاحترق احترقا و حرقتة تحريقاً و تحرق تحرقاً و
الحرق حرقت البعير أحد نابه بالآخر يكون وعيداً و تهديداً

(١) انظر ١: ٢٦، ٢: ٥٧.

(٢) سورة العصر آية: ١-٢.

(٣) سورة يوسف آية: ٤٩.

(٤) سورة النبأ آية: ١٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٣

من فحول الإبل، لالتهابه غضبا كالتهاب الإحراق. و الحرق: حرك الحديد بالمبرد حرقت الحديد أحرقت حرقاً: إذا بردتها للتفريق
بالإحراق. و الحرق: قطع عصبه في الورك لا تلتئم كما لا يرجع ما أحرقت، يقال حرق الورك فهو محروق و الحرق:
الثوب يقع فيه الحرق من دق القصار لأنه كالأحراق بالنار في أنه لا يرجع إلى الحال. و منه ريش حرق لأنه كالمنقطع بالإحراق. و
الحرقات: ما اقتبست به النار للإحراق. و الحرقة ما يجده من حدة لأنه كالأحراق بالنار. و الحرقات: سفن يتخذ منها مرامى نيران يرمى
بها العدو في البحر و أصل الباب الإحراق. و الفكر:

جولان القلب بالخواطر يقال: أفكر أفكاراً و فكر تفكيراً و تفكر تفكيراً و رجل فكير كثير الفكر. و قوله: «فاحترقت» فالاحتراق: افتراق
الاجزاء بالنار و البيان: هو الدلالة على ما بيناه- فى ما مضى- و قال الرماني: البيان اظهار المعنى بما يتميز به من غيره على جهة
الصواب. و لا- يقال للحن من الكلام بيان و إن فهم به المراد، لأن البيان على الإطلاق ممدوح. و للحن عيب لكن يقال قد أبان عن
مراده مجازاً.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٧] ص: ٣٤٣

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ
تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)
آية.

المعنى: ص: ٣٤٣

هذا خطاب للمؤمنين دون سائر الناس و قال الحسن، و علقمة: كل شيء فى القرآن «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فإنما أنزل بالمدينة و كلما فيه
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ» أنزل بمكة و قوله: «أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ» يدخل فيه الزكاة المفروضة و غيرها من أنواع النفقة. و قال عبيدة
السلماني، و الحسن: هى مختصة بالزكاة.

و قال الجبائي: هى فى المتطوع، لأن الفرض من الصدقة له مقدار من القيمة إن التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٤
قصر كان ديناً عليه إلى أن يؤديه على التمام. فأما إذا كان مال المزكى كله ردياً فجاز له أن يعطى منه و لا يدخل فى ما نهى عنه، لأن

تقدير ما جعله الله للفقير في مال الغنى تقدير حصه الشريك، فليس لأحد الشريكين أن يأخذ الجيد و يعطى صاحبه الردى لما فيه من الوركس فإذا استوى في الرداوة جاز له إعطاء الردى، لأنه حينئذ لم يبخره حقاً هو له كما يبخره في الأول و قوله: «وَلَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ»

روى عن علي (ع)، و البراء بن عازب، و الحسن، و قتادة: أنها نزلت لأن بعضهم كان يأتي بالحشف فيدخله في تمر الصدقة فنزلت فيه الآية.

قال ابن زيد: الخبيث الحرام. و الأول أقوى، لأنه قال: «أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» ثم قال: «وَلَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ» يعني من الذي كسبتم إذ أخرجه الله من الأرض. و الحرام و إن كان خبيثاً فليس من ذلك غير أنه يمكن أن يراد به ذلك لأنه لا ينافي السبب.

و روى عن أبي عبد الله (ع) أنها نزلت في أقوام لهم أموال من ربا الجاهلية كانوا يتصدقون منها، فنهى الله عن ذلك و أمر بالصدقة من الحلال.

و يقوى الوجه الاول قوله: «وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» و الإغماض لا يكون في شيء ردى متسامح في أخذه دون ما هو حرام. و في الفقهاء من استدلل بهذه الآية على أن الرقبة الكافرة لا تجزى في الكفارة و ضعفه قوم و قالوا: العتق ليس بإنفاق. و الاولى أن يكون ذلك صحيحاً لأن الإنفاق يقع على كل ما يخرج لوجه الله عتقاً كان أو غيره. اللغوة و التيمم: التعمد تيممت الشيء تيمماً.

و منه قوله: «فَتَيْمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» (١) أي تعمدوا، و قال خفاف:

فعمداً على عين تيممت مالكا (٢)

و قال آخر:

يممته الرمح شزراً ثم قلت له هذى المروءة لا لعب الزحاليق (٣)

(١) سورة النساء آية: ٤٢، و سورة المائدة آية: ٧. [...]

(٢) اللسان (عمد) و صدره:

ان تك خيلي قد أصيب صميمها

(٣) قائله: عامر بن مالك. و الزحاليق لغه في الزحاليق واحدا زحلوقه و هي أثر تزلج الصبيان من فوق طين أو رمل.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٥

و اليم: لجه البحر، لأنه يتعمد به البعيد من الأرض، و يم الرجل: إذا غرق في البحر، و يم الساحل إذا طما عليه يم البحر فغلب عليه. و اليمامة، و اليمام: الحمام الطورانية تتعمد إلى أوكارها بحسن هدايتها. و قال الخليل: أممته قصدت أمامه و يممته: تعمدته من أي جهة كان. و قال غيره: هما سواء. و الخبيث: الردى من كل شيء، خبت خبثاً و تحبث تحبثاً و تخابث تخابثاً و خبثه تخبيثاً. و الخبثه: الريه، و خبت الفضه ما نقاه الكير لأنه ينفى الردى و أصله الرداءه.

الاعراب و اللغه: ص: ٣٤٥

و قوله: «وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» إنما فتحت (أن) في قول الفراء من أجل (إلا) إذ وقعت عليها. و هي في موضع خفض في الأصل عنده (إن) لأن الكلام في معنى الجزاء و هو إن أغمضتم بعض الإغماض أخذتموه، و مثله «إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» (١) و أنكر ذلك أبو العباس و قال: (أن) هذه التي بمعنى المصدر مفتوحة على كل حال و ذلك نحو أن تأتيني خير لك. و إنما المعنى و لستم بأخذيهِ إلا لاغماضكم فيه. و الإغماض في البيع الحط من الثمن لعيب فيه، أغمض إغماضاً و ذلك لاخفاض بعض

الثلث بالخط له. و الغموض: الخفاء.
غمض يغمض غموضاً فهو غامض. و التغميض إطباق الجفن و غمض العين. و الغمض المطمئن من الأرض حتى يغيب من فيه و أصل
الباب: الخفاء.

المعنى: ص : ٣٤٥

و قيل فى معنى «إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» قولان قال البراء بن عازب إلا أن تتساهلوا فيه. و قال ابن عباس، و الحسن و قتادة إلا أن تحطوا من
الثلث فيه.

و قال الزجاج: و لستم بأخذيته إلا بوكس فكيف تعطونه فى الصدقة قال الطرمح ابن حكيم:

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٦

لم يفتنا بالوتر قوم و للضم رجال يرضون بالإغماض «١»

أى بالوكس قوله: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» هاهنا معناه أنه غنى عن صدقاتكم و إنما دعاكم إليها لنفعمكم، فأما «حميد» ففيه ثلاثة
أقوال:

أحدها- أنه مستحق للحمد على نعمه. الثانى- موجب للحمد على طاعته.

و الثالث- قال الحسن: معناه مستحماً إلى خلقه بما يعطون من النعم لعباده أى مبتدع لهم إلى ما يوجب لهم الحمد. و حميد فى هذا
الموضع ألقى من حليم كما أن حليماً ألقى بالآية المتقدمة من حميد، لما بيناه و إنما قلنا ذلك لأنه لما أمرهم بالإنفاق من طيب ما
كسبوه بين أنه غنى عن ذلك و أنه يحمدهم على ما يفعلونه إذا فعلوه على ما أمرهم به و معناه أنه يجازيهم عليه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٨] ص : ٣٤٦

إشارة

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)
آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ٣٤٦

معنى الآية الوعد من الشيطان أنكم متى أخرجتم من أموالكم الصدقة و أدبتم الزكاة الواجبة عليكم فى أموالكم افتقرتم. و يأمركم
أيضاً بالفحشاء من المعاصى و ترك طاعته. و الله (تعالى) يعد بالمغفرة منه و الستر عليكم، و الصفرح عن العقوبة «و فضلاً» يعنى و
يعدكم أن يخلف عليكم خيراً من صدقتكم و يتفضل عليكم و يسبغ عليكم فى أرزاقكم قال ابن عباس: اثنان من الله، و اثنان من
الشيطان.

فاللذان من الشيطان الوعد بالفقر و الامر بالفحشاء. و اللذان من الله المغفرة على المعاصى و الفضل فى الرزق.

(١) ديوانه: ٨٦ من قصيدة مجد بها قومه، و قبله:

اننا معشر شمائلنا الصبر إذا الخسوف مال بالاختفاض نصر للدليل في ندوة الحى مرائب للتأى المنهاض.

من يرم جمعهم يجدهم مراجيح حماة للعزل الاحراض

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٧

اللغة و المعنى: ص: ٣٤٧

و الفقر: الحاجة و هو ضد الغنى يقال: أفقره الله إفقاراً و افتقر افتقاراً و تفاقراً، لأن الفقر بمنزلة كسر الفقار في تعذر المراد. و الفقار: عظام منتظمة في النخاع تسمى خرز الظهر واحدا فقره. و الإفقار: إعاره الدابة لتركب ثم ترد. و الإفقار: دنو الصيد. و الفقرة الداهية، لأنها تكسر الفقار. و منه قوله:

«تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» (١) و أصل الباب الفقار: خرز الظهر. و تقول وعدته الخير، و وعدته بالخير و الأصل فيه تعديته بغير حرف الاضافة إلا أنه كثر استعماله في التعدى بحرف الاضافة حتى صار أصلاً فيه لكثرتة. و أمرته بالخير أكثر في الكلام و إنما يجوز أمرته الخير في الشعر و قوله: (وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) حكى البلخي أنه بغير واو في مصاحف أهل الشام و لم يقرأ به أحد فان صح فهو دلالة على نقصان الحروف من كثير من القرآن على ما اختلفوا فيه. و الفرق بين الوعد و الوعيد أن الوعيد في الشر خاصة، و الوعد بالتيقيد للخير و الشر معاً غير أنه إذا أطلق لم يكن إلا في الخير، و كذلك إذا أبهم التقييد كقولك وعدته بأشياء لأنه بمنزلة المطلق. و حدّ الوعد: هو الخبر بفعل الخير في المطلق. و الوعيد: هو الخبر بفعل الشر. و الأمر هو قول القائل لمن هو دونه: افعل، مع إرادة المأمور به، فان انضم إليه الزجر عن الإخلال به كان مقتضياً للإيجاب. و قال ابن مسعود للشيطان لمه و للملك لمه.

و مثله

روى عن أبي عبد الله (ع) فلمه الشيطان وعده بالفقر و أمره بالفاحشة و لمه الملك أمره بالإنفاق و نهيه عن المعاصي.

و قال أبو مسلم و الازهرى الفحشاء البخل و الفاحش البخل قال طرفه:

عقيله مال الفاحش المتشدد (٢)

(١) سورة القيامة آية: ٢٥.

(٢) هو طرفه بن العبد البكرى. معلقته، و اللسان: (فحش) و صدره:

أرى الموت يعتام الكرام و يصطفى

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٨

و قال الحسين بن على المغربى و الذى يقوى قوله ما أنشده أبو حيرة الراحل من طى:

قد أخذ المجد كما أرادا ليس بفحاش يضمن الزادا

و قال الرماني: و الله ما قالاه بعيد. و الفحشاء المعاصى فى أغلب الاستعمال و معنى البيت الذى أنشده أن الفاحش هو سىء الرد

بسؤاله و ضيفانه و ذلك من البخل لا محالة قال كعب:

أخى ما أخى لا فاحش عند بيته و لا برم عند اللقاء هبوب (١)

فتلخيص معنى الآية أن الشيطان يحملكم على أن تؤدوا فى الصدقة ردىء المال يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد- و الفقر و الفقر لغتان- و

يعدكم الفقر: معناه بالفقر فحذف الباء و عدى الفعل فنصب قال:

أمرتكم الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتكم ذا مال و ذا نشب

وقوله: «وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» معناه واسع يعطى من سعة مقدوراته «عليم» حيث يضع ذلك و يعلم الغيب و الشهادة.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٦٩] ص : ٣٤٨

إشارة

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) آية.

القراءة والمعنى: ص : ٣٤٨

قرأ يعقوب (و من يؤت) - بكسر التاء - الباقون بالفتح قيل فى معنى الحكمة فى الآية وجوه قال ابن عباس و ابن مسعود: هو علم القرآن ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره و حلاله و حرامه و أمثاله. و قال ابن

(١) هكذا فى المطبوعة. و فى أمالى القالى ٢: ١٤٦: و لا ورع عند اللقاء هبوب و فى مجمع البيان: عند اللقاب هبوب.

بيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٤٩

زيد: هو علم الدين. و قال السدى: هو النبوة. و قال مجاهد الاصابة. و قال ابراهيم النخعى: الفهم. و قال الربيع: الخشية. و قال قوم: هو العلم الذى تعظم منفعته و تحل فائدته و هو جميع ما قالوه. و قال قتادة: و الضحاك، و فى روايه عن مجاهد:

هو القرآن، و الفقه. و هو المروى عن أبى عبد الله (ع)

و إنما قيل للعلم: حكمه لأنه يتمتع به من القبيح لما فيه من الدعاء إلى الحسن، و الزجر عن القبيح. و قال الجبائى: هو ما آتاه الله أنبياءه و أممهم من كتبه و آياته و دلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به و بدينه و ذلك تفضل منه يؤتیه من يشاء. و قوله: «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» و كل مكلف ذو لب لأنه إنما يطلق عليهم هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد التذکر بهم و هم الذين يستعملون ما توجه عقولهم من طاعة الله فى كل ما أمر به و دعا إليه و «يؤت» جزم ب (من) و الجواب «فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» و من قرأ يؤت بكسر التاء على ما روى عن يعقوب ذهب إلى أن معناه و من يؤته الحكمة، و إنما حذف الهاء فى الصلة و يكون (من) على هذا المعنى «الذى» لا معنى الجزاء.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٠] ص : ٣٤٩

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠)

آية بلا خلاف.

(ما) فى قوله و ما أنفقتم بمعنى الذى و ما بعده صلتها و العائد إليها الهاء فى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا» لأنها لا يجوز أن تعود على النفقة، لأنها مؤنثة، و لا على النفقة و النذر، لأن ذلك يوجب التشبيه. و المراد بالإنفاق هاهنا ما يخرج فى طاعة الله: واجباتها و مندوباتها.

و قوله: «أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ» فالنذر هو عقد الشىء على النفس فعل شىء من البر بشرط، و لا ينعقد ذلك إلا بقوله لله على كذا، و لا يثبت بغير هذا اللفظ. و أصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير فى الأمر و منه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢،

ص: ٣٥٠

نذر الدم: العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال الشاعر:

هم يندرون دمي و أنذر إن لقيت بأن أشدا
 و منه الانذار: الاعلام بموقع العدو، للخوف منه ليتقى يقال: نذرت النذر أنذره نذراً و جمعه نذور و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» معناه يجازى
 عليه لأنه عالم به، فدل بذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازاً للكلام و قوله «وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» وعيد للظالمين و هم الفاعلون
 لضرر يستحق عليه الذم. و المراد بالظالمين هاهنا الذين كانوا إنفاقهم على غير الوجه المأذون لهم فيه من رباً أو ضراراً أو شقاقاً أو من
 مال مغصوب أو مأخوذ من غير وجهه. و سمي ذلك ظلماً، لأنه وضع فيه في غير موضعه، و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشراف،
 و باب فعيل يجمع على فعلاء مثل عليم و علماء و كريم و كرماء، و قد ورد فيه فعال مثل نصير و نصار.
 و النصير: هو المعين على العدو، فعلى هذا لا تدل الآية على أنه لا شفاعه لمرتكبي الكبائر لأن أحداً لا يقول أن لهم معيناً على عدوهم
 بل إنما نقول لهم من يسأل في بابهم على وجه التضرع و لا يسمى ذلك نصر على حال.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧١] ص : ٣٥٠

إشارة

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)
 آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ٣٥٠

قرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و خلف فنعما- بفتح النون و كسر العين- و قرأ ابن كثير، و ورش، و يعقوب، و حفص، و الأعشى و
 البرجمي- بكسر النون و العين- و قرأ أهل المدينة- إلا ورشاً- و أبو عمر، و أبو بكر- إلا الأعشى- و البرجمي- بكسر النون و سكون
 العين- و كذلك في النساء في قوله: «نِعِمَّا يَعِظُكُمْ التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥١

به»

و قرأ ابن عامر و حفص «و يكفر» بالياء و الرفع. و قرأ أهل المدينة، و حمزة و الكسائي و خلف عن أبي بكر بالنون و الجزم. الباقون
 بالنون و الرفع.

المعنى الاعراب: ص : ٣٥١

قال أبو على الفارسي: المعنى في قوله «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ» إن في نعم ضمير الفاعل و «ما» في موضع نصب و هي تفسير
 الفاعل المضمرة قبل الذكر و التقدير نعم شيئاً أبدءوها. فالإبداء هو المخصوص بالمدح إلا أن المضاف حذف و أقيم المضاف إليه
 الذي هو ضمير الصدقات مقامه، فالمخصوص بالمدح هو الإبداء بالصدقات لأن الصدقات تدل على ذلك قوله: «وَإِنْ تُخْفُوهَا وَ
 تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ» أي الإخفاء خير لكم. فكما أن هو ضمير الإخفاء و ليس بالصدقات كذلك ينبغي أن يكون ضمير
 الإبداء مراداً و إنما كان الإخفاء- و الله أعلم- خيراً لأنه أبعد من أن يشوب الصدقة مراءاة للناس و تصنع لهم فيخلص لله (تعالى) و لم
 يكن المسلمون إذ ذاك ممن يسبق إليهم ظنه في منع واجب. و الفرق بين الصدقة و الزكاة أن الزكاة لا تكون إلا فرضاً و الصدقات
 قد تكون فرضاً، و قد تكون نفلاً. و اختلفوا في الصدقة التي إخفاؤها أفضل. فقال ابن عباس، و سفيان، و اختاره الجبائي: أنها صدقة
 التطوع، لأنها أبعد من الرياء فأما الصدقة الواجبة فإظهارها عندهم أفضل لأنه أبعد من التهمة. و قال يزيد بن أبي حبيب: الصدقات على

أهل الكتاب إظهارها أولى، و هي على المسلمين إخفاؤها أفضل.

وقال الحسن، و قتادة: الإخفاء في كل صدقة من زكاة و غيرها أفضل، و هو الأقوى لأنه عموم الآية و عليه تدل أخبارنا

و قد روى عن أبي عبد الله (ع) أن الإخفاء في النوافل أفضل.

وقال أبو القاسم الإبداء خير. و المفسرون على خلافه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٢

اللغة: ص: ٣٥٢

و الإخفاء: هو الستر تقول أخفيت الشيء أخفيه إخفاء: إذا سترته: و الخفى الاظهار خفيته أخفيه خفياً إذا أظهرته لأنه إظهار يخفى قال الشاعر:

فان تدفوا الداء لا تخفه و أن تبعثوا الحرب لا نعد «١»

و الخفاء: الغطاء و الخوافي من ريش الطائر ما دون القوادم لأنها يخفى بها و الخفية عريش الأسد لأنه يختفى فيها تقول: اختفى اختفاء و خفى تخفية و تخفى تخفياً و استخفى استخفاء و أصل الباب الستر. و الإبداء و الاظهار و الإعلان نظائر و الإخفاء و الاسرار و الإغماض نظائر. تقول بدا الشيء يبدو: إذا ظهر، و أبديته: إذا أظهرته.

الاعراب و القراءة: ص: ٣٥٢

و ضعف النحويون بأجمعهم قراءة أبي عمرو، و قالوا لا يجوز إسكان العين مع الإدغام و إنما هو إخفاء يظن السامع أنه إسكان. و إنما لم يجز الإسكان مع الإدغام لأنه جمع بين ساكنين في غير حروف المد و اللين في نحو دابة و غير ذلك. و قد أنشد سيبويه في الجمع بين ساكنين مثل اجتماعهما في نعماً قول الشاعر:

كأنها بعد كلال الزاجر و مسحه مر عقاب كاسر «٢»

و أنكره أصحابه. و من رفع يكفر عطفه على موضع (ما) بعد الفاء و من جزم فعلى موضع الفاء. و مثل الاول قوله: (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ) و نظير الثاني «فَأَصْدَقَ وَ أَكُنْ» فمن اختار الجزم فلانه أبين في الاتصال بالجزء و من رفع فلانه أشكل بما دخلت له الفاء إذ كانت إنما دخلت لاستقبال الكلام بعدها و إن كان في معنى الجواب. و من قرأ بالياء فمعناه «و يكفر الله» و قوله:

(١) قاله امرؤ القيس بن عابس الكندي. ديوان امر القيس: ٣٤٣، و اللسان (خفا) و روايته (فان تكتموا السر لا نخفه).

(٢) اللسان (كسر) في المطبوعة (كأنه) بدل (كأنها) و (مر) ساقطة. و أنشده سيبويه: و مسح مر عقاب كاسر.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٣

«مَنْ سَيِّئَاتِكُمْ» دخلت من للتبعيض لأنه إنما يكفر بالطاعة- غير التوبة- الصغائر. هذا على مذهب من يقول بالصغائر و الإحباط. فأما على مذهبنا فإنما كان كذلك لأن إسقاط العقاب كله تفضل، فله أن يتفضل بإسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافادته يسقط جميع العقاب. و قال قوم من زائدة و الذي ذكرناه أولى لأنه لا حاجة بنا إلى الحكم بزيادتها مع إمكان حملها على فائدة «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» معناه أنه تعالى بما تعملونه في صدقاتكم من إخفائها و إعلانها عالم خبير به لا يخفى عليه شيء من ذلك فيجازى على جميعه بحسبه.

و روى عن النبي (ص) أنه قال لابن العاص «نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح»
فاختار أبو عبيد لأجل هذه الرواية قراءة أبي عمرو و قال الزجاج هذه رواية غير مضبوطة و لا يجوز عند البصريين ذلك لأن فيه جمعا
بين ساكنين من غير حرف مد و لين و في نعم ثلاث لغات نعم و نعم و نعماً.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٢] ص: ٣٥٣

إشارة

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤْفَ
إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ (٢٧٢)
آية واحدة.

المعنى: ص: ٣٥٣

قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان: أحدهما- ما قاله ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة ليس عليك هداهم بمنع المشركين
الأقرباء من الصدقة ليدخلوا في الإسلام فعلى هذا معناه الاباحة. الثاني- قال الحسن، و أبو على الجبائي، و الزجاج: «لَيْسَ عَلَيْكَ
هُدَاهُمْ» بالحمل على النفقة في وجوه البر فعلى هذا معناه التسليء و التقدير ليس عليك أن تهدي الناس إلى نيل الثواب، و الجنة و إنما
عليك أن تهديهم إلى الايمان بأن تدلهم عليه لأنه (عليه السلام) كان يغمتم إذا لم يؤمنوا التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٤
و لم يقبلوا منه لعلمه بما يصيرون إليه من العقاب فسلاهم الله بهذا القول. و إنه لا- ينبغي ترك مواساة ذوى القربى من أهل الشرك
ليدخلوا في الإسلام فيكون ذلك مباحاً للصدقة المندوبة عليهم. و قال ابن عباس، و ابن الحنفية، و سعيد بن جبير:
نزلت هذه الآية لأنهم كانوا يتقون الصدقة على المشركين حتى نزلت «لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ» و قوله. «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» إنما
علق الهداية بالمشيئة لمن كان في المعلوم أنه يصلح باللفظ و ليس كل أحد يصلح به فلذلك جاء الاختصاص بالمشيئة. و قال أبو
على الجبائي: الهداية في الآية هو إلى طريق الجنة و ذلك يختص بالمؤمنين المستحقين للثواب و الأول اختيار البلخي و ابن الأخشاد و
الزجاج و أكثر أهل العلم.

و قوله: «وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ» معناه فلماذا يجب ألا تمنوا بالصدقة و الإنفاق: إذ كان لأنفسكم
من حيث هو ذخر لكم و لا ابتغاء وجه الله الذي هو يوفّر به الجزاء لكم فهو من كل وجه عائد عليكم و ليس كتمليك الله لعباده إذ
نفعه راجع عليهم كيف تصرف الحال بهم، فلذلك افترق ذكر العطية منه (تعالى)، و العطية من غيره. و معنى قوله «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ»
إلا ابتغاء رضوان الله. و استدل بذلك على حسن باطن المعنيين بالآية.

و انهم كانوا ينفقونه لوجه الله خالصاً. و قيل معناه و ما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، فكيف يضع سعيكم و إنفاقكم. و قيل في ذكر
الوجه قولان:

أحدهما- لتحقيق الاضافة إليه، لأن ذكره يزيل الإبهام انه له أو لغيره، لأنك إذا اختصاصت ذكر الوجه و معناه التبيين، دل على أنك
أردت الاختصاص و إزالة الإبهام، و رفع الاشتراك و حققت الاضافة.

و الثاني- لأشرف الذكرين في الصفة لأنه إذا قلت: فعلته لوجه زيد فهو أشرف في الذكر من فعلته [لزيد]. لأن وجه الشيء في الأصل
أشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر في الصفة فقط من غير تحقيق وجه ألا ترى أنك تقول:

وجه هذا الأمر كذا و هذا أوجه الرأي و هذا أوجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٥

و إنما يريد أشرف ما فيه من أجل شدة ظهوره و شدة بيانه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٣] ص : ٣٥٥

إشارة

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) آية واحدة.

قرأ حمزة و عاصم و ابن عامر «يحسبهم» - بفتح السين - الباقون بكسرها. قال مجاهد، و السدي: الفقراء المذكورون في الآية هم فقراء المهاجرين. و قال أبو جعفر (ع) نزلت في أصحاب الصفة.

و العامل في الفقراء محذوف و تقديره النفقة للفقراء و قد تقدم ما يدل عليه. و قال بعضهم هو مردود على اللام الاولى في قوله: (وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسَكُمْ) قال الرماني هذا لا يجوز لأن بدل الشيء من غيره لا يكون إلا و المعنى يشتمل عليه. و ليس كذلك ذكر النفس هاهنا، لأن الإنفاق لها من حيث هو عائد عليها، و للفقراء من حيث هو. و اصل إليهم و ليس من باب «وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة و لا يجوز أن يكون العامل فيه «تنفقوا» لأنه لا يفصل بين العامل و المعمول فيه بما ليس منه كما لا يجوز كانت الحمى تأخذ.

اللغة: ص : ٣٥٥

و قوله: «الَّذِينَ أُحْصِرُوا» فالاحصار منع النفس عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة و الحصر هو منع الغير و ليس كالأول، لأنه منع النفس. و قال قتادة و ابن زيد: منعوا أنفسهم من التصرف في التجارة للمعاش خوف العدو من الكفار.

و قال السدي: منعهم الكفار و الخوف منهم، و لو كان الأمر على ما ذكر لكان التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٦ حصروا لأن الذي يمنعه العدو محصور و الذي يمنع نفسه محصر، و يحسبهم - بفتح السين و كسرهما - لغتان و معناه يظنهم و لا يعرف حالهم «أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» و قوله: (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ) ليس معناه أنهم لا يقدرون و إنما معناه أنهم ألزموا أنفسهم أمر الجهاد فمنعهم ذلك من التصرف كقولك: أمرني الوالي أن أقيم، فما أقدر أن أبرح معناه ألزمت نفسي طاعته لا أني لا أقدر عليه. و تقول ضربت في الأرض ضرباً و مضرباً إذا سرت فيها و ضرب الجرح إذا ألم ضرباناً و ضرباً، و ضرب الفحل الناقة: إذا طرقها ضرباً و الضريب. الجليد تقول:

ضربت الأرض و جلدت. رواه الكسائي. و قوله: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» فالسيما العلامة.

المعنى: ص : ٣٥٦

و قال مجاهد: معناه هاهنا التخشح. و قال السدي، و الربيع: علامة الفقر و أصل سيما الارتفاع لأنها علامة رفعت للظهور. و منه السؤم في البيع: و هو الزيادة في مقدار الثمن، للارتفاع فيه عن الحد. و منه سوم الخسف للتوقع فيه بتحميل ما يشق. و منه سوم الماشية إرسالها في المرعى. و قوله: «لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا» لا يدل على أنهم كانوا يسألون غير إحفاف - في قول الفراء، و الزجاج، و البلخي،

و الجبائي- و إنما هو كقولك ما رأيت مثله. و أنت لم ترد أن له مثلاً ما رأيت و إنما تريد أنه ليس له مثل فيرى. و قال الزجاج معناه لم يكن سؤال، فيكون إلحاح كما قال امرؤ القيس:

على لا حب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطى جرجرا «١»

و المعنى لا منار به فيهتدى بها، و إنما وجهوه على ذلك، لأن في الكلام

(١) ديوانه: ٨٩. اللاحب: الطريق الواضح. و المنار: العلامة توضع لإرشاد المسافرين. سافه: شمه. العود: الجمل المسن الضخم. جرجر:

رغا و ضج. و قد مر صدره في ١: ١٨٩- ٢٨٩- ٤٤٤. في المطبوعة و آمالي المرتضى ١: ٢٢٨ الدبافى بدل (النباطى)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٧

دليلاً عليه، لأنه (تعالى) وصفهم بالتعفف و المعرفة بسيماهم دون الإفصاح بسؤالهم لأنهم لو أفصحوا به لم يحسبهم الجاهل أغنياء، لأنه إنما يجهل ما ينال بالاستدلال و إنما جاز هذا الاختصاص بالذكر لأن المعنى نفى صفة الذم عنهم. و قوله: «إلحافاً» قال الزجاج هو مأخوذ من اللحاف لاشتماله على وجوه الطلب في المسألة كاشتمال اللحاف في التغطية و قال غيره: لأنه يلزم لزوم اللحاف في غير وقته. و في الآية دلالة على فساد قول المجبرة في الاستطاعة، لأنه تعالى إذا عذر من لا يستطيع للمخافة كان من لا يستطيع لعدم القدرة أعذر. و قوله «و ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» معناه يجازيكم عليه كما قال «و ما تنفقوا من خير يعلمه الله».

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٤] ص: ٣٥٧

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) آية.

ذكر ابن عباس أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (ع) كانت معه أربعة دراهم فأنفقها على هذه الصفة بالليل و النهار. و في السر و العلانية. و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع)

و روى عن أبي ذر (ره) و الأوزاعي إنها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله. و قيل هي في كل من أنفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة و إذا قلنا أنها نزلت في علي (ع) فحكمها سار في كل من فعل مثل فعله.

و له فضل الاختصاص بالسبق إلى ذلك. و نزول الآية من جهته. و قيل في قسمة الأموال في الإنفاق على الليل و النهار و الاسرار و الإعلان أفضل من الإنفاق على غير ذلك الوجه قولان: قال ابن عباس: إن هذا كان يعمل به حتى نزل فرض الزكاة في براءة. و الثاني- إن الأفضل موافقة هذه الصفة التي وصفها الله. و هو الأقوى لأنه الظاهر، و قال الرماني، و من تابعه من المعتزلة لا يجب هذا الوعد التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٨

إذا ارتكب صاحبها الكبيرة من الجرم كما لا يجب إن ارتد عن الايمان إلى الكفر و إنما يجب لمن أخلصها مما يفسق بها و هذا عندنا ليس بصحيح، لأن القول بالإحباط باطل و مفارقة الكبيرة بعد فعل الطاعة لا تحبط ثواب الطاعة بحال. و إنما يستحق بمعصيته العقاب و لله فيه المشيئة، فأما الارتداد فعندنا أن المؤمن على الحقيقة لا يجوز أن يقع منه كفر، و متى وقع ممن كان على ظاهر الايمان ارتداد علمنا أن ما كان يظهره لم يكن إيماناً على الحقيقة، و إنما قلنا ذلك لأنه لو كان إيماناً لكان مستحقاً به الثواب الدائم فإذا ارتد فيما بعد استحق بارتداده عقاباً دائماً فيجتمع له استحقاق الثواب الدائم و العقاب الدائم و ذلك خلاف الإجماع و قوله: «الذين» رفع بالابتداء و ما بعده صلة له و خبره «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و إنما دخل الفاء في خبر الذين لأن فيها معنى الجزاء، لأنه يدل على أن الأجر من أجل الإنفاق في طاعة الله. و لا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء و إنما رفع «و لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» و نصب «لَا رَيْبَ فِيهِ» لأجل تكرير (لا) في جواب إذا قال الشاعر:

و ما صرمتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل

فأما «لا- رَيْبَ فِيهِ»، فجواب (هل) من ريب فيه، فليل لا ريب فيه على عموم النفي كما أن السؤال على استغراق الجنس بمن فالاعتماد في أحدهما على عموم النفي وفي الآخر على اشتمال النفي على شيئين قد توهم إثبات أحدهما. والإنفاق إخراج ما كان من المال عن الملك ولهذا لا يصح في صفة الله (تعالى) الإنفاق:

وهو موصوف بالإعطاء لعباده ما شاء من نعمه لأن الإعطاء إيصال الشيء إلى الآخذ له والسر: إخفاء الشيء في النفس فأما إخفاؤه في خباء، فليس بسر في الحقيقة، ومنه السرار والمسارة لأن كل واحد منهما يخفي الشيء عن غيره إلا عن صاحبه، والعلانية، نقيض السر وهو إظهار الشيء وإبرازه من النفس.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٥٩

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٥] ص: ٣٥٩

إشارة

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا - كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) آية.

المعنى: ص: ٣٥٩

أصل الربا: الزيادة من قولهم ربا الشيء يربو ربواً إذا زاد. والربا: هو الزيادة على رأس المال. في نسيئة أو مماثلة أو ذلك كالزيادة على مقدار الدين للزيادة في الأجل أو كاعطاء درهم بدرهمين أو دينار بدينارين، والمنصوص عن النبي (ص) تحريم التفاضل في ستة أشياء الذهب، والفضة، والحنطة، والشعير، والتمر، والملح. وقيل: الزبيب: فقال النبي (ص) فيها مثلاً بمثل يداً بيد من زاد أو استزاد، فقد أربى.

هذه الستة أشياء لا خلاف في حصول الربا فيها، وباقي الأشياء عند الفقهاء مقيس عليها. وفيها خلاف بينهم، وعندنا أن الربا في كل ما يكال أو يوزن إذا كان الجنس واحداً، منصوص عليه. والربا محرم متوعد عليه كبيرة بلا خلاف، بهذه الآية، وقوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» (١) وقوله: «لا- يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» قال ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، والحسن، ومجاهد، وقادة: إن قيامهم على هذه الصفة يكون

(١) سورة البقرة آية: ٧٨-٧٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٠

يوم القيامة: إذا قاموا من قبورهم، ويكون ذلك إمارة لأهل الموقف على أنهم أكلة الربا. وقوله: «يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ» مثل عند أبي على الجبائي لا حقيقة على وجه التشبيه بحال من تغلب عليه المرة السوداء، فتضعف نفسه ويلج الشيطان بإغوائه عليه فيقع عند تلك الحال ويحصل به الصرع من فعل الله. ونسب إلى الشيطان مجازاً لما كان عند وسوسته. وكان أبو الهذيل وابن الأخشاد يجيزان أن يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض قالوا. لأن الظاهر من القرآن يشهد به، وليس في العقل ما يمنع منه وقال الجبائي: لا يجوز ذلك، لأن الشيطان خلق ضعيف لم يقدره الله على كيد البشر بالقتل والتخييط ولو قوى على ذلك لقتل المؤمنين الصالحين

و الداعين إلى الخير، لأنهم أعداؤه، و من أشد الأشياء عليه. و في ذلك نظر و أصل الخبط: الضرب على غير استواء، خبطته أخبطه خبطاً. و الخبط ضرب البعير الأرض بيديه و التخبط المس بالجنون أو التخيل، لأنه كالضرب على غير استواء في الادهاش. و الخبطة البقية من طعام أو ماء أو غيره لأنه كالصبه من الدلو و هي الخبطة به، و الخبط: ورق تعلقه الإبل. و الخباط: داء كالجنون، لأنه اضطراب في العقل كالاضطراب في الضرب.

و الخبطة كالزكمة، لأنها تضرب بالانحدار على اضطراب. و الخباط سمة في الفخذ لأنها تضرب فيه على اضطراب و معنى قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» إن المشركين قالوا: الزيادة على رأس المال بعد مصيره على جهة الدين كالزيادة عليه في ابتداء البيع و ذلك خطأ، لأن أحدهما محرم و الآخر مباح، و هو أيضاً منفصل منه في العقد، لأن الزيادة في أحدهما لتأخير الدين و في الآخر لأجل البيع. و الفرق بين البيع و الربا: أن البيع يبذل لأن الثمن فيه بدل المثلث. و الربا ليس كذلك و إنما هو زيادة من غير بدل للتأخير في الأجل أو زيادة في الجنس «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا» و قوله: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ» قال أبو جعفر من أدرك الإسلام و تاب مما كان عمله في الجاهلية، وضع الله عنه ما سلف. و قال السدي: له ما أكل، و ليس عليه رد ما سلف، فأما ما لم التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦١

يقبض بعد، فلا يجوز له أخذه. و له رأس المال. و قال الطبري: الموعظة التذكير و التخويف الذي ذكره الله و خوفهم به من آي القرآن و أوعدهم عليه إذا أكلوا الربا من أنواع العقاب. و قوله: «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه بعد مجيء الموعظة و التحريم، و بعد انتهاء أكله إلى الله (تعالى) عصمته، و توفيقه إن شاء عصمه عن أكله و ثبته في انتهائه عنه، و إن شاء خذله. و يحتمل أن يكون أراد، فله ما سلف يعني من الربا المأخوذ دون العقاب الذي استحقه.

اللغة: ص: ٣٦١

و قوله: «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه في جواز العفو عنه إن لم يتب و كل شيء قدمته امامك فهو سلف. و السلوف التقدم يقال: سلف يسلف سلوفاً و منه الأمم السالفة أي الماضية. و السالفة أعلى العنق. و الاسلاف الإعطاء قبل الاستحقاق تقول أسلفت المال إسلافاً، و سلافة الخمر: صفوها لأنه أول ما يخرج من عصيرها و السلفة: جلد رقيق يجعل بطانة للخفاف. و سلف الرجل: المتزوج باخت امرأته و السلفة ما تدخره المرأة لتتحف به زائراً، و أصل الباب التقدم. و قوله: «وَ مَنْ عَادَ» فالعود هو الرجوع تقول عاد يعود عوداً إذا رجع. و عيادة المريض: المصير إليه لتعرف خبره. و العود: من عيدان الشجر، لأنه يعود إذا قطع و منه العود الذي يتبخر به. و العود: المسن من الإبل. و المعاد كل شيء إليه المصير. فالآخرة معاد الناس أي مرجع. و قوله: «الرَّادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» (١) يعني مكة بأن يفتحها عليه.

و الاعادة: فعل الشيء ثانية و هو المبدئ المعيد. و العادة تكرر الشيء مرة بعد مرة. و تعود الخير عادة. و العيد كل يوم مجمع عظيم، لأنه يعود في السنة أو في الأسبوع. و العائدة الصلة لأنها تعود بنفع على صاحبها و أصل الباب الرجوع.

(١) سورة القصص آية: ٨٥

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٢

تقول: عاد عوداً و اعتاد اعتياداً و استعاد استعادةً و عود تعويداً، و تعود تعوداً، و عاود معاودةً.

المعنى: ص: ٣٦٢

و معنى الآية و من عاد لأكل الربا بعد التحريم. و قال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من أن البيع مثل الربا «فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» لأن ذلك لا يصدر إلا من كافر، لأن مستحل الربا كافر بالإجماع فلذلك توعد به عذاب الأبد. و الخلود و الوعيد في الآية يتوجه إلى من أربى، و إن لم يأكله و إنما ذكر الله الذين يأكلون الربا لأنها نزلت في قوم كانوا يأكلونه، فوصفهم بصفتهم و حكمها سائر في جميع من أربى. و الآية الأخرى التي ذكرناها و تبين معناها فيما بعد تبين ما قلناه و عليه أيضاً الإجماع و قيل في علته تحريم الربا أن فيه تعطيل المعاش و الاجلاب و المتاجر إذا وجد المربى من يعطيه دراهم و فضلاً بدراهم.

و قال أبو عبد الله (ع) إنما شدد في تحريم الربا لثلاث يمتنع الناس من اصطناع المعروف فرضاً أو رفاً و أما ذكر الموعظة هاهنا و أنها في قوله: «قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» لا مرين:

أحدهما- أن كل تأنيب ليس بحقيقي جاز فيه التذكير و التأنيث فجاء القرآن بالوجهين معاً. و الثاني- أنه ذكر هاهنا لوقوع الفصل بين الفعل و الفاعل بالضمير و أنت في الموضوع الذي لم يفصل. و الربا محرم في النقد و النسيئة بلا خلاف و كان بعض من تقدم يقول لا ربا إلا- في النسيئة و الذي كان يريه أهل الجاهلية أن يؤخروا الدين عن محله إلى محل آخر بزيادة فيه و هذا حرام بلا خلاف. و مسائل البيع الصحيح منها و الفاسد و فروعها بينها في النهاية و المبسوط و كذلك مسائل الصرف فلا تطول بذكرها في هذا الكتاب.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٦] ص : ٣٦٢

إشارة

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٣

آية واحدة

اللغة: ص : ٣٦٣

المحق: نقصان الشيء حالاً بعد حال. محقه الله يحقه محققاً، فانمحق و امتحق أى هلك و تلف بذهابه حالاً بعد حال. و المحاق آخر الشهر لا محاق الهلال فيه.

و الشيء محيق بمعنى محق و أصل الباب المحق فان قيل بأى شيء «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ؟» قلنا: يحقه بأن ينقصه حالاً بعد حال. و قال البلخي محقه في الدنيا بسقوط عدالته و الحكم بفسقه و تسميته بالفسق.

المعنى: ص : ٣٦٣

و قوله «وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ» معناه يزيدها بما يثمر المال في نفسه و بالأجر عليه و ذلك بحسب الانتفاع بها و حسن النية فيها و وجه زيادته على المستحق بالعمل تفصل بالوعد به

و قد روى عن النبي (ص) أن الله يقبل الصدقة، و لا يقبل منها إلا الطيب و يربها لصاحبها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد،

و ذلك قوله: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ» و قوله: «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» إنما لم يقل كل كافر مع دخول الكفار في الكافر لأن كل كافر كافر و ليس كل كافر كفار للدلالة على أن مستحل الربا في قوله «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» مع أنه كافر كفار، و يجوز

للدلالة على صفات الذم إذ قد يتوهم أن الكفار من استكثر من كفر نعمة إنسان لا يبلغ به استحقاق العقاب و يجوز أن يكون من باب الاختصاص لعظم المنزلة في الأمر الذي تعلق به الذكر «و الأثيم» هو المتمادي في الإثم. و الآثم: الفاعل للآثم و إنما قال لا يحبه و لم يقل يبغضه لأنه إذا لم يحب المكلف فهو يبغضه فقولك لا- يحبه الله من صفات الذم كما أن قولك لم ينصف في المعاملة من صفات الذم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٤

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٧] ص: ٣٦٤

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) آية واحدة.

المعنى: ص: ٣٦٤

إن قيل: إذا كان الثواب يستحق بخلوص الايمان فلم يشترط غيره من الخصال؟

قلنا: لم يذكر ذلك ليكون شرطاً في استحقاق الثواب على الايمان و إنما بين أن كل خصلة من هذه الخصال يستحق به الثواب و نظير ذلك ما ذكره في آية الوعيد في قوله: «و الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا» (١) فإنما بين أن كل خصلة من هذه الخصال يستحق بها العقاب لأن من المعلوم أن من دعا مع الله إلهاً آخر لا يحتاج إلى شرط عمل آخر استحق العقاب و إن كان الوعيد إنما يتوجه عليه بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحد منها و ليس التقييد في آيتي الوعيد يجري مجرى قوله: «و الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً» (٢) من قبل أن هذا معلق بحكم يجب بوجوبه و يرتفع بارتفاعه بإجماع و ليس كذلك ذكر هذه الخصال.

و هذه الآية تدل على أن أفعال الجوارح ليست من الايمان و إن الايمان هو التصديق بما وجب لأنها لو كانت من الايمان، لكان قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» قد اشتمل عليها فلا- معنى لذكرها بواو العطف إذ لا- يعطف الشيء على نفسه. فان قيل ذلك يجري مجرى قوله: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» (٣) و قوله:

(١) سورة الفرقان آية: ٤٨.

(٢) سورة النور آية: ٤. [.....]

(٣) سورة محمد آية: ١، و سورة النحل آية: ٨٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٥

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) (١) قلنا و الخلاف في هاتين كالخلاف في تلك لأننا لا نقول إن التكذيب بالآيات هو الكفر نفسه و إنما نقول هو دلالة على الكفر و كذلك الصد عن سبيل الله كما نقول: إن قول النبي (ص) فلان كافر يدل على كفره. و إن لم يكن ذلك كفراً و قال قوم: من المرجئ إن الوعد بهذه الخصال يدل على بطلان التحابط، لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس فعل هذه الخصال، و لم يشترط ألا يأتي بما يحبطها فان قيل لا بد أن يكون ذلك مشروطاً كما أن الوعيد على الكفر لا بد أن يكون مشروطاً بارتفاع التوبة منه،

لأن كل واحد من الأمرين إنما يستحق بخلوه مما ينافيه و إذا اتبع بكبيرة لم يخلص كما لم يخلص ما اتبع بتوبة. قلنا: إنما شرطنا الوعيد على الكفر بعدم التوبة لمكان الإجماع، لا لأن التوبة تسقط العقاب على الكفر، و إنما وعد الله (تعالى) تفضلاً بإسقاط العقاب على المعاصي بالتوبة منها، و ليس مثل ذلك موجوداً في آية الوعد لأنه ليس على شرط انتفاء الكبيرة إجماع، و العمل هو التغيير للشئء بالاحداث له أو فيه فإذا قيل: عمل فلان الصالحات كان معناه أحدثها و إذا قيل: عمل الموازين و الخوض و السروج و الصفر و غير ذلك، كان المراد أنه أحدث فيها ما تتغير به صورتها.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٨] ص : ٣٦٥

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)
آية واحدة.

النزول: ص : ٣٦٥

ذكر السدي و ابن جريج و عكرمة أن هذه الآية نزلت في بقية من الربا كانت للعباس و مسعود و عبد يأليل و حبيب و ربيعة. و بنى عمرو بن عمير و روى عن أبي جعفر (ع) أن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية و كان بقي له بقايا على

(١) سورة البقرة آية: ٣٩، و سورة المائدة آية: ١١، ٨٩ و سورة الحج آية: ٥٧ و سورة الحديد آية: ١٩، و سورة التغابن آية: ١٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٦

ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت هذه الآية في المنع من ذلك.

المعنى: ص : ٣٦٦

و معنى «ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا» ظاهره تحريم ما بقي ديناً من الربا و إيجاب أخذ رأس المال دون الزيادة على جهة الربا. و قوله: «إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» قيل فيه قولان: أحدهما- من كان مؤمناً فهذا حكمه. و الثاني- إذ كنتم مؤمنين. و الأول هو الأقوى.

اللغة: ص : ٣٦٦

و معنى «ذروا» اتركوا. و لم يستعمل منه وذر، و لا واذر لكراهية الواو مبتدأة لأنها لم تزد أولاً في كلامهم كزيادة أختيها الياء و الهمزة. قال الخليل:

إذا التقت واوان في أول الكلمة أشبه بنباح الكلب فرفضوا ذلك إلا فيما هو عارض لا يعتد به فاستعملوا يذر، لأنه لا تظهر فيه الواو، و مثله يدع. فأما وعد فجاء على الأصل. فان قيل: لم جاز وصف المبهم بالوصول، و لم يحسن بالمضاد فجاز أن يقول: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و لم يحسن (يا أيها غلام زيد) قلنا: لأن المبهم حقه أن يوصف بالجنس المعرف بالألف و اللام، لأنه إذا عرض فيه تنكير

بطلت دلالة على الجنس، فاحتيج إلى وصفه بالجنس لذلك. فان قيل: هلا جاز (يا أيها غلام الرجل) كما جاز (نعم غلام الرجل) إذ المضاف إلى الجنس يقوم مقام الجنس. قيل: لأنه لا يجوز في الأسماء التامة أن تكون ثلاثة أسماء بمنزلة اسم واحد منها. وقد جعل (يا أيها الرجل) بمنزلة اسمين ضم أحدهما إلى الآخر نحو (حضر موت) ليكون بذلك أشد اتصالاً بالموصوف من سائر الصفات، فلم يجز في المضاف لما يجب له من شدة الاتصال و جاز في نعم، لأنه على الانفصال.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٧

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٧٩] ص: ٣٦٧

إشارة

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظَلَّمُونَ (٢٧٩) آية.

القراءة: ص: ٣٦٧

قرأ (فأذنوا) من الرباعي ممدودة حمزة و عاصم: من آذنت أي أعلمت. الباكون (فأذنوا).

المعنى: ص: ٣٦٧

و التقدير في قوله: «فإن لم تفعلوا» يعنى ترك ما بقى من الربا أو تجنب ما بقى من الربا، لأن ما تقدم دل عليه. و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: من عامل بالربا استتابه الامام فان تاب، و إلا قتله. و قال البلخي: لو اجتمع أهل قرية على اظهار المعاملة بالربا، لكان على الامام محاربتهم، و إن كانوا محرمين له، و لو فعل الواحد بعد الواحد، و الأكثر منكر لفعله لم يقتل الواحد، لكن يقام عليه من الحكم ما يستحقه. و عندنا أنه يؤدبه الامام ثلاث مرات بما يرتدع معه عن فعل مثله فان عاد رابعاً قتله.

اللغة: ص: ٣٦٧

و معنى قوله: «فأذنوا» ممدوداً: علموا غيركم. و من قرأ بالقصر فهو من أذنت به آذن إذا علمت به. و قوله: «بحرب من الله» فالحرب: القتال.

و الحرب: الشدة. و الحربة: التى يطعن بها من آله الحرب. و التحريب: التحريش.

لأنه حمل على ما هو كالحرب من الأذى. و المحراب: مقام الامام، لأنه كموضع الحرب فى شدة التحفظ. و الحربا: المسمار الذى يجمع حلقتى الدرع. و الحرباء: دويبة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٨

أكبر من العطاء، لأنه ينتصب على الشجرة كمصلوب أخذ من الحرب لشدة طلبه للشمس تدور معها كيفما دارت. و أصل الباب الشدة. و معنى قوله: (وَإِنْ تُبْتُمْ) يعنى من الربا لأن الكلام يدل عليه، فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة على رأس المال و لا تظلمون بالنقصان. و روى فى الشواذ «لا تظلمون و لا تظلمون» و المعنى واحد و إنما فيه تقديم و تأخير و موضع (لا تظلمون) نصب على الحال. و تقديره فلكم رؤس أموالكم غير ظالمين و لا مظلومين.

وقوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٠] ص : ٣٦٨

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)

معنى قوله: وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ أى من غرمائكم إن كان معسراً. وارتفع ذو عسرة لأحد وجهين:

أحدهما- حذف الخبر، وتقديره وإن كان ذو عسرة غريماً لكم. الثانى- أن تكون كان التامة المكتفية باسمها وتقديره وإن وقع ذو عسرة أو وجد ذو عسرة وكان يجوز وإن كان ذو عسرة على تقدير وإن كان الذى عليه الدين ذا عسرة. وروى ذلك فى قراءة أبى. وقوله: (فناظرة) معناه فعليكم نظرة، و هل الانظار واجب فى كل دين أو فى دين الربا فقط. قيل فيه ثلاثة أقوال:

أولها- قال شريح، وإبراهيم فى دين الربا خاصة. والثانى- قال ابن عباس، والضحاك، والحسن:

فى كل دين. وهو قول أبى جعفر، وأبى عبد الله (ع).

الثالث- بالآية يجب فى دين الربا وبالقياس فى كل دين، واستدل على أنه يجب فى كل دين بأنه لا يخلو أن يجب فى ذمته أو فى رقبته أو عين ماله، فلو كان فى رقبته لكان إذا مات بطل وجوبه، ولو كان فى عين ما له كان إذا هلك بطل وجوبه فصح أنه فى ذمته، ولا سبيل له عليه فى غير ذلك من حبس أو نحوه.

وقرأ نافع (ميسرة)- بضم السين- الباقون بفتحها، وهما لغتان: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٦٩ ومعناه إلى أن يوسع عليه.

وقال أبو جعفر (ع) إلى أن يبلغ خبره الامام فيقضى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه فى معروف.

وقوله: (وَإِنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ) معناه على المعسر بما عليه من الدين خير لكم. وقيل إن معناه وإن تصدقوا بجميع المال على الفقراء. والاول أليق بما تقدم. وروى عن ابن عباس، وعمر أن آخر ما نزل من القرآن آى الربا. وروى عن مجاهد (ميسره) بالهاء فى الوصل مضافاً إلى الهاء. ولم يجز ذلك البصريون لأنه ليس فى الكلام مفعله. والإعسار الذى يجب فيه الانظار قال الجبائى: التعذر بالاعدام أو بكساد المتاع ونحوه.

وروى عن أبى عبد الله (ع) هو إذا لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوة عياله على الاقتصاد.

وروى عن عطا (فناظرة) وهو شاذ، وهو مصدر نحو قوله: «لَيْسَ لَوْقَعِهَا كاذِبَةٌ» «١» «وَتُظَنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» «٢» وكذلك العاقبة والعافية.

وقوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨١] ص : ٣٦٩**إشارة**

وَآتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

آية واحدة.

القراءة والنزول: ص : ٣٦٩

قرأ أبو عمرو، وحده (ترجعون) بفتح التاء الباقون بضمها. قال ابن عباس وعطية والسدى: هذه الآية آخر ما نزلت من القرآن. وقال جبريل (ع) وضعها فى رأس الثمانين والمائتين من البقرة.

المعنى: ص : ٣٦٩

وقيل في معنى ترجعون فيه إلى الله قولان:
أحدهما- ترجعون فيه إلى جزاء الله. الثاني- ترجعون فيه إلى ملك الله

(١) سورة الواقعة آية: ٢.

(٢) سورة القيامة آية: ٢٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٠

لنفعكم و ضرركم دون غيره ممن كان ملكه إياه في دار الدنيا. وقوله (ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) قيل فيه وجهان: أحدهما- توفى جزاء ما كسبت من الاعمال.

الثاني- توفى بما كسبت من الثواب أو العقاب، لأن الكسب على وجهين: كسب العبد لفعله و كسبه لما ليس من فعله ككسبه المال و قوله: (وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ) معناه لا- ينقصون ما يستحقونه من الثواب و لا يزداد عليهم فيما يستحقونه من العقاب و الآية تدل على أن الجزاء لا يكون إلا على الكسب لأنه لو كان خاصاً لجرى مجرى توفى كل نفس ما قالت و ليس مفهومه كذلك لأنه عام فيما يجازى به العبد و موضع «ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» نصب بانه عطف على صفه يوماً إلا أنه حذف منه فيه لدلالة الأول عليه.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٢] ص : ٣٧٠

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمٌ لِلشُّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧١

آية واحدة.

القراءة: ص : ٣٧١

قرأ حمزة وحده (ان تضل إحداهما) بكسر الالف. الباقون بفتحها. وقرأ ابن كثير، و أبو عمرو (فتذكر) بالتخفيف و النصب. وقرأ حمزة بالتشديد، و الرفع. وقرأ (تجارة حاضرة) بالنصب عاصم. الباقون بالرفع.

المعنى: ص : ٣٧١

قوله: «إِذَا تَدَايَنْتُمْ» معناه تعاملتم بدين. و إنما قال: «بدين» و إن كان تدايانتهم أفاده لأمرين:

أحدهما- أنه على وجه التأكيد كما تقول ضربته ضرباً. والثاني- أن تداينتم يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذي هو الجزء فإذا قال: بدين اختص بالدين خاصة «إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى» معناه معلوم وقوله: «فَأَكْتُبُوهُ» ظاهره الأمر بالكتابة. و اختلفوا في مقتضاه، فقال أبو سعيد الخدرى، و الشعبي، و الحسن:

هو مندوب إليه. و قال الربيع، و كعب: هو على الفرض. و الاول أصح، لإجماع أهل عصرنا على ذلك. و لقوله تعالى «فَبِأَنِّ آمِنًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ» و مفهومه فان آمنه فيما له أن يأمنه. و قال ابن عباس: هذه الآية في السلم خاصة. و قال غيره: حكمها في كل دين من سلم أو تأخير ثمن في بيع. و هو الأقوى لآية العموم. فأما القرض فلا مدخل له فيه لأنه لا يجوز مؤجلاً و قوله: (وَلَا يَأْتِ التَّبَيَّنُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٢، ص: ٣٧٢ كَاتِبٌ)

ظاهره النهى عن الامتناع من الكتابة، و النهى يقتضى تحريم الامتناع.

و قال عامر الشعبي هو فرض على الكفاية كالجهاد، و هو اختيار الرماني، و الجبائي و جوز الجبائي أن يأخذ الكاتب و الشاهد الأجرة على ذلك. و عندنا لا يجوز ذلك. و الورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين. و يكون الكتاب فى يده لأنه له. و قال السدى واجب على الكاتب فى حال فراغه. و قال مجاهد و عطا هو واجب إذا أمر. و قال الضحاك نسختها قوله: «وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ».

و قوله: (أَنْ يُكْتَبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيُكْتَبْ) يعنى الكاتب «وَلْيُعَلِّمِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ» أمر لمن عليه الحق بالاملا و هو و الاملاء بمعنى تقول أمليت عليه و أملت عليه بمعنى واحد. و قوله: (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) معناه لا يملل إلا الحق الذى عليه و الإملا المراد به الندب لأنه لو أملاً غيره و أشهد هو كان جائزاً بلا خلاف.

و قوله: (وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا) أى لا- ينقص منه شيئاً و البخس النقص ظلماً. و قد ببخسه حقه ببخسه بخساً إذا نقصه ظلماً و منه قوله تعالى «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» أى لا- تنقصوهم ظالمين لهم و منه قوله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) أى ناقص عن حقه و البخس فقاً العين لأنه إدخال نقص على صاحبها و تبأخس القوم فى البيع إذا تعاتبوا و قوله: (فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا) قال مجاهد السفيه: الجاهل.

و قال السدى الصغير و أصل السفه الخفة و من ذلك قول الشاعر:

مشين كما اهترت رماح تسفهت أعاليها مَرَّ الرياحِ النواسم «١»

أى استخفتها الرياح و قال الشاعر:

نخاف أن يسفه أحلامنا فنحمل الدهر مع الخامل

أى تخف أحلامنا فالسفيه الجاهل، لأنه خفيف العقل بنقصه. و قوله:

«أَوْ ضَعِيفًا» قال مجاهد و الشعبي: هو الأحمق. و قال الطبرى: هو العاجز عن الاملاء بالعى أو بالخرس «أَوْ لَا يَسْتَيْطِيعُ أَنْ يُمَلَّ» قال ابن عباس: هو العى الأخرس. و قيل: المجنون. و الهاء فى قوله «وليه» عائدة إلى السفيه- فى قول

(١) اللسان (سفه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٣

الضحاك، و ابن زيد- الذى يقوم مقامه. و قال الربيع: ترجع إلى ولى الحق.

و الاول أقوى. و إذا أشهد الولى على نفسه فلا يلزمه المال فى ذمته بل يلزم ذلك فى مال المولى عليه. و قوله: «وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ» يعنى من رجال الأحرار المسلمين دون الكفار و العبيد- فى قول مجاهد- و الحرية ليست عندنا شرطاً فى قبول الشهادة و

إنما الإسلام شرط من العدالة. و به قال شريح و البتي، و أبو ثور، و مثله قوله: (وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ) «١» و قوله: «فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» يحتمل رفعه أربعة أوجه: أحدها- فليكن رجل و امرأتان. الثاني- فليشهد رجل و امرأتان.

الثالث- فالشاهد رجل و امرأتان. الرابع- فرجل و امرأتان يشهدون و كل ذلك حسن. و كان يجوز أن ينصب رجلا و امرأتين بمعنى و استشهدوا رجلا و امرأتين.

و قوله: «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى» يحتمل وجهين:

أحدهما- قال الربيع و السدي و الضحاك و أكثر المفسرين إنه من الذكر الذى هو ضد النسيان. و قال سفيان بن عيينة: هو من الذكر. و معناه أن تجعلها كذكر من الرجال. و معنى أن تضل لأن تضل أو من أجل أن. فان قيل لم قال «أَنْ تَضِلَّ» و إنما الاشهاد، للاذكار لا للضلال قيل عنه جوابان:

أحدهما- قال سيبويه أنه لما كان الضلال سبب الاذكار قدّم لذلك و جاز لتعلق كل واحد منهما بالآخر فى حكم واحد فصار بمنزلة ما وقع الاشهاد للمرأتين من أجل الضلال، كما وقع من أجل الاذكار و كثيراً فى السبب و المسبب أن يحمل كل واحد منهما على الآخر، و مثله أعددت الخشب أن تميل الحائط فأدعمه و إنما أعددته فى الحقيقة للدعم و لكن حمل عليه الميل لأنه سببه.

الثاني- قال الفراء إنه بمعنى الجزاء على أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت إلا- أنه لما قدّمت (أن) اتصلت بما قبلها من العامل فانفتحت. و مثله يعجبني أن سأل السائل فيعطى. و إنما يعجبك الإعطاء دون المسألة. و مثله قوله:

(١) سورة النور آية: ٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٤

«وَ لَوْ لَا أَنْ تَصَّ بِبِهِمْ مُصَّ بِيَهُ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا» «١» و معناه و لو لا- أن يقولوا أن أصابهم مصيبتهم، و إنما قدّم و آخر. قال الرماني قول سيبويه فى هذا أقوى لما فى الثانى من الدعوى لإخراج الجزاء إلى المصدر لغير فائدة. و أنكر بعضهم قراءة حمزة «إن تضل»- بكسر الهمزة- و قال الرماني:

لا معنى لهذا الإنكار، لأن عليها إجماع الأمة و تسليم القراءة بها و لها وجه صحيح فى العربية. و قال أبو على الفارسي إن حمزة جعل إن للجزاء، و الفاء فى قوله «فتذكر» جواب الجزاء، و يكون موضع جوابه رفعاً بكونها وصفاً للمنكرين و هما المرأتان فى الآى و قوله: (فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ) خبر ابتداء محذوف، و تقديره فمن يشهد رجل و امرأتان، و انفتحت اللام فى هذه القراءة لالتقاء الساكنين، و موضعها الجزم و لو كسرت، لكان جائزاً و قال قوم: غلط سفيان بن عيينة فى تأويله، لأن إحداهما إذا نسيت لم تجعلها الأخرى ذكراً و هذا ليس بشىء، لأن المعنى تذكرها تصير معها بمنزلة الذكر لأن بعدهما من النسيان إذا اجتمعا بمنزلة بعد الذكر، فان قيل: فلم قال «فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى» فكرر لفظ إحداهما، و لو قال فتذكرها الأخرى لقام مقامه مع اختصاره. قيل قال الحسين بن على المغربي: إن تضل إحداهما يعنى إحدى الشهادتين أى تضيع بالنسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى، لثلا يتكرر لفظ إحداهما بلا معنى و يؤيد ذلك أنه يسمى ناسى الشهادة ضالاً. و يجوز أن يقال: ضلت الشهادة إذا ضاعت كما قال تعالى: «قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا» «٢» أى ضاعوا منا و يحتمل أن يكون إنما كرر لثلا يفصل بين الفعل و الفاعل بالمفعول فان ذلك مكروه غير جيد، فعلى هذا يكون إحداهما الفاعلة و الأخرى مفعولاً بها. و قوله: (وَ لَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا) قيل فى معنى ما دعوا إليه ثلاثة أقوال:

أحدها- لا ثبات الشهادة فى الكتاب و تحملها ذهب إليه ابن عباس، و قتادة،

(١) سورة القصص آية: ٤٧.

(٢) سورة الاعراف آية: ٣٦، و سورة المؤمن آية: ٧٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٥

و الربيع. الثاني - قال مجاهد، و عامر، و عطا ذلك إذا دعوا لإقامتها. الثالث - في

رواية عن ابن عباس، و الحسن، و أبي عبد الله (ع) لإقامتها و إثباتها.

و هو أعم فائدة. و قال الطبرى: لا يجوز إلا إذا دعوا لإقامتها، لأن قبل أن يشهدوا لا يوصفون بأنهم شهداء. و هذا باطل لأنه تعالى قال:

«وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ» فسامهما شاهدين قبل إقامة الشهادة.

اللغة: ص: ٣٧٥

و قوله: (وَ لَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ) فالسأم:

الملل، سئم يسأم سأمًا إذا مل من الشيء و ضجر منه قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة و من يعش ثمانين حولًا لا أبالك يسأم (١)

و الصغير: خلاف الكبير صغر الشيء يصغر صغراً، و صغره تصغيراً و استصغره استصغاراً و تصاغر تصاغراً، و صغر يصغر صغراً و صغاراً:

إذا رضى بالضم، لأنه رضى باستصغاره. و تصاغرت إليه نفسه ذلاً و مهانَةً. و الاصغار حنين الناقة الحفيضة و الإكبار حنينها الكبير. و

الهاء فى قوله: «أجله» يحتمل أن تكون عائدة إلى أجل الدين. و هو الأقوى. و الثانى إلى أجل الشاهد. أى الوقت الذى تجوز فيه

الشهادة. و قوله: «ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» معناه أعدل و القسط: العدل تقول: أقسط إقساطاً، فهو مقسط إذا عدل و منه قوله: «إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» و القسط: الحصه تقول أخذ فلان قسطه أى حصته. و قد تقسطوا الشيء بينهم أى اقتسموه على القسط أى على

العدل. و كل مقدار قسط لأنه عدل غيره بالمساواة له. و القسوط: الجور لأنه عدول عن الحق قسط يقسط قسطاً، فهو قاسط إذا جاز عن

الحق. و قوله تعالى: «أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا»

(٢) و الرجل القسطاء: التى فى ساقها اعوجاج لعدوله عن الاستقامة.

(١) من معلقته الشهيرة: ديوانه ٩.

(٢) سورة الجن آية: ١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٦

المعنى: ص: ٣٧٦

و قوله: (وَ أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) معناه أصح لها مأخوذ من الاستقامة. و قوله:

«وَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَزْتَابُوا» أى أقرب ألا تشكوا بأن ينكر من عليه الحق. و قيل:

بالا ترتابوا بالشاهد أن يضل، و قوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً» فمن رفع احتمال رفعه أمرين:

أحدهما - أن تكون (كان) تامه بمعنى وقع، فيكون اسم كان، و يحتمل أن تكون ناقصة و يكون اسمها و الخير تديرونها. و من نصب

معناه أن تكون التبايع تجارة أو التجارة تجارة. و قوله: «وَ اسْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» قال الضحاك:

الاشهاد: فرض فى التبايع و به قال أصحاب الطاهر و اختاره الطبرى. و قال الحسن، و الشعى ذو ندب. و هو الصحيح و به قال جميع

الفقهاء. و قوله «وَ لَا يُضَارُّ» أصله يضار - بكسر الراء - عند الحسن، و قتاده، و عطا، و ابن زيد، و قيل:

المضارة و هو أن يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه، و يكتب الكاتب بما لم يمل عليه.

ذهب إليه الحسن، و طاوس، و هو الأقوى. بدلالة قوله «وَإِنْ تَفَعَّلُوا» يعنى المضارة «فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» أى معصية فى قول ابن عباس، و مجاهد، و الضحاك. و من دعا الشاهد و هو مشغول، فتأخر لا يكون فاسقاً بلا خلاف. و قال ابن مسعود، و مجاهد- بفتح الراء- و معناه لا يدعى الكاتب، و الشاهد، و هو مشغول على وجه الإضرار به. و معنى قوله: «صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا» معناه هو فى العادة صغير جرت العادة بكتب مثله، و لا يريد بذلك ما قدره حبه أو قيراط، لأن ذلك لم تجر العادة بكتب مثله، و الاشهاد عليه و ليس فى الآية ما يدل على أنه لا- يجوز الحكم بالشاهد و اليمين، لأن الحكم بالشاهد و المرأتين أو بالشاهدين لا يمنع من قيام الدلالة على جواب الحكم بالشاهد مع اليمين. و لا يكون ذلك نسخاً لذلك، لأنه ليس بمناف للمذكور فى الآية و الحكم بالشاهد و المرأتين يختص بما يكون مالا- أو المقصد به المال فأما الحدود التى هى حق الله و حقوق الآدميين و ما يوجب القصاص، فلا يحكم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٧

فيها بشهادة رجل و امرأتين، و كذلك عندنا فى الشاهد، و اليمين حكم الشاهد و المرأتين سواء. و قد بسطنا مسائل الشهادات، و فروعها، و ما يقبل منها و ما لا- يقبل و أحكام شهادة النساء و العبيد و غير ذلك فى كتابنا النهاية، و المبسوط، فلا معنى للتطويل بذكرها هاهنا. و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه و عقابه. و قوله: «وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ» معناه يعلمكم ما فيه صلاح دينكم و دنياكم و ما ينبغى لكم فعله، و ما يحرم عليكم. و الله عليم بذلك و بما سواه من المعلومات فلذلك، قال «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

الاعراب: ص : ٣٧٧

و قال أبو على الفارسي «أَنْ تَضِلَّ إِخِيْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِخِيْدَاهُمَا الْأُخْرَى لَا يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ: «وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ» «أَنْ تَضِلَّ إِخِيْدَاهُمَا» و لكن يتعلق بأن يفعل مضمرة دل عليه هذا الكلام، لأن قوله: «فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» يدل على قولك و استشهدوا رجلاً و امرأتين، فتعلق (ان) إنما هو بهذا الفعل المدلول عليه. قال و يجوز أن تتعلق (ان) بأحد ثلاثة أشياء. أحدها- المضمرة الذى دل عليه قوله: «وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ». الثانى- الفعل الذى هو فليشهد رجل و امرأتان. الثالث- الفعل الذى هو خبر المبتدأ، و تقديره فرجل و امرأتان يشهدون، فيكون يشهدون خبر المبتدأ. قال و قوله: «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ»، و لا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف إعراب الموصوفين ألا ترى أن شهيدين منصوبان، و رجل و امرأتان اعرابهم الرفع، فإذا كان كذلك علمت أن الوصف الذى هو ظرف إنما هو وصف لقوله: «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» دون من تقدم ذكرهما من الشاهدين، و الشرط و جزاؤه وصف للمرأتين، لأن الشرط، و الجزاء جملة يوصف بها كما يوصل بها فى قوله: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ...» الآية «١».

(١) سورة الحج آية ٤١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٨

اللغة: ص : ٣٧٨

و أما إحدى فهو مؤنث الواحد و الواحد الذى مؤنثه إحدى إنما هو اسم و ليس. بوصف و لذلك جاء احدى على بناء لا يكون للصفات أبداً كما كان الذى هو مذكوره كذلك و قال أحمد بن يحيى قالوا: هو إحدى الأحد، و واحد الأحدين و واحد الآحاد و

أنشد:

عدوني الثعلب فيما عدوا حتى استثاروا بي أحدى الأحد
ليثاً هزبراً ذا سلاح معتدى (١)

المعنى: ص: ٣٧٨

وقوله: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً» استثناء من جملة ما أمر الله بكتابته والاشهاد عليه عند التباعد فاستثنى منه يداً بيد فانه لا يحتاج إلى الكتابة ولا الاشهاد عليه، والأول يحتاج إليه على خلاف، في كونه ندباً أو وجوباً كما ذكرناه.

وقيل في البقرة خمسمائة حكم وفي هذه الآية أربعة عشر حكماً أولها قوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ» و الثاني - «وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ» الثالث - «وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ» والرابع - «وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ» وهو أقداره إذا أملاه. الخامس - «وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا». أى لا يخون، ولا ينقصه. السادس - «فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهِيفًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ» أى لا يحسن «فَلْيُمْلِلْ وَثِيهٌ بِالْعَدْلِ» السابع - «وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ» و الثامن - «فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى النَّاسِ» - «وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا» و العاشر - «وَلَا تَسِيءُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ» أى لا تضجروا. و الحادى عشر - «ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً

(١) هكذا في المطبوعة. و لم نجدتها في مصادرنا - وهي كما ترى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٧٩

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا» الثاني عشر - «وَاسْتَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» الثالث عشر - «وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» الرابع عشر - «وَأِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» و قال قوم: فيها إحدى و عشرون حكماً: «إِذَا تَدَايَيْتُمْ» حكم «فَاكْتُبُوهُ» حكم «وَلَا يَبْخَسْ» حكم «فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهِيفًا» حكم «أَوْ ضَعِيفًا» حكم «أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ» حكم «فَلْيُمْلِلْ وَثِيهٌ بِالْعَدْلِ» حكم «وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ» حكم «فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ» حكم «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» حكم «وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ» حكم «وَلَا تَسِيءُوا» حكم «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً» حكم «وَاسْتَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» حكم «وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ» حكم «وَلَا شَهِيدٌ» حكم.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٣] ص: ٣٧٩

إشارة

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَهْوٍ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)
آية بلا خلاف.

القراءة و اللغة: ص: ٣٧٩

قرأ أبو عمرو و ابن كثير «فرهن» على وزن فعل. الباقون «فرهان» على فعال. الرهن مصدر رهن الشيء أرهنه رهناً و أرهنته إرهاناً. و

الأول أفصح قال الشاعر في أرهنت:

فلما خشيت أظافيره نجوت و أرهنته مالكا «١»

و قال الازهرى:

أرهنت فى الشىء إذا سلفت فيه.

(١) قيل ان البيت لهما بن مرة، و فى الصحاح لعبد الله بن همام السلولى. اللسان (رهن) و روايته (اظافيرهم) بدل (أظافيره). فى المطبوعة (نحرت) بدل نجوت.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٠

قال الشاعر:

عيديه أرهنت فيها الدنانير «١»

و أرهنته ارتهاناً و تراهنوا تراهنأ. و راهنه مراهنه و استرهنه استرهانأ.

و الإنسان رهين عمله. و كل شىء يحتبس غيره فهو رهينه و مرتهنه. و أصل الباب الرهن:

حبس الشىء بما عليه و واحد الرهن رهان. و هو جمع الجمع نحو ثمار و ثمر فى قول الكسائى، و القراء. و قال أبو عبيدة: واحده رهن نحو سقف و سقف. و قيل لا يعرف فى الأسماء فعل و فعل غير هذين. و زاد بعضهم قلب النخلة و قلب. فأما (رهان) فهو جمع رهن، و هو على القياس نحو حبل و حبال، و فعل و فعال، و كبش و كباش، و إنما اختار أبو عمرو: فرهن لأنه موافق لخط المصحف، و لعلبة الاستعمال فى الرهان فى الخيل، و اختاره الزجاج أيضاً. و من اختار (رهان) فلاطراده فى باب الجمع. و كل حسن. و ارتفع (فرهن) بأنه خبر ابتداء محذوف تقديره فالوثيقه رهن و يجوز فعليه رهن. و لو قرئ «فرهناً» بالنصب بمعنى فارتهنوا رهناً جاز فى العربية، و لكن لم يقرأ به أحد. و شاهد الرهن قول قعنب بن أم صاحب:

بانت سعاد و أمسى دونها عدن و غلقت عندها من قبلك الرهن «٢»

المعنى: ص: ٣٨٠

و من شرط صحة الرهن أن يكون مقبوضاً لقوله: «فِرْهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ» فان لم يقبض لم ينعقد الرهن. و مسائل الرهن ذكرناها فى النهاية و المبسوط مستوفاه فلا فائدة للتطويل بذكرها هاهنا. و يجوز أخذ الرهن فى الحضر مع وجود الكاتب، لما روى أن النبى (ص) اشترى طعاماً نساء و رهن فيه درعاً.

و

قوله (ع) لا يغلق الرهن.

معناه أن يقول الراهن إن جئتك بفكاكه إلى شهر و إلا فهو لك بالدين.

و هذا باطل بلا خلاف.

(١) اللسان (عود) و صدره: ظلت تجوب بها البلدان ناجية. [...]

(٢) اللسان (رهن).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨١

و قوله: «وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ» يعنى بعد تحملها «وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» إنما أضاف إلى القلب مجازاً، لأنه محل الكتمان، و إلا

فالآثم هو الحي.

وقوله: «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» معناه ان أتمنه فلم يقبض منه رهناً «فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ» يعنى الذى عليه الدين «وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» أن يظلمه أو يخونه «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» بما تسرونه و تكتمونونه.

و دل قوله: «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» على أن الاشهاد و الكتابة فى المداينة ليس بواجب، و إنما هو على جهة الاحتياط. و قد روى عن ابن عباس، و مجاهد، و غيرهما «فان لم تجدوا كتابا» يعنى ما تكتبون فيه من طرس أو غيره. و المشهور هو الاول الذى حكيناه عن قراء أهل الأمصار، و حكى عن بعضهم أنه قرأ «فانه آثم قلبه» بالنصب فان صح فهو من قولهم: سفهت نفسك و أثمت قلبك.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٤] ص : ٣٨١

إشارة

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)
آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص : ٣٨١

قرأ «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» بالرفع عاصم، و ابن عامر على الاستئناف فى قول المبرد. و يجوز أن يكون محمولا على تأويل «يحاسبكم» لأنه لو دخلته الفاء كان رفعا، فيكون فيه على هذا معنى الجواب. و قرأ الباقر على الجزم: عطفاً على «يحاسبكم» و هو جواب الشرط، و كان يجوز أن يقرأ فيغفر بالنصب على مصدر الفعل الأول و تقديره إن يكن محاسبه، فيغفر لمن يشاء. و روى ذلك عن ابن عباس.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٢

المعنى: ص : ٣٨٢

و اللام فى قوله: «لِلَّهِ» لام الملك و معناه ان لله تصريف السماوات و الأرض و تدبيرهما لقدرته على ذلك و ليس لأحد منعه منه و إنما ذكر قوله: «وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ» لأن المعنى فيه كتمان الشهادة. و يحتمل أن يريد جميع الأحكام التى تقدمت فى السورة. خوفهم الله من العمل بخلافها. و قال قوم هذه الآية منسوخة بقوله: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْرَهَا» (١) و روى فى ذلك خيراً ضعيفاً، و هذا لا يجوز لأمرين:

أحدهما- أن الاخبار التى لا تتضمن معنى الأمر و النهى و الاباحة لا يجوز نسخها، و هذا خبر محض خال من ذلك.

الثانى- لا- يجوز تكليف نفس ما ليس فى وسعها على وجه، فينسخ. و يجوز أن تكون الآية الثانية بينت الاولى و أزال توهم من صرف ذلك إلى غير وجهه، فلم يضبط الرواية فيه، و ظن أن ما يخطر للنفس أو تحدث نفسه به مما لا يتعلق بتكليفه فان الله يؤاخذ به. و الأمر بخلاف ذلك، و إنما المراد بالآية ما يتناوله الأمر و النهى من الاعتقادات و الإرادات و غير ذلك مما هو مستور عنا. فأما ما لا يدخل فى التكليف فخارج عنه لدلالة العقل. و لقوله (ع) تجوز لهذه الأمة عن نسيانها و ما حدثت به أنفسها. و قوله: (فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء) معناه ممن يستحق العقاب بأنه إن شاء عاقبه، و إن شاء عفا عنه. و ذلك يقوى جواز العفو عقلاً، و إنما يقطع

على عقاب بعض العصاة لدليل، و هم الكفار- عندنا- فأما من عداهم فلا دليل يقطع به على أنهم معاقبون لا محالة. و الآيات التي يستدلون بها نبين الوجه فيها إذا انتهينا إليها إن شاء الله.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٥] ص: ٣٨٢

إشارة

أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)

(١) سورة البقرة آية: ٢٨٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٣ آية.

القراءة: ص: ٣٨٣

قرأ حمزة و الكسائي و خلف «و كتبه»: الباقون «و كتبه» على الجمع فمن وَّحد احتمل وجهين: أحدهما- أن يكون أراد به القرآن لا- غير. و الثاني- أن يكون أراد جنس الكتاب، فيوافق قراءة من قرأ على الجمع في المعنى. و قرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء رداً على الرسول حسب. الباقون بالنون رداً على الرسول و المؤمنين و هذا أليق بسياق الآية.

المعنى و الاعراب: ص: ٣٨٣

و قوله: «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» معناه يقولون ذلك على الحكاية كما قال «و الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا» (١) أى يقولون اخرجوا. و المعنى إنا لا نؤمن ببعضهم و نكفر ببعض، كما فعل اليهود، و النصارى. و قوله: «سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا» تقديره سمعنا قوله و أطعنا أمره و قبلنا ما سمعنا، لأن من لا يقبل ما يسمع يقال له أصم كما قال تعالى «صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهَمٌّ لَا يَعْقِلُونَ» (٢) و إنما حذف للدلالة الكلام عليه لأنهم مدحوا به، و كان اعترافاً منهم بما يلزمهم مثل ما قبله. و قوله: «غفرانك» نصب على أنه نزل من الفعل المأخوذ منه كأنه قيل: اللهم اغفر لنا غفرانك فاستغنى بالمصدر عن الفعل في الدعاء فصار بدلاً منه معاقباً له. و قال بعضهم معناه نسألك غفرانك و الاول أقوى، لأنه على الفعل الذى أخذ منه أولى من حيث كان يدل عليه بالتضمن نحو (حمداً و شكراً) أى أحمد حمداً، و أشكر شكراً.

(١) سورة الانعام آية: ٩٣.

(٢) سورة البقرة آية: -١٧١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٤

و أجاز الزجاج و الفراء غفرانك بالرفع بمعنى غفرانك بغيتنا و أنشد الزجاج: و من يغترب عن قومه لا يزل يرى مصارع مظلوم مجراً و مسحاً

و تدفن منه الصالحات و إن يسىء يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا «١»
و قوله: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» معناه و إلى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى جزائه مصيراً إليه كقول ابراهيم: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهْدِينَ» «٢» و معناه إلى ثواب ربي أو إلى ما أمرني به ربي.

قوله تعالى: [سورة البقرة (٢): آية ٢٨٦] ص : ٣٨٤

إشارة

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهِمَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) آية.

المعنى: ص : ٣٨٤

فى هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة فى تجويزهم تكليف الله العبد ما لا يطيقه لأنه صريح بأنه لا يكلفهم إلا ما يطيقونه لأن الوسع هو ما يتسع به قدرة الإنسان و هو فوق المجهود و استفراغ القدرة. يقول القائل: ليس هذا

(١) البيتين للأعشى ديوانه ١١٣ رقم القصيدة ١٤. و اللسان (كب) و فى الديوان هكذا:

متى يغترب عن قومه لا يجد له على من له رهط حواليه مغضبا

و يحطم بظلم لا يزال يرى له مصارع مظلوم مجراً و مسحبا

و تدفن منه
مجر و مسحب مصدر ميمى من جر و سحب. كبكب: جبل.

(٢) سورة الصافات آية: ٩٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٥

فى وسعى. أى لا أقدر عليه و إن قدرتى لا تتسع لذلك. و من قال: معناه لا يكلف الله نفساً إلا ما يحل لها من قولهم لا يسعك هذا أى لا- يحل لك أن تفعله كان ذلك خطأ، لأن رجلا لو قال لعبد: أنا لا آمرك إلا بما أطلقت لك أن تفعله كان ذلك خطأ و عيأ، لأن نفس أمره اطلاق. و كأنه قال: أنا لا أطلق لك إلا ما أطلق.

و لا- آمرك إلا- بما آمرك. و قوله: «لَهَا مَا كَسَبَتْ» معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات و عليها جزاء ما كسبت من المعاصى و القبائح. و يجوز أيضاً أن يسمى الثواب و العقاب كسباً من حيث حصل بكسبه. و قوله: «لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» إنما جاز الرغبة إليه تعالى فى ذلك و إن علمنا أنه لا يؤاخذ بذلك، و لم يجز أن يقول:

لا تجر علينا لأمرين أحدهما- أن قوله: لا تجر علينا يدل على تسخط الداعى، و ليس كذلك «لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا» لأن الإنسان قد يتعرض للنسيان، فيقع منه الفعل الذى فيه جناية على النفس، و يحسن الاعتذار بالنسيان، فيجرى الدعاء مجرى الاعتذار إذا قال العبد لسيدة لا تؤاخذنى بكذا فانى نسيت، فلحسن الاعتذار حسن الدعاء به. و الثانى- «إِن نَّسِينَا». بمعنى تركنا لشبهه دخلت علينا.

و النسيان بمعنى الترك معروف. نحو قوله: «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» «١» أى تركوا عبادته، فترك ثوابهم. و قال الجبائى معناه ما تركناه لخطأ فى التأويل و اعتقدنا صحته لشبهه و هو فاسد. فأما لا تجر علينا، فلا يقال إلا لمن اعتيد منه الجور، و لا يجوز أن يؤاخذ أحد أحداً بما

نسيه عند أكثر أهل العدل إلا ما يحكى عن جعفر بن ميسر من أن الله تعالى يؤاخذ الأنبياء بما يفعلونه من الصغائر على وجه السهو و النسيان لعظم أقدارهم. و قال كان يجوز أن يؤاخذ الله العبد بما يفعله ناسياً أو ساهياً، و لكن تفضل بالعفو في قوله: «لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» ذكر ذلك البلخي، و هذا غلط، لأنه كما لم يجز تكليف فعله و لا تركه لم

(١) سورة التوبة آية: ٦٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٦

يجز أن يؤاخذ به، و لا يشبه ذلك المتولد الذي لا يصح تكليفه بعد وجود سببه، لأنه يجوز أن يتعمده بأن يتعمد سببه، و ليس كذلك ما يفعله على جهة السهو و النسيان.

اللغة، و المعنى: ص: ٣٨٦

و قوله: «و لا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا» قيل في معنى الإصر قولان:

أحدهما- لا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به. ذهب إليه ابن عباس، و قتادة، و مجاهد.

الثاني- قال الربيع، و مالك: معناه لا تحمل علينا ثقلاً و الإصر في اللغة الثقل قال النابغة:

يا مانع الضيم إن يغشى سراتهم و الحامل الإصر منهم بعد ما غرقوا «١»

و كلما عطفك على شيء، فهو إصر من عهد أو رحم، و جمعه إصار. تقول أصره يصره إصراً. و الاسم الإصر قال الحطيئة:

عطفوا عليّ بغير آصرة فقد عظم الأواصر «٢»

و قال النابغة:

يا بن الحواضن و الحاضنات أ ينقض أصرك حالا فحالا «٣» أى عهدك. و الايصر: حبل قصير يشد به أسفل الخباء إلى وتد لأنه

يعطف به. و الاصرة: صلة الرحم للعطف بها و الماصر حبل على طريق أو نهر تحبس به السفن أو السابله لتؤخذ منهم العشور و كلاً

أصر أى يحبس من ينتهى إليه لكثرتة. و الاصار: كساء يحتش فيه الحشيش. و أصل الباب العطف، فالأصر:

الثقل لأنه يعطف حامله بثقله عليه. و قوله: «لا تُحْمَلْنَا ما لا طاقةَ لنا به» قيل

(١) في المطبوعة (فيا مانع) بدل (يا مانع) و (و الخامل) بدل (و الحامل).

(٢) اللسان (أصر).

(٣) في المطبوعة (ا تنقض) بدل (ا ينقض).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٧

فيه قولان:

أحدهما- ما يثقل علينا من نحو ما كلف بنى إسرائيل من قتل أنفسهم و بتيه أربعين سنة و غير ذلك كما يقول القائل لا أطيع أنظر إلى

فلان و لا أسمع كلامه.

الثاني- ما لا طاقة لنا به من العذاب في دار الدنيا. و قوله. «أَنْتَ مَوْلَانَا» معناه أنت و لنا أى أولى بالتصرف فينا، و قال الحسن هذا على

وجه التعليم للدعاء، و معناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا. و الثاني- أنه على وجه الحكاية أى يقولون ربنا.

و الفرق بين أخطأ و خطئ أن أخطأ قد يكون على وجه الإثم، و غير الإثم فأما خطئ فائم لا غير قال الشاعر:

و الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب و لا يلام المرشد «١»

(١) قائله عبیده بن الأبرص الاسدی. ديوانه: ٥٤، و حماسه البحتری: ٢٣٦، و اللسان (أمر) و رواية الديوان:
و الناس يلحون الأمير إذا غوى خطب الصواب و لا يلام المرشد
التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٨

٣- سورة آل عمران ص: ٣٨٨

إشارة

مائتا آية في الكوفي روى عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و جميع المفسرين أن هذه السورة مدنية و قيل ان من أولها إلى راس نيف و ستين آية نزلت في قصة وفد نجران لما جاءوا يحاجون النبي (ص) في قول ابن اسحق و الربيع.

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١ إلى ٢] ص: ٣٨٨

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)
آيتان في الكوفي و آية واحدة في ما عداه.

القراءة و اللغة: ص: ٣٨٨

و قرأ أبو جعفر و الأعشى و البرجمي (ألم) بسكون الميم (الله) بقطع الهمزة و قرأ عمر بن الخطاب (الحي القيام) و هي لغة أهل الحجاز. و يقولون في الصواغ صياغ. الباقون (قيوم) و إنما فتحت الميم من (ألم الله) لأحد أمرين:
أحدهما- استثقالاً للكسر بعد الياء الساكنة، فصرف إلى الفتح، لأنه أخف كما فعلوا في (كيف) (و أين). و قال الزجاج، و الفراء: ألقى عليها حركة الهمزة و هي الفتحه من قولك: الله. و قال المبرد: هذا لا يجوز لأنها ألف وصل تسقط في الدرج، فلا يجوز ذلك كما لا يجوز في (إن الكافرون) الفتح على الفاء التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٨٩
حركة الهمزة. قال الفراء: و الفرق بين ذلك و بين الهجاء أنه لما كان ينوي به الوقف قوى بما بعده الاستيناف، فكانت الهمزة في حكم الثبات كما كانت في انصاف البيوت. نحو قول الشاعر:
و لا يبادر في الشتاء وليدتي القدر تنزلها بغير جعال «١»

و أجاز الأخفش الكسر، و خالفه الزجاج، و قال: لا يجوز لأن قبل الهمزة ياء ساكنة قبلها كسرة، فلم يجز غير الفتح، كما لا يجوز في كيف. و يمكن الفرق بينهما بأن كيف موصولة و هذا مفصول جاز أن ينوي به الوقف. و قد بينا معنى (الله) و هو أنه الذي تحق له العبادة.

اللغة و المعنى: ص: ٣٨٩

و قوله: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) معناه لا تحق العبادة لسواه، و إنما كان كذلك لأنه الذي يقدر على أصول النعم التي يستحق بها العبادة، و لأن

نعمة كل منعم فرع على نعمه، فصار لا تحقق العبادة لسواه. و (الحى): هو الذى لا يستحيل لما هو عليه من الصفة كونه عالماً قادراً. قال الرمانى: و العالم: مدرك لمعلومه و المدرك:

هو المتبين للشئ على ما هو به من أى وجه صح تبيينه، فالرأى مدرك و كذلك العالم إلا أنه قد كثرت صفة الإدراك على ما طريقه الاحساس من العباد، و هذا القول منه يدل على أنه كان يذهب مذهب البغداديين: فى أن وصف القديم بأنه مدرك يرجع إلى كونه عالماً من أن يكون له صفة زائدة. و هذا بخلاف مذهب شيخه أبى على، و البصريين. «و القيوم» قيل فى معناه قولان: أحدهما- القائم بتدبير عباده فى ما يضرهم و ينفعهم، و هو قول مجاهد، و الربيع، و الزجاج، بدلالة قوله: «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» «٢» و «قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» «٣».

(١) اللسان (جعل) فى المطبوعة (وليدنا) بدل (وليدتى) الجعال، و الجعالة- بضم الجيم و كسره- ما تنزل به القدر من خرقة و غيرها، و الجمع جعل مثل كتاب و كتب.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٨.

(٣) سورة الرعد آية: ٣٥. [...]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٠

الثانى- حكى عن محمد بن جعفر بن الزبير، و اختاره الجبائى أنه الدائم.

و أصل الوصف بقيوم الاستقامة. فعلى قول مجاهد يكون لاستقامة التدبير، و على القول الآخر لاستقامة الصفة بالوجود من حيث لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه كما يجوز على ما يحول و يتبدل. و تقول هذا معنى قائم فى النفس أى موجود على الاستقامة دون الاضطراب. و أصل «قيوم» قيوم على وزن فيقول فقلبت الواو الأولى ياءً، لأن ما قبلها ياء ساكنة، و أدغمت نحو سيد و ميت. و لا يجوز أن يكون وزنه فعولاً لأنه لو كان كذلك لكان قووماً، فوصف الله تعالى بالحى القيوم يتضمن أنه يستحق العبادة من حيث أن هذه الصفة دلت على أنه القادر على ما يستحق به العبادة دون غيره، لأن صفة قيوم صفة مبالغة لا تجوز إلا لله على المعنيين معاً من معنى الموجود أو [القائم على عموم الخلق بالتدبير.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣] ص : ٣٩٠

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣)
آية.

قيل فى معنى قوله: «نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» وجهان:

أحدهما- بالصدق فى أخباره و جميع دلالاته التى تقوم مقام الخبر فى تعلقها بمدلولها على ما هو به، ففى جميع ذلك معنى التصديق. و الثانى- بالحق أى بما توجه الحكمة من الانزال كما أتى بما يوجب الحكم من الإرسال و هو حق من الوجهين. و قوله: (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) نصب على الحال و معناه لما قبله من كتاب أو رسول فى قول مجاهد و قتادة و الربيع و جميع المفسرين. و إنما قيل لما قبله لما بين يديه، لأنه ظاهر له كظهوره لما بين يديه.

و قيل فى معنى «مصدقاً» هاهنا قولان:

أحدهما- «مصدقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» و ذلك لموافقته ما تقدم الخبر به و فيه آية تدل على صحة نبوة النبى (ص) من حيث لا يكون ذلك إلا من عند علام الغيوب. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩١

الثانى- مصدقاً أنه يخبر بصدق الأنبياء فى ما أتوا به خلاف من يؤمن ببعض، و يكفر ببعض. و التوراة مأخوذة من وريت بك زنادى

إذا ظهر به الخبر كما يتقدح بالزناد النار فالأصل الظهور، فهي تورية لظهور الحق. وقيل في وريها أقوال: أحدها- قال البصريون تورية فوعلة فقلبت (الواو) الأولى (تاء) لثلا يجتمع واوان في أول الكلمة نحو حوقلة و دوحلة. و الثاني- قال الكوفيون: تفعلة على وزن تنقله و ثقلة، و هو قليل جداً لا يكاد يعرف تفعلة في الكلام. الثالث- قال بعضهم هو تفعلة إلا أنه صرف إلى الفتح استتقالاً للكسر في المعتل و هو بناء يكثر نحو توفية و توقية و توصية، و ما أشبه ذلك. قال الزجاج: و هذا ردىء لأنه يجيء منه في توفية توفاء و هذا لا- يجوز. و الإنجيل مأخوذ من النجل، و هو الأصل و قال الزجاج وزنه أفعال من النجل يجمع أهل اللغة فسمى انجيلاً لأنه أصل من أصول العلم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤] ص : ٣٩١

إشارة

مَنْ قَبِلَ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)

المعنى: ص : ٣٩١

قوله: «من قبل» أى من قبل إنزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة نبأه على الضم. وقوله: «هُدًى لِلنَّاسِ» أى بياناً و دلالة لهم، و فى ذلك دلالة على أن الله تعالى هدى الكافر إلى الايمان، كما هدى المؤمن بقوله «للناس»، بخلاف ما تقوله المجبرة: إن الله ما هدى الكافر. و موضع (هدى) نصب على الحال من الكتاب و قوله: (وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) يعنى به القرآن و إنما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته و إن كانت لموصوف واحد لأن لكل صفة منها فائدة غير الأخرى لأن الفرقان هو الذى يفرق به بين الحق و الباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين فى الحجج، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٢

و الأحكام، و ذلك كله فى القرآن و قيل أراد بالفرقان النصر و وصفه بالكتاب يفيد ان من شأنه أن يكتب. و قد بينا لذلك نظائر فى الشعر و غيره فى ما تقدم. و قوله:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) قرن بالوعيد لما بين الله الحجج الدالة على توحيده، و صفاته: أعقب ذلك بوعيد من يخالف فى ذلك و يجحده ليتكامل به التكليف. و قوله: (وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ) معناه أنه قادر لا يتمكن أحد من منعه من عذاب من يريد عذابه لأنه «عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ» و إنما كان منيعاً لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء.

اللغة: ص : ٣٩٢

و أصل الاعزاز الامتناع، و منه أرض عزاز ممتنعة السكون لصعوبتها، و منه قولهم من عز، بز: أى من غلب سلب لأن الغالب يمتنع من الضيم، و النعمة، العقوبة: نغم ينغم نقماً و نعمة و يقال نقت، و نقت عليه أى أردت له عقوبة، و انتقم منه انتقاماً أى عاقبه عقاباً و أصل الباب: العقوبة. و منه النعمة خلاف النعمة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥] ص : ٣٩٢

إشارة

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

آية.

المعنى: ص : ٣٩٢

لما ذكر الله تعالى الوعيد على الإخلال بمعرفته مع نصب الأدلة على توحيدِهِ و صفاته اقتضى أن يذكر أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، فيكون في ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته، لأن المجازى لا تخفى عليه خافية، فجرى ذلك موصولاً بذكر التوحيد في أول السورة، لأنه من الصفات الدالة على التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٣

ما لا تحق إلا له. فان قيل لم قال: (لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) و لم يقل لا يخفى عليه شيء على وجه من الوجوه إذ كان أشد مبالغة؟ قيل: ليعلمنا أن الغرض علم ما يستسر به في الأرض أو في السماء. ولأن الإفصاح بذكر ذلك أعظم في النفس و أهول في الصدر مع الدلالة على أنه عالم بكل شيء إلا أنه على وجه التصرف في العبارة عن وجوه الدلالة. فان قيل: لم قال «لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ» و لم يقل عالم بكل شيء في الأرض و السماء؟ قيل لأن الوصف بأنه «لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ» يدل على أنه يعلمه من كل وجه يصح أن يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة، و إنما قلنا: لا يخفى عليه شيء من حيث كان عالماً لنفسه. و العالم للنفس يجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً. و ما يصح أن يكون معلوماً لا نهاية له، فوجب أن يكون عالماً به و إنما يجوز أن يعلم الشيء من وجه دون وجه، و يخفى عليه شيء من وجه دون وجه من كان عالماً بعلم يستفيده: - العلم حالاً بعد حال. - فأما من كان عالماً لنفسه، فلا يجوز أن يخفى عليه شيء بوجه من الوجوه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦] ص : ٣٩٣**إشارة**

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)

آية واحدة.

اللغة: ص : ٣٩٣

التصوير: جعل الشيء على صورة لم يكن عليها. و الصورة: هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف. و الفرق بين الصورة و الصيغة أن الصيغة: عبارة عما وضع في اللغة لتدل على أمر من الأمور، و ليس كذلك الصورة، لأن دلالتها على جعل جاعل قياسية. و الأرحام: جمع رحم و أصله: الرحمة، و ذلك لأنها مما يتراحم به و يتعاطف يقولون: وصلتك رحم. و أصل الصورة: الميل يقولون صاره يصوره: إذا أماله، فهي صورة لأنها مائلة إلى بنية بالشبه لها.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٤

المعنى: ص : ٣٩٤

وقوله: (كيف يشاء) معناه كيف يريد و المشيئة هي الإرادة و معنى «يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ» من ذكر أو أنثى أو أبيض أو أسود أو تام أو ناقص إلى غير ذلك ما تختلف به الصور، و فيه حجة على النصارى في ادعائهم إلهية المسيح و ذلك أن الله تعالى صوره في الرحم كما شاء، فهو لذلك عبد مربوب و قوله: (لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) معناه أنه تعالى لما ذكر ما يدل عليه من قوله:

(هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) ذكر الدليل والمدلول عليه و إنما ذكر «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» تحذيراً بعد ذكر الدليل ليعلم أنه عزيز لا يتهياً لأحد منعه من عقوبته من يريد عقابه حكيم في فعل العقاب و في جميع أفعاله.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧] ص: ٣٩٤

إشارة

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

المعنى: ص: ٣٩٤

قوله: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) يعنى القرآن (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) فالمحكم هو ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن إليه و لا دلالة تدل على المراد به لوضوحه، نحو قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْبَاطِنَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٢، ص:

٣٩٥

النَّاسَ شَيْئاً

«١» و قوله: «لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» «٢» لأنه لا يحتاج فى معرفته المراد به إلى دليل. و المتشابه: ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه. نحو قوله: «وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ» «٣» فانه يفارق قوله: «وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» «٤» لأن إضلال السامرى قبيح و إضلال الله بمعنى حكمه بأن العبد ضال ليس قبيح بل هو حسن. و اختلف أهل التأويل فى المحكم، و المتشابه على خمسة أقوال: فقال ابن عباس: المحكم الناسخ، و المتشابه المنسوخ.

الثانى - قال مجاهد: المحكم ما لا يشبهه معناه، و المتشابه ما اشتبهت معانيه.

نحو قوله: «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» «٥» و نحو قوله: «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» «٦».

الثالث - قال محمد بن جعفر بن الزبير، و الجبائى: إن المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، و المتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً.

الرابع - قال ابن زيد: إن المحكم: هو الذى لم تتكرر ألفاظه. و المتشابه هو المتكرر الألفاظ.

الخامس - ما روى عن جابر أن المحكم: ما يعلم تعيين تأويله، و المتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله. نحو قوله: «يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا» «٧».

و قوله: (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) معناه أصل الكتاب الذى يستدل به على المتشابه، و غيره من أمور الدين. و قيل فى توحيد أم الكتاب قولان: أحدهما - أنه قدر تقدير الجواب على وجه الحكاية كأنه قيل: ما أم الكتاب؟ فقيل هن أم الكتاب كما يقال: من نظير زيد؟ فيقال: نحن نظيره. الثانى - أن يكون ذلك

(١) سورة يونس آية: ٤٤.

(٢) سورة النساء آية: ٣٩.

(٣) سورة الجاثية آية: ٢٢.

(٤) سورة طه آية: ٨٥.

(٥) سورة البقرة آية: ٢٦.

(٦) سورة محمد آية: ١٧.

(٧) سورة الاعراف آية: ١٨٦، و سورة النازعات آية: ٤٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٦

مثل قوله: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» (١) «بمعنى الجميع آية و لو أريد أن كل واحد منهما آية على التفصيل، ل قيل آيتين. فان قيل: لم أنزل في القرآن المتشابه؟ و هلا أنزله كله محكما: قيل للحث على النظر الذي يوجب العلم دون الاتكال على الخبر من غير نظر، و ذلك أنه لو لم يعلم بالنظر أن جميع ما يأتي به الرسول حق يجوز أن يكون الخبر كذبا، و بطلت دلالة السمع، و فائدته، فلحاجة العباد إلى ذلك من الوجه الذي بيناه، أنزل الله متشابها، و لو لا ذلك لما بان منزلة العلماء، و فضلهم على غيرهم، لأنه لو كان كله محكما لكان من يتكلم باللغة العربية عالما به، و لا كان يشتهه على أحد المراد به فيتساوى الناس في علم ذلك، على أن المصلحة معتبرة في انزال القرآن، فما أنزله متشابها لأن المصلحة اقتضت ذلك، و ما أنزله محكما فلمثل ذلك. و المتشابه في القرآن يقع فيما اختلف الناس فيه من أمور الدين: من ذلك قوله تعالى «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» (٢) فاحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على السرير و احتمل أن يكون بمعنى الاستيلاء نحو قول الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران (٣)

و أحد الوجهين لا يجوز عليه تعالى لقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (٤) و قوله «لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ».

و الآخر يجوز عليه، فهذا من المحكم الذي يرد إليه المتشابه. و من ذلك قوله:

«رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» (٥) فاحتمل ظاهره تكليف المشاق، و احتمل تكليف ما لا يطاق و أحدهما لا يجوز عليه تعالى «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (٦)

(١) سورة المؤمنون آية: ٥١.

(٢) سورة الاعراف آية: ٥٣، و سورة يونس آية: ٣، و سورة الفرقان آية ٥٩، و سورة ألم السجدة آية: ٤، و سورة الحديد آية: ٤.

(٣) مر تخريجه في ١: ١٢٥.

(٤) سورة الشورى آية: ١١.

(٥) سورة البقرة آية: ٢٨٦.

(٦) سورة البقرة آية: ٢٨٦، و سورة الطلاق آية: ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٧

فرددنا إليه المتشابه و من ذلك قوله: «قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» (١) «فرددناه إلى المحكم الذي هو قوله: «وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» (٢) و من ذلك قوله: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» (٣) «متشابه، و بين المراد بالمحكم الذي هو قوله: «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ» (٤) و من ذلك اعتراض الملحدين في باب النبوة بما يوهم المناقضة كقوله: «قُلْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمَئِذٍ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثبَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ» (٥) «فقال اليومان و الاربعة و اليومان ثمانية ثم قال «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» فأوهموا أن ذلك مناقضة و ليس الأمر على ما ظنوه لأن ذلك يجرى مجرى قول القائل: سرنا من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام و سرنا إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً فالعشرة داخله في الخمسة عشر و لا يضاف فيقال: عشرة، و خمسة عشر خمسة و عشرون

يوماً كان فيها السير، فكذلك خلق الله الأرض في يومين وقضاهن سبع سماوات في يومين و تم خلقهن في ستة أيام. و تقديره خلق الأرض في يومين من غير تميم و جعل فيها رواسى و ما تم به خلقها في أربعة أيام فيها اليومان الأولان كما يقال: جعل الدور في شهرين و فرغ منهن في أربعة أشهر. فيكون المحكم قد أبان عن معناه أنه على جهة خلق الأرض في يومين من غير تميم، و ليس على وجه التضاد على ما ظنوه.

فان قيل: كيف يكون المحكم حجة مع جواز تقييده بما فى العقل؟ و فى ذلك إمكان كل مبطل أن يدعيه فتذهب فائدة الاحتجاج بالمحكم؟ قلنا: لا يجب ذلك من قبل أن التقييد بما فى العقل إنما يجوز فيما كان رداً إلى تعارف من جهة

(١) سورة النساء آية: ٧٧. [...]

(٢) سورة آل عمران آية: ٧٨.

(٣) سورة التكوير آية: ٢٩، و سورة الدهر آية: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٠٨.

(٥) سورة حم السجدة آية: ٩-١٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٨

العقول دون ما لا يتعارف فى العقول بل يحتاج إلى مقدمات لا يتعارفها العقلاء من أهل اللغة، و المراعى فى ذلك أن يكون هناك تعارف من جهة العقل تقتضيه الحكمة دون عادة أو تعارف شىء لأن الحجة فى الأول دون الثانى، و من جهة التباس ذلك دخل الغلط على كثير من الناس.

فان قيل: كيف عددتم من جملة المحكم قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» مع الاشتباه فيه بدخول الكاف؟ قلنا إنما قلنا انه محكم لأن مفهومه ليس مثله شىء على وجه من الوجوه دون أن يكون عند أحد من أهل التأويل ليس مثل مثله شىء فدخول الكاف و إن اشبهه على بعض الناس لم دخلت فلم يشبهه عليه المعنى الأول الذى من أجله كان محكماً. و قد حكينا فيما مضى عن المرتضى (ره) على بن الحسين الموسوى أنه قال: الكاف ليست زائدة و إنما نفى أن يكون لمثله مثل فإذا ثبت ذلك علم أنه لا مثل له، لأنه لو كان له مثل لكان له أمثال، فكان يكون لمثله مثل، فإذا لم يكن له مثل مثل دل على أنه لا مثل له غير أن هذا تدقيق فى المعنى، فتصير الآية على هذا متشابهة، لأن ذلك معلوم بالادلة. و قد يكون الشىء محكماً من وجه و متشابهاً من وجه كما يكون معلوماً من وجه، و مجهولاً من وجه، فتصح الحجة به من وجه المعلوم دون المجهول.

الاعراب: ص: ٣٩٨

و (آخر) لا ينصرف لأنه معدول عن الالف و اللام و هو صفة. و قال الكسائى:

لأنه صفة. قال المبرد: هذا غلط، و قال (لُبْد) صفة و كذلك (حُطْم) و هما منصرفان قال الله تعالى «أَهْلَكْتُ مَالاً لُبْدًا» (١) و حكى عن أبى عبيدة أنه قال:

لم يصرفوا (آخر) لأن واحده لا- ينصرف فى معرفة و لا نكرة. قال المبرد: و هذا غلط، لأنه يلزم أن لا يصرف غضاباً و عطاشاً، لأن واحده غضبان و عطشان و هو لا ينصرف.

(١) سورة البلد آية: ٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٣٩٩

اللغة والمعنى: ص : ٣٩٩

وقوله: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) يعني ميل يقال: أزاغ الله إزاغهُ أى أماله إمالة قال تعالى «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» (١) و منه قوله: «لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا» (٢) و التزيغ التمايل فى الأسنان. و المعنى إن الذين فى قلوبهم ميل عن الحق اما بشك أو جهل فان كليهما زيغ «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» و معناه يحتجون به فى باطلهم «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ» و معناه طلباً للفتنة «وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» و التأويل: التفسير و أصله المرجع، و المصير من قولهم: آل أمره إلى كذا يؤول أولاً: إذا صار إليه. و أولته تأويلاً: إذا صيرته إليه. و قوله: «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (٣) قيل معناه أحسن جزاء، لأن أمر العباد يؤول إلى الجزاء. و أصل الباب: المصير «وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» يعنى تفسيره «إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» يعنى الثابتون فيه تقول: رسخ الشىء رسوخاً إذا ثبت فى موضعه. و أرسخته إرساخاً، كما أن الخبر يرسخ فى الصحيفة، و رسخ الغدير إذا ذهب ماؤه، فنضب، لأنه ثبت وحده من غير ماء، و أصل الباب الثبوت.

النزول: ص : ٣٩٩

و قال الربيع: نزلت هذه الآية فى وفد نجران، لما حاجوا النبى (ص) فى المسيح، فقالوا: أليس هو كلمة الله و روح منه؟ فقال بلى، فقالوا: حسبنا، فأنزل الله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) ثم أنزل (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٤) و قال قتادة: بل كل من احتج بالمتشابه لباطله، داخل فيه، فمنهم الحروريه و السبائية، و غيرهم.

(١) سورة الصف آية: ٥.

(٢) سورة آل عمران آية: ٨.

(٣) سورة النساء آية: ٥٨، و سورة الإسراء آية: ٣٥.

(٤) سورة آل عمران آية: ٥٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٠

المعنى و الاعراب اللغوية: ص : ٤٠٠

وقوله: «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ» قال السدى: الفتنة هاهنا الشرك. و قال مجاهد:

اللبس. و قيل الضلال عن الحق، و هو أعم فائدة. و أصل الفتنة: التخليص من قولهم فتنت الذهب بالنار: إذا أخلصته، فالذى يبتغى الفتنة، يبتغى التخليص إلى الضلال بما يورده من الأشياء. و قوله: (وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) قيل فى معناه قولان: أحدهما- ما يعلم تأويل جميع المتشابه «إلا الله»، لأن فيه ما يعلم الناس، و فيه ما لا يعلمه الناس من نحو تعيين الصغيرة عند من قال بها، و وقت الساعة، و ما بيننا و بينها من المدة. هذا قول عائشة، و الحسن، و مالك، و اختاره الجبائى، و أكثر المتأولين. و عندهم أن الوقف على قوله «إلا الله» و يكون قوله:

«وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» مستأنفاً و التأويل على قولهم: معناه المتأول، كما قال تعالى «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ» يعنى الموعود به. و الوجه الثانى- ما قاله ابن عباس، و مجاهد، و الربيع «وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» يعلمونه قائلين آمنا كما قال الشاعر:

و الريح تبكى شجوة و البرق يلمع فى الغمامة
يعنى و البرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامة. و قوله: «كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبَّنَا» حذف المضاف من «كل» عند البصريين، لأنه اسم دال على المضاف كثير فى الكلام فلا يجوزون «إِنَّا كُلُّ فِيهَا» على الصفة و يجيزه الكوفيون، لأنه إنما حذف عندهم لدلالته على المضاف فقط اسماً كان أو صفة. و إنما بنى قبل على الغاية، و لم بين كل، و إن حذف من كل واحد منهما المضاف، لأن قبل ظرف يعرف، و ينكر، ففرق بين ذلك بالبناء الذى يدل على تعريفه بالمضاف، و الاعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال، و ليس كذلك كل لأنه معرفة فى الافراد دون نكرة فأما (ليس غير) فمشبه بحسب لما فيه من معنى الأمر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠١

و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨] ص : ٤٠١

إشارة

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)
آية.

المعنى: ص : ٤٠١

هذه حكاية عن الراسخين فى العلم الذين ذكرهم فى الآية الاولى، القائلين «آمناً به كَلُّ مَنْ عِنْدِ رَبَّنَا» القائلين «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا» و قيل فى معنى لا تزغ قلوبنا قولان:

أحدهما- «لا تُزِغْ قُلُوبَنَا» عن الحق بمنع اللطف الذى يستحق معه أن تنسب قلوبنا إلى الزيغ. و الثانى- قال أبو على معناه لا تزغ قلوبنا عن الثواب بعد أن دعوتنا إليه و دللتنا عليه، و لا يجوز أن يكون المراد لا تزغ قلوبنا عن الايمان، لأنه تعالى كما لا يأمر بالكفر كذلك لا يزيغ عن الايمان. فان قيل: هلا جاز على هذا أن يقولوا: ربنا لا تظلمنا، و لا تجر علينا؟ قلنا لأن فى تجر علينا تسخط السائل لاستعماله ممن جرت عاداته بالجور، و ليس كذلك «لا- تُزِغْ قُلُوبَنَا» على معنى سؤال اللطف، و ان كان لا يجوز فى حكمته تعالى منع اللطف. كما لا- يجوز فعل الجور و ذلك بمنزلة سؤال الملائكة فى قولهم «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ» (١) و الله لا- يجوز عليه خلف الوعد، كما لا- يجوز عليه فعل الجور يبين ذلك قوله: «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» (٢) و معناه فلما مالوا عن الحق نسب الله قلوبهم إلى الزيغ، لما كانت عليه. و إنما أضاف الزيغ إلى القلب، و إن كان المراد به الجملة لأن القلب أشرف الأعضاء، و هو محل السرور، و الغم فلذلك خص بالذكر.

(١) سورة مؤمن آية: ٧-٨.

(٢) سورة الصف آية: ٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٢

اللغة: ص : ٤٠٢

و قوله: «وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً» فالهبة مصدر وهبه يهبه هبةً، فهو واهب. و الشىء موهوب و تواهب الناس بينهم تواهباً و استوهبه

استيهاً. و أصل الباب الهبة، و هي تملك الشئ من غير مئامنة. و الهبة و النحلة و الصلة نظائر. و معنى من لدنك من عندك و فى لدن خمس لغات: لدن، و لدن- بضم اللام و الدال- و لدن- بفتح اللام و تسكين الدال، و كسر النون- ولد- بحذف النون-.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩] ص : ٢٠٢

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)
آية بلا خلاف.

معنى الآية «رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ» للجزء «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» فى وعد و لا وعيد «فَاغْفِرْ لَنَا» فان قيل هل فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» متصل بالدعاء على جهة الحكاية أو استئناف. قلنا عنه جوابان: أحدهما- أنه متصل بالدعاء، لأن حمل الكلام على الاتصال إذا صح المعنى أولى من حمله على الانفصال، لأن الاتصال أقرب إلى التشاكل، و أبعد من التنافر.

الثانى- أنه على الاستئناف لأنه لو كان على الاتصال لقال انك لا تخلف الميعاد، فاختر أبو على الجبائى هذا الوجه، و أجاز الزجاج الأمرين. و قد يجوز حمل الكلام تارة على المخاطبة و تارة على الغيبة تصرفاً فى الكلام، كما قال: «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِئَةٍ» (١) و الآية دالة على أنه لا يخلف وعده، و لا وعيده، و لا ينافى ذلك ما يجوز من العفو عن فساق أهل الملة، لأن ما يجوز العفو عنه إذا عفا كشف ذلك عندنا أنه ما عناه بالخطاب، و إنما الممنوع منه أن يعينه بالخطاب و بأنه لا يعفو عنه ثم يعفو، فيكون ذلك خلفاً فى الوعيد و ذلك لا يجوز عليه تعالى.

(١) سورة يونس آية: ٢٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٣

و الميعاد، و الوعد إذا أطلقا تناولا للخير، و الشر. يبين ذلك قوله: «و نادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وحيدتم ما وعد ربكم حقاً» (١) و لا يجوز أن يقال وعد بالخير فأما وعد بالشر، فيجوز. و اللام فى قوله: «لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ» معناه فى يوم و إنما جاز ذلك لما دخل الكلام من معنى اللام و تقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه، فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأعنيته عن فى لأن حروف الاضافة متأخية، لما يجمعها من معنى الاضافة. و قد كان يجوز فتح أن فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ» على تقدير «جامع الناس ليوم لا ريب فيه» ل «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» و لم يقرأ به.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠] ص : ٢٠٣

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)
آية واحدة بلا خلاف.

المعنى: ص : ٢٠٣

إن قيل كيف تتصل هذه الآية بما قبلها؟ قلنا: اتصال الوعيد بالدعاء، للإخلاص منه خوفاً من استحقاق المتوعد به، و الفرق بين «لَنْ

تُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» و بين لن تغنيهم عن الله شيئاً. أن لن تغنيهم عن الله لا- يدل على الوعيد كما يدل «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» لأن تقديره من عذاب الله. و معنى من هاهنا يحتمل أمرين: قال أبو عبيدة معناها: عند. و قال المبرد: من هاهنا على أصلها، لابتداء الغاية. و تقديره «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ» غناء ابتداء الشيء الذى خلقه، و لا يكون الغناء إلا منه، فمن هذه تقع على ما هو أول الغناء و آخره و الوقود: الحطب، و الوقود اللهب. و هو إيقاد النار. و الغنى ضد الحاجة. و بمعنى «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ» أنه إن يكون شيء تبقى الحاجة إلى الله تعالى بل الحاجة باقية على كل حال.

(١) سورة الاعراف آية: ٤٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٤

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١] ص : ٤٠٤

إشارة

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١)
آية بلا خلاف.

اللغة: ص : ٤٠٤

الدأب: العادة، يقال دأب يدأب دأباً و دثأباً إذا اعتاد الشيء و تمرن عليه.

قال امرؤ القيس:

كدأبك من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بمأسل «١»

أى كعادتك من أم الحويرث.

المعنى: ص : ٤٠٤

و معنى قوله: «كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ» كعادتهم فى التكذيب بالحق و قيل فى الكفر و قيل فى قبح الفعل و قيل فى تكذيب الرسل و كل ذلك متقارب فى المعنى. و قال قوم: معناه كدأب آل فرعون فى عقاب الله إياهم على ما سلف من ذنوبهم، و معاصيهم، و الكاف فى قوله: «كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ» متصله بمحذوف.

و تقديره عادتهم كدأب آل فرعون. و موضع الكاف رفع لأنها فى موضع خبر الابتداء، و لا يجوز أن يعمل فيها كفروا، لأن صلة الذى قد انقطعت بالخبر، و هو «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ» و لا- أولادهم و لكن يجوز نصبه ب «وَقُودُ النَّارِ»، لأن فيه معنى الفعل على تقدير تتقد النار بأجسادهم كما تتقد بأجسام آل فرعون

(١) ديوانه: ١٢٥. معلقته المشهورة و قبله:

و ان شفائى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

مر فى ٢: ١٤٨ برواية: (كديتك) بدل (كدابك) و قد استشهد به الشيخ (قده) على ان الدين هو العادة. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٥
 فهذا تقديره في المعنى. وقوله: «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» بمعنى عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مؤاخذه لأنها أخذ بالذنب و الأخذ بالذنب عقوبة و الذنب و الجرم واحد تقول أذنب يذنب اذنباً فهو مذنب و الذنب التلو للشىء ذنبه يذنبه ذنباً إذا تلا و الذنوب التلو لأنها تالية للحبل في الجذب و الذنوب النصيب لأنه كالدلو في الانعام قال الشاعر:
 لنا ذنوب و لكم ذنوب فان أبيتتم فلنا قلب «١»
 و الذنوب: الفرس الوافر شعر الذنب. و أصل الباب: التلو، فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما قيل العقاب، لأنه يستحق عقيب الذنب.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢] ص : ٤٠٥

إشارة

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بئسَ الْمِهَادُ (١٢)
 آية.

القراءة، و الحجة: ص : ٤٠٥

قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً سيغلبون، و يحشرون بالياء، فيهما: الباقون بالتاء. من اختار التاء، فلقوله: (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ) فأجرى جميعه على الخطاب. و من اختار الياء، فلتصرف في الكلام و الانتقال من خطاب المواجه إلى الخبر بلفظ الغائب. و قيل: إن الخطاب لليهود، و الاخبار عن عبدة الأوثان لأن اليهود أظهروا، الشماتة بما كان من المشركين يوم أحد، فقيل لهم سيغلبون يعنى المشركين. و على هذا لا يجوز إلا بالياء. و قيل التاء في عموم الفريقين.
 و مثله قال زيد المال ماله. و قال المال مالى. و قل له سنخرج و سيخرج. و كل ذلك جائز حسن.

(١) اللسان: (ذنب). و روايته: (لها ذنوب) بدل (لنا ذنوب) و (القليب) بدل (قليب).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٦

النزول: ص : ٤٠٦

و قال ابن عباس، و قتادة و ابن إسحاق: إن هذه الآية نزلت لما هلكت قريش يوم بدر، فجمع النبي (ص) اليهود بسوق قينقاع فدعاهم إلى الإسلام و حذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام، فقالوا: لسنا كقريش الاغمار الذين لا يعرفون القتال، لئن حاربنا لتعرفن البأس. فانزل الله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ» الآية.

المعنى: ص : ٤٠٦

و معنى «وَ بئسَ الْمِهَادُ» قال مجاهد: بئس ما مهدوا، لأنفسهم. و قال الحسن:
 معناه بئس القرار، و قيل بئس الفراش الممهدهم، و قال البلخي: لا- يجوز الوعد، و الوعيد بغير شرط، لأن فيه بأساً من الايمان أو

الكفر و ذلك بمنزلة الصد عنه.

و تأول الآية على حذف الشرط، فكأنه قال: و بسئ المهاد لمن مات على كفره غير تائب منه. و قال الرماني: و هذا لا يصح من قبل أن السورة قد دلت على معنى الوعد من غير شرط يوجب الشك، فلو كان في قطع الوعيد بأس بمنزلة الصد عن الايمان لكان في قطع الوعد بأمان ما يوجب الاتكال عليه دون ما يلزم من الاجتهاد. و الذى يخرج من ذلك أن العقاب من أجل الكفر كما أن الثواب من أجل الايمان. و هذا ليس بشيء، لأن للبلخي أن يشرط الوعد بالثواب بانتفاء ما يبطله من الكبائر، كما أنه شرط الوعيد بالعقاب بانتفاء ما يزيله من التوبة، فقد سوى بين الأمرين. و قال البلخي و الجبائي: قوله: «و بسئ المهاد» مجاز كما قيل للمرض: شر، و إن كان خيراً من جهة أنه حكمه، و صواب، فليل لجهم «بسئ المهاد» لعظيم الآلام، لأن أصل نعم و بسئ: الحمد، و الذم إلا أنه كثر استعماله فى المنافع، و المضار حتى سقط عن اسم مجاز. و إن كان مغيراً عن أصله.

و فى الآية دلالة على صحة نبوة النبي (ص) لأنها تضمنت الخبر عما يكون من التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٧ غلبه المؤمنين للمشركين. و كان الأمر على ما قال، و لا يكون ذلك على الاتفاق، و كما أنه بين أخباراً كثيرة من الاستقبال، فكان كما قال، فكما أن كل واحد منهما كان معجزاً، لأنه من علام الغيوب اختص به الرسول لبيته من سائر الناس كذلك هذه الآية.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣] ص : ٤٠٧

إشارة

فَدَّ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ التَّقَاتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)
آية واحدة.

القراءة، و الحجة: ص : ٤٠٧

قرأ أهل المدينة، و أبان عن عاصم، و ابن شاهی عن حفص «ترونها» بالتاء الباقون بالياء. من قرأ بالياء، فلأن الخطاب لليهود و الخبر عن غيرهم ممن حضر بدرأ. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى الجميع.

اللغة، و المعنى، و الاعراب: ص : ٤٠٧

الآية: العلامة، و الدلالة على صدق النبي (ص). و الفئة الفرقة من فأوت رأسه بالسيف إذا فلقتة. و قال ابن عباس: هاهنا هم المؤمنون من أهل بدر و مشركوا قريش، و به قال الحسن، و مجاهد. و قوله: (فئة) يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب: الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فئة كذا، و أخرى كذا. و يجوز الجر على البدل. و يجوز النصب على الحال كقول كثير: و كنت كذى رجلين رجل صحيحة و رجل رمى فيها الزمان فشلت «١»
أنشد بالرفع و الجر و قال ابن مفرغ:

(١) ديوانه ١: ٤٦، و معانى القرآن للفراء ١: ١٩٢ و هو من قصيدته التائية المشهورة فى المطبوعة (هى) بدل (رمى).

و كنت كذى رجلين رجل صحيحة و رجل رماها صائب الحدان
فأما التي صحت فأزد شنوءة و أما التي شلت فأزد عمان (١)
و قال آخر:

إذا مت كان الناس نصفين شامت و آخر متن بالذى كنت أصنع

و لا- يجوز أن تقول مررت بثلاثة صريع و جريح بالجر، لأنه لم يستوف العدة و لكن يجوز بالرفع على تقدير منهم صريع و منهم جريح. فان قلت: مررت بثلاثة صريع، و جريح، و سليم، جاز فيه الرفع و الجر، فان زدت فيه اقتتلوا جاز فيه الأوجه الثلاثة. و لم يقرأ إلا بالرفع.

المعنى: ص: ٤٠٨

و قال ابن مسعود، و الحسن: الفئة: المسلمة هي التي كانت ترى الكافرة مثليهم. و قال السدى: رأى المشركون المسلمين مثل عددهم، لأنهم كانوا ثلاثمائة و بضعة عشر فأوهم أضعاف ذلك. و هذا يحتمل على قراءة من قرأ بالياء، فأما من قرأ بالتاء، فلا يحتمل ذلك إلا- أن يكون الخطاب لليهود الذين ما حضروا و هم المعنيون بقوله: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» و هم يهود بنى قينقاع فكأنه قيل لهم ترون المشركين مثلى المسلمين مع أن الله ظفرهم بهم، فلا- تغتروا بكثر تكلم. و اختار البلخي هذا الوجه و اختلفوا في عدة المشركين يوم بدر،

فروى عن على (ع) و ابن مسعود أنهم كانوا ألفاً.

و قال عروة بن الزبير، و قتادة، و الربيع

كانوا بين تسعمائة إلى الالف و أما عدة المسلمين، فثلاثمائة و بضعة عشر في قول قتادة، و الربيع، و أكثر المفسرين. و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع).

و معنى

(١) الوحشيات لأبى تمام: ١٨٣، و خزائن الأدب ٢: ٣٧٨. و أزد شنوءة: قبيلة كانت مع أهل الشام في حرب صفين، و أزد عمان: قبيلة

كانت مع أهل العراق و رواية الشعر

فكنتم كذى رجلين: رجل صحيحة و رجل بها ريب من الحدان

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٠٩

«يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ» يحتمل وجوهاً أحدها- ما روى عن ابن مسعود، و غيره من أهل العلم أن الله قلل المشركين يوم بدر في أعين المسلمين لتقوى قلوبهم فأوهم مثلى عدتهم.

و قال الفراء يحتمل ثلاثة أمثالهم كما يقول القائل إلى الف و احتاج إلى مثليه أى مضافاً إليه لا بمعنى بدلا منه، فكذلك ترونهم مثليهم مضافاً إليهم فذلك ثلاثة أمثالهم، و أنكر هذا الوجه الزجاج، لمخالفته لظاهر الكلام. و ما جاء في الآية الأخرى في الانفال من تقليل الاعداد. فان قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية و ارتفاع الموانع و هل هذا إلا ما تقوله المجبرة من أنه يجوز أن يكون بحضرتنا أشياء تدرك بعضها دون بعض بحسب ما يفعل فينا من الإدراك و هذا عندنا سفسطة تقليل في المشاهدات؟ قلنا: يحتمل أن يكون التقليل في أعين المؤمنين بأن يظنونهم قليلى العدد، لأنهم أدركوا بعضهم دون بعض، لأن العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلاً، و لهذا: إذا رأينا جيشاً كبيراً أو جمعاً عظيماً ندرك جميعهم، و نتبين أطرافهم و مع هذا نشك في أعدادهم حتى يقع الخلف بين الناس في حزر عددهم، فعلى هذا يكون تأويل الآية. و قد ذكر الفراء عن ابن عباس أنه قال: رأى

المسلمون المشركين مثلهم في الحزر بستمائه و كان المشركون سبعمائة و خمسين. فأما قوله في الأنفال: «وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ» (١) فلا ينافي هذا لأن هذه آية للمسلمين أخبرهم بها و تلك آية لأهل الكفر حجة عليهم. على أنك تقول في الكلام إنى لأرى كثيركم قليلا أى تهونون على لأنى أرى الثلاثة اثنين ذكره الفراء، و هو جيد. و قيل: الوجه في تقليل الكفار في أعين المؤمنين أن يكون أقوى لقلوب المؤمنين، فلا- يفزعوا، و لا- يفشلوا، و يتجرءوا على قتالهم. و الوجه في تقليل المؤمنين في أعين الكفار إذا رأوهم قليلين استهانوا بهم و استحقروهم فلم يأخذوا أهبتهم و لم يستعدوا كل الاستعداد فيظفر بهم المؤمنون، و هو جيد أيضاً. و قال البلخي إنما قال مثلهم و هم كانوا ثلاثة أمثالهم لأنه أقام الحجة عليهم بأنهم و إن كانوا ثلاثة أمثالهم فلم يخرجوا من أن يكونوا

(١) سورة الانفال آية: ٤٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٠
مثلهم. و المعتمد ما قلناه أولاً.

اللغة و المعنى: ص: ٤١٠

و قوله: «وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ» فالأيد القوة و منه قوله: «دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ» (١) و تقول: ادته أيده أيداً، كقولك بعته أيعه بيعاً بمعنى قوته.

و أيده أو يده تأييداً. و النصر: المعونة على الاعداء، و هو على وجهين: نصر بالغلبة، و نصر بالحجة، و لو هزم قوم من المؤمنين، لجاز أن يقال: هم المنصورون بالحجة و محمودو العاقبة، و ان سر عدوهم بظفر العاجل. و الآية التي ذكرها الله تعالى كانت في الفتين من وجهين:

أحدهما- غلبة القليل العدد في نفسه للكثير في ذلك بخلاف ما تجرى به العادة بما أمدهم الله به من الملائكة و قوى به نفوسهم من تقليل العدة. و الثانى- بالوعد المتقدم بالغلبة لإحدى الطائفتين لا- محاله. و قوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ) معناه لأولى العقول، كما يقال له بصر بالأمور، و ليس المراد بالأبصار الحواس التي يشترك فيها سائر الحيوان. و العبرة الآية تقول: اعتبرت بالشىء عبرة و اعتباراً و العبور: النفوذ عبرت النهر أعبره عبوراً: إذا قطعته.

و المعبرة: السفينة التي يعبر فيها. و العبارة الكلام، يعبر بالمعنى إلى المخاطب، فالعبارة تفسير الرؤيا. و التعبير وزن الدنانير، و غيرها. و العبرة: الدمعة من العين. و أصل الباب العبور النفوذ.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٤] ص: ٤١٠

إشارة

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)

(١) سورة ص آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١١

آية واحدة بلا خلاف.

المعنى، واللغة: ص: ٤١١

قيل في المزين لحب الشهوات ثلاثة أقوال: قال الحسن: زينه الشيطان، لأنه لا أحد أشد ذمًا لها من خالقها. الثاني - ما قاله الزجاج: انه زينه الله بما جعل في الطباع من المنازعة، كما قال تعالى «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا» (١) الثالث - ما قاله أبو علي أنه زين الله عز وجل ما يحسن منه، وزين الشيطان ما يقبح منه.

والشهووات: جمع شهوة وهي توقان النفس إلى الشيء يقال: اشتهى يشتهي شهوة، و اشتهاه و شهاه تشهيء، و تشهى تشهياً. و الشهوة من فعل الله تعالى لا يقدر عليها أحد من البشر، و هي ضرورية فينا، لأنه لا يمكننا دفعها عن أنفسنا.

والقناطير: جمع قنطار. و اختلفوا في مقدار القنطار، فقال معاذ بن جبل، و ابن عمر، و أبي بن كعب، و أبو هريرة: هو ألف و مائة أوقية. و قال ابن عباس، و الحسن، و الضحاك: هو ألف و مائة مثقال. و روى عن الحسن أيضاً أنه ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم. و قال قتادة: ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائة رطل.

و قال مجاهد، و عطا: سبعون ألف دينار. و قال أبو نصر

هو ملىء مسك ثور ذهباً. و به قال الفراء: و هو المروى عن أبي جعفر.

و قال الربيع و ابن أنس: هو المال الكثير. و معنى المقنطرة: المضاعفة - على قول قتادة - و قال قتادة - و قال الفراء: هي تسعة قناطير، و قيل هي كقولك دراهم مدرهمة أى مجعولة كذلك. و قال السدى مضروبة دراهم أو دنانير. و القنطرة: البناء المعقود للعبور و القنطر الداهية. و أصل الباب القنطرة المعروفة. و القنطار لأنه مال عظيم كالقنطرة. و الذهب، و الفضة معروفان.

(١) سورة الكهف آية: ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٢

و تقول فضضته تفضيضاً. و فض الجمع يفضه فضاً إذا فرقه. و منه قوله: «لَمَّا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ» (١) و فضضت الخاتم كسرتة و لا يفضض الله فاك أى لا يكسره.

و افتضضت الماء: إذا شربته. و أصل الباب التفرق.

و الخيل: الافراس سميت خيلاً، لا خيالها فى مشيها. و الاختيال: من التخيل، لأنه يتخيل به صاحبه فى صورة من هو أعظم منه كبراً. و الخيال كالظل، لأنه يتخيل به صورة الشيء تقول: خلت زيدا أخال خيلاً إذا خشيته لأنه يتخيل إلى النفس أنه هو. و الأخيل: الشقراق و هو طائر الغالب عليه الخضرة مشرب حمرة، لأنه يتخيل مرة أخضر و مرة أحمر. و أصل الباب التخيل: التشبه بالشيء، و منه أخال عليه الأمر يخيل إذا اشتبه عليه، فهو مخيل.

و قوله: «المسومة» قيل فى معناه أربعة أقوال قال سعيد بن جبیر و ابن عباس و الحسن و الربيع هى الراعية و قال مجاهد و عكرمة و السدى: هى الحسنه، و قال ابن عباس فى روايه، و قتادة: المعلمة. و قال ابن زيد: هى المعدة للجهد فمن قال: هى الراعية، فمن قولهم: اسمت الماشية و سومتها إذا رعيتها. و سأمت، فهى سائمة إذا كانت راعية، و منه تسيمون: أى ترعون. و من قال: الحسنه فمن السیما مقصور. و يقال فيه سيمياء أيضاً و هو الحسن. قال الشاعر:

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياء لا يشق على البصر

و من قال المعلمة، فمن السيمياء التى هى العلامة كقوله تعالى: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ» و من قال المعدة للجهد، فهو راجع إلى العلامة لأنها معدة بالعلامة و أصل الباب العلامة. و قوله: «و الانعام» فهى الإبل، و البقر، و الغنم من الضان و المعز و لا يقال لجنس

منها على الانفراد نعم إلا الإبل خاصة لأنه غلب عليها في التفصيل و الجملة. و الحرث: الزرع. و قوله: «ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فالمتاع: ما يستنفع به مدة ثم يفنى. و قوله: «وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» فالمآب:

(١) سورة آل عمران آية: ١٦٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٣

المرجع من آب يؤوب أبياً و إياباً و أوبه، و مآباً إذا رجع و تأوب تأوباً: إذا ترجع و أوبه تأوبياً: إذا رجع. و أصل الباب الأوب الرجوع.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٥] ص: ٤١٣

إشارة

قُلْ أَ تُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)
آية واحدة بلا خلاف.

القراءة والمعنى: ص: ٤١٣

قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر و رضوان - بضم الراء - الباقون بكسرها فالضم لغه قيس، و تميم. و الكسر لغه أهل الحجاز. قيل في آخر الاستفهام بقوله أو نبئكم قولان:

أحدهما - ان اخره عند قوله بخير من ذلكم، ثم استأنف للذين اتقوا.

الثاني - عند قوله: «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم استأنف جنات على تقدير الجواب، كأنه قيل:

ما هو ذلك الخير، فقيل هو جنات. و مثله: «قُلْ أَ فَأَبَيُّكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَمُ النَّارُ» «١» أى هى النار، و يجوز فى إعراب جنات فى العربية الرفع، و الجر، فالجر على أن يكون فى آخر الكلام عند ربهم. و لا- يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام، كما لا يجوز أمرت لك بألفين و لأخيك مأتين حتى تقول بمائتين و لو قدمت فقلت و مأتين لأخيك جاز، و لا يجوز النصب فى جنات على موضع الباء فيما لم يكن الباء فيه زائدة كما لا يحسن مررت برجل زيداً و يحسن خشنت بصدرة و صدر زيد، لأن الباء زائدة، و لا يجوز أن تكون زائدة فى بخير لأن نبات لا يجوز الاقتصار فيه على المفعول الثانى دون الثالث، لأنه بمعنى أعلمت، و لا يجوز أعلمت زيداً

(١) سورة الحج آية: ٧٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٤

أخاك حتى تقول خيراً من عمرو، أو نحوه. و قد تقدم تفسير الجنات و الأنهار.

و قوله: «خالدين» نصب على الحال و معنى تأويل قوله: «وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ» فلا معنى لإعادته. و الرضا و المرضاة: معنى واحد. و معنى قوله: «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» يعنى ما حرم عليهم - فى قول الحسن - . فان قيل ما تقولون أنتم لأنكم تقولون إن من لا يتقى جميع ما حرم عليه إذا كان عارفاً بالله و مصداقاً لجميع ما وجب عليه موعود له بالجنة؟ قلنا: نقول إن هذه الآية تدل على أن من اتقى جميع ما حرم عليه، فله الجنة، و ما وعد بها من غير أن يقترب بها شىء من استحقاق العقاب قطعاً. و من ليس معه إلا التصديق بجميع ما وجب عليه و قد أدخل

بكثير من الواجبات و ارتكب كثيراً من المحظورات فاننا نقطع على استحقاقه الثواب مع استحقاقه للعقاب و نجوز فعل العقاب به و نجوز العفو عنه مع القطع على وجوب الثواب له، ففارق المتقى على ما تراه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٦] ص : ٤١٤

إشارة

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)
آية بلا خلاف.

الاعراب: ص : ٤١٤

موضع الذين يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب الجر. و الرفع، و النصب، فالجر للاتباع، للذين اتقوا و الرفع على تقديرهم الذين يقولون. و النصب على المدح و تقديره أعنى.

اللغة: ص : ٤١٤

و قوله: «فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» فالمغفرة هي الستر للذنب برفع التبعة، و الذنب، و الجرم بمعنى واحد و إنما الفرق بينهما من جهة الأصل، لأن أصل الذنب الاتباع، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٥
فالذنب ما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعة و الجرم أصله القطع، فالجرم القبيح الذى ينقطع به عن الواجب، و الفرق بين القول، و الكلام أن القول فيه معنى الحكاية و ليس كذلك الكلام.

المعنى: ص : ٤١٥

و قوله: «وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قيل فى معنى هذه المسألة قولان:
أحدهما- مسألة الله ما هو من حكمه نحو قوله: «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا» و الفائدة فى هذا الدعاء التعبد بما فيه مصلحة للعباد. الثانى - مسألة الله عز و جل ما لا يجوز أن يعطيه العبد إلا بعد المسألة لأنه لا يكون لطفاً إلا بعد المسألة و على مذهبنا وجه حسن السؤال إن العفو تفضل من الله لا يجب عند التوبة، و يجوز أيضاً العفو مع عدم التوبة، فيكون وجه السؤال «فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» ان منا مصرين و لم نتب.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٧] ص : ٤١٥

إشارة

الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَابِ (١٧)

الاعراب، و اللغة، و المعنى: ص : ٤١٥

الصابرين نصب على المدح وكذلك باقى الصفات، ويجوز أن تكون جراً صفات «لَلَّذِينَ اتَّقَوْا» ومعنى الصابرين: الحاسبين نفوسهم بمنعها عما حرم الله (تعالى) عليها، فالصابر الممدوح: هو الحابس نفسه عن جميع معاصى الله، والمقيم على ما أوجب عليه من العبادات، والصادقين هم المخبرون بالشىء على ما هو به وهى أيضاً صفة مدح «و القانتين» قال قتادة: هم المطيعون. وقال الزجاج: هم الدائمون على العبادات، لأن أصل القنوت الدوام. «و المنفقين»: الذين يخرجون ما أوجب الله عليهم من الزكوات، وغيرها من الحقوق. ويدخل فى ذلك المتطوعون التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٦

بالإنفاق فيما رغب الله فى الإنفاق فيه. «و الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ» قال قتادة: هم المصلون بالأسحار. وقال أنس بن مالك: هم الذين يسألون المغفرة، وهو الأظهر.

و الأول جائر أيضاً، لأنه قد تطلب المغفرة بالصلاة، كما تطلب بالدعاء.

اللغة: ص : ٤١٦

والاسحار: جمع سحر، وهو الوقت الذى قبل طلوع الفجر. وأصله: الخفاء، وسمى السحر، لخفاء الشخص فيه. ومنه السحر، لخفاء سببه. ومنه السحر الرئى لخفاء موضعها. والمسحر الذى يأكل الطعام لخفاء مسالكه.

وروى عن أبى عبد الله أن من استغفر الله سبعين مرة فى وقت السحر، فهو من أهل هذه الآية.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٨] ص : ٤١٦

إشارة

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

المعنى: ص : ٤١٦

حقيقته الشهادة الاخبار بالشىء عن مشاهدة أو ما يقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة، والحجج اللائحة على وحدانيته من عجب خلقه، ولطيف حكمته فى ما خلق. وقال أبو عبيدة: معنى «شَهِدَ اللَّهُ» قضى الله «أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ» شهود «وَأُولُوا الْعِلْمِ» و حكى عمرو بن عبيد عن الحسن، وروى ذلك فى تفسيرنا أن فى الآية تقديماً، وتأخيراً. وتقديرها «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِمًا بِالْقِسْطِ» أى بالعدل، وشهد الملائكة أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط، وشهد أولوا العلم أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط. وأولوا العلم: هم المؤمنون.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٧

القرءة، والحجة، والاعراب: ص : ٤١٧

وقرأ أبو المهلب عمر بن محارب بن دثار «شَهِدَاءَ لِلَّهِ» على وزن فعلاء جمع شهيد، نصب على الحال برده على ما قبله من الكلام كأنه قال: الذين يقولون ربنا إننا آمننا شهداء لله أنه لا إله إلا هو، وهى جائزة غير أنها شهادة لم يوافق عليها أحد من قراء الأمصار، ذكر ذلك البلخى. و (إن) الأولى، والثانية نحتمل أربعة أوجه من العربية، فتحهما جميعاً وكسرهما جميعاً، وفتح الأولى وكسر الثانية، و

كسر الأولى وفتح الثانية. فمن فتحهما أوقع الشهادة على أن الثانية و حذف حرف الاضافة من الأولى، و تقديره «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (١) و قال أبو على الفارسي: يجوز أن يكون نصبها على البدل من شيئين. أحدهما- من قوله «أَنَّه لَا إِلَهَ» و تقديره شهد الله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» و يجوز بدل الشيء من الشيء و هو هو. و الثاني- أن يكون بدل الاشتمال، لأن الإسلام يشتمل على التوحيد و العدل و غير ذلك. و من كسرهما اعترض بالأولى للتعظيم لله عز و جل به كما قيل ليبيك إن الحمد. و كسر الثانية على الحكاية، لأن في معنى شهد معنى قال. و قال المؤرخ: شهد بمعنى قال بلغه قيس عيلان.

الثالث- من فتح الأولى و كسر الثانية- و هو أجودها، و عليه أكثر القراء- أوقع الشهادة على الأولى و استأنف الثانية و هو أحسن الوجوه و أظهرها.

الرابع- من كسر الأولى، فعلى الاعتراض، ثم فتح الثانية بإيقاع الشهادة عليها. و هو المروى عن ابن عباس، و قيل في نصب قائماً قولان: أحدهما- أنه حال من اسم الله على تقدير شهد الله قائماً بالقسط. الثاني- على الحال من هو و تقديره لا إله إلا هو قائماً بالقسط. و قال مجاهد:

(١) سورة آل عمران آية: ١٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٨

معنى قائماً بالقسط أى قائماً بالعدل كما تقول: قائماً بالتدبير أى يجريه على الاستقامة فكذلك يجرى التدبير على الاستقامة و العدل في جميع الأمور.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٩] ص: ٤١٨

إشارة

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)
آية.

القراءة، و اللغة، و المعنى: ص: ٤١٨

قرأ «أن الدين» بفتح الهمزة الكسائي و حكى ذلك عن ابن مسعود. الباقر بكسرها و قد بينا الوجه فيه. معنى الدين هاهنا الطاعة فمعناه ان الطاعة لله عز و جل هي الإسلام. قال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهوا الدين دراكا بغزوة و صيال (١)

و معناه ذلكهم للطاعة إذ كرهوا الطاعة، و الدين الجزاء. من قولهم كما تدين تدان أى كما تجزى تجزى. و منه قوله: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» أى يوم الجزاء، و سميت الطاعة ديناً، لأنها للجزاء، و منه الدين، لأنه كالجزاء فى وجوب القضاء.

و الإسلام أصله السلم، فأسلم معناه دخل فى السلم كقولهم أقحط بمعنى دخل القحط و أربع دخل فى الربيع، و أصل السلم السلامة، لأنه انقياد على السلامة، و يصلح أن يكون أصله التسليم، لأنه تسليم، لأمر الله، و التسليم من السلامة، لأنه تأدية الشيء على السلامة من الفساد و النقصان، فالإسلام: هو تأدية الطاعات على السلامة من الإدغال، و الإسلام، و الايمان عندنا و عند المعتزلة بمعنى واحد

غير أن عندهم أن فعل الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان «و عندنا أن أفعال

(١) انظر ٢: ١٤٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤١٩

الواجبات من أفعال الجوارح من الايمان» (١) و عندنا أن أفعال الواجبات من أفعال القلوب- التي هي التصديق- من الايمان، فأما أفعال الجوارح، فليست من الايمان، و إن كانت واجبة. و قد بينا ذلك في ما مضى و سنبينه إن شاء الله. و الإسلام: يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبي (ص) من العبادات الشرعية و ترك النكير عليه، و الاستسلام له، فإذا قلنا: دين المؤمن هو الايمان، و هو الإسلام، فالإسلام هو الايمان. و نظير ذلك قولنا: الإنسان حيوان على الصورة الانسانية، فالحيوان على الصورة الانسانية بشر.

و قوله: «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» قال الربيع: المراد بالكتاب:

التوراة. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: هو الإنجيل. و قال الجبائي: خرج مخرج الجنس، و معناه كتب الله المتقدمة التي بين فيها الحلال و الحرام.

و الاختلاف ذهاب أحد النفيسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف في الأديان. فأما الاختلاف في الأجناس، فهو امتناع أحد الشئيين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته. و البغى: طلب الاستعلاء بالظلم و أصله من بغيت الحاجة إذا طلبتها، و ليس في الآية ما يدل على أن الذين اختلفوا بغياً كانوا معاندين، لأن البغى قد يحمل على العدول عن طريق العلم، كما يحمل على عناد أهل العلم. و لأنه قد يقع الخلف بينهم و إن كانوا بأجمعهم مبطلين، كاختلاف اليهود و النصارى في المسيح، فنسبه النصارى إلى الإلهية، و اليهود إلى الفرية.

الاعراب، و المعنى: ص: ٤١٩

و العامل في «بَغِيًّا بَيْنَهُمْ» يحتمل أمرين: أحدهما- (اختلف) هذا المذكور، و تقديره: و ما اختلف فيه بغياً بينهم إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم، هذا قول الأخفش و قال الزجاج: نصبه محذوف دل عليه اختلف المذكور، و تقديره اختلفوا بغياً بينهم. و قوله: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ» معناه: من يجحد آيات الله

(١) ما بين القوسين زائد حسب ما يظهر.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٠

يعنى أدلته و بيناته «فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» و في الآخر سريع الحساب للجزاء.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٠] ص: ٤٢٠

إشارة

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٢٢٠

المعنى بقوله: «فَإِنْ حَاجُّوكَ» نصارى نجران- على قول جميع المفسرين- فان قيل: لم قال: «وَمَنْ أَتَّبَعِنِ» و لم يؤكد الضمير، فلم يقل: أسلمت أنا ولا- يجوز أن يقول القائل قمت و زيد إلا بعد أن يقول قمت أنا و زيد؟ قيل: إنما جاز ها هنا لطول الكلام، فصار طوله عوضاً من تأكيد الضمير المتصل، و لو قال أسلمت و زيد لم يجز حتى يقول: أسلمت أنا و زيد، فإذا قال: أسلمت اليوم بانسراح صدرى و من جاء معى حسن. فان قيل ما الحجج في قوله: «فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ؟ قلنا فيه وجهان: أحدهما- أنه أراد إلزامهم على- ما أقرؤا به من أن الله خالقهم- اتباع أمره في «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» (١) فلذلك قال: «أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ» أى انقدت لأمره فى اخلاص التوحيد له.

الثانى- أنه ذكر الأصل الذى يلزم جميع المكلفين الإقرار به لأنه لا ينتقض فى ما يحتاج إلى العمل عليه فى الدين الذى هو طريق النجاة من العذاب إلى النعيم، و معنى قوله: «وجهى» يريد نفسى و إنما أضاف الإسلام إلى الوجه، لأنه لما كان وجه الشىء أشرف ما فيه ذكر بدلا منه ليدل على شرف الذكر. و مثله «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» (٢) أى إلا هو. و قوله: (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)

(١) سورة الإسراء آية: ٢٣.

(٢) سورة القصص آية: ٨٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢١

يعنى اليهود و النصارى، «و الأُميين» الذين لا كتاب لهم على قول ابن عباس و غيره. من أهل التأويل، و هم مشركوا العرب، كما قال: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» (١) و قال: «النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ» (٢) أى الذى لا يكتب.

و إنما قيل لمن لا يكتب أمى، لأنه نسب إلى ما عليه الأمة فى الخلقة لأنهم خلقوا لا يكتبون شيئاً. و إنما يستفيدون الكتابة.

و قوله: «وَمَنْ أَتَّبَعِنِ» من حذف الياء اجتزاء بالكسرة و إنما حذفها حمزة، و الكسائى و عاصم، و حذف الياء فى أواخر الآى أحسن لأنها تشبه القوافى. و يجوز فى وسط الآى أيضاً و أحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله: «وَمَنْ أَتَّبَعِنِ»، فان لم يكن نون، فانه يجوز أيضاً نحو قولك هذا غلام، و ما أشبه ذلك. و الأجود أن تقول هذا غلامى و إن شئت أسكنت الياء. و إن شئت فتحتها.

و قوله: (ء أسلمتم) أمر فى صورة الاستفهام، و إنما كان كذلك، لأنه بمنزلة طلب الفعل، و الاستدعاء إليه فذكر ذلك للدلالة على أمرين من غير تصريح به ليقر المأمور به بما يلزمه فيه، كما تقول لمن توصيه بما هو أعود عليه: أقبلت هذا.

و معناه اقبل، و مثله قوله تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» (٣) معناه انتهوا، و أقرؤا به. و تقول لغيرك: هل أنت كاف عنا. و معناه اكفف. و يقول القائل لغيره:

أين أنت، و معناه اثبت مكانك لا تبرح.

و قوله: «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَصَدِّ اهْتَدَوْا» معناه اهتدوا إلى طريق الحق «وَإِنْ تَوَلَّوْا» معناه كفروا، و لم يقبلوا و اعرضوا عنه «فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ» و معناه عليك البلاغ، فقط دون ألا يتولوا، لأنه ليس عليك ألا يتولوا. و قوله:

«وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» معناه ها هنا لا- يفوته شىء من أعمالهم التى يجازيهم بها، لأنه بصير بهم أى عالم بهم و بسرائرهم و ظواهر أعمالهم، لا يخفى عليه خافية. و قيل معناه يعلم ما يكون منك فى التبليغ، و منهم فى الايمان، و الكفر.

(١) سورة الجمعة آية: ٢. [...].

(٢) سورة الاعراف آية: ١٥٦، ١٥٧.

(٣) سورة المائدة آية: ٩٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٢

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢١] ص: ٤٢٢

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)
آية واحدة.

القراءة: ص: ٤٢٢

قرأ حمزة و نصير «و يقاتلون الذين يأمرون» بالف لأن في مصحف عبد الله «و قاتلوا» و الأجود ما عليه الجماعة.

المعنى: ص: ٤٢٢

وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» معناه يجحدون «بِآيَاتِ اللَّهِ» يعنى حججه و بيناته «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ»

روى أبو عبيدة بن الجراح قال: قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال: رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف و نهى عن منكر، ثم قرأ رسول الله «وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» ثم قال يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة و أربعين نبياً من أول النهار فى ساعته واحدة، فقام مائة رجل و اثنا عشر رجلاً من عباد بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف، و نهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم، و هم الذين ذكرهم الله.

و استدل الرماني بذلك على جواز انكار المنكر مع خوف القتل، و بالخبر الذى

رواه الحسن عن النبي (ص) أنه قال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر يقتل عليها.

و قال عمرو بن عبيد: لا نعلم عملاً من أعمال البشر أفضل من القيام بالقسط يقتل عليه. و هذا الذى ذكره غير صحيح، لأن من شرط إنكار المنكر ألا يكون فيه مفسدة، و ألا يؤدى إلى قتل المنكر، و متى أدى ذلك إلى قتله، فقد انتفى عنه الشرطان معاً فيجب أن يكون قبيحاً، و الاخبار التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٣

التي رووها أخبار آحاد لا يعارض بها على أدلة العقول على أنه لا يمتنع أن يكون الوجه فيها و فى قوله: «وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ» هو من غلب على ظنه أن إنكاره لا يؤدى إلى مفسدة فحسن منه ذلك بل و جب و إن تعقب- فى ما بعد- القتل، لأنه ليس من شرطه أن يعلم ذلك بل يكفى فيه غلبة الظن.

و قوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ» لا يدل على أن قتل النبيين يكون بحق بل المراد بذلك أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، كما قال: «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» «١». و المعنى ان ذلك لا يكون عليه برهان كما قال امرؤ القيس:

على لا حب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود الدنيا فى جرجرا «٢»

و تقول: لا خير عنده يرجى. و أنت تريد لا خير عنده أصلاً. و كذلك أراد امرؤ القيس أنه لا منار هناك، فيهتدى به قال أبو ذؤيب:

متفلق انشاؤها عن قانى كالقرط صاو غيره لا يرضع

أى ليس له بقية لبن فيرضع، و معنى صاو فى البيت صوت يابس النخلة.

وقوله: «وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ» معناه الذين يأمرُونَ بالمعروف و ينهاون عن المنكر. وقوله: «فَبَشَّرْنَاهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» إنما خاطبهم بذلك و إن كان الخبير عن أسلافهم من حيث رضوا هم بأفعالهم، فأجملوا معهم على تقدير فبشر أخلافهم بأن العقاب لهم، و كأسلافهم. فان قيل لم جاز أن تقول إن الذي يقوم، فيكرمك، و لم يجز ليت الذي يقوم فيكرمك؟ قلنا: لأن دخول الفاء لشبهه الجزاء، لأن الذي يحتاج إلى صلة فصلتها قامت مقام الشرط، فلذلك دخل الفاء في الجواب كما دخل في جواب الشرط، و ليت تبطل معنى الجزاء و ليس كذلك أن لأنها بمنزلة الابتداء.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٢] ص: ٤٢٣

إشارة

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)

(١) سورة المؤمنون آية: ١١٨.

(٢) مر تخريجه في ٢: ٣٥٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٤

آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٤٢٤

حبوط العمل - عندنا- هو إيقاعه على خلاف الوجه المأمور به، فإذا أوقعه كذلك لم يستحق عليه الثواب، فجاز لذلك أن يقال: أحبط عمله، و متى أوقعه على الوجه المنهى عنه، استحق مع ذلك العقاب، و ليس المراد بذلك بطلان ما يستحق عليه من الحمد و الثناء. و لا- بطلان الثواب بما يستحق من العقاب، لأن الثواب إذا ثبت فلا- يزول على وجه بما يستحق صاحبه من العقاب، لأنه لا تنافي بين المستحقين، و لا تضاد. و أما حبوطها في الدنيا، فلأنهم لم ينالوا بها مدحاً و لا ثناء.

و أصل الحبوط مأخوذ من قولهم: حبطت بطون الماشية: إذا فسدت من مآكل الربيع. فعلى ما حررناه إنما تبطل الطاعة حتى تصير بمنزلة ما لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به و عند المعتزلة، و من خالفنا في ذلك أن أحدهما يبطل صاحبه إذا كان ما يستحق عليه من الثواب أو العقاب أكثر مما يستحق على الآخر فانه يبطل الأقل على خلاف بينهم في أنه يتحبط على طريق الموازنة أو غير الموازنة، قال الرماني: و الفرق بين حبوط الفريضة و حبوط النافلة أن النافلة من الفاسق لا بد عليها من منفعة عاجلة، لأن الله رغب فيها إن أقام على فسقه أو لم يقم.

و الترغيب من الحكيم لا يكون إلا لمنفعته، فأما الفريضة من الفاسق، فلانتقاض المضرة التي كان يستحقها على ترك المضرة، و هذا- على مذهبا- لا يصح على ما فصلناه، و لا على مذهب شيوخه، لأن المستحق على النوافل لا يكون إلا ثواباً و الثواب لا يصح فعله في دار التكليف، فكيف يصح ما قاله. و قوله: «وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» يدل على أنه تعالى لا ينصر كافراً لأنه لو نصره، لكان أعظم ناصر و الله تعالى نفى على وجه العموم أن يكون لهم ناصر، و لأن مفهوم الكلام أنه لا ينفعهم نصر لكفرهم.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٥

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٣] ص: ٤٢٥

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٢٣)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٤٢٥

معنى «أَلَمْ تَرَ» أ لم تعلم «إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا» معناه الذين أعطوا «نَصِيبًا» أى حظاً و إنما قيل «أُوتُوا نَصِيبًا» منه، لأنهم يعلمون بعض ما فيه «مِنَ الْكِتَابِ» قال ابن عباس، و الزجاج، و الجبائي: إنه التوراة دعى إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحجة عليهم بما فيه من الدلالة على نبوة نبينا (ص) و تصديقه. و الثانى - قال الحسن، و قتادة: دعوا إلى القرآن، لأن ما فيه موافق ما فى التوراة فى أصول الديانة و أركان الشريعة. و فى الصفة التى تقدمت البشارة بها.

و الحكم الذى دعوا فيه إلى الكتاب يحتمل ثلاثة أشياء: أحدها- أن يكون نبوة النبى (ص). و الثانى- أن يكون أمر إبراهيم فان دينه الإسلام. و الثالث- أن يكون حداً من الحدود، لأنهم نازعوا فى ذلك، و ليس فى القرآن دليل على تعيين ذلك و إنما هو محتمل لكل واحد منها.

و الفرق بين الدعاء إلى الشىء و الأمر به أن الأمر له صيغة مخصوصة و فيه زجر عن المخالفة عند من قال: إنه يقتضى الإيجاب. و الدعاء قد يكون بالخبر و غيره من الدلالات على معنى الخبر و إنما دعوا إلى المحاكمة لتظهر الحجة فأبوا إلا المخالفة.

و الحكم هو الخبر الذى يفصل الحق من الباطل بامتناعه من الإلباس و هو مأخوذ من الحكمة. و هو الخبر الذى توجب صحته الحكمة. و إنما يقال حكم بالباطل لأنه جعل موضع الحق باطلاً بدلاً منه. و قولهم ليس هذا حكم كذا معناه ليس هذا حقه وإنما دعوا إلى كتاب الله ليفصل الحق من الباطل فيما اختلفوا فيه. و معنى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٦

قوله: «يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ» فالتولى عن الشىء هو الاعراض عنه، فليس على وجه التكرار لأن معناه يتولى عن الداعى، و هو معرض عما دعا إليه، لأنه قد كان يمكنه أن يتولى عنه و هو متأمل لما دعا إليه، فلما لم يفعل كان العيب له ألزم و الذم على ما فعل أعظم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٤] ص: ٤٢٦

إشارة

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَ عَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٤٢٦

الأيام المعدودات قيل فيها قولان:

أحدهما- هى الأيام التى عبدوا فيها العجل و هى أربعون يوماً. ذكره قتادة، و الربيع، و الحسن إلا أن الحسن قال: سبعة أيام. و الثانى- قال الجبائي: أرادوا أياماً منقطعةً لانقضاء العذاب فيها و انقطاعه.

اللغة: ص: ٤٢٦

وقوله: «وَعَزَّهُمْ فِي دِينِهِمْ» فالغرور الاطماع في ما لا يصح. غره يغره غروراً، فهو مغرور و اعتره اغتراراً. و الغرور: الشيطان، لأنه يغر الناس. و الغار:

الغافل، لأنه كالمغتر. و الغرارة: الدنيا، لأنها تغر أهلها. و الغر: الغمر الذى لم يجرب الأمور، و مصدره الغرارة، لأن من شأنه أن يقبل الغرور. و الغرر: الخطر الذى يقدم فيه على ما لا ينبغي، لأنه كحال الغرور فى الطمع المذموم. و الغرارة: الوعاء، لأنها تغر بعظمها و خفاء ما فيها. و الغر: آثار طى الثوب. أطوه على غره أى على آثار طيه. و الغرغرة: التغرغر فى الحلق. و الغرغرة: حكاية صوت الراعى.

و الغر: زق الطائر فرخه. غره يغره غراً: إذا زقه و ذلك، لأنه كالغرغرة فى الحلق. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٧
و الغرة: الجبهة. و أصل الباب الغرور الطماع فى غير مطعم.
و قوله: «ما كانوا يفتنون» فالافتراء: الكذب، و فرى فلان كذباً يفره فرية، و الفرى: الشق، فريت الأديم فرياً، و فريه. مفريه: مشقوقة. و قد تفرو بجورها أى تشق. و الفرى: الإصر العظيم، لأنه يشق على النفس. و أصل الباب: الفرى: الشق. و منه الافتراء، لأنه يشق على النفس.

المعنى: ص: ٤٢٧

و الافتراء الذى غرهم قيل فيه قولان: أحدهما- قوله: «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاءُهُ» فى قول قتادة، و قال مجاهد غرهم قوله: «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ» و ليس فى الآية ما يدل على خلاف ما نذهب إليه من جواز العفو و إخراج المعاقبين من أهل الملة من النار من حيث أن الله ذم هؤلاء بانه لا تمسهم النار إلا أياماً معدودات. و ذلك انا لا نقول أن الأيام التى يعاقب فيها الفاسق بعدد أيام عصيانه بل إنما نقول: إن عقاب من ثبت دوام ثوابه لا يكون إلا منقطعاً و إن لم يحط العلم بمقداره. و الله تعالى عاب أهل الكتاب بذلك من حيث قطعوا على ما قالوه و حكموا به و ذلك بخلاف ما قلناه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٥] ص: ٤٢٧

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)
آية بلا خلاف.

«كيف» موضوعه للسؤال عن الحال. و معناها هاهنا التنبيه بصيغة السؤال عن حال من يساق إلى النار. و فيه بلاغة، و اختصار شديد، لأن تقديره أى حال يكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى أداه ذلك إلى الخلود فى العقوبة؟ و نظيره قول القائل: أنا أكرمك و إن لم تجتنى فكيف إذا جتنى؟ معناه فكيف إكرامى لك إذا جتنى. و التقدير: كيف حالها إذا جمعناهم؟ لأنه خبر ابتداء محذوف. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٨

و قوله: «لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ» معناه لجزاء يوم. و اللام يدل على هذا التقدير. و لو قال: جمعناهم فى يوم لما دل على ذلك. و مثله جنته ليوم الخميس أى لما يكون فى يوم الخميس. و قال الفراء. معناه فى يوم.

و قوله: «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» قيل فى معناه قولان:
أحدهما- «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» من ثواب أو عقاب. الثانى- ما كسبت من ثواب أو عقاب بمعنى اجتلبت بعملها من الثواب أو العقاب، كما تقول كسب فلان المال بالتجارة و الزراعة. فان قيل: كيف قال: «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» و ما كسبت، لا نهاية له، لأنه

دائم و ما لا نهاية له لا يصح فعله؟ قلنا: معناه أنه توفي كل نفس ما كسبت حالا بعد حال، فأما أن يفعل جميع المستحق فمحال لكن لا ينتهى إلى حد ينقطع و لا- يفعل فيما بعده. «وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ» معناه لا يبخسون، فلا يبخس المحسن جزاء إحسانه، و لا يعاقب مسيء فوق جزائه.

وقوله تعالى. [سورة آل عمران (٣): آية ٢٦] ص : ٤٢٨

إشارة

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)
آية واحدة.

اللغة: ص : ٤٢٨

قيل فى زيادة الميم فى اللهم قولان: أحدهما- قال الخليل: إنها عوض من ياء التى هى أداة للنداء بدلالة أنه لا يجوز أن تقول غفر اللهم لى، و لا- يجوز أيضاً مع (يا) فى الكلام. و الثانى- ما قاله الفراء: إنها الميم فى قولك يا الله أمتا بخير فألقت الهمزة و طرحت حركتها على ما قبلها. و مثله هلم و إنما هى هل أم، قال: و ما قاله الخليل لا يجوز لأن الميم إنما تزداد مخففة فى مثل فم و ابنم، و لأنها قد اجتمعت مع (يا) فى قول الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٢٩
و ما عليك أن تقولى كلما سبحت أو صليت يا للهما
أردد علينا شيخنا مسلماً «١»

قال الرماني: لا يفسد قول الخليل بما قاله، لأنها عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن و ضربتن لما كانت النون عوضاً من حرفين فى قمتن، و ذهبتم، فأما قمتن و ذهبن فعوض من حرف واحد، و أما البيت فإنما جاز فيه لضرورة الشعر، و أما هل، فلا تدخل على (أم) بوجه من الوجوه. و الأصل فى (ها) أنها للتنبية دخلت على (لم) فى قول الخليل.

الاعراب: ص : ٤٢٩

وقوله: «مَالِكَ الْمُلْكِ» أكثر النحويين على أنه منصوب بأنه منادى مضاف و تقديره يا مالك الملك. و قال الزجاج: يحتمل هذا و يحتمل أيضاً أن يكون صفة من اللهم، لأن اللهم منادى، و الميم فى آخره عوض من ياء فى أوله ثم وصفه بعد ذلك كما تقول يا زيد ذا الحجة.

المعنى: ص : ٤٢٩

و معنى الآية قيل فيه أربعة أقوال:

أحدها- أن الملك هاهنا النبوة ذكره مجاهد. و [الثانى قال الزجاج:

مالك العباد، و ما ملكوا. و [الثالث قال قوم: مالك أمر الدنيا و الآخرة.

و الرابع: أنه أفاد صفة لا تجوز الاله من أنه مالك كل ملك.

وقوله: «تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ» تقديره من تشاء أن تؤتیه و تنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه، كما تقول: خذ ما شئت و اترك ما شئت. و معناه ما شئت أن تتركه.

(١) اللسان (أله)، و معاني القرآن للفراء ١: ٢٠٣ و غيرهما من كتب اللغة و النحو و الأدب، و رأيها مختلفه.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٠

اللغة: ص: ٤٣٠

و النزع: قلع الشيء عن الشيء، نزع ينزع نزعاً. و منه قوله: «و النَّازِعَاتِ غَرْقًا» قال أبو عبيده هي النجوم تنزع أى تطلع و النزع الشبه للقوم نزع إلى أخواله أى نزع إليهم بالشبه، فصار واحداً منهم بشبهه لهم. و النزاع: الحين إلى الشيء و المنازعة: الخصومة. و النزوع عن الشيء الترك له. و النزع: ذهاب الشعر عن مقدم الرأس. و المنزعة: آلة النزع. و أصل الباب النزع: القلع.

المعنى: ص: ٤٣٠

و قال البلخي و الجبائي لا يجوز أن يعطى الله الملك للفاسق لأنه تمليك الأمر العظيم من السياسة و التدبير مع المال الكثير، لقوله: «لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (١) و الملك من أعظم العهود، و لا- ينافى ذلك قوله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ» (٢) لأمرين: أحدهما- قال مجاهد الهاء كناية عن إبراهيم و الملك المراد به النبوة و التقدير أن آتى الله إبراهيم النبوة. و الثانى- أن يكون المراد بالملك المال دون السياسة، و التدبير فان قيل: ما الفرق بين تمليك الكافر العبيد و الإمام و بين تمليكه السياسة و التدبير: قيل: لأن لا يجعل للجاهل أن يسوس العالم، و هذا الذى ذكره البلخي بعينه يُستدل به على الامام يجب أن يكون معصوماً، و لا يكون فى باطنه كافراً، و لا فاسقاً.

فان قيل: إن ذلك عادة و جاز أن يكلفنا الله اختياره على ظاهر العدالة فإذ أبان فسقه انخلعت إمامته و إنما لا يجوز أن يختار الله (تعالى) من فى باطنه فاسق، لأنه يعلم البواطن لما جاز منا أن نختاره؟ قلنا عن ذلك جوابان: أحدهما- أن الامام- عندنا- الله (تعالى) يختاره، فوجب أن يكون

(١) سورة البقرة آية: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٥٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣١

مأمون الباطن على ما قلتموه. و ما الفرق بين أن يختار من فى باطنه فاسق و بين أن يكلفنا ذلك مع علمه بأننا لا نختار إلا الفاسق. و الجواب الثانى- أنه إذا كانت علة الحاجة إلى الامام ارتفاع العصمة فلو كان الامام غير معصوم لاحتاج إلى امام آخر و أدى ذلك إلى التسلسل و ذلك باطل.

وقوله: «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» معناه إنك قادر على الخير و إنما خص الخير بالذكر و إن كان بيده كل شىء من خير أو شر، لأن الغرض ترغيب العبد، و إنما يرغب فى الخير دون الشر، و قال الحسن، و قتادة: هذه الآية نزلت جواباً لما سأل الله النبى (ص) أن يجعل لأمته ملك فارس و الروم فأنزل الله الآية.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٧] ص: ٤٣١

إشارة

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) آية بلا خلاف.

القراءة واللغة: ص : ٤٣١

قرأ بتشديد الياء «من الميت» نافع و حمزة و الكسائي و حفص الباقون بالتخفيف. الإيلاج: الإدخال يقال: أولجه ايلاجاً، و ولج ولوجاً. و منه قوله: «حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ» (١) و الوليجة بطائه الرجل لأنه يطلعه على داخل أمره. و منه قوله: «وَلَمْ يَنْجِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً» (٢) و التولج كناس الطبي لأنه يدخله ليأوى إليه و الولجة شيء يكون بين يدي فناء القوم لأنه مدخل إلى أفنائهم و أصل الباب الدخول.

(١) سورة الاعراف آية: ٢٩.

(٢) سورة التوبة آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٢

المعنى: ص : ٤٣٢

قيل في معنى الآية قولان: أحدهما- ما روى عن ابن مسعود، و ابن عباس، و مجاهد، و الحسن، و قتادة، و السدي، و الضحاك، و ابن زيد: انه يجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر. و قال الجبائي: معناه يدخل أحدهما في الآخر بإتيانه بدلا منه في مكانه. و قوله: «وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» قيل في معناه قولان: أحدهما- يخرج الحي من النطفة، و هي ميتة، و النطفة من الحي و كذلك الدجاجة من البيض و البيض من الدجاجة، هذا قول عبد الله بن مسعود، و مجاهد، و الضحاك، و السدي، و قتادة، و ابن زيد.

الثاني- ما قاله الحسن

و روى ذلك عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع) أنه إخراج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن.

و الفرق بين تخفيف الياء و تشديدها أن الميت بالتخفيف الذي قدمات و بالثقل الذي لم يمت قال المبرد: و لا خلاف بين علماء البصريين أنهما سواء و أنشد لابن الرعلاء الغساني:

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الأحياء

انما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرخاء (١)

فجمع بين اللغتين و إنما كرر في عدة مواضع في القرآن لما فيه من عظم المنفعة و جزيل الفائدة.

و قوله: «بِغَيْرِ حِسَابٍ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أولها- قال الحسن و الربيع:

بغير نقصان، لأنه لا نهاية لما في مقدوره فما يوجد منه لا ينقصه، و لا هو على حساب جزء من كذا و كذا جزءاً منه، فهو بغير حساب

التجزئة. الثاني- بغير حساب التقدير كما يقال فلان ينفق بغير حساب، لأن من عادة المقتر ألا ينفق إلا

(١) اللسان (موت) و روايته (شقياً) بدل (كثيلاً).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٣

بحساب ذكره الزجاج. الثالث- ما قاله الجبائي: ان معناه بغير حساب الاستحقاق، لأنه تفضل و ذلك، لأن النعيم منه بحساب و منه بغير حساب فأما العقاب فجميعه بحساب.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٨] ص: ٤٣٣

إشارة

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)
آية واحدة.

القرءاء، و الحجاة: ص: ٤٣٣

قال الفراء، و الحسن، و مجاهد: «تقية» و به قرأ يعقوب. الباقر «تقاء» و أمال «تقاء» الكسائي. و قرأ حمزة، و نافع بين بين. الباقر بالتفخيم، و هو الأجود، لأن فيه حرفاً مستعليماً، و هو القاف. و من أمال، ليؤذن أن الالف منقلبة من الياء. معنى قوله: «يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ» نهى للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء يعنى أنصاراً، و كسر الذال لالتقاء الساكنين، و لو رفع، لكان جائزاً بمعنى لا ينبغي لهم أن يتخذوا.

المعنى: ص: ٤٣٣

و قوله: «مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» من لا ابتداء الغاية. و تقدير الآية لا- تجعلوا ابتداء الولاية مكاناً دون المؤمنين لأن مكان المؤمن الأعلى و مكان الكافر الأدنى، كما تقول زيد دونك و لست تريد أنه في موضع مسفل، و أنك في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع و الخيانة كالاستفحال. و في الآية دلالة على أنه لا يجوز ملاطفة الكفار. قال ابن عباس: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٤ خَبَالًا»

«١» و قال: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» «٢» و قال: «فَلَا تَقْعُدُوا بِعَدُوِّكُمْ الظَّالِمِينَ» «٣» و قال «وَأَعْرَضُوا عَنِ الْجَاهِلِينَ» «٤» و قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» «٥» و قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» «٦» و كل ذلك يدل على أنه ينبغي أن يعاملوا بالغلظة و الجفوة دون الملاطفة، و الملاينة إلا ما وقع من النادر لعارض من الأمر.

النظم: ص: ٤٣٤

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه (تعالى) لما بين عظيم آياته بما في مقدوراته مما لا يقدر عليه سواه، دل على أنه ينبغي أن تكون الرغبة في ما عنده و عند أوليائه من المؤمنين دون أعدائه الكافرين، فنهى عن اتخاذهم أولياء دون أهل التقوى الذين سلكوا طريق

الهدى. و الولي هو الأولي، و هو أيضاً الذي يلي أمر من ارتضى فعله بالمعونة و النصرة. و تجرى على وجهين: أحدهما- المعين بالنصرة. و الآخر- المعان فمن ذلك قوله: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» أي معينهم بنصرته، و المؤمن ولي الله أي معان بنصرة الله. و قوله:

«وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» يعنى من اتخذ الكافرين أولياء «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» أي ليس هو من أولياء الله الصالحين و الله برىء منهم «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً» فالتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوى عليه القلب للخوف على النفس إذا كان ما يبطنه هو الحق فان كان ما يبطنه باطلا كان ذلك نفاقاً.

اللغة: ص : ٤٣٤

و قوله: (تقاء) أصله وقاء فأبدلت الواو المضمومة تاء استثقلاً لها، لأنهم

(١) سورة آل عمران آية: ١١٨.

(٢) سورة المجادلة آية: ٢٢.

(٣) سورة الانعام آية: ٦٨.

(٤) سورة الاعراف آية: ١٩٨. [.....]

(٥) سورة التوبة آية: ٧٤.

(٦) سورة المائدة آية: ٥٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٥

يفرون منها إلى الهمزة تارة و إلى التاء أخرى فأما التاء فلقربها من الواو مع أنها من حروف الزيادة. و أما الهمزة فلأنها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولاً، و وزن تقاء فعله مثل تؤدء، و تخمء و تكأء، و هى مصدر اتقى تقاء، و تقيه، و تقوى، و اتقاء.

حكم التقيه: ص : ٤٣٥

و التقيه- عندنا- واجبه عند الخوف على النفس و قد روى رخصه في جواز الإفصاح بالحق عندها. روى الحسن أن مسيلم الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله (ص) فقال لأحدهما أ تشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أ فتشهد أنى رسول الله؟ قال: نعم، ثم دعا بالآخر فقال أ تشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فقال له أ فتشهد أنى رسول الله؟ قال إنى أصم- قالها ثلاثاً كل ذلك تقيه- فتقول ذلك فضرب عنقه فبلغ ذلك «١» فقال أما هذا المقتول فمضى على صدقه و تقيته و أخذ بفضلته فهيناً له. و أما الآخر فقبل رخصه الله، فلا تبعه عليه فعلى هذا التقيه رخصه و الإفصاح بالحق فضيلة. و ظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبه، و خلافها خطأ.

و قوله: «وَيَحِذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» يعنى إياه فوضع نفسه مكان إياه، و نفسه يعنى عذابه، و أضافه إلى نفسه على وجه الاختصاص، و التحقيق كما لو حققه بصفه بأن يقول يحذركم الله المجازى لكم. و قوله: (وإلى الله المصير) معناه إلى جزاء الله المصير أى المرجع.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٢٩] ص : ٤٣٥

إشارة

قُلْ إِنْ تَخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)
آية واحدة.

(١) يعنى رسول الله (ص).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٦

النظم: ص : ٤٣٦

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها. أنه لما تقدم النهى عن اتخاذ الكفار أولياء خوفوا من الإعلان بخلاف الاظهار فى ما نهوا عنه بأن الله (تعالى) يعلم الأسرار كما يعلم الإعلان.

اللغة: ص : ٤٣٦

و الصدر معروف. و الصدر: أعلى مقدم كل شىء. و الصدر: الانصراف عن الماء بعد الرى. تقول: صدرت الإبل عن الماء فهى صادرة. و المصدر: الحوض الذى تصدر عنه الإبل. و التصدير: حزام الرجل لميله إلى الصدور. و الصادر: شبيه بالفقيرة تلبسها المرأة لأنه قصير يغطى الصدر و ما حاذاه و كذلك الصدرة. و أصل الباب الصدر المعروف. و قوله: «يَعْلَمُهُ اللَّهُ» جزم، لأنه جواب الشرط، و ان كان الله يعلمه كان أو لم يكن، و معناه يعلمه كائناً. و لا يصح وصفه بذلك قبل أن يكون. و المعنى:

و ما تفعلوا من خير يجاز الله عليه، لأنه يعلمه، فلا يذهب عليه شىء منه و إنما قال: «و يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» ليذكر بمعلومات الله على التفصيل بعلم الضمير و إنما رفعه على الاستئناف. و قوله: «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» معناه التحذير من عقاب من لا يعجزه شىء أصلاً من حيث أنه قادر على كل شىء يصح أن يكون مقدوراً له.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٠] ص : ٤٣٦

إشارة

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)

آية بلا خلاف. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٧

الاعراب: ص : ٤٣٧

قيل فى انتصاب يوم ثلاثة أوجه: أحدها- أنه منصوب ب (يحذركم) الله أى يحذركم نفسه يوم تجد. الثانى- بالمصير و تقديره و إلى

اللَّهُ المصير يوم تجدد. الثالث- اذكر يوم تجدد. وقوله: «ما عملت» معنى (ما) هاهنا الذى لأنه عمل فيها (تجدد) و تكون فى موضع نصب. و يحتمل أيضاً أن تكون مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و تقديره: يوم تجدد كل نفس عملها، بمعنى جزاء عملها. وقوله: «و ما عملت» يجوز أن تكون (ما) بمعنى الذى، و يقوى ذلك قوله: «تود» بالرفع و يجوز أن يكون بمعنى الجزاء، و تود على هذا يحتمل أن يكون مفتوحاً أو مكسوراً. و الرفع جائز على ضعف.

المعنى: ص : ٤٣٧

و معنى تجد النفس عملها يحتمل أمرين: أحدهما- جزاء عملها من الثواب أو العقاب. الثانى- تجد بيان عملها بما ترى من صحائف الحسنات، و السيئات.

و حكم الآية جار على فريقين ولى الله و عدوه، فأحدها يرى حسناته، و الآخر يرى سيئاته. و يحتمل أيضاً أن يكون متناولاً لمن جمع بين الطاعة و المعصية، فان من جمع بينها فانه يرى استحقاقه للعقاب على معاصيه حاصلًا، فانه يود أيضاً أنه لم يكن فعلها. و الأمد الغاية التى ينتهى إليها قال الطرماح:

كل حى مستكمل عدة العمر و مردّ إذا انقضى أمده

أى غاية أجله. فان قيل كيف يتصل التحذير بالرأفة؟ قيل: قال الحسن:

إن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه، و قد بينا أن معنى قوله «و يُحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» عذابه. و فسرنا معنى رؤوف فى ما مضى. و إن معناه رحيم بعباده.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣١] ص : ٤٣٧

إشارة

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٨

آية.

النزول: ص : ٤٣٨

قيل: إن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب، قالوا: نحن الذين نحب ربنا فجعل الله تصديق ذلك اتباع رسله. هذا قول الحسن و ابن جريج. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: إنها نزلت فى وفد نجران من النصارى.

اللغة: ص : ٤٣٨

و المحبة: هى الارادة إلا- أنها تضاف إلى المراد تارة، و إلى متعلق المراد أخرى نحو أن تقول: أحب زيداً و أحب إكرام زيد، و لا تقول فى الارادة ذلك لأنك تقول: أريد إكرام زيد، و لا تقول أريد زيداً. و إنما كان كذلك لقوة تصرف المحبة فى موضع مثل الطباع الذى يجرى مجرى الشهوة، فعولت تلك المعاملة فى الاضافة و محبة الله للعبد هى ارادته لثوابه و محبة العبد لله هى ارادته لطاعته.

القراءة، والحجة، والاعراب: ص: ٤٣٨

وقوله: (فاتبعوني) أثبت الياء فيه بلا-خلاف، لأنها في وسط آية و حذفت من قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا» لأنها رأس آية نوى بها الوقف لتشاكل رءوس الآي، لأن سبيل الفواصل سبيل القوافي. وقيل أحبت فلاناً، فهو محبوب، فجاء مفعول للاستغناء به عن حبيت حتى صار ذلك مهملاً، وقد جاء على الأصل قول عنتره:
 ولقد نزلت فلا تظني غيره منى بمنزلة المحب المكرم «١»
 وقد حكى الزجاج عن الكسائي (حبيت) من الثلاثي، و أجاز القراءة بفتح

(١) معلقته الشهيرة و غيرها.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٣٩

التاء غير أنه قال هذه لغه قد ماتت. وقول: (وَ يَغْفِرْ لَكُمْ) لا يجوز في القياس إدغام الراء في اللام كما جاز إدغام اللام في الراء في هل رأيت، لأن الراء مكررة، و لا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به، و قياسها في ذلك قياس الضاد، لأنه يجوز هل ضربت بالإدغام و لا يجوز انقض له إلا بالإظهار لما في الضاد من الاستطالة، و قال الزجاج: روى عن أبي عمرو إدغام الراء في اللام، و غلظ عليه لأنه خطأ فاحش بإجماع علماء النحويين: الموثوق بهم، و أجاز الفراء إدغامها في اللام كما يجوز إدغام الياء في الميم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٢] ص: ٤٣٩

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)
 آية بلا خلاف.

قال محمد بن جعفر بن الزبير: نزلت هذه الآية في وفد نجران، و فيها دلالة على بطلان مذهب المجبرة، لأنه قال لا يحب الكافرين و معنى لا يحبهم لا يريد ثوابهم من أجل كفرهم، فاذن لا يريد كفرهم، لأنه لو أراد لم يكن نفى محبته لكفرهم، و الطاعة إتباع الداعي فيما دعا إليه بأمره أو إرادته، و لذلك قد يكون الإنسان مطيعاً للشيطان فيما يدعوه إليه، و إن لم يقصد أن يطيعه، لأنه إذا مال مع ما يجده في نفسه من الدعاء إلى المعصية، فقد أطاع الداعي إليها. فان قيل ما الفرق بين الطاعة و موافقة الارادة؟ قيل: موافقة الارادة قد تكون طاعة، و قد تكون غير طاعة إذا لم تقع موقع الداعي إلى الفعل نحو ارادتي، لأن يتصدق زيد بدرهم من غير أن يشعر بذلك، فلا يكون بفعله مطيعاً لي و لو فعله من أجل إرادتي لكان مطيعاً و كذلك لو أحسن بدعائي إلى ذلك فمال معه. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» معناه أنه يبغضهم و لا يريد ثوابهم، فدل بالنفي على الإثبات و كان ذلك أبلغ، لأنه لو قال إنه يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضهم من وجه و يحبهم من وجه كما يعلم الشيء من وجه، و يجهل من وجه، فإذا قيل لا يعلمه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٠

لم يحتمل الوجه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٣] ص: ٤٤٠

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)
 آية واحدة.

معنى اصطفي: اختار و اجتبي و أصله من الصفوة، و هذا من حسن البيان الذي يمثل فيه المعلوم بالمرئي و ذلك أن الصافي هو النقي

من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم لأنهم كخلوص الصافي من شائب الأدناس. فان قيل: بما ذا اختارهم أ باختيار دينهم أو بغيره؟
قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها- بمعنى أنه اختار دينهم و اصطفاه، كما قال: «وَسئَلِ الْقُرْيَةَ» (١) و هذا قول الفراء:

و [الثاني قال الزجاج و اختاره الجبائي: انه اختارهم للنبوّة على عالمى زمانهم.

الثالث- قال البلخي: بالترفضيل على غيرهم بما رتبهم على من الأمور الجليلة، لما فى ذلك من المصلحة.

و الاصطفاء هو الاختصاص بحال خالصة من الأدناس. و يقال ذلك على وجهين. يقال: اصطفاه لنفسه أى جعله خالصاً له يختص به. و الثانى- اصطفاه على غيره أى اختصه بالترفضيل على غيره و هو معنى الآية فان قيل: كيف يجوز اختصاصهم بالترفضيل قبل العمل؟ قيل: إذا كان فى المعلوم أن صلاح الخلق لا يتم إلا بتقديم الاعلام لذلك بما قدم من البشارة بهم، و الاخبار بما يكون من حسن أفعالهم و التشويق إليهم بما يكون من جلالتهم إلى غيره من الآيات التى تشهد لهم، و القوى فى العقول و الافهام التى كانت لهم، و جب فى الحكمة تقديم ذلك لما فيه

(١) سورة يوسف آية: ٨٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤١

من حسن التدبير.

فان قيل: من آل ابراهيم؟ قيل: قال ابن عباس، و الحسن: هم المؤمنون الذين على دينه، فيكون بمعنى اختصاصهم بميزة كانت منهم على عالمى زمانهم. و قيل:

آل عمران هم آل ابراهيم كما قال: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» فهم موسى و هرون ابنا عمران. و قال الحسن: آل عمران المسيح، لأن أمه مريم بنت عمران. و فى قراءة أهل البيت «و آل محمد على العالمين». و قال أيضاً: إن آل ابراهيم: هم آل محمد الذين هم أهله. و قد بينا فيما مضى أن الآل بمعنى الأهل. و الآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزهون، لأنه لا يختار و لا يصطفى إلا من كان كذلك، و يكون ظاهره و باطنه واحداً، فإذا يجب أن يختص الاصطفاء بآل ابراهيم و آل عمران من كان مرضياً معصوماً سواء كان نبياً أو إماماً.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٤] ص: ٤٤١

إشارة

ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)

اللغة، و الاعراب: ص: ٤٤١

وزن ذرية فعلية، مثل قمرية. و يحتمل أن يكون على وزن فعلولة. و أصله ذرورة إلا أنه كرهه التضعيف، فقلبت الراء الأخيرة ياء، فصار ذروية و قلبت الواو للياء التى بعدها ياء و أدغمت إحداهما فى الاخرى، فصار ذرية. قال الزجاج: و الاول أجود و أقيس. و يحتمل نصبها وجهين:

أحدهما- أن يكون حالا و العامل فيها اصطفى. و الثانى- أن يكون على البدل من مفعول اصطفى.

المعنى: ص : ٤٤١

و معنى قوله: «بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» أى فى الاجتماع على الصواب. قال الحسن: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٢ «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» (١) فى الاجتماع على الهدى. و به قال قتادة. الثانى - قال الجبائى وغيره: إنه فى التناسل إذ جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم، و هو المروى عن أبى عبد الله (ع) ، لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض. و قوله: «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قيل فيه قولان: أحدهما - أنه سمع لما تقوله الذرية عليم بما تضمه، فلذلك فضلها على غيرها لما فى معلومه من استقامتها فى قولها، و فعلها. و الثانى - سمع لما تقوله امرأة عمران من قوله: «إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا» عليم بما تضمه ليدل على أنه لا يضيع لها شىء من جزاء عملها و نبه بذلك على استحسان ذلك منها، لأن قول القائل قد علمت ما فعلت يجرى فى الوعد و الوعيد معاً على حد واحد.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٥] ص : ٤٤٢**إشارة**

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) آية واحدة بلا خلاف.

الاعراب، و المعنى: ص : ٤٤٢

امرأة عمران المذكورة فى الآية هى أم مريم بنت عمران أم المسيح، و قيل أن اسمها كانت حنّة. و (إذ) تدل على ما مضى. و قيل فيما يتعلق به (إذ) أربعة أقوال: أحدها - قال الأخفش و المبرد: أنه اذكر إذ قالت. الثانى - قال الزجاج: انه متعلق باصطفى آل عمران إذا قالت. الثالث - يتعلق بسميع عليم إذ قالت، فيعمل فيه معنى الصفتين على تقدير مدرك لنيتها و قولها إذ قالت ذكره الرماني. الرابع - قال أبو عبيدة: ان (إذ) زائدة، فلا موضع لها من الاعراب

(١) سورة التوبة آية: ٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٣

و هذا خطأ عند البصريين. و قوله: «نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا» فالنذر قد بيناه فيما مضى، و هو قول القائل: لله على كذا و كذا. و قيل فى معنى «محراً» ثلاثة أقوال: أحدها - قال الشعبي: معناه مخلصاً للعبادة. و قال مجاهد: خادماً للبيعة. و قال محمد بن جعفر بن الزبير: عتيقاً من الدنيا لطاعة الله.

اللغة: ص : ٤٤٣

و معنى (محراً) فى اللغة يحتمل أمرين: أحدهما - معتق من الحرية.

تقول: حررته تحريراً: إذا أعتقته أى جعلته حراً. الثانى - من تحرير الكتاب و هو إخلاصه من الضرر و الفساد. و أصل الباب الحرارة، لأن الحر يحمى فى مواضع الانفة. فالمحرر يخلص من الاضطراب كما يخلص حرارة النار الذهب و نحوه من شائبة الفساد، و هو نصب على الحال من (ما) و تقديره نذرت لك الذى فى بطنى محرراً و العامل فيه نذرت.

و قوله: «فَتَقَبَّلْ مِنِّي» فأصل التقبل المقابلة، و ذلك للاعتداد بالشىء فيما يقابل بالجزاء عليه. و تقبل الصنيع مشبه بتقبل الهدية من جهة أخذه دون رده.

و قوله «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» معناه السميع لما أقول العليم بما أنوى، فهذا صحت الثقة لى.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٦] ص : ٤٤٣

إشارة

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)

آية بلا خلاف.

القراءة، و المعنى: ص : ٤٤٣

قرأ (و الله أعلم بما وضعت) ابن عامر، و أبو عمرو عن عاصم، و يعقوب التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٤

بمعنى قولى (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ قِيلَ: فيه قولان:

أحدهما- الاعتذار من العدول عن النذر، لأنها أنثى. الثانى - تقديم الذكر فى السؤال لها بأنها أنثى و ذلك ان عيب الأنثى أفضح، و هو إليها أسرع، و سعيها أضعف، و عقلها أنقص فقدمت ذكر الأنثى ليصح القصد لها فى السؤال على هذا الوجه.

و قوله: «وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ» اعتذار بأن الأنثى لا تصلح لما يصلح له الذكر، و إنما كان يجوز لهم التحرير فى الذكور دون الإناث، لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة المسجد المقدس، لما يلحقها من الحيض و النفاس، و الصيانة عن التبرج للناس.

و قال قتادة: لم يكن التحرير إلا- للغلمان فيما جرت به العادة. و الهاء فى قوله: «وضعتها» يحتمل أن يكون كناية عن (ما) فى قوله «نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي» و جاز ذلك لوقوع (ما) على مؤنث. و يحتمل أن يكون كناية عن معلوم قد دل عليه الكلام.

اللغة: ص : ٤٤٤

و أصل الوضع: الحط. وضعه يضعه وضعاً. و وضعت بمعنى ولدت أى وضعت الولد. و منه الموضع: مكان الوضع. و التواضع: خلاف التكبر لأنه وضع العبد من نفسه. و الضعة: الخساسة لأنها تضع من قدر صاحبها. و الوضيعة: ذهاب شىء من رأس المال. و المواضع: المواهب فى التباع لوضع ما ينفق عليه فى ذلك.

و الإيضاع فى السير: الرفق فيه لأنه حط عن شدة الاسراع. و منه قوله تعالى:

«وَلَا وَضَعُوا خِلالَكُمْ» «١» و أصل الباب: الحط.

المعنى: ص : ٤٤٤

فان قيل هل يجوز أن تقول: و الله أعلم بأن الجسم محدث من زيد العالم به، كما قالت: «و الله أعلم بما وضعت؟» قيل: لا يجوز لأن علم كل واحد منهما يجوز أن ينقلب عنه إلى خلافه، وليس كذلك بأنه يعلم الله، و أفعل من كذا إنما يقال للمبالغة في الصفة. و من ضم التاء جعل ذلك من كلام أم مريم على وجه

(١) سورة التوبة آية: ٤٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٥

التسييح و الانقطاع إليه تعالى كما يقول القائل: قد كان كذا و كذا، و أنت تعلم لا على وجه الاعلام بل على ما قلناه. و اسكان التاء أجود لامرين: أحدهما- أن قولها «إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ قَدْ أَغْنَىٰ عَن ذَكَرِكِ. وَ الثَّانِي- أنه كان يجب أن تقول و أنت أعلم، لأنها تخاطب الله تعالى.

و قوله: «وَ إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» قيل في معناه قولان: أحدهما

- الاستعاذة من طعن الشيطان للطفل الذي له يستهل صارخاً، فوقها الله عز و جل و ولدها عيسى منه بحجاب على ما رواه أبو هريرة عن النبي (ص)

الثاني- قال الحسن انها استعاذت من إغواء الشيطان.

اللغة: ص : ٤٤٥

و الرجيم بمعنى الموجود بالشبهة و أصل الرجم: الرمي بالحجارة رجم يرمم رجماً و الرجم القذف بالغيب لأنه رمى العبد به. و منه (لَأَرْجُمَنَّكَ وَ أَهْجُرَنِي مَلِيًّا) «١» و الرجم الاخبار عن الظن لأنه رمى بالخبر لا عن يقين. و منه «رَجْمًا بِالْغَيْبِ» «٢» و الرجوم النجوم، لأن من شأنها أن يرمى بها الشياطين و منه قوله: «وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» «٣». و الرجام القبور التي عليها الحجارة. و المراجعة المبراة في الكلام، و العمل له من كل واحد من النفيسين لرمي صاحبه بما يكيد و أصل الباب الرمي.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٧] ص : ٤٤٥

إشارة

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّئُهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَ جَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)

(١) سورة مريم آية: ٤٦.

(٢) سورة الكهف آية: ٢٣.

(٣) سورة الملك آية: ٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٦

آية واحدة بلا خلاف.

القراءة، و المعنى، و اللغة: ص : ٤٤٦

قرأ أهل الكوفة «كفلها» بالتشديد. الباقون بالتخفيف. و التخفيف أليق بقوله «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» (١) وقرأ أهل الكوفة إلا-أبا بكر (زكريا) مقصوراً.

الباقون بالمد. و نصب (زكرياء) مع المد أبو بكر. الباقون بالرفع.

قوله: «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ» معناه رضيها في النذر الذي نذرته بالإخلاص للعبادة في بيت المقدس، و لم يقبل قبلها أنثى في ذلك المعنى. و إنما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل، لأن فيه معنى قبلها. و قال أبو عمرو:

لا نظير للقبول في المصادر، ففتح فاء الفعل و الباب كله مضموم الفاء كالدخول، و الخروج، و قال سيبويه: جاءت خمسة مصادر على فعول: قبول، و وضوح، و ظهور، و ولوغ، و وقود إلا أن الأكثر في وقود الضم إذا أريد المصدر.

و أجاز الزجاج في القبول الضم.

و قوله: «وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسِينًا» معناه أنشأها إنشاء حسناً في عذابها و حسن تربيتها. و الكفل تضمن مؤنة الإنسان كفلته أكفله كفلاً فأنا كافل:

إذا تكلفت مؤنته. و منه «وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» و من قرأ بالثقل فمعناه كفلها الله زكريا و الكفيل: الضامن. و الكفل: مؤخر العجز. و الكفل من الرجال الذي يكون في مؤخر الحرب همته الفرار. و الكفل النصيب.

و منه قوله: «يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» (٢) و قوله: «وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا» (٣) و أصل الباب التأخر فمنه الكفالة الضمان. و في زكريا ثلاث لغات: المد، و القصر. و قد قرئ بهما و زكريى بالياء المشددة و أحكامها مختلفة

(١) سورة آل عمران آية: ٤٤.

(٢) سورة الحديد آية: ٢٨.

(٣) سورة النساء آية: ٨٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٧

في الجمع. و التثنية، فمن مد قال في التثنية: زكرياوان. و في الجمع زكرياؤون.

و من قصر قال في التثنية زكريان. و في الجمع زكريون. و الذي بالياء زكريان في التثنية، و زكريون في الجمع، و زكرياء بالمد لا يجوز صرفه لأن فيه ألفى التانيث.

و من قال: لأنه أعجمي معرفة يلزمه إذا نكر أن يصرفه، و هذا لا يجوز. و أما زكري، فانه ينصرف لأنه نأ النسب خرج إلى شبه العربى كما خرج مدائنى إلى شبه الواحد على قول المبرد. و المحراب: مقام الامام من المسجد و أصله أكرم موضع في المجلس و أشرفه قال عدى بن زيد العبادى:

كدمى العجاج فى المحاريب أو كال بيض فى الروض زهره مستنير (١)

وقيل هو المكان العالى ذكره الزجاج قال الشاعر:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقى سلما (٢)

و قوله: «وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا»، فالرزق هو ما للإنسان، الانتفاع به على وجه ليس لأحد منعه.

المعنى: ص: ٤٤٧

وقيل إنه كان فاكهة الصيف فى الشتاء و فاكهة الشتاء فى الصيف فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و السدى، و ابن اسحق. و قال: تكلمت فى المهد، و لم تلقم ثدياً قط، و إنما كان يأتيها رزقها من الجنة، و هذه تكرمته من الله تعالى لها. و عندنا يجوز فعل

ذلك بالأولياء والصالحين، وإن لم يكونوا أنبياء. ومن منع منه قالوا فيه قولين: أحدهما- أن ذلك كان آية لدعوة زكريا لها بالرزق في الجملة.

و الثاني- قال قوم: هو تأسيس لنبوته المسيح، والأول قول الجبائي. واختار وجهاً آخر أن يكون الله (تعالى) سخر لها بعض عباده أن يأتيها به بلطفه على مجرى

(١) ديوانه في شعراء الجاهلية: ٤٥٥. يصف نساء يقول: هن كتماثيل العاج في محاريب المعابد. والبيض: يعنى بيض النعام. والروض جمع روضة وهى البستان. [...]

(٢) قائله وضاح اليمنى اللسان (حرب). وقد استشهد به على أن المحراب صدر البيت، وأكرم موضع فيه، والجمع المحاريب.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٨

العادة، ولا يكون معجزاً، وهذا خلاف جميع أقوال المفسرين، لأنهم كلهم قالوا لما رأى زكريا ذلك قال: الذى يقدر على أن يأتى مريم بالرزق يقدر أن يخلق الولد من امرأة عاقر، فهناك سألته أن يرزقه ولداً. ويحتمل إيصال قوله: «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» بما تقدم من وجهين: أحدهما- أن يكون حكاية لقول مريم. والثاني- أن يكون استثناءً من الله الاخبار به. والأولى أن يكون على الاستثناء، لأنه ليس من معنى الجواب عما سئلت عنه فى شيء. وقال الحسن:

هو على الحكاية. وقوله: «بغير حساب» معناه بغير حساب الاستحقاق على العمل، لأنه تفضل ببتدئ الله به من يشاء من خلقه. ويحتمل أن يكون المراد بغير تقدير كما يحسب الذى يخاف الاملاق. وقد بينا فيما مضى معنى (أنى) و أن معناه من أين لك. وقال قوم معناه كيف لك. والأول أظهر.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٨] ص: ٤٤٨

إشارة

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)
آية واحدة.

اللغة و المعنى: ص: ٤٤٨

معنى هنالك: عند ذلك. والأصل فيه الطرف من المكان نحو رأيت ههنا وههناك، وهنالك، والفصل بينهما، القرب والبعد، فهنا للقريب وهنالك للبعيد، وهنالك لما بينهما. وقال الزجاج: ويستعمل فى الحال كقوله من هاهنا قلت: كذا أى من هذا الوجه. وفيه معنى الإشارة كقولك: ذا، و ذاك. و زيدت اللام لتأكيد التعريف، لأن الأصل فى زيادتها التعريف إلا أنها كسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت فى ذلك. ولا يجوز إعرابها، لأن فيها معنى الحرف.

ومعنى الآية عند ذلك الذى رأى من فاكهة الصيف فى الشتاء، و فاكهة الشتاء فى الصيف على خلاف ما جرت به العادة، طمع فى

رزق الولد من العاقر التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٤٩

على خلاف مجرى العادة، فسأل ذلك. و زكريا (ع) و إن كان عالماً بأنه تعالى يقدر على خلق الولد من العاقر، و إن لم تجر به العادة، فانه كان يجوز ألا يفعل ذلك لبعض التدبير، فلما رأى خرق العادة بخلق الفاكهة فى غير وقتها قوى ظنه أنه يفعل ذلك:

إذا اقتضت المصلحة، وقوى فى نفسه ما كان علمه، كما أن ابراهيم و إن كان عالماً بأنه (تعالى) يقدر على إحياء الميت سأل ذلك

مشاهدة لتأكد معرفته و نزول عنه خواطره. و قال الجبائي: إن الله تعالى كان أذن له في المسألة و جعل وقته الذي أذن له فيه الوقت الذي رأى فيه المعجزة الظاهرة فلذلك دعا.

وقوله: «قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» فالهبة تمليك الشيء من غير ثمن تقول: وهب يهب، فهو واهب و الشيء موهوب، و تواهبوا الأمر بينهم تواهباً، و استوهبه استيهاباً. و قوله من لذك معناه من عندك و إنما بنى و لم يبن عند، لأنه استبهم استبهم الحروف، لأنه لا- يقع في جواب أين كما يقع عند نحو قوله أين زيد فتقول عندك، و لا- تقول لذك. «ذرية» تقع على الجمع، و الواحد. و قيل أن المراد هاهنا واحد لقوله «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا» «١» و أما بمعنى الجمع، فمثل قوله: «ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ» «٢» و قوله: «طيبة» قال السدي معناه مباركة. و إنما أنت طيبة، و هو سأل ولداً ذكراً على تأنيث الذرية كما قال الشاعر:

أبوك خليفة ولدته أخرى و أنت خليفة ذاك بالكمال «٣»

و قال آخر:

فما نزردي من حية جبلية سكات إذا ما عاض ليس بأدردا «٤»

فجمع التأنيث، و التذكير في بيت واحد مرة على اللفظ، و مرة على المعنى.

(١) سورة مريم آية: ٤.

(٢) سورة الاسراء آية: ٣.

(٣) اللسان: (خلف)، و معاني القرآن للفراء ١: ٢٠٨.

(٤) اللسان: (سكت)، و معاني القرآن للفراء ١: ٢٠٨. الحية الجبلية لسعها أشد.

و حية سكوت و سكات- بضم السين-: إذا لم يشعر الملسوع بها حتى تلسعه. و الأدرد: الذي سقطت أسنانه، فلم يبق في فمه سن. يصف رجلاً داهيةً شبهه بالحية الجبلية السكوت.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٠

و إنما يجوز هذا في أسماء الأجناس دون الاعلام نحو طلحة، و حمزة، و عنترة، لا يجوز أن تقول جاءت طلحة من قبل أن التذكير الحقيقي يغلب على تأنيث اللفظ فأما قوله:

و عنترة الفيحاء جاءت ملاماً كأنك فند من عمايه أسود

فإنما أراد شفه عنترة، فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه. و قوله:

«إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ» معناه سامع الدعاء بمعنى قابل الدعاء. و منه قول القائل: سمع الله لمن حمده أي قبل الله دعاه و أصل السمع ادراك المسموع و إنما قيل للقابل سامع لأن من كان أهلاً أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه خلاف من لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لم يسمع.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٣٩] ص: ٤٥٠

إشارة

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) آية واحدة بلا خلاف.

القراءة: ص: ٤٥٠

قرأ حمزة و الكسائي و خلف «فناداه الملائكة» على التذكير، و الامالة. الباقون على التأنيث، فالأول على المعنى، و الثاني على اللفظ. و
قرأ حمزة و ابن عامر «إن الله» بكسر الهمزة على الحكاية. الباقون بفتحها على اعمال المناداة، و تقديره نادته بأن الله. وقرأ حمزة و
الكسائي «يبشرك» بفتح الياء و تخفيف الشين و ضمها. الباقون بضم الياء و تشديد الشين.

المعنى و اللغة: ص : ٤٥٠

و قال السدى الذى نادى زكريا جبريل وحده، فعلى هذا يكون ذهب مذهب التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥١
الجمع كما يقولون: ذهب فى السفن و إنما خرج فى سفينة و خرج على البغال و إنما ركب بغلا واحداً. و قال غيره: ناداه جماعة من
الملائكة كأنه قيل: النداء جاء من قبل الملائكة و إنما جاز ذلك لعادة جارية نحو قولهم: ناداه أهل العسكر، و ناداه أهل البلد. و قوله:
«وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي» جملة فى موضع الحال. و قوله: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ» فى بشره من البشرى ثلاث لغات: بشره يبشره و بشره يبشره بشراً، و
أبشره بشاراً عن أبى العباس. وقرأ حميد «يبشرك» من أبشر، و كل ذلك لظهور السرور فى بشره الوجه. و قيل إن المثقل من البشارة،
و المخفف من السرور، و المعنيان متقاربان. و أنشد الأخفش:
و إذا لقيت الباهسين إلى الندى غرباً أكفهم بقاع محل
فأعنهم و ابشر بما بشروا به و إذا هم نزلوا بضنك فانزل «١»
قال الزجاج هذا على بشر يبشر إذا فرح. و أصل هذا كله أن بشره الإنسان تنبسط عند السرور. و قوله: (بيحيى) قال قتادة سمي يحيى،
لأن الله تعالى أحياه بالايمن سماه الله بهذا الاسم قبل مولده.
و قوله: (مصدقاً) نصب على الحال من يحيى «بكلمة» يعنى المسيح (ع) فى قول ابن عباس، و مجاهد، و قتادة، و الربيع، و الضحاك، و
السدى و جميع أهل التأويل إلا ما حكى عن أبى عبيدة أنه قال «بكلمة» أى بكتاب الله كما يقولون أنشدنى فلان كلمة فلان أى
قصيدته و إن طالت، و إنما سمي المسيح كلمة الله لامين:
أحدهما- أنه كان بكلمة الله من غير أب من ولد آدم.
و الثانى- لأن الناس يهتدون به فى الدين كما يهتدون بكلام الله.
و قوله: «و سيداً» يعنى مالكا لمن يجب عليه طاعته، و من ذلك سيد الغلام

(١) قائله عبد قيس بن خفاف البرجمى. اللسان: (كرب)، (بشر)، (يسر)، معانى القرآن للفراء ١: ٢١٢ و البيتان من قصيدة ينصح بها
ولده جبيل. و رواية المصادر مختلفة. البهش: الفرخ. بهش الى الشيء: فرح به و أسرع اليه. الندى: الكرم. المحل:
المجدب. الضنك: الضيق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٢

يعنى مالكة، و لا يقال سيد الثوب بمعنى مالك الثوب، لأنه لا يتصور هناك وجوب طاعته. و أصل السواد الشخص، فقيل سيد القوم
بمعنى مالك السواد الأعظم، و هو الشخص الذى تجب طاعته لمالكة، و هذا إذا قيل مضافاً أو مقيداً فأما إذا اطلق فلا ينبغى إلا لله
تعالى، لأنه المالك لجميع الخلق. و قيل: معناه هاهنا و سيداً فى العلم و العبادة فى قول قتادة. و قال الجبائى: معناه و سيداً للمؤمنين
بالرئاسة لهم. و قال الضحاك: سيداً فى الحلم و التقى. و قيل سواد الإنسان لشخصه، لأنه يستر به لستر سواد الظلمة بتكاتفه، و تسوله.
«و حصورا» معناه الممتنع من الجماع.

و منه قيل للذى يمتنع أن يخرج مع ندمائه شيئاً للنفقة حضور قال الأخطل:

و شارب مريح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار (١)

يعنى معربد و يقال للذى يكتنم سره حصور و يقال: حصر فى قراءته إذا امتنع بالانقطاع فيها. و منه حصر العدو منعه الناس من التصرف. و قال عبد الله:

الحصور العينين. و قال سعيد بن المسيب إنما كان معه مثل هذب الثوب. و قال الحسن، و قتادة

هو الذى لا يأتى النساء، و هو المروى عن أبى عبد الله (ع)

، و قال بعضهم هو الذى لا يبالي ألا يأتى النساء. و قوله: «و نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ» (من) هاهنا لتبيين الصفة ليس المراد به التبويض، لأن النبى لا يكون إلا صالحاً.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٠] ص : ٤٥٢

إشارة

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)

(١) ديوانه: ١١٦، و اللسان: (حصر)، (سأر)، (سور)، و طبقات فحول الشعراء: ٤٣٢، و مجاز القرآن ١: ٩٢. المريح: المعطى الريح للتاجر.

يريد أنه يغالى بضمن الخمر و لا يبالي بما يبذل فيها. و السوار: الذى تسور الخمر فى دماغه فيعربد على رفاقه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٣

المعنى: ص : ٤٥٣

إن قيل لم راجع هذه المراجعة مع ما بشره الله تعالى بأنه يهب له ذرية طيبة، و بعد أن سأل ذلك؟ قيل: إنما راجع ليعرف على أى حال يكون ذلك أ يرده إلى حال الشباب و امرأته، أم مع الكبر، فقال الله (تعالى) «كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» أى على هذه الحال، و تقديره كذلك الأمر الذى أنت عليه «يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» هذا قاله الحسن. و قيل فى وجه آخر، و هو أنه قال على وجه الاستعظام لمقدور الله و التعجب الذى يحدث للإنسان عند ظهور آية عظيمة من آيات الله، كما يقول القائل: كيف سمحت نفسك بإخراج الملك النفيس من يدك تعجباً من جوده، و اعترافاً بعظمه. و قال بعضهم: إن ذلك إنما كان للوسوسة التى خالطت قلبه من قبل الشيطان حتى خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكة. و هذا لا يجوز، لأن النداء كان على وجه الاعجاز على عادة الملك فيما يأتى به من الوحي عن الله، و الأنبياء (ع) لا يجوز عليهم تلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام، فلا يعرفوا نداء ملك من نداء شيطان أو انسان.

اللغة: ص : ٤٥٣

و الغلام: هو الشباب من الناس. يقال: غلام بين الغلومية و الغلومة و الغلمة.

و الاغتلام: شدة طلب النكاح. و الغليم «١» منع الماء من الآبار، لأنه طلب الظهور. و غلم الأديم جعله فى غلمة ليتفسخ عنه صوفه، لأنه طلب لتقطعه.

وقوله: «وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ» والمراد بلغت الكبر، لأن الكبر بمنزلة الطالب له، فهو يأتيه بحدوثه فيه. و الإنسان أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه، كما يقول القائل:

يقطعني الثوب. وإنما هو يقطع الثوب. ولا يجوز أن يقول بلغني البلد بمعنى بلغت البلد، لأن البلد لا يأتيه أصلاً. وقوله: «وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ» فالعاقرة من النساء التي لا تلد. يقال: امرأة عاقرة، و رجل عاقرة. وقال عامر بن الطفيل:

(١) الضفدع. ذكر السلحفاة: الشاب الكثير الشعر.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٤

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقراً جباناً فما عذرى لدى كل محضر (١)

و ذلك لأنه كالذى حدث به عقر يقعه عما يحاول من الامر. و عقر كل شيء أصله. و عقر العاقر المصدر. و العقر: دية فرج المرأة: إذا غصبت نفسها و بيضة العقر آخر بيضة. و العقر: الجرح. و العقر: محلة القوم. و العاقر معروف. و العقار الخمر. و المعاقرة إدمان شربها مع أهلها. و أصل الباب: العقر الذى هو أصل كل شيء، فعقر العاقر لانقطاع أصل النسل.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤١] ص : ٤٥٤

إشارة

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا (٤١)

الآية: العلامة و إنما سأل العلامة، و الآية لوقت الحمل الذى سأل ربه ليتعجل السرور به فى قول الحسن، فجعل الله تعالى آيته فى إمساك لسانه، فلم يقدر أن يكلم الناس إلا إيماء من غير آفة حدثت فى لسانه، كما يقال فى مريم «ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا» هذا قول الحسن، و قتاده، و الربيع، و أكثر المفسرين.

اللغة: ص : ٤٥٤

و فى وزن «آية» ثلاثة أقوال:

أحدها- فعلة إلا أنه شذ من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف علة.

و إنما القياس فى مثله أعلال اللام نحو حياة و نواة. و نظيرها راية و طاية، و شذ ذلك، للاشعار بقوة اعلال العين.

الثانى- فعلة آية إلا أنها قلبت كراهية التضعيف نحو طاي فى طيى.

(١) ديوانه: ١١٩ و مجاز القرآن ١: ٩٢ فى المطبوعة (اغدر) بدل (اعور).

و عامر بن الطفيل أحد العوران. ذهبت عينه يوم فيف الريح و أما عقمه، فقد قال: ما لى ولد و انى لعاهر الذكر، و انى لأعور البصر.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٥

الثالث- فاعلة منقوصة و هذا ضعيف، لأنهم صغروها أيبه و لو كانت فاعلة لقالوا أوية إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة. «و الرمز» الإيماء بالشفيتين. و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين، و العينين و اليدين. و الاول أغلب.

قال جؤيه بن عائذ:

و كان تكلم الابطال رمزا و غمغمة لهم مثل الهرير (١)

يقال منه: رمز يرمز رمزاً. و يقال: ارتمز: إذا تحرك. و أصله الحركة.

المعنى، و اللغة: ص : ٢٥٥

و قال مجاهد: الرمز تحريك الشفتين. و قال قتادة الرمز الاشارة. و قوله:

«وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا» معناه أنه لما منع من كلام الناس عرف أنه لا- يمنع من الذكر لله و التسبيح له، و ذلك أعظم الآيه و أبين المعجزة. و قوله: «سبح» معناه هاهنا صل يقال فرغت من سبحتى أى من صلاتى. و أصل التسبيح التعظيم لله و تنزيهه عما لا يليق به. و

العشى من حين زوال الشمس إلى غروب الشمس فى قول مجاهد. قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه و لا الغى من برد العشى تذوق

و العشاء من لدن غروب الشمس إلى أن يولى صدر الليل. و العشاء طعام العشى.

و العشا ضعف العين و التعاشى: التعامى، لابهام أنه بمنزلة من هو فى ظلمة لا يبصر و أصل الباب الظلمة. و الأبكاء من حين طلوع

الفجر إلى وقت الضحى. و أصله التعجيل بالشىء يقال: أبكر ابكاراً و بكر يبكر بكوراً. و قال عمر بن أبى ربيعة:

أمن آل نعم أنت عاد فمبكر «٢»

و قال جرير:

ألا بكرت سلمى فجذ بكورها و شق العصا بعد اجتماع أميرها «٣»

(١) لم نجد هذا البيت. فى المطبوعة (كأن) بدل (و كان) و الصحيح ما ذكرنا.

(٢) ديوانه مطلع قصيدته الرائية المشهورة و تتمه البيت: غداة غد أم رائح فمهجر.

(٣) ديوانه: ١٣٦. يجب حكيم بن معية الربعى، و كان هجا جريراً. شق العصا: التفرق.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٢٥٦

و يقال فى كل شىء تقدم: بكر و منه الباكورة أول ما يجىء من الفاكهة.

و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٢] ص : ٢٥٦

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢)
آية واحدة.

العامل فى (إذ) يحتمل أن يكون أحد شيئين:

أحدهما- سميع عليم إذ قالت امرأة عمران. و إذ قالت الملائكة يكون عطفاً على (إذ) الاولى.

الثانى- اذكر إذ قالت، لأن المخاطب فى حال تذكير و تعريف. و قوله:

«اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» يحتمل وجهين: قال الحسن و ابن جريج

على عالمى زمانها. و هو قول أبى جعفر (ع)

، لأن فاطمة سيدة نساء العالمين.

و روى عن النبى (ص) أنه قال: فضلت خديجة على نساء أمتى كما فضلت مريم على نساء العالمين. و قال أيضاً (ع) حسبك من نساء

العالمين بأربع مريم بنت عمران و آسية امرأة فرعون و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد (ص).

الثانى- ما قاله الزجاج، و اختاره الجبائى: إن معناه اختارك على نساء العالمين بحال جليله من ولادة المسيح عيسى (ع).

و قوله: (و طهرک) في معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و مجاهد: طهرک من الکفر.

و الثاني- ذكره الزجاج أن معناه طهرک من سائر الأذناس: الحيض، و النفاس، و غيرهما. و إنما كرر لفظ اصطفاک، لأن معنى الأول اصطفاک بالتفريغ لعبادته بما لطف لك حتى انقطعت إلى طاعته و صرت متوفرة على اتباع مرضاته و معنى الثاني اصطفاک بالاختيار لولادة نبيه عيسى (ع) على قول الجبائي.

و قال أبو جعفر (ع) اصطفاها أولاً من ذرية الأنبياء و طهرها من السفاح.

و الثاني- التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٧

اصطفاها لولادة عيسى (ع) من غير فحل. و في ظهور الملائكة لمريم قالوا قولين:

أحدهما- أن ذلك معجزة لذكريا (ع)، لأن مريم لم تكن نبيه، لقول الله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ» (١). و الثاني- أن يكون ذلك برهاناً لنبوۀ عيسى (ع) كما كان ظهور الشهب و الغمامة و غير ذلك معجزة للنبي (ص) قبل بعثته، فالأول قول الجبائي، و الثاني قول ابن الأخشاد.

و يجوز عندنا أن يكون ذلك معجزة لها و كرامه، و إن لم تكن نبيه لأن اظهار المعجزات- عندنا- تجوز على يد الأولياء، و الصالحين، لأنها إنما تدل على صدق من ظهرت على يده سواء كان نبياً أو إماماً أو صالحاً، على أنه يحتمل أن يكون الله تعالى قال ذلك لمريم على لسان ذكريا (ع). و قد يقال: قال الله لها، و إن كان بواسطة كما تقول: قال الله للخلق كذا و كذا و إن كان على لسان النبي (ص)، و لا يحتاج مع ذلك إلى ما قالوه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٣] ص: ٤٥٧

يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)
آية واحدة بلا خلاف.

قيل في معنى قوله: «اقنتي» ثلاثة أقوال:

أحدها- قال سعيد بن جبیر أن معناه اخلصى لربك العبادة. الثاني- قال قتادة معناه اديمي الطاعة. الثالث- قال مجاهد اطلبى القيام في الصلاة. و أصل القنوت الدوام على الشيء و قوله: «واسجدى» و أصل السجود الانخفاض الشديد للخضوع قال الشاعر:
فكلتاها خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانه لم تحنف (٢)
و كذلك القول في الركوع إلا أن السجود أشد انخفاضاً. و قد بينا فيما

(١) سورة يوسف آية: ١٠٩ و سورة النحل آية: ٤٣ و سورة الأنبياء آية: ٧.

(٢) مر تخريجه في ١: ٢٨١. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٨

مضى حقيقته. و إنما قدم ذكر السجود في الآية على الركوع، لأن النية به التأخير و التقدير اركعى و اسجدى، لأن الواو لا توجب الترتيب، لأنها نظيرة الثنية إذا اتفقت الأسماء و الصفات. تقول جاءنى زيد و عمرو، و لو جمعت بينهما في الخبر لقلت جاءنى الزيدان. و قوله: (مع الراكعين) فيه قولان: أحدهما- أن معناه افعلى مثل فعلهم. الثاني- قال الجبائي: أى في صلاة الجماعة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٤] ص: ٤٥٨

إشارة

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) آية.

المعنى، و اللغة: ص : ٤٥٨

ذلك إشارة إلى الاخبار عما تقدم من القصص. وفيه احتجاج على المشركين، من حيث أنه جاء بما لا يعلم إلا من أربعة أوجه: إما مشاهدة الحال، أو قراءة الكتب، أو تعليم بعض العباد، أو بوحى من الله. وقد بطلت الأوجه الثلاثة للعلم بأنها لم تكن حاصلة للنبي (ص)، فصح أنه على الوجه الرابع: بوحى من الله (تعالى). والإيحاء: هو إلقاء المعنى إلى صاحبه فقوله: «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» أى نلقى معناه اليك. والإيحاء: الإرسال إلى الأنبياء تقول: أوحى الله إليه أى أرسل إليه ملكا. والإيحاء الإلهام و منه قوله تعالى «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» (١) «أى ألهمها وقوله: «بَانَ رَبُّكَ أَوْحَى لَهَا» (٢) معناه ألقى إليها معنى ما أراد فيها. قال العجاج:

(١) سورة النحل آية: ٦٨.

(٢) سورة الزلزال آية: ٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٥٩

أوحى لها القرار فاستقرت (١)

و الإيحاء الإيحاء قال الشاعر:

فأوحت إلينا و الأنامل رسلها

و منه قوله: «فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» (٢) أى أشار إليهم، و الوحي: الكتاب. يقال: وحي يحي وحيأ أى كتب، لأن به يلقى المعنى إلى صاحبه قال رؤبه:

لقدر كان وحاه الواحي

وقال:

فى سور من ربنا موحية

وقال آخر:

من رسم آثار كوحى الواحي

و أصل الباب إلقاء المعنى إلى صاحبه. وقوله: «أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ» (٣) أى ألقى إليهم و ألهمهم إلهاماً. و منه قوله: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ» (٤) أى يلقون إليهم وقوله: «وَأَوْحَى إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ» (٥) أى ألقى إلى. و الغيب: خفاء الشئ عن الإدراك. تقول غاب عنى كذا يغيب غيباً و غياباً. و الغائب: نقيض الحاضر.

وقوله: «وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» قيل فيه قولان:

أحدهما- التعجب من حرصهم على كفالتهما، لفضلها. ذكره قتادة، لأنه

(١) ديوانه: ٥ و اللسان (وحى) من رجز يذكر فيه ربه و يثنى عليه بآلائه، أوله:

الحمد لله الذى استقلت باذنه السماء و اطمأنت

بأذنه الأرض و ما تعنت أوحى لها القرار فاستقرت
و شدها بالراسيات التبت رب البلاد و العباد القنت
و فى أحد روايتى اللسان (وحى لها) بدل (أوحى لها).

(٢) سورة مريم آية: ١١.

(٣) سورة المائدة آية: ١١٤.

(٤) سورة الانعام آية: ١٢١.

(٥) سورة الانعام آية: ١٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٠

قال: فشاح القوم عليها، فقال زكريا: أنا أولى، لأن خالتها عندى. و قال القوم:

نحن أولى لأنها بنت إمامنا، لأن عمران كان إمام الجماعة.

الثانى - التعجب من تدافعهم لكفالتها، لشدة الأزمة التى لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء بها زكريا (ع). و فى الآية حذف و تقديرها (إِذْ يُلقُونَ أَقلامَهُمْ) لينظروا «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» أى أيهم أحق بكفالتها. و الأقلام معناها هاهنا القداح و ذلك أنهم ألقوها تلقاء الجريء، فاستقبلت عصا زكريا جريء الماء مصعدة.

و انحدرت أقلام الباقين، ففرعهم زكريا فى قول الربيع، و كان ذلك معجزة له (ع).

و القلم: الذى يكتب به. و القلم: الذى يجال بين القوم، كل إنسان و قلمه، و هو القدح. و القلم: قص الظفر قلمته تقليماً. و مقالم الرمح كعوبه. و القلامه هى المقلومه عن طرف الظفر و أصل الباب قطع طرف الشىء.

و قوله: (وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فيه دلالة على أنهم قد بلغوا فى التشاح عليها إلى حد الخصومة، و فى وقت التشاح قولان:

أحدهما - حين ولادتها و حمل أمها إياها إلى الكنيسة تشاحوا فى الذى يخصها و يحضنها و يكفل بتربيتها، و هو الأكثر. و قال بعضهم إنه كان ذلك بعد كبرها و عجز زكريا عن تربيتها.

و (إذ) الأولى متعلقة بقوله: «وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقلامَهُمْ» و الثانية بقوله: «يختصمون» على قول الزجاج.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٥] ص : ٤٦٠

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)
آية عند الجميع.

العامل فى (إذ) يحتمل أمرين أحدهما - و ما كنت لديهم إذ قالت الملائكة.

الثانى - يختصمون «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ»: «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ» فالتبشير إخبار المرء بما يسر التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦١

من الأمر سمي بذلك لظهور السرور فى بشرة وجهه عند إخباره بما يسره، لأن أصله البشرة و هى ظاهر الجلد. و قوله: «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» هو المسيح سماه الله كلمه على قول ابن عباس و قتادة و ذلك يحتمل ثلاثة أوجه: سمي بذلك، لأنه كان بكلمة الله من غير والد و هو

قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» (١). الثانى - لأن الله تعالى بشره فى الكتب السالفة، كما تقول: الذى يخبرنا بأمر يكون [إذا خرج موافقاً لأمره (٢)]

قد جاء فى قول لى و كلامى. فمن البشارة به فى التوراة آتانا الله من سبينا، فأشرق من ساعير و استعلن من جبال فاران. و ساعير هو

الموضع الذى بعث منه المسيح (ع). الثالث - لأن الله يهدى به كما يهدى بكلمته. و القول الثانى مما قيل فى الكلمة: أنها بمعنى

البشارة كأنه قيل ببشارة منه: ولد اسمه المسيح و التأويل الأول أقوى، لقوله: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» (٣)، و لأنه معلوم من دين المسلمين أن كلمة الله المسيح (ع)، و إنما ذكر الضمير فى اسمه و هو عائد إلى

الكلمة، لأنه واقع على مذكر، فإذا ذكر ذهب إلى المعنى، وإذا أنث ذهب إلى اللفظ. وقيل في تسمية المسيح مسيحاً قولان: أحدهما- قال الحسن، و سعيد: لأنه مُسح بالبركة. وقال آخرون: لأنه مُسح بالتطهر من الذنوب. وقال الجبائي سمي بذلك، لأنه مُسح بدهن زيت بورك فيه. وكانت الأنبياء تتمسح به. فان قيل: يجب على ذلك أن يكون الأنبياء كلهم يسمون مسيحاً؟ قلنا: لا يمتنع أن يختص بذلك بعضهم، وإن كان المعنى في الجميع حاصلاً، كما قالوا في إبراهيم خليل الله. وأصله ممسوح عدل عن مفعول إلى فاعل. وقوله: (وجيهاً) نصب على الحال. ومعنى الوجيه الكريم على من يسأله

(١) سورة البقرة آية: ١١٨ و سورة آل عمران آية: ٤٧ و سورة الانعام آية: ٧٣ و سورة النحل: ٤٠ و سورة مريم آية: ٣٥ و سورة يس آية: ٨٢ و سورة المؤمن آية: ٦٨.

(٢) ما بين القوسين من مجمع البيان و كان في المطبوعة نقص في هذا الموضع كما أن الجملة التي بعدها لا تقرأ.

(٣) سورة آل عمران آية: ١٧٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٢

لأنه لا يرده لكرم وجهه عنده، خلاف من يبذل وجهه للمساءلة فيرد، يقال منه وجه الرجل يوجه وجاهه، و له جاه عند الناس وجاهه أى منزلة رفيعة. قوله:

«وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» معناه إلى ثواب الله و كرامته، و كذلك التقرب إلى الله إنما هو التقرب إلى ثوابه و كرامته. و في الآية دلالة على تكذيب اليهود في الفرية على أم المسيح و تكذيب النصارى في ادعاء إلهيته على ما ذكره محمد بن جعفر بن الزبير و غيره.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٦] ص: ٤٦٢

إشارة

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)
آية.

الاعراب: ص: ٤٦٢

موضع «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ» نصب على الحال عطفاً على (وجيهاً) و مكلما و كذلك عطف عليه (و كهلاً) بالنصب. و يجوز عطف الفاعل على الفعل لتقارب معنيهما قال الشاعر:

بات يغشاها بعضب باتر يقصد في أسوقها و جائر «١»

أى و يجور و قال آخر:

يا ليتنى علفت غير خارج قبل الصباح ذات خلق بارج

أم صبي قد جبا أم دارج «٢»

أى أو درج و يجوز في قوله: «و كهلاً» أن يكون معطوفاً على الظرف من قوله: «في المهدي».

اللغة: ص: ٤٦٢

والمهد مضجع الصبي في رضاعه في قول ابن عباس، مأخوذ من التمهيد.

(١) معاني القرآن للفراء ١: ٢١٣ و أمالي ابن الشجري ٢: ١٦٧ و خزائن الأدب ٢: ٣٤٥ و اللسان (كهل) و رواية البيت مختلفة. فبعضها (بت أعشيها....).

(٢) هكذا في المطبوعة و رواية اللسان (درج):

يا ليتني قد زرت غير خارج أم صبي قد حبا و دارج

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٣

و الكهل: من كان فوق حال الغلومة، و دون الشيخوخة. و منه اكتهل النبات: إذا طال، و قوى. و منه الكاهل فوق الظهر إلى ما يلي العنق و المرأة كهلة. قال الراجز:

و لا أعود بعدها كريا امارس الكهلة و الصبيان «١»

و قيل الكهولة بلوغ أربع و ثلاثين سنة. و قال مجاهد: الكهل: الحليم و أصل الباب العلو، فالكهل لعلو سنه، أو لعلو منزلته.

المعنى: ص: ٤٦٣

و وجه كلامه في المهد تبرئة لأمه مما قذفت به، و جلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه. فان قيل: فما معنى «و كهلا» و ليس بمنكر الكلام من الكهل؟ قيل فيه ثلاثة أوجه:

أحدها- يكلمهم كهلا- بالوحي الذي يأتيه من قبل الله. الثاني- انه يبلغ حال الكهل في السن، و في ذلك أيضاً إعجاز لكون المخبر على ما أخبر به. الثالث- أن المراد به الرد على النصارى بما كان منه من التقلب في الأحوال، لأنه مناف لصفة الآله. فان قيل كيف جحدت النصارى كلام المسيح في المهد و هو معجزة عظيمة؟

قلنا: لأن في ذلك إبطال مذهبهم، لأنه قال: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» «٢» فاستمروا على تكذيب من أخبر أنه شاهده كذلك. و في ظهور المعجزة في تلك الحال قيل فيه قولان:

أحدهما- إنها كانت مقرونة بنبوة المسيح، لأنه كمل عقله في تلك الحال حتى عرف الله بالاستدلال، ثم أوحى إليه بما تكلم به، هذا قول أبي على الجبائي.

و قال ابن الاخشاذ: إن كل ذلك كان على جهة التأسيس لنبوته، و التمكين لها بما يكون دالا عليها، و بشارة متقدمة لها. و يجوز عندنا- الوجهان. و يجوز

(١) قائله عذافر الفقيمي أمالي القالي ٢: ٢١٥ و شرح أدب الكاتب لابن السيد: ٢١٧، ٣٨٩، و اللسان (كهل)، (كرا)، (شعفر)، (أمم) و غيرها كثير. كريا: مكارى و كان عذافر يكرى ابله الى مكة فأكر معه- رجل من أهل البصرة- بغيراً يركبه هو و زوجته و في الطريق قال بهما رجز طويل.

(٢) سورة مريم آية: ٣٠. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٤

أيضاً أن يكون ذلك معجزة لمريم تدل على براءة ساحتها مما قذفت على ما بينا جوازه فيما مضى.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٧] ص: ٤٦٤

إشارة

قَالَتْ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) آية واحدة.

المعنى: ص : ٤٦٤

إن قيل كيف سألت مريم عن خلق الولد من غير مسيس مع أنها لا تنكر ذلك في مقدور الله تعالى؟ قلنا: فيه وجهان: أحدهما- أنها استفهمت أي يكون ذلك، وهي على حالتها من غير بشر أم على مجرى العادة من بشر، كما يقول القائل: كيف تبعث بفلان في هذا السفر، وليس معه ما يركبه معناه، لأنه قوى أم هناك مركوب؟ الثاني- إن في البشارة: التعجب مما خرج عن المعتاد فتعجبت من عظم قدرة الله كما يقول القائل عند الآية يراها: ما أعظم الله، و كما يقول القائل لغيره كيف تهب ضيعتك، وهي أجل شيء لك. وليس يشك في هبته وإنما يتعجب من جوده. وقوله: «قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ» حكاية ما قال لها الملك. وقوله: «كُنْ فَيَكُونُ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- أنه على جهة المثل لأن منزلة جميع ما يريد إحداثه من جسم أو عرض كثر ذلك أو قل، فإنما هو بمنزلة قول القائل: كن، في أنه يكون بغير علاج، ولا معاناة، ولا تكلف سبب، ولا أداة، ولا شغل ببعض عن بعض، ولا انتهاء فيه إلى حد لا يمكن ضعفه، ولا زيادة عليه.

الثاني- إن معناه أن الله تعالى جعل «كن» علامة للملائكة فيما يريد إحداثه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٥ لما فيها من اللطف، والاعتبار. ويمكن الدلالة على الأمور المقدورة لله تعالى.

وقول من قال إن قوله: «كن» سبب للحوادث التي يفعلها الله تعالى فاسد من وجوه:

أحدها- إن القادر بقدرته يقدر على أن يفعل من غير سبب، فالقادر للنفس بذلك أولى. ومنها أن «كن» محدثة فلو احتاجت إلى «كن» أخرى لتسلسل، وذلك فاسد. ولو استند ذلك إلى كن قديمه، لوجب قدم المكون، لأنه كان يجب أن يكون عقيب، لأن الفاء توجب التعقيب وذلك يؤدي إلى قدم المكونات.

ومنها أنه لو ولدت لولدت من فعلنا كالاتماد. وإنما استعمل القديم لفظه الأمر فيما ليس بأمر هاهنا ليدل بذلك على أن فعله بمنزلة فعل المأمور في أنه لا كلفه على الأمر، فكذلك هذا لا كلفه على الفاعل، وذلك على عادة العرب في جعلهم وقوع الشيء عقيب الإرادة بمنزلة الجواب عن السؤال قال الشاعر:

وقالت لنا العينان سمعاً وطاعةً و حدرتا كالدر لما يثقب «١»

فجعل انحدار الدمع قولاً على الوجه الذي بيناه. وقوله: «كُنْ فَيَكُونُ» هاهنا لا يجوز فيه إلا الرفع، لأنه لا يصلح أن يكون جواباً للام في كن لأن الجواب يجب بوجود الأول نحو آتني فأكرمك و قم فأقوم معك. ولا يجوز قم فيقوم، لأنه بتقدير قم فإنك إن تقم يقيم. وهذا لا معنى له، ولكن يجوز الرفع على الاختيار انه سيقوم و يجوز في قوله: «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «٢» النصب، لأنه معطوف على «أن نقول» كأنه قيل أن نقول فيكون.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٨] ص : ٤٦٥

إشارة

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨)

(١) مر تخريجه في ١: ٤٣١.

(٢) سورة النحل آية: ٤٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٦

القراءة، والحجة: ص: ٤٦٦

قرأ أهل المدينة، و عاصم، و يعقوب (و يعلمه) بالياء الباقون بالنون. فمن قرأ بالياء حملة على (يخلق ما يشاء) و يعلمه. و من قرأ بالنون حملة على قوله:

(نوحه إليك). و النون أفخم في الاخبار، لأن الياء حكاية عن الملك.

المعنى، و الاعراب: ص: ٤٦٦

و معنى قوله: «و يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ» قال ابن جريج: الكتابة بيده. و قال أبو علي:

كتاب آخر غير التوراة، و الإنجيل نحو الزبور أو غيره. فان قيل: لم أفرد التوراة و الإنجيل بالذكر مع دخولهما في الحكمة؟ قيل: إنما أفردهما بالذكر تنبيهاً على فضلهما مع جلاله موقعهما كما قال: «و مَلَأْنِيهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ» (١) و موضع يعلمه من الاعراب يحتمل أن يكون نصباً بالعطف على وجيهاً. و يحتمل أن يكون لا موضع له من الاعراب، لأنه عطف على جملة لا موضع لها، و هي قوله: «كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ». و قال بعضهم: هو عطف على «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» قال الرماني:

هذا لا يجوز، لأنه يخرج من معنى البشارة به لمريم. و إنما هو محمول على مشاكلته لا على جهة العطف عليه. و عد أهل الكوفة التوراة و الإنجيل، و لم يعدوا رسولا إلى بني إسرائيل لتكذب الاستئناف بأن المفتوحة. و الاستئناف بذكر المنصوب كثير في الكلام. و أما أهل المدينة فإنما طلبوا تمام صفة المسيح، لأن تقديره و معلماً كذا و رسولا إلى كذا.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٤٩] ص: ٤٦٦

إشارة

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أَتُبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩)

(١) سورة البقرة آية: ٩٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٧

آية.

القراءة: ص: ٤٦٧

قرأ أهل المدينة و يعقوب (طائراً بأذن الله) الباقون. (طيراً) و هو الأجود، لأنه اسم جنس و طائر صفة. و قرأ نافع وحده (إنى أخلق) بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

الاعراب، والحجة: ص : ٤٦٧

يحتمل نصب قوله: «و رسولا» وجهين:

أحدهما- بتقدير و يجعله رسولا فحذف لدلالة الإشارة عليه. و الثانى- أن يكون نصباً على الحال عطفاً على وجهها، لا أنه فى ذلك الوقت يكون رسولا- بمعنى أنه يرسل رسولا- و قال الزجاج وجهاً ثالثاً بمعنى يكلمهم رسولا فى المهدب «أَنْتَى قَدْ جِئْتَكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» و لو قرئت (إنى) بالكسر «قد جئتكم» كان صواباً. و المعنى يقول «أَنْتَى قَدْ جِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» أى بعلامته تدل على ثبوت رسالتي. و موضع «إنى أخلق» يحتمل أن يكون خفضاً و رفعاً، فمن قرأ بالخفض فعلى البدل من آية بمعنى جئتكم بأنى أخلق لكم من الطين. و الرفع أريد به الآية إنى أخلق من الطين. و جائز أن يكون «أَنْتَى أَخْلَقْتُ لَكُمْ» مخبرهم بهذه الآية ما هى أى أقول لكم «أَنْتَى أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ».

المعنى: ص : ٤٦٧

و المراد بالخلق التقدير دون الأحداث، يقال فى التفسير أنه صنع من الطين كهيئة الخفاش، و نفخ فيه فصار طائراً. و جاز أن يقول فيه لفظ الطين. و قال فى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٨ موضع آخر. «فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنِي» «١» للفظ الهيئة.

اللغة: ص : ٤٦٨

و الطين معروف. و منه طنت الكتاب طيناً أى جعلت عليه طيناً، لأختمه. و طينت البيت تطييناً. و الطيانة: حرفه الطيان و الطينة: قطعة من طين يختم بها الصك و نحوه. و الهيئة: الحال الظاهرة هاء فلان يهاء هيئته. و من قرأ (هيئت) معناه تهيأت لك فأما «هَيْتَ لَكَ» فهلم لك و الهيئ: الحسن الهيئة من كل شىء. و المهاياة: أمر يتهايا عليه القوم فيتراضون به. و قوله: «فَأَنْفُخُ فِيهِ» النفخ معروف تقول نفخ ينفخ نفخاً، و انتفخ انتفاخاً، و نفخه نفخاً. و النفاخة للماء، و النفخة نحو الورم فى البطن. و النفخة: نفخة الصور يوم القيامة. و المنفاخ كير الحداد. و أصل الباب نفخ الريح التى تخرج من الفم.

المعنى: ص : ٤٦٨

و معنى «فَأَنْفُخُ فِيهِ» يعنى أنفخ فيه الروح و هو جسم رقيق كالريح، و هو غير الحياة، لأن الجسم إنما يحيا بما يفعله الله تعالى فيه من الحياة، لأن الأجسام كلها متماثلة يحيى الله منها ما يشاء. و إنما قيد قوله: «فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذِنُ لِلَّهِ» و لم يقيد قوله: «أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» بذكر إذن الله لينبه بذكر الاذن أنه من فعل الله دون عيسى. و أما التصوير و النفخ، ففعله، لأنه مما يدخل تحت مقدور القدر، و ليس كذلك انقلاب الجماد حيواناً فانه لا يقدر على ذلك أحد سواه تعالى. و قوله: «وَأُخِي الْمَوْتَى يَأْذِنُ لِلَّهِ» على وجه المجاز إضافة إلى نفسه و حقيقته ادعوا الله باحياء الموتى فيحييهم الله فيحيون باذنه.

اللغة و المعنى: ص : ٤٦٨

وقوله: «وَأُبرئُ الأَكْمَه» فالبرء و الشفاء و العافية نظائر في اللغة.

(١) سورة المائدة آية: ١١٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٦٩

و الأكمة الذي يولد أعمى في قول قتادة، و أبى على و قال الحسن، و السدى: هو الأعمى. و الكمه عند العرب العمى كمه يكمه كمهاً قال سويد بن أبى كاهل:

كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع «١»

و الأبرص معروف. و قوله: «وَأُتْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» أى أخبركم و أعلمكم بالذى تأكلونه، فتكون (ما) بمعنى الذى و يحتمل أن تكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر، و يكون تقديره أخبركم بأكلكم. و الأول أجود لقوله: «وَمَا تَدَّخِرُونَ» و يحتمل أن يكون المراد أيضاً و ادخاركم.

و الادخار الافتعال من الذخر ذخرت أذخر ذخراً و أذخرت ادخاراً. و أصل الباب الذخر، و هو خبء الشىء لتأتيه. و إنما أبدلت الدال من الدال في «تدخرون» لتعديل الحروف أو أبدلت الدال من الدال بوجهين الجهر و اختلاف المخرج، فبدل ذلك بالدال، لأنها موافقة للتاء بالمخرج و الدال بالجهر، فلذلك كان الاختيار، و كان يجوز تدخرون بالدال على الأصل و نظير ذلك في التعديل بين الحروف و ازدجر، فمن اضطر، و اصطر، لموافقة الطاء للضاد و الضاد بالاستعلاء و الاطباق، و لم يجز إدغام الزاى فى الدال، لأنها من حروف الصفير. و لكن يجوز مزجر. و لم يدغم الضاد فى الطاء لأن فيها استتالة. و المجهور من الحروف: كل حرف أشبع الاعتماد عليه فى موضعه و منع النفس أن يجرى معه. و المهموس: كل حرف أضعف الاعتماد عليه فى موضعه و جرى معه النفس. و قوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» و إن كانت آية للجميع، لأن معناه «إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» بالله إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمن آمن بالله، لأن العلم بالمرسل قبل العلم بالرسول. و إنما يقال هى آية للجميع بأن يقدموا قبل ذلك الاستدلال على التوحيد. و أيضاً بأن من استحق وصفه بأنه مؤمن علم أن ذلك من آيات الله عز و جل.

(١) اللسان (كمه) و روايته (لما) بدل (حتى) و كذلك رواية المفضليات: ٤٠٥.

يلحى نفسه أى يلومها. لما نزع يعنى لما ترك.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٠

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٠] ص : ٤٧٠

إشارة

وَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (٥٠) آية واحدة.

الاعراب: ص : ٤٧٠

و مصدقاً نصب على الحال و تقديره قد جئتكم مصدقاً، لأن أول الكلام يدل عليه و نظيره جئته بما يجب و معرفاً له، و ليس عطفاً على وجهها و لا رسولا لقوله «لِما بَيَّنَّ يَدَيَّ» و لم يقل لما بين يديه.

المعنى: ص : ٤٧٠

و قوله: «وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» فإنما أحل لهم لحوم الإبل و الثروب و أشياء من الطير و الحيتان، مما كان محرماً في شرع موسى (ع) و لم يحل لهم جميع ما كان محرماً عليهم من الظلم، و الغصب، و الكذب، و العبث و غير ذلك، فلذلك قال «بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» و يمثل هذا قال قتادة و الربيع، و ابن جريج و وهب ابن منية، و أكثر المفسرين. و قال أبو عبيدة أراد كل الذي حرم عليكم و استشهد على ذلك بقول لبيد:

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها (١)

قال معناه أو يعتلق نفسى حمامها. و أنكر الزجاج تأويله. و قال: هو خطأ من وجهين:

أحدهما- أن البعض لا يكون بمعنى الكل. و الآخر- أنه لا يجوز تحليل

(١) اللسان (بعض) ذكر العجز فقط.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧١

المحرمات أجمع، لأنه يدخل في ذلك الكذب، و الظلم، و الكفر قال: و معنى البيت أو يعتلق نفسى حمامها، كما يقول القائل: بعضنا يعرفك يريد أنا أعرفك، و هذا أيضاً إنما هو تبعض صحيح. و وجه الآية ما ذكره أبو على، و جماعة من المفسرين أن قوماً من اليهود حرموا على نفوسهم أشياء ما حرمها الله عليهم، فجاء بتحليل ذلك. قال الرماني: تأويل الآية على ما قالوه، لكنه لا يمتنع أن يوضع البعض في موضع الكل إذا كانت هناك قرينة تدل عليه، كما يجوز وضع الكل في موضع البعض بقرينة.

قوله: «وَلِأَجَلٍ لَّكُمْ» معطوف على معنى الكلام الأول، لأن معناه جئتكم لأصدق ما بين يدي من التوراة، و لأحل لكم، كما يقول القائل: جئته معذراً و لأجتلب عطفه. و الإحلال هو الإطلاق في الفعل بتحسينه، و التحريم هو حظر الفعل بتقييحه. و الفرق بين التصديق، و التقليد أن التصديق لا يكون إلا فيما يبرهن عند صاحبه. و التقليد يكون فيما لم يبرهن، و لهذا لم تكن مقلدين للنبي (ص) و إن كنا مصدقين له.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥١] ص : ٤٧٢

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)
آية.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» استئناف كلام، لأنه رأس آية، و عليه جميع العلماء. و كان يجوز أن تفتح الهمزة على قوله: «و جئتكم» ب «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ». و الفرق بين قوله «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» و قوله «ربنا» أن الأول أكد في إقراره بالربوبية، لأنه ذكر على التفصيل، فهو أبعد من الغلط في التأويل، لأن لقائل أن يقول الذكر قد يجوز في الجملة على التغليب كما يغلب التذكير على التأنيث في الجملة دون التفصيل.

و الربوبية هي تنشئة الشيء حالا بعد حال حتى يبلغ حد الكمال في التربيئة، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٢

فلما كان الله تعالى مالكاً لانشاء العالم كان رباً، و لا تطلق هذه الصفة إلا عليه تعالى، لأن إطلاقها يقتضى الملك بجميع الخلق، فأما

إجراؤها على غيره، فعلى وجه التقييد، كقولك رب الدار، و رب الضيعة. و قالوا في وصف قوم من العلماء: هم أرباب البيان يراد به شدة اقتدارهم عليه. و قوله: «هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» فالاستقامة استمرار الشيء في جهة واحدة، و نظيرها الاستواء: خلاف الاعوجاج، فلذلك قيل للطريق المؤدى إلى المراد الموصل إلى الحق: طريق الاستقامة، لأنه يفضى بصاحبه إلى غرضه، و قد استوفينا معناه في سورة الحمد. و قد يوصف الدليل بأنه طريق مستقيم، لأنه يؤدي إلى الحق اليقين. و في الآية حجة على النصارى بما قاله المسيح مما يقرون به أنه في الإنجيل من نحو هذا الكلام، لأن فيه أذهب إلى إلهي، و إلهكم، كقوله هاهنا: «إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ».

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٢] ص : ٤٧٢

إشارة

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) آية.

اللغة: ص : ٤٧٢

الاحساس هو الوجود بالحاسة، أحس يحس إحساساً. و الحس القتل، لأنه يحس بألمه، و منه قوله: «إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ» (١) و الحس: العطف، لاحساس الرقة على صاحبه. و الأصل فيه إدراك الشيء من جهة الملاسة. و معنى الآية: فلما علم عيسى منهم الكفر، قال: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ». و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشرف، و شهيد و أشهاد. و إنما لم يحمل على ناصر لأنه يجب أن يحمل على نظيره من فاعيل و أفعال.

(١) سورة آل عمران آية: ١٥٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٣

المعنى: ص : ٤٧٣

و قوله: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها- من أعوانى على هؤلاء الكفار إلى معونة الله أى مع معونة الله فى قول السدى، و ابن جريج. و إنما جاز أن تكون (إلى) بمعنى (مع) لما دخل الكلام من معنى الأضافة و معنى المصاحبة، و نظيره «الذود إلى الذود إبل» أى مع الذود. و مثله «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ» (١) أى مع أموالكم، و قولك: قدم زيد و معه مال، فلا يجوز فيه إلى و كذلك قدم إلى أهله، لا يجوز فيه مع، لاختلاف المعنى.

الثانى- قال الحسن من أنصارى فى السبيل إلى الله، لأنه دعاهم إلى سبيل الله.

الثالث- قال الجبائى: من أنصارى لله، كما قال: «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ» (٢) و وجه ذلك أن العرض يصلح فيه اللام على طريق العلة و إلى طريق النهاية. فان قيل عيسى إنما بعث بالوعظ دون الحرب لم استنصر عليهم؟ قلنا: للحماية من الكافرين الذين أرادوا قتله عند اظهار الدعوة- فى قول الحسن و مجاهد- و قال آخرون: يجوز أن يكون طلب النصره للتمكين من إقامة الحجة و إنما قاله ليطمئن الموافق من المخالف. و قوله: «قَالَ الْخَوَارِيُّونَ» اختلفوا فى تسميتهم حواريين على ثلاثة

أقوال قال سعيد بن جبير: سموا بذلك لنقاء ثيابهم. الثاني - قال ابن جريج عن أبي أرطاء أنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب. الثالث - قال قتادة، و الضحاك: لأنهم خاصة الأنبياء يذهب إلى نقاء قلوبهم كنقاء الأبيض بالتحوير. وقد روى عن النبي (ص) أنه قال: الزبير ابن عمتي و حوارى من أمتى.

(١) سورة النساء آية: ٢.

(٢) سورة يونس آية: ٣٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٤

اللغة: ص: ٤٧٤

و أصل الحوارى الحور، و هو شدة البياض. و منه الحوارى من الطعام لشدة بياضه. و منه الأحور، و الحوراء لنقاء بياض العين، و منه الحواريات نساء الأنصار لبياضهن. قال أبو جلدة الشكرى «١»: فقل للحواريات يبكين غيرنا و لا تبكنا إلا الكلاب النوايح «٢» و قال بعض بنى كلاب: و لكنه ألقى زمام قلوبه ليحيا كريماً أو يموت حواريا أى ناصراً لرفاقه غير خاذل لهم. و المحور: الحديد التى تدور عليها البكرة، لأنها تنصقل حتى تبيض و حار يحور: إذا رجع، لانقلابه فى الطريق الذى جاء فيه كانقلاب المحور بالتحوير.

المعنى: ص: ٤٧٤

و فى الآية حجة على من زعم أن المسيح و الذين آمنوا به، كانوا نصارى فبين الله تعالى أنهم كانوا مسلمين كما بين ذلك فى قصة ابراهيم (ع) حيث قال «ما كان إبراهيم يهودياً و لا نصرانياً و لكن كان حنيفاً مسلماً».

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٣] ص: ٤٧٤

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)
آية واحدة بلا خلاف.

(١) هو أبو جلدة بن عبيد بن منفذ الشكرى من شعراء الدولة الاموية، و كان من أخص الناس بالحجاج ثم فارقه و خرج مع ابن الأشعث، و صار من أشد الناس تحريضاً على الحجاج.

(٢) اللسان (حور)، و الاغانى ١١: ٣١١ و حماسه بن الشجرى: ٦٥ و هو من أبيات قالها فى التحريض على قتال أهل الشام.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٥

هذا حكاية لقول الحواريين حيث قالوا «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ اشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ». قالوا «ربنا» و معناه يا ربنا و نصبه، لأنه نداء مضاف. «آمنا» أى صدقنا. و إنما لم يقل رب العباد آمنا للاختصاص بما أنعم به عليهم من الايمان الذى أجابوا إليه دون غيرهم ممن عدل عنه. و إنما قال «رَبَّنَا آمَنَّا» على لفظ الخطاب و لم يعدل إلى لفظ الغائب، فكان أبلغ فى التعظيم، كما تقول السمع و الطاعة للملك، فيكون أفخم

من أن يقال: لك أيها الملك، لأن المشاهدة أغنت عن التصريح بالخطاب و صار كالأستدلال له مع الغنى عنه و ليس كذلك استعماله مع الحاجة إليه، لأنه لا يدل على ابتداء له. فان قيل لم حذف (يا) من يا ربنا آمنا، و لم يحذف من «يا عبادى لا خوف عليكم» (١)؟ قلنا حذف للاستغناء عن تنبيه المدعو، و ليس كذلك الثانى لأنه بشاره للعباد ينبغى أن يمد بها لأن سماعها مما يسر. و قوله: (وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) فالاتباع سلوك طريقه الداعى على الاجابة إلى ما دعا إليه، و ليس كل اجابة اتباعاً، لأن اجابة الدعاء يجوز على الله تعالى و لا يجوز عليه الاتباع. و قوله:

«فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» قيل معناه قولان:

أحدهما- اثبت أسماءنا مع اسمائهم لنفوز بمثل ما فازوا، و ننال من الكرامة مثل ما نالوا، و نستمتع بالدخول فى جملتهم و الانضمام إليهم. الثانى- يصل ما بيننا و بينهم بالخله على التقوى، و الموده على سلوك طريق الهدى، و تجنب طريق الردى، و على هذا يكونون فيه بمنزلة من كتب عليهم. و حقيقه الشاهد المخبر بالشىء عن مشاهدته، و قد يتصرف فيه، فيقال: البرهان شاهد بحق أى هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدته. و يقال هذا شاهد أى معد للشهادة و المراد فى الآيه الشاهدين بالحق المنكرين للباطل.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٤] ص : ٢٧٥

إشارة

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)
آية.

(١) سورة الزخرف آية ٦٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٦

المعنى: ص : ٤٧٦

قيل فى معنى الآية قولان:

أحدهما- قال السدى مكروا بالمسيح بالحيلة عليه، لقتله و مكر الله بردهم بالخبيثه، للاقائه شبه المسيح على غيره. الثانى- «مَكَرُوا» بإضمار الكفر «وَ مَكَرَ اللَّهُ» بمجازاتهم عليه بالعقوبة. و المكر، و إن كان قبيحاً فإنما أضافه تعالى إلى نفسه لمزاوجة الكلام، كما قال: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ» (١) و ليس باعتداء و إنما هو جزاء، و هذا أحد وجوه البلاغه، لأنه على أربعة أقسام:

أحدها- المزاجه نحو «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ». و الثانى- المجانسه نحو قوله:

«يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ» (٢). الثالث- المطابقه نحو قوله:

«ما ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» (٣) بالنصب على مطابقه الجواب للسؤال.

و الرابع- المقابله نحو قوله: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» (٤) قال الشاعر:

و اعلم و أيقن ان ملكك زائل و اعلم بأن كما تدين تدان (٥)

أى كما تجزى تجزى. و الأول ليس بجزاء و أصل المكر الالتفاف، فمنه المكر ضروب من الشجر مثل الدعل و نحوه، لالتفافه. و الممكوره من النساء الملتفه و المكر طين أحمر شبيه بالمغرة. و ثوب ممكور إذا صبغ بذلك الطين. و المكر الاحتيال

(١) سورة البقرة آية ١٩٤.

(٢) سورة النور آية: ٣٧. [.....]

(٣) سورة النحل آية: ٣٠.

(٤) سورة القيامة آية ٢٢-٢٥.

(٥) اللسان (زنا)، (دان) و جمهرة الأمثال للعسكري: ١٦٩ و غيرها و قد نسبه في اللسان الى خويلد بن نوفل الكلابي. و قيل: هو لبعض الكلابيين. و قيل: ليزيد بن الصعق الكلابي. و قد مر البيت في ١: ٣٦ و روايته هناك (بأنك ما تدين تدان). و روايته اللسان:

يا حار أيقن أن ملكك زائل و اعلم بأن كما تدين تدان

و حار: ترخيم حارث. و المخاطب هنا الحارث بن أبي شمر الغساني و كان قد اغتصب ابنه الشاعر فخاطبه في قصيدة منها هذا البيت. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٧

على العبد، لالتفاف المكروه عليه. و حد المكر: خبء يخذع به العبد لإيقاعه في الضر. و الفرق بين المكر و الحيلة أن الحيلة قد تكون، لإظهار ما تعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالعبد. و المكر حيلة على العبد توقعه في مثل الرهق.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٥] ص: ٤٧٧

إشارة

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) آية.

الاعراب: ص: ٤٧٧

العامل في (إذ) يحتمل أحد أمرين.

أحدهما- قوله: «وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ» «إذ قال». و الآخر ذاك «إذ قال الله يا عيسى و عيسى في موضع الضم، لأنه مناداً مفرد، و لكن لا يبين فيه لأنه منقوص، و عيسى لا ينصرف لاجتماع العجمة و التعريف على قول الزجاج، لأنه حمل الألف على حكم الملحق بمخرج و لم يحملها على التأنيث، فأما الألف في زكريا، فلا يكون إلا للتأنيث، لأنه لا مثال له في الأصول. و إذا عرب جرى على قياس كلامهم في أن الالف الزائدة لا تخلو أن تكون للتأنيث أو للإلحاق، فإذا بطل أحدهما صح أنها للآخر. و إنما وجب ذلك، لأنه يجري مجرى ااعراب بالعوامل، فأما الاشتقاق، فلا يجب، لأنه تصريح من أصل المشتق، و ليس العربي بأصل للعجمي، و ذلك نحو العيس و هو بياض الإبل و العوس و هو السياسة لو كان عربياً، لصلح أخذه من أحد الأصلين. و إذا أخذ من أحدهما التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٧٨

امتنع من الآخر، فلذلك إذا أخذ من العجمي امتنع من العربي.

و قوله: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ» قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها- قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة موت في قول الحسن و ابن جريج و ابن زيد. الثاني- متوفيك وفاة نوم

في قول ابن عباس و وهب ابن منية. و الثالث - ان فيه تقديماً و تأخيراً، و معناه إنى رافعك، و متوفيك فيما بعد ذكره الفراء. و قوله: «و رافعك» قيل في معناه قولان:

أحدهما- رافعك في السماء فجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم و اجراءه على طريق التعظيم. و الآخر- مصيرك إلى كرامتي كما يقال رفع إلى السلطان، و رفع الكتاب إلى الديوان. و قال ابراهيم «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي». و إنما ذهب من العراق إلى الشام. و إنما أراد إلى حيث أمرني ربي بالمضى إليه. و قوله: (و مطهرك) قيل فيه قولان:

أحدهما- مطهرك بإخراجك من بين الارجاس، لأن كونه في جملتهم بمنزلة التنجيس له بهم، و إن كان عليه السلام طاهراً في كل حال، و إنما ذلك على إزالته عن مجاورة الانجاس. و الثاني- قال أبو علي: تطهيره: منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذي كانوا هموا به لأن ذلك نجس طهره الله منه. و قوله: وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَهُمْ فَوْقَهُمْ بِالْحِجَةِ وَ الْبِرْهَانِ، وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالْعِزِّ وَ الْغَلْبَةِ، وَ قَالَ الْحَسَنُ، وَ قَتَادَةُ، وَ الرَّبِيعُ: الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْآيَةِ أَهْلُ الْإِيمَانِ. وَ مَا جَاءَ بِهِ دُونَ الَّذِينَ كَذَّبُواهُ أَوْ كَذَّبُوا عَلَيْهِ. وَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْمَعْنَى بِهِ النَّصَارَى، وَ هُمْ فِرْقَ الْيَهُودِ مِنْ حَيْثُ كَانُوا الْيَهُودَ أَذَلَّ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ لِهَذَا زَالَ الْمَلِكُ عَنْهُمْ وَ إِنْ كَانَ ثَابِتاً فِي النَّصَارَى فِي بِلَادِ الرُّومِ وَ غَيْرِهَا، فَهَمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَ فَوْقَهُمْ. وَ قَالَ الْجَبَائِيُّ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِلْيَهُودِ مَمْلَكَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا لِلرُّومِ. وَ الْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَقْوَى، لِأَنَّهُ أَظْهَرَ إِذَا كَانَ عَلَى جِهَةِ التَّبْيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ٢، ص: ٤٧٩

الترغيب في الحق، و قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» وجه اتصاله بالكلام كأنه قال أما الدنيا فأنتم فيها على هذه الحال، و أما الآخرة.

فيقع فيها التوفية للحقوق على التمام و الكمال. و إنما عدل عن الغيبة إلى الخطاب في قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» لتغلب الحاضر على الغائب لما دخل معه في المعنى كما يقول بعض الملوك: قد بلغني عن أهل بلد كذا جميل، فأحسن إليكم معشر الرعية.

وقوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٦] ص: ٤٧٩

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦)
آية واحدة بلا خلاف.

معنى قوله «فأما» تفصيل المجمع على قولك فيجازى العباد أما المؤمن فبالثواب و أما الكافر فبالعقاب. و قوله: «فأعذبهم» فالعذاب: استمرار الآلام لأن أصله استمرار الشيء، فمنه العذوبة لاستمرار العذب في الحلق، و منه العذبة لاستمرارها بالحركة. و قوله «شديداً» فالشدة صعوبة بالانتقام. و القوة: عظم القدرة، فالشدة نقيض الرخاوة. و القوة نقيض الضعف، فشدة العذاب قد تكون بالتضعيف، و قد تكون بالتحسيس. و قوله: «ففي الدنيا و الآخرة» فعذابهم في الدنيا إذلالهم بالقتل، و الأسر، و السبي، و الخسف، و الجزية، و كلما فعل على وجه الذلة و الالهانة. و في الآخرة عذاب الأبد. و الفرق بين الآخرة و الانتهاء أن الآخرة قد تكون بعد العمل، فأما الانتهاء فجزء منه لا يكون بعد كماله هذا إذا اطلق فان أضيف فليل آخر العمل فمعناه انتهاء العمل. و قوله: «وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» فالنصرة هي المعونة على العدو خاصة. و المعونة هي زيادة في القوة و قد تكون على العدو، و غير العدو.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٠

وقوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٧] ص: ٤٨٠

وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧)
آية واحدة بلا خلاف.

قرأ (فيوفيهم) بالياء حفص و رويس. الباقون بالنون.

فان قيل: لمكرر الوعد هاهنا وقد ذكر في غير هذا الموضع من القرآن؟

قلنا: ليس ذلك بتكرير في المعنى، لأن معنى ذلك آمنوا بك يا عيسى و عملوا الصالحات فيما دعوتهم إليه من الهدى، لأنه تفصيل ما أجمل في قوله: «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» وقوله: (وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ) ليس بتقييد للوعد بكل واحدة من الخصلتين على اختلاف فائدة الصفتين، و في الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أن الله تعالى يريد الظلم، لأنه قال:

«لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» و إذا لم يحب الظالم لم يحب فعل الظلم، لأنه إنما لم يجز محبة الظالم لظلمه.

و المحبة هي الارادة، و في الآية دلالة على أنه لا يجازى المحسن بما يستحقه المسيء و لا المسيء بما يستحقه المحسن، لأن ذلك ظلم. و معنى التوفية في الآية مساواة مقدار الاستحقاق لأن المقدار لا يخلو أن يكون مساوياً أو زائداً أو ناقصاً، و الزيادة على مقدار الاستحقاق لا يجوز أن يعطى ثواب العمل من ليس بعامل لكن تجوز الزيادة على وجه التفضل، فأما التوفية، فواجبة في الحكمة و النقصان لا يجوز، لأنه ظلم. و في الآية دلالة على بطلان القول بالتحابط، لأنه تعالى وعد بتوفية الأجور و لم يشرط الإحباط، فوجب حمل الكلام على ظاهره.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٨] ص : ٤٨١

إشارة

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)

آية واحدة. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨١

المعنى: ص : ٤٨١

«ذلك» إشارة إلى الاخبار عن عيسى، و زكريا، و يحيى، عن الحواريين، و اليهود من بنى إسرائيل، و هو في موضع نصب بما تقدم. و «نَتْلُوهُ عَلَيْكَ» لما فيه من الآية لمن تذكر في ذلك و اعتبر به. و الذكر و إن كان حكمة فإنما وصفه بأنه حكيم من حيث لما كان ما فيه من الدلالة بمنزلة الناطق بالحكمة حسن وصفه بأنه حكيم من هذه الجهة، كما وصفت الدلالة بأنها دليل لما فيها من البيان، و ذلك لأنه الناطق بالبيان.

الاعراب: ص : ٤٨١

و موضع «نتلوه» من الاعراب يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون رفعاً بأنه خبر ذلك، و الثاني- ألا يكون له موضع، لأنه صلة ذلك و تقديره: الذي نتلوه عليك من الآيات، و يكون موضع «من الآيات» رفعاً بأنه خبر ذلك. ذكره الزجاج و أنشدوا في مثله:

عدس ما للعباد عليك إمارة أمنت و هذا تحمليين طليق «١»

بمعنى و الذي تحمليين طليق.

المعنى: ص : ٤٨١

وقيل في معنى قوله: «تَتْلُوهُ عَلَيْكَ» قولان:

أحدهما- نكلمك به، و يكون وضع «تتلوه» موضع نكلم كما يقول القائل:

انشأ زيد الكتاب و تلاوة عمرو، فالتلاوة تكون اظهار الكلام على جهة الحكاية الثاني- «تتلوه عَلَيْكَ» بأمرنا جبريل أن يتلوه عليك على قول الجبائي، و الذكر حصول ما به يظهر المعنى للنفس و يكون كلاماً و غير كلام من بيان أو خاطر على

(١) البيت مشهور في كتب النحو.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٢

البال، و ليس إذا ظهر الشيء للنفس دل على صحته، لأن الضدين قد يظهران و لا يجوز صحتها معاً.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٥٩] ص : ٤٨٢

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) آية.

قال ابن عباس، و الحسن و قتادة: هذه الآية نزلت في وفد نجران: السيد و العاقب، قال للنبي (ص) هل رأيت ولداً من غير ذكر، فأنزل الله تعالى الآية.

و المثل ذكر سائر يدل على أن سبيل الثاني سبيل الأول، فذكر الله آدم بأن انشأه من غير والد يدل على أن سبيل الثاني سبيل الأول في باب الإمكان، و القدرة. و في ذلك دلالة على [بطلان قول من حرم النظر، لأن الله تعالى احتج به على المشركين و لا يجوز أن يدلهم إلا- بما فيه دليل فقياس خلق عيسى من غير ذكر كقياس خلق آدم بل هو فيه أوجب، لأنه في آدم من غير أنثى، و لا ذكر. و معنى «خلقه» أنشأه، و لا- موضع له من الاعراب، لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة، و لا يكون حالاً له، لأنه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ من علامات الاتصال من اعراب أو مرتبة كالصلة. و قوله: «كُنْ فَيَكُونُ» قد بينا معناه فيما مضى و أنه اخبار عن سرعة الفعل و تسره من غير مشقة و لا إبطاء.

وقيل إنه يفعله عند قوله: «كن» و يكون ذلك علامة للملائكة على ما يريد الله إنشاءه. و قوله: «فيكون» رفع لا يجوز فيه النصب على جواب الأمر في كن، لأن جواب الشرط غيره في نفسه أو معناه نحو آتني فأكرمك و آتني فتحسن إلي، فهذا يجوز، لأن تقديره فإنك إن تأتني تحسن إلي، و لا يجوز تقدير (أن)، فيكون بالنصب، لأن تقديره كن فإنك أن تكن. فهذا لا يصح، لأن الجواب هو الشرط على معناه، و لكن يجوز الرفع على فهو يكون.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٣

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٠] ص : ٤٨٣

إشارة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) آية.

الاعراب: ص : ٤٨٣

الحق رفع بأنه خبر ابتداء محذوف و تقديره ذلك الاخبار في أمر عيسى الحق من ربك، فحذف، لتقدم ذكره و أغنى بشاهد الحال عن الاشارة إليه كما تقول الهلال أى هذا الهلال.

المعنى و اللغة: ص : ٤٨٣

و قوله: «فَلَا تُكُنْ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون خطاباً للنبي (ص) و المراد به غيره، كما قال. «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» (١)- و الآخر- «فَلَا تُكُنْ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» أيها السامع للبرهان من المكلفين كائناً من كان.
و الامتراء الشك، و مثله المريء و أصله الاستخراج مرى الضرع يمر به مرياً:
إذا استخراج اللبن منه يمسحه ليدر، و كذلك الريح تمرى السحاب مرياً. فالامتراء شك كحال المستخرج لما لا يعرف. و إنما قال: «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» و لم يقتصر على قوله: «ذَلِكَ الْحَقُّ» «فَلَا تُكُنْ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» لأن في هذه الآية دلالة على أنه الحق، لأنه من ربك، و لو قال ذلك الحق «فَلَا تُكُنْ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» لأن في هذه الآية دلالة على أنه الحق، لأنه من ربك. و لو قال: ذلك الحق فلا تكن «٢» لم يفد هذه الفائدة. و الفرق بين قوله: «فَلَا تُكُنْ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ» و بين قوله: فلا تكن ممترياً أن ذلك أبلغ في النهي، لأنه اشارة إلى قوم قد عرفت حالهم فى النقص و العيب.

(١) سورة الطلاق آية: ١.

(٢) هكذا فى المطبوعة و فيه تكرار كما ترى.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٤

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦١] ص : ٤٨٤

اشارة

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٤٨٤

الهاء فى قوله: «فيه» يحتمل أن تكون عائده إلى أحد أمرين:
أحدهما- إلى عيسى فى قوله: «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ» فى قول قتاده.
الثانى- أن تكون عائده على الحق فى قوله «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ». و الذين دعاهم النبى (ص) فى المباهلة نصارى نجران، و لما نزلت الآية أخذ النبى (ص) بيد على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام، ثم دعا النصارى إلى المباهلة، فاحجموا عنها، و أقرؤا بالذلة و الجزية. و يقال: إن بعضهم قال لبعض إن باهلتموه اضطرم الوادى ناراً عليكم و لم يبق نصرانى و لا نصرانية إلى يوم القيامة.
و روى أن النبى (ص) قال لأصحابه: مثل ذلك. و لا خلاف بين أهل العلم أنهم لم يجيبوا إلى المباهلة.

اللغة، والمعنى: ص: ٤٨٤

«و تعالوا» أصله من العلو، يقال منه تعاليت أتعالى تعالياً: إذا جئت و أصله المجيء إلى الارتفاع إلا أنه كثر في الاستعمال حتى صار لكل مجيء و صار تعالى بمنزلة هلم. و قيل فى معنى الابتهاج قولان:

أحدهما- الالتعان بهله الله أى لعنه و عليه بهله الله. الثانى «نبتهل» ندعوا بهلاك الكاذب. و قال لبيد: التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٥

نظر الدهر إليهم فابتهل (١)

أى دعا عليهم بالهلاك كاللعن، و هو المباحدة من رحمة الله عقاباً على معصيته فلذلك لا يجوز أن يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيمة أو نحو ذلك، و قال أبو بكر الرازى: الآية تدل على أن الحسن و الحسين ابناه، و أن ولد البنت ابن على الحقيقة. و قال ابن أبى علان: فيها دلالة على أن الحسن و الحسين كانا مكلفين فى تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن أمير المؤمنين (ع) كان أفضل الصحابة من وجهين:

أحدهما- أن موضوع المباهلة لىتميز المحق من المبطل و ذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعاً على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

و الثانى- أنه (ص) جعله مثل نفسه بقوله: «وَأَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» لأنه أراد بقوله «أبناءنا» الحسن و الحسين (ع) بلا خلاف. و بقوله: «و نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ» فاطمة (ع) و بقوله: «و أَنْفُسَنَا» أراد به نفسه، و نفس على (ع) لأنه لم يحضر غيرهما بلا خلاف، و إذا جعله مثل نفسه، و جب ألا يدانيه أحد فى الفضل، و لا يقاربه. و متى قيل لهم أنه أدخل فى المباهلة الحسن و الحسين (ع) مع كونهما غير بالغين و غير مستحقين للثواب، و إن كانا مستحقين للثواب لم يكونا أفضل الصحابة. قال لهم أصحابنا: إن الحسن و الحسين (ع). كانا بالغين مكلفين، لأن البلوغ و كمال العقل لا يفتقر إلى شرط مخصوص، و لذلك تكلم عيسى فى المهد بما دل على كونه مكلفاً عاقلاً، و قد حكيت ذلك عن امام من أئمة المعتزلة مثل ذلك و قالوا أيضاً أعنى أصحابنا: إنهما كانا أفضل الصحابة بعد أبيهما و جدهما، لأن كثرة الثواب ليس بموقوف على كثرة الافعال، فصغر سنهما لا يمنع من أن يكون

(١) ديوانه قصيدة ٣٩ البيت ٨١، و أمالى الشريف المرتضى ١: ٤٥ و أساس البلاغة (بهل) و صدره:

فى قروم سادة من قومه

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٤

معرفتهما و طاعتهما لله، و إقرارهما بالنبى (ص) و وقع على وجه يستحق به من الثواب ما يزيد على ثواب كل من عاصرهما سوى جدهما و أبيهما. و قد فرغنا الكلام فى ذلك و استقصيناه فى كتاب الامامة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٢] ص: ٤٨٤

إشارة

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصُّ الْحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) آية.

المعنى، و اللغة: ص: ٤٨٤

إن قيل: لم قال: «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصِيُّ صُ» مع قيام الحجة، و شهادة المعجزة له؟ قلنا: معناه البيان عن أن مخالفتهم له بعد وضوح أمره يجرى مجرى العناد فيه، و كذلك قوله: «وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ». و القصص: الخبر الذي تتابع فيه المعاني و أصله اتباع الأثر، و فلان يقص أثر فلان أى يتبعه. و قوله: (و ما من إله إلا الله) دخول (من) فيه تدل على عموم النفي لكل إله غير الله. و لو قال:

ما إله إلا الله لم يفد ذلك و إنما أفادت (من) هذا المعنى، لأن أصلها لا بتداء الغاية فدل على استغراق النفي من ابتداء الغاية إلى انتهائها. و لا يجوز جر اسم الله على البديل من إله، لأن ذلك لا يحسن فى الكلام، لأن (من) لا تدخل فى الإيجاب و ما بعد (إلا) هنا إيجاب، و لا تدخل أيضاً على المعرفة للعموم، و لا يحسن إلا- رفعه على الموضع، كأنه قيل ما لكم إله إلا الله. و ما لكم مستحق للعبادة إلا الله قال الشاعر:

ابنى لىنى لستم بيد الأيد لىست لها عضد

أنشده بالجر، فعلى هذا يجوز ما جئنى من رجل إلا زيد، و ليس هو وجه الكلام، و لكنه يتبعه و إن لم يصلح إعادة العامل فيه، كما يقال: اختصم زيد و عمرو، و لا يجوز و اختصم عمرو، و قوله: «وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص:

٤٨٧

لا أحد يستحق إطلاق هذه الصفة إلا هو، فوصل ذلك بذكر التوحيد فى الإلهية لأنه حجة على صحته من حيث لو كان إله آخر، لبطل إطلاق هذه الصفة.

الاعراب: ص : ٤٨٧

و موضع هو من الاعراب يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون فصلاً، و هو الذى تسمية الكوفيون عماداً، فلا- يكون له موضع من الاعراب، لأنه فى حكم الحرف و يكون القصص خبر إن. و الآخر- أن يكون اسماً موضع رفعه بالابتداء و القصص خبر إن و الجملة خبر إن.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٣] ص : ٤٨٧

إشارة

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣)

اللغة و المعنى: ص : ٤٨٧

التولى عن الحق هو اعتقاد خلافه بعد ظهوره، لأنه كالادبار عنه بعد الإقبال. و تولى عنه خلاف تولى إليه. و الأصل واحد كما أن رغب عنه خلاف رغب فيه. و هو الزوال بالوجه عن جهته إلى غيره، فأصل التولى كون الشئ يلى غيره من غير فصل بينه و بينه، فقيل تولى عنه أى زال عن جهته. و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ» إنما خص المفسدين بأنه عليم بهم على جهة التهديد لهم، و الوعد بما يعلمه مما وقع من إفسادهم كما يقول القائل أنا أعلم بسر فلان، و ما يجرى إليه من الفساد. و الإفساد إيقاع الشئ على خلاف ما توجه الحكمة، و هو ضد الإصلاح، لأنه إيقاع الشئ على مقدار ما توجه الحكمة. و الفرق بين الفساد، و القبيح: أن الفساد تغيير عن المقدار الذى تدعو إليه الحكمة بدلالة أن نقيضه الإصلاح، فإذا قصر عن المقدار أو أفرط لم يصلح، فإذا كان على المقدار صلح، و ليس كذلك القبيح، لأنه ليس فيه معنى المقدار. و إنما القبيح ما تزجر عنه الحكمة كما أن الحسن ما تدعو إليه الحكمة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٨

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٤] ص: ٤٨٨

إشارة

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)
آية واحدة.

النزول: ص: ٤٨٨

قيل في من نزلت هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها- ذكره الحسن، والسدي، وابن زيد، ومحمد بن جعفر بن الزبير:

أنهم نصارى نجران. والثاني- قال قتادة، والربيع، وابن جريج: أنهم يهود المدينة، وقد روى ذلك أصحابنا. ووجه هذا القول أنهم أطاعوا الأبحار طاعة الأرباب، فسلكوا بهم طريق الضلال. ويدل على ذلك قوله: (عز و جل) «اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» «١»

وروى عن أبي عبد الله (ع) أنه قال ما عبدوهم من دون الله وإنما حرموا لهم حلالا وأحلوا لهم حراما، فكان ذلك اتخاذ الأرباب من دون الله.

الثالث- ذكره أبو علي الجبائي أنها في الفريقين من أهل الكتاب على ظاهر الكلام.

المعنى، والاعراب، واللغة: ص: ٤٨٨

وقوله: «إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ» فسواء اسم وليس بصفة وإنما جر سواء بتقدير ذات سواء في قول الزجاج. وكان يجوز نصبه على المصدر، وموضع «أن لا» خفض على البدل من (كلمة). وقال الرماني: إنما أجراه على الاول، وهو الثاني ولا يجوز في مثل قولك مررت برجل سواء عليه الخير والشر غير الرفع لأمرين:

أحدهما- أن رفع الثاني بتقدير محذوف، كأنه قال هي «ألا تعبد إلا

(١) سورة التوبة آية: ٣٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٨٩

الله، فيكون سواء من صفة الكلمة في اللفظ، والمعنى. ويجوز أن يكون موضعه خفضاً على البدل من الكلمة، وتقديره تعالوا إلى الأرباب، فكأنهم قالوا: «الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ» «١» وكذلك «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ»

«٢». الثاني- أن يقع بمعنى المصدر في موضع الصفة الجارية بتقدير (كلمة) مستوية «بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» فيها الامتناع من عبادة غير الله. وإنما جاز، لأن لا نعت بغير معنى الكلمة، فصار بمنزلة إضمار الكلمة. والفرق بين كلمة عدل وكلمة سواء «أَنْ «كَلِمَةٍ سَوَاءٍ» [بمعنى

مستوية و أن عدل بمعنى عادلة فيما يكون منها، كما تقول رجل عدل أى عادل، فاما كلمة مستوية فمستقيمة، كما يقال: الرجل مستو- فى نفسه- غير مائل عن جهته، فلذلك فسر سواء على الوجهين، فكان يجوز فى العربية الجزم فى «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» على طريق النهى، كقولك آتنى وقت يأتى الناس لا تجيء فى غير ذلك من الأوقات، و يجوز فيه الرفع أيضاً بمعنى الحكاية على أن تقول «أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ» و أجاز الفراء الجزم عطفاً على موضع (أن) لأنها فى موضع جواب الامر على تقدير «تعالوا إلى كلمه سواء بيننا و بينكم أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» كما تقول: تعالوا لا نقل إلا خيراً، و هذا لا يجوز عند البصريين، لأن (أن) لا توافق معنى الجواب كالفاء فى قوله: «فَأَصْدَقَ وَ أَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» (٣) كما توافقه «إذا» فى قوله: «وَ إِن تَصَدَّ بِهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» (٤) و اللام فى قوله: «فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» إنما اتصل بما قبله على تقدير: قابلوا إعراضهم عن الحق بخلافه للإنكار عليهم و تجديداً للإقرار به عند صدهم أى أقيموا على إسلامكم، و قولوا لهم: «اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» مقيمون على الإسلام.

(١) سورة الحج آية: ٢٥.

(٢) سورة الجاثية آية: ٢٠.

(٣) سورة المنافقين آية: ١٠.

(٤) سورة الروم آية: ٣٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٠

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٥] ص : ٤٩٠

إشارة

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥)
آية واحدة.

النزول: ص : ٤٩٠

روى عن ابن عباس، و الحسن، و قتادة و السدى أن أحبار اليهود و نصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله (ص) فتنازعوا فى ابراهيم، فقالت اليهود: ما كان إلا يهودياً. و قالت النصارى ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

اللغة: ص : ٤٩٠

و قوله: لِمَ تُحَاجُّونَ، فالحجاج، و المحاجة واحد، و هو الجدل أما بحجة أو شبهة، و قد يسمى الجدل بإبهام الحجة حجاجاً، و على ذلك كان أهل الكتاب فى ادعائهم لإبراهيم، لأنهم أوهموا صحة الدعوى من غير سلوك لطريق الهدى و لا تعلق بما يظن به صحة المعنى. و أما الحجة فهو البيان الذى يشهد لصحة المقالة، و هى و الدلالة بمعنى واحد. و الفرق بين الحجاج و الجدل أن الحجاج يتضمن اما بحجة أو شبهة أو إبهام فى الحقيقة، لأن أصله من الجدل، و هو شدة الفتل.

المعنى: ص : ٤٩٠

و قوله: «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» معناه أ فلا تعقلون فساد هذه الدعوى إذ العقل يمنع من الاقامة على دعوى بغير حجة، فكيف بما قد علم، و ظهر فسادُه بالمناقضة.

و في ذلك دلالة على ان العاقل لا يعذر في الاقامة على الدعوى من غير حجة، لما فيه من البيان عن الفساد و الانتقاض. و لأن العقل طريق العلم، فكيف يضل عن المرشد من قد جعل الله إليه السبيل!.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩١

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٦] ص : ٤٩١

إشارة

ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦)
آية واحدة.

القراءة: ص : ٤٩١

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو (ها أنتم) بتخفيف الهمزة حيث وقع الباقيون بتخفيفها «١» و كلهم أثبت الالف قبل الهمزة إلا ابن عامر عن قنبل فانه حذفها.

المعنى و اللغة: ص : ٤٩١

(ها) للتنبية و إنما نبههم على أنفسهم و ان كان الإنسان لا ينبه على نفسه و إنما ينبه على ما أغفله من حاله، لأن المراد بذلك تنبيههم بذكر ما يعلمون على ما لا يعلمون، فلذلك خرج التنبية على النفس، و المراد على حال النفس. و لو جاء على الأصل، لكان لا بد من ذكر النفس للبيان، ففيه مع ذلك إيجاز. و قد كثر التنبية في هذا و لم يكثر في ها أنت، لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر و المعنى فيه على واحد بعينه مما يصلح له فقوى بالتنبية، لتحريك النفس على طلبه بعينه، و ليس كذلك أنت، لأنه لا يصلح لكل حاضر في الجملة، و إنما هو للمخاطب. إن قيل أين خبر أنتم في «ها أنتم»؟ قيل: يحتمل أمرين:

أحدهما- حاجبتم على أن يكون «هؤلاء» تابعا عطف بيان.

و الثاني- أن يكون الخبر «هؤلاء» على معنى هؤلاء بمعنى الذين و ما بعده صلة له. فان قيل: ما الذى حاجوا فيه مما لهم به علم؟ قلنا: أما الذى لهم به علم فما وجدوه فى كتبهم، لأنهم يعلمون أنهم وجدوه فيها و أما الذى ليس لهم به علم

(١) هكذا وجدناه فى الأصل و هو كما ترى. و فى مجمع البيان. قرأ أهل الكوفة (ها أنتم) بالمد و الهمزة و قرأ أهل المدينة و أبو عمرو بغير مد و لا همزة الا بقدر خروج الالف الساكنة.

و قرأ ابن عامر بالمد دون الهمزة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٢

فشأن إبراهيم على قول السدى و أبى على. و قوله: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ» يعنى شأن إبراهيم و كلما ليس عليه دليل، لأنه علام الغيوب العالم بغير تعليم «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك، فينبغى أن تلتمسوا حقه من باطله من جهة عالم به. قال أبو على الفارسي: وجه قراءة ابن كثير أنه أبدل

من الهمزة هاء و التقدير أ أنتم، فأبدل من همزة الاستفهام هاء، و ذلك جائز. قال: و لا يجوز على هذا أن تكون (ها) للتنبيه. و حذف الألف منها في مثل هلم، لأن الحذف إنما يجوز إذا كان فيها تضعيف

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٧] ص : ٤٩٢

إشارة

ما كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) آية.

المعنى: ص : ٤٩٢

ذكر الحسن، و قتادة، و عامر، و هو

المروى عن أبي جعفر (ع): أن اليهود قالت: كان ابراهيم يهودياً، و قالت النصارى كان نصرانياً، فأكذبهم الله في ذلك بانزال هذه الآية.

فان قيل: هل كان الله تعبد باليهودية و النصرانية ثم نسخها أم لا؟ قلنا: كان الذي بعثه الله به شرع موسى ثم شرع عيسى ثم نسخهما فأما اليهودية و النصرانية فصفتا ذم قد دل القرآن و الإجماع على ذلك، لأن موسى لم يكن يهودياً، و عيسى لم يكن نصرانياً، لقوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» و اليهودية مله محرفة عن شرع موسى و كذلك النصرانية محرفة عن شرع عيسى. و قيل في أصل الصفة بيهود قولان:

أحدهما- أنهم ولد يهود. و الآخر- أنه مأخوذ من هاد يهود إذا رجع.

و في النصارى قولان:

أحدهما- أنه مأخوذ من ناصرة قرية بالشام. و الآخر- أنه من نصر المسيح. و كيف تصرفت الحال فقد صارتا صفتي ذم تجريان على فرقتين ضاليتين. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٣

فان قيل: إن كان ابراهيم لم يكن يهودياً و لا نصرانياً، لأن التوراة و الإنجيل أنزلا بعده، فيجب أن لا يكون مسلماً، لأن القرآن أيضاً أنزل بعده؟

قلنا: لا يجب ذلك، لأن التوراة و الإنجيل أنزلا من بعده من غير أن يكون فيها ذكر له بأنه كان يهودياً أو نصرانياً. و القرآن أنزل من بعده و فيه الذكر له بأنه كان حنيفاً مسلماً. و قيل في معنى الحنيف قولان:

أحدهما- المستقيم الدين، لأن الحنف هو الاستقامة في اللغة. و إنما سمي من كان معوج الرجل أحنف على طريق التفاؤل كما قيل للضرب إنه بصير. و الثاني- إن الحنيف هو المائل إلى الحق في الدين فيكون مأخوذاً من الحنف في القدم، و هو الميل. فان قيل: هل كان إبراهيم على جميع ما نحن عليه الآن من شرع الإسلام؟ قلنا: هو (ع) كان مسلماً، و إن كان على بعض شريعتنا، لأن في شرعنا تلاوة الكتاب في صلاتنا و ما أنزل القرآن إلا على نبينا، و إنما قلنا: إنه مسلم باقامة بعض الشريعة، لأن أصحاب النبي (ص) كانوا مسلمين في الابتداء قبل استكمال الشرع. و قد سماه الله تعالى مسلماً، فلا مريه تبقى بعد ذلك.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٨] ص : ٤٩٣

إشارة

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)
آية واحدة.

المعنى: ص: ٤٩٣

معنى قوله: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ» أى أحقهم بنصرته بالمعونة أو الحجّة، لأن الذين اتبعوه فى زمانه تولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر أمره، و علت كلمته. و سائر المؤمنين يتولونه بالحجّة بما كان عليه من الحق و تبرئته من كل عيب، فالله تعالى ولى المؤمنين، لأنه يوليهم النصره، و المؤمن ولى الله لهذا المعنى بعينه. و قيل، لأنه يولى صفاته التعظيم. و يجوز، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٤

لأنهم يتولون نصره ما أمر به من الدين. و قيل و الله ولى المؤمنين، لأنه يتولى نصرهم. و المؤمنون أولياء الله، لأنهم يتولون نصر دينه الذى أمرهم به.

اللغة: ص: ٤٩٤

«و أولى» الذى هو بمعنى أفعل من غيره لا يجمع و لا يثنى، لأنه يتضمن معنى الفعل و المصدر على تقدير يزيد فضله على فضله فى أفضل منه. و معنى قولنا:

هذا الفعل أولى من غيره أى بأن يفعل. و قولنا زيد أولى من غيره معناه: أنه على حال هو بها أحق من غيره. و قوله: «لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فالاتباع جريان الثانى على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذى يتبع الدليل فى سلوك الطريق أو فى التصحيح، لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه لصحته، و كذلك المأموم الذى يتبع الامام.

فان قيل: لم فصل ذكر النبى (ص) من ذكر المؤمنين؟ قلنا: يحتمل أمرين:

أحدهما- أنه بمعنى و الذين آمنوا به، فتقدم ذكره ليدخل فى الولاية و يعود إليه الكتابة. و الثانى- أن اختصاصه بالذكر بالحال العليا فى الفضل.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٦٩] ص: ٤٩٤

إشارة

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)

اللغة: ص: ٤٩٤

معنى ودت: تمت و إذا كانت بمعنى التمنى، فهى تصلح للماضى و الحاضر و المستقبل فلذلك جاز ب (لو) و ليس كذلك المحبة و الارادة، لأنهما لا يتعلقان إلا بالمستقبل فلا يجوز أن يكون بمعنى أرادت «لَوْ يُضِلُّوكُمْ» كما يجوز ودت «لَوْ يُضِلُّوكُمْ»، لأن الارادة تجرى مجرى الاستدعاء إلى الفعل أو مجرى العلة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٥

فى ترتيب الفعل، فأما التمنى، فهو تقدير شىء فى النفس يستمتع بتقريره. و الفرق بين ودّ لو يضلّه، و بين ود أن يضلّه: أن (أن) للاستقبال و ليس كذلك (لو) و قوله: (لو يضلونكم) فالاضلال: الإهلاك بالدخول فى الضلال. و أصل الضلال الهلاك من قوله: «أ

إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ « ١ » أَى هَلَكْنَا.

المعنى: ص : ٤٩٥

وقوله: «وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» قيل فيه قولان: أحدهما- أن المؤمنين لا- يقبلون ما يدعونهم إليه من ترك الإسلام إلى غيره من الأديان فيحصل عليهم حينئذ الإ-ثم و الوبال، و الاستدعاء إلى الضلال. والثاني- «وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» بفعل الضلال كما يقال ما أهلك إلا نفسه أى لا يعتد بهلاك غيره فى عظم هلاكه.

اللغة: ص : ٤٩٥

و الفرق بين أضله عن الطريق و بين أخرجه عن الطريق: أن أضله عنه يكون بالاستدعاء إلى غيره دون فعل الضلال. و أخرجه عنه قد يكون بفعل الخروج منه. و الفرق بين الإضلال و الاستدعاء إلى الضلال أن الإضلال لا- يكون إلا إذا قبل المدعو، فأما الاستدعاء إلى الضلال، فيكون، قبل المدعو أم لم يقبل. و حقيقة الإضلال: الدعاء إلى الضلال الذى يقبله المدعو. و قال بعضهم: إنه لا يصح إضلال أحد بغيره. و إنما يقال ذلك على وجه المجاز ذهب إلى أنه يفعل فعل الضلال فى غيره، لأنه لا يوصف بأنه مضل لغيره إلا إذا أضل المدعو باغوائه. قال الرماني: و هذا غير صحيح، لأنه يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذى يقبله المدعو أكثر مما يذم بالاستدعاء إلى الضلال الذى لا يقبله المدعو، فلذلك فرق بين الاستدعاءين فوصف أحدهما بالإضلال و لم يوصف الآخر.

(١) سورة الم السجدة آية: ١٠. [...]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٦

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٠] ص : ٤٩٦

إشارة

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)
آية واحدة بلا خلاف.

اللغة: ص : ٤٩٦

قوله: «يا أهل» نصب، لأنه منادى مضاف. وقوله: «لم» أصله لما، لأنها (ما) التى للاستفهام دخلت عليها اللام و إنما حذف لتصلها بحرف الاضافة مع وقوعها ظرفا تدل عليها الفتحة. و كذلك قياسها مع سائر حروف الاضافة مثل «فيم تبشرون» «١» «عم يتساءلون» «٢» و إنما حذف الالف من (ما) فى الاستفهام، و لم تحذف من (ما) فى الصلوات لأن الظرف أقوى على التغيير من وسط الاسم كما يقوى على التغيير بالاعراب، و التنوين. و الالف فى الصلة بمنزلة حرف فى وسط الاسم، لأنه لا- يتم إلا- بصلته، و ليس كذلك

الاستفهام، لأن الالف فيه منتهى الاسم، و (لم) أصلها (لما) و هي مخالفة عند البصريين ل (كم) على ما قاله الكسائي أن أصلها كما، لأن (كم) مخالفة (لما) في اللفظ، و المعنى: أما في اللفظ، فلأنه كان يجب أن تبقى الفتحة لتدل على الالف، كما بقيت في (لم) و نحوه، و الامر بخلافه. و أما في المعنى، فلأن (كم) سؤال عن العدد، و (ما) سؤال عن الجنس، فليست منها في شيء، و لا- لكاف التشبيه في (كم) معنى، و يلزمه في متى أن تكون أصلها (ما) إلا أنهم زادوا التاء، لأنه تغيير من غير دليل، فإذا لم يمنع في أحدهما لم يمنع في الآخر.

و إنما بنى على نظيره في حذف الالف، فلذلك يلزمه أن يبنى على نظيره في زيادة التاء قبل الالف، نحو (رهبوتى خير من رحمونى) قال الزجاج: قول الكسائي في هذا لا يعرج عليه.

(١) سورة الحجر آية: ٥٤.

(٢) سورة النبأ آية: ١.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٧

المعنى: ص : ٤٩٧

و قوله: «لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» معناه لم تجحدون آيات الله. «وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» قيل في معناه قولان: أحدهما- و أنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذى فيه البشارة بها فى قول قتادة و الربيع و السدى. و الثانى- و أنتم تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التى تقرون بها. و الشهادة الخبر بالشىء عن مشاهدة: إما للخبر به، و إما لما يظهر به ظهوره بالمشاهدة. فإذا شهد بالإقرار، فهو مشاهدة المخبر به، و إذا شهد بالملك، فهو يظهر به ظهوره بالمشاهدة. و إنما قيل: شهد بالباطل، لأنه يخبر عن مشاهدة فى دعواه. و قوله: «وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» فيه حذف، و تقديره «وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» ما عليكم فيه الحجّة فحذف للإيجاز مع الاستغناء عنه بالتوبيخ الذى تضمنه الكلام. و الحجّة فى ذلك من وجهين: أحدهما- الإقرار بما فيه من البشارة من الكتاب. و الثانى- الإقرار بمثله من الآيات.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧١] ص : ٤٩٧

إشارة

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٤٩٧

قيل فى معنى قوله: «لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» ثلاثة أقوال:
أحدها- بتحريف التوراة و الإنجيل فى قول الحسن و ابن زيد.
الثانى- قال ابن عباس، و قتادة: بإظهار الإسلام، و إبطان النفاق، و فى قلوبهم من اليهودية و النصرانية مأمناً، لأنهم يداعوا إلى اظهار

الإسلام في صدر التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٨

النهار و الرجوع عنه في آخره لتشكيك الناس فيه.

الثالث- بالايمان بموسى، و عيسى، و الكفر بمحمد (ص).

و الحق الذى كتموه- فى قول الحسن، و غيره من المفسرين:- هو ما وجدوه من صفة النبى (ص) و البشارة به فى كتبهم على وجه العناد من علمائهم.

و قوله: «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» فيه حذف و تقديره و أنتم تعلمون الحق، لأن التقرير قد دل على أنهم كتموا الحق و هم يعلمون أنه حق. و لو كتموه و هم لا- يعلمون أنه حق لم يلائم معنى التقرير الذى دل على أنهم كتموا الحق و هم يعلمون أنه حق و لم يلائم معنى التقرير الذى دل عليه الكلام. و قيل أيضاً: و أنتم تعلمون الأمور التى يصح بها التكليف. و الأول أصح، لما بيناه من الذم على الكتمان.

فان قيل: إذا كانوا يعلمون الحق فى الدين، فقد صح كونهم معاندين فلم ينكر مذهب أصحاب المعارف الذين يقولون أن كل كافر معاند؟ قلنا: هذا فى قوم مخصوصين يجوز على مثلهم الكتمان، فأما الخلق الكثير، فلا- يصح ذلك منهم، كما يجوز الكتمان على القليل، و لا يجوز على الكثير فيما طريقه الاخبار.

على أن فى الآية ما يدل على فساد قول أصحاب المعارف. و هو الاخبار بأنهم كتموا الحق الذى علموا، فلو اشترك الناس فيه، لما صح الكتمان كما لا يصح فى ما يعلمونه من المشاهدات و الضروريات، لاشتراكهم فى العلم به. و قوله: (وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ) رفع، لأنه معطوف على قوله: «تلبسون» و كان يجوز النصب، فتقول:

و تكتنوا الحق على الصبر، كما لو قلت لم تقوم و تقعد كان جائزاً أى لم تجمع الفعلين و أنت مستغن بأحدهما عن الآخر.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٢] ص : ٤٩٨

إشارة

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)

آية التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٤٩٩

اللغة: ص : ٤٩٩

الطائفة الجماعة. و قيل فى أصلها قولان:

أحدهما- أنه كالرفقة التى من شأنها أن تطوف البلاد فى السفر الذى يقع عليه الاجتماع. و الآخر- أنها جماعة يستوى بها حلقة يطاف حولها. و إنما دخلت هاء التانيث فيها لمعنى المضاعفة اللازمة كما دخلت فى الجماعة، لأن فى أصل التانيث معنى التضعيف من أجل أنه مركب على التذكير.

المعنى: ص : ٤٩٩

و فى قوله: «آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ» ثلاثة أقوال.

أولها- أظهروا الايمان لهم فى أول النهار و ارجعوا عنه فى آخره، فانه أحرى أن ينقلبوا عن دينهم.

الثانى- آمنوا بصلاتهم إلى بيت المقدس فى أول النهار، و اكفروا بصلاتهم إلى الكعبة فى آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم.

الثالث- أظهروا الايمان في صدر النهار لما سلف لكم من الإقرار بصفة محمد (ص)، ثم ارجعوا في آخره لتوهموهم أنه كان وقع عليكم غلط في صفته.

و الوجه الأول قول أكثر أهل العلم. و وجه النهار هو أوله عند جميع المفسرين، كقتاده، و الربيع، و مجاهد. و انما سمي أول النهار بأنه وجهه لأحد أمرين:

أحدهما- لأنه أول ما يواجه منه كما يقال، لأول الثوب وجه الثوب. الثاني- لأنه كالوجه في أنه أعلاه و أشرف ما فيه قال ربيع ابن زياد:

«من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار» (١)

(١) اللسان (وجه) و الاغانى ١٦: ٢٧، و مجاز القرآن ١: ٩٧، و حماسه أبي تمام ٣: ٢٦ و خزانه الأدب ٣: ٥٣٨ من أبيات قالها لما قتل حميمه مالك بن زهير، و قد استعد لطلب ثاره و بعده:

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٠

و قيل في معنى البيت: انه كان من عادتهم أن لا تنوح نساؤهم على قتلاهم إلا بعد أن يؤخذ بثاره، فأراد الشاعر أن يبين أنهم أخذوا بثار مالك بأن النساء ينحن عليه. و لذلك قال في البيت الذى بعده:

يجد النساء حواسراً يندبنه

و قوله: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» فيه حذف و تقديره: لعلمهم يرجعون عن دينهم فى قول ابن عباس، و الحسن، و قتاده، و مجاهد.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٣] ص : ٥٠٠

إشارة

و لا- تُؤْمِنُوا إِلَّا- لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) آية.

المعنى، و الاعراب: ص : ٥٠٠

قال الحسن: القائلين «لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» هم يهود خيبر ليهود المدينة. و قال قتاده، و الربيع، و السدى، و ابن زيد: هم بعض اليهود لبعض.

و قيل فى معنى الآية ستة أقوال:

أحدها- قال الحسن، و مجاهد: أعرض بقوله: «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» و تقديره: «و لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» و لا تُؤْمِنُوا «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» و لا تُؤْمِنُوا «أَوْ يُحَاجُّوْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنه لا حجة لهم. و قال أبو على الفارسى. و تقديره و لا تصدقوا ب «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» «إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ».

يجد النساء حواسراً يندبنه يبكين قبل تبليج الاسحار

قد كن يخبان الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للنظار

يخمشن حرات الوجوه على امرئ سهل الخليفة طيب الاخبار

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠١

الثاني - قال السدي، و ابن جريج: هو على الاتصال بالهدى دون الاعتراض، و المعنى «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ» لا «يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» أيها المسلمون، كقوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَصَلُّوا» (١) و أن لا «يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنه لا حجة لهم.

الثالث - قال الكسائي، و الفراء: «أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» بمعنى حتى «يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» على التباعد كما يقال لا تلتقي معه أو تقوم الساعة.

الرابع - قال أبو علي: «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» فلا تجحدوا «أَنْ يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ».

الخامس - قال الزجاج: «وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» لثلاث تكون طريقاً لعبدة الأوثان إلى تصديقه.

السادس - «أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» ان اعترفتم به، فيلزمكم العمل به منهم، لاقراركم بصحته.

و في دخول اللام في قوله: «إِلَّا لِمَنْ» قيل فيه قولان:

أحدهما - أن تكون زائدة كاللام في قوله: «رَدِّفَ لَكُمْ» (٢) أي ردفكم بمعنى لا - تصدقوا إلا - من تبع دينكم. قال المبرد: إنما يسوغ ذلك على تقدير المصدر بعد تمام الكلام، فأما قام لزيد بمعنى قام زيد، فلا يجوز، لأنه لا يحمل على التأويل إلا بعد التمام.

و القول الآخر - لا تعترفوا بالحق «إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» فتدخل للتعدية، و قال أبو علي الفارسي لا يجوز أن يتعلق اللام في قوله: (لمن تبع دينكم) بقوله: «و لا - تؤمنوا»، لأنه قد تعلق به حرف الجر في قوله: (بأن يؤتى) كما لا يتعلق مفعولان بفعل واحد. فان قيل: لم جاز حذف (لا) من قوله تعالى «أَنْ يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» على قول من قال ذلك؟ قلنا: الدلالة عليها كالدلالة في

(١) سورة النساء آية: ١٧٥.

(٢) سورة النمل آية: ٧٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٢

جواب القسم، نحو و الله أقوم أي لا أقوم قال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسي لديك و أوصالي (١)

أي لا أبرح. و الدليل عليه في الآية اتصاله بالعرض في اختصاص أهل الايمان، فلا يتبعه في المعنى إلا على «أن لا» «يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» و كذلك «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَصَلُّوا» (٢) لأن البيان لا يكون طريقاً إلى الضلال.

و قال المبرد تقديره كراهة «أن تصلوا»، و كراهة «أَنْ يُؤْتِي أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» فحمله على الأ-كثر، لأن حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه أكثر من حذف (لا). و قوله: «وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» معناه واسع الرحمة عليم بالمصلحة، فمن صلح له ذلك من غيركم فهو يؤتیه تفضلاً عليه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٤] ص: ٥٠٢

إشارة

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)
آية.

اللغة: ص: ٥٠٢

الاختصاص: انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره، كالانفراد بالملك أو الفعل أو العلم أو السبب أو الطلب أو غير ذلك. و يصح الانفراد بالنفس و غير النفس، و ليس كذلك الاختصاص، لأنه نقيض الاشتراك. و الانفراد نقيض الازدواج. و الفرق بين الاختصاص، و الخاصة: أن الخاصة تحتل الاضافة و غير الاضافة، لأنها نقيض العامة، فأما الاختصاص، فلا يكون إلا على الاضافة، لأنه اختصاص بكذا دون كذا.

المعنى: ص : ٥٠٢

و قيل في معنى الرحمة هاهنا قولان:

(١) مر البيت في ٢: ٢٢٧.

(٢) سورة النساء آية: ١٧٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٣

أحدهما- قال الحسن، و مجاهد، و الربيع، و الجبائي: إنها السورة و قال ابن جريج: هي القرآن، و الإسلام. و وجه هذا القول أنه يختصهم بالإسلام بما لهم من اللطف فيه. و في الآية دلالة على أن النبوة ليست مستحقة بالافعال، لأنها لو كانت جزاء، لما جاز أن يقول يختص بها من يشاء، كما لا يجوز أن يختص بعقابه من يشاء من عباده. فان قيل اللطف مستحق، و هو يختص به من يشاء من عباده؟

قلنا: لأنه قد يكون لطفاً على وجه الاختصاص دون الاشتراك و ليس كذلك الثواب.

اللغة: ص : ٥٠٣

و قوله: «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، فالفضل الزيادة عن الإحسان و أصله على الطلاق الزيادة يقال في بدنه فضل أى زيادة. و الفاضل: الزائد على غيره فى خصال الخير، فأما التفضل، فزيادة النفع على مقدار الاستحقاق ثم كثر استعماله حتى صار لكل نفع قصد به فاعله أن ينفع صاحبه.

و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٥] ص : ٥٠٣

إشارة

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)
آية بلا خلاف.

القراءة، و الحجة: ص : ٥٠٣

قرأ أبو عمرو (يؤده إليك) ياسكان الهاء. الباقرن باشباعها.

قال الزجاج: هذا غلط من الراوى كما غلط في (بارئكم) «١» بإسكان

(١) سورة البقرة آية: ٥٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٤

الهمزة، وإنما كان أبو عمرو يختلس الحركة فيما رواه الضباط عنه كسيبويه وغيره.

و إنما لم يجر حذف الحركة، كما لم يجر في هذا غلام فاعلم، لأنه لما حذف الياء تركت الكسرة لتدل عليها.

المعنى، و اللغة: ص : ٥٠٤

و القنطار: قد ذكرنا الخلاف في مقداره، فانه على قول الحسن ألف و مأتا مثقال. و في قول أبي نضرة ملاً مسك ثور ذهباً. و قيل سبعون ألفاً عن مجاهد.

و عن أبي صالح أنه مائة رطل. و الفرق بين «تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ» و تأمنه على قنطار أن معنى الباء الصاق الأمانة، و معنى على استعلاء الأمانة، و هما يتعاقبان في هذا الموضوع، لتقارب المعنى، كما يقال: مررت به و مررت عليه، و قوله: (إلا- ما دمت عليه قائماً) قيل في معناه قولان:

أحدهما- «إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً» بالتقاضى و المطالبة في قول قتادة، و مجاهد و [الثانى قال السدى إلا ما دمت عليه قائماً بالاجتماع معه، و الملازمة. و معناه إلا ما دمت عليه قائماً على رأسه.

و دمت و دُمت لغتان مثل مت و مت لكن من كسر الدال و الميم قال في المستقبل: تدام و تلمات، و هى لغة أزد السراة، و من جاورهم.

و قوله: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- قال قتادة و السدى: قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل، لأنهم مشركون. و [الثانى قال الحسن و ابن جريج: لأنهم تحولوا عن دينهم الذى عاملناهم عليه و ادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم. و قوله: (و هم يعلمون) معناه يعلمون هذا الكذب على الله تعالى، فيقدمون عليه، و الحجة قائمه عليهم فيه. و قال قوم: قوله: «وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ التَّبْيَانِ

في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٥

إِلَيْكَ»

يعنى النصرارى، لأنهم لا يستحلون أموال من خالفهم، و عنى بقوله:

«وَمِنْهُمْ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ الْيَهُودُ لَأَنَّهُمْ يَسْتَحْلُونَ مَالَ كُلِّ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي حَلِّ السَّبْتِ.

و على هذا يسقط سؤال من يقول أى فائدة في ذكر ذلك، لأن من المعلوم في كل حال من كل أمة أن فيها من يؤدى الامانة و فيها من لا يؤديها، فلا فائدة في ذلك؟

فان هذا ميز بين الفريقين. و من قال بالأول يمكنه أن يقول فائدة الآية القطع على أن فيهم هؤلاء، و هؤلاء و سائر الناس يجوز أن لا يكون فيهم إلا أحد الفريقين، فلذلك فائدة بينة. و يمكن أيضاً أن تكون الفائدة أن هؤلاء لا يؤدون الأمانة لاستحلالهم ذلك بقوله: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» و سائر الفرق و إن كان منهم من لا يؤدى الامانة، لا نعلم أنه يستحلها و ذلك فائدة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٦] ص : ٥٠٥

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)

آية.

الهاء في قوله: «بعهده» يحتمل أن تكون عائده على اسم الله في قوله:

«وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ» و يحتمل أن تكون عائده على (من) في قوله:

«بلى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ» لأن العهد يضاف إلى الفاعل، و المفعول. تقول هذا عهد فلان الذي عهد إليه به، و هذا عهد فلان الذي عهد

إلى غيره. و وفى و أوفى لغتان، فأهل الحجاز يقولون أوفيت و أهل نجد يقولون وفيت. و قوله: (بلى) يحتمل معنيين:

أحدهما- الاضراب عن الأول على وجه الإنكار للأول و على هذا الوجه «مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ» تكون مكنتيه، نحو قولك: ما قدم فلان،

فتقول بلى أى بلى قد قدم. و قال الزجاج: بلى هاهنا وقف تام لأنهم لما قالوا «لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل «بلى» أى بلى عليهم

سبيل.

و الثانى- الاضراب عن الأول و الاعتماد على البيان الثانى و على هذا الوجه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٦

لا تكون مكنتيه، نحو ان تقول قد قدم زيد، حدساً لغواً من القول، بلى لو كان متيقناً لعمل على قوله. فكذلك الآية تدل على ما تقدم

على ادعائهم خلاف الصواب في التقوى فقيل: «بلى» للاضراب عن الأول، و الاعتماد على البيان الثانى.

و الفرق بين بلى و نعم أن بلى جواب النفي، نحو قوله. «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى» «١» فأما أزيد في الدار فجوابه، نعم، أو، لا. و إنما جاز

إمالة بلى لمشابتها الاسم من وجهين.

أحدهما- أنه يوقف عليها في الجواب، كما يوقف على الاسم نحو من رأيت من النساء، فيقول الجبلى، و كذلك إذا قال أليس زيد

في الدار قلت بلى. و لأنها على ثلاثة أحرف و هى أصل العدة التى يكون عليها الاسم و لذلك خالفت (لا) فى الإمالة.

و إنما قال «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» و لم يقل فان الله يحبه فيرد العامل إلى اللفظ، لابانه الصفة التى تجب بها محبة الله و إن كان فيه

معنى فان الله يحبهم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٧] ص : ٥٠٦

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا - أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)

آية واحدة.

النزول: ص : ٥٠٦

اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال مجاهد، و عامر الشعبي: إنها نزلت فى رجل حلف يمينا فاجره فى تنفيق سلته. و قال ابن

جريج: إنها نزلت فى الأشعث بن قيس و خصم له فى أرض قام ليحلف عند رسول الله، فنزلت الآية فنكل الأشعث، و اعترف بالحق، و

رد الأرض. و قال عكرمة نزلت فى جماعة من

(١) سورة الاعراف آية: ١٧١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٧

اليهود: حى بن أخطب، و كعب بن الأشرف، و أبى رافع، و كنانة بن أبى الحقيق. و قال الحسن كتبوا كتاباً بأيديهم ثم حلفوا أنه من

عند الله فيما ادعوا من أنه ليس علينا في الأميين سبيل.

المعنى: ص : ٥٠٧

وعهد الله هو ما يلزم الوفاء به. و يستحق بنقضه الوعيد. و هو ما أخذه على العبد و أوجبه عليه بما جعل في عقله من قبح تركه، و ذلك في كل واجب عليه، فانه يلزم بنقضه الوعيد إلا أن يتوب أو يجتنب الكبيرة. و العهد: هو العقد الذي تقدم به إلى العبد بما يجده في عقله من الزجر عن خلاف الحق، و الدعاء إلى التمسك به، و العمل عليه، و إنما وصف ما اشتروه من عرض الدنيا بأنه ثمن قليل مع ما قرن به الوعيد لأمرين:

أحدهما- لأنه قليل في جنب ما يؤدي إليه من العقاب و التنكيل. و الثاني- هو أنه مع كونه قليلا، الاقدام فيه على اليمين مع نقض العهد عظيم: و قوله:

«أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ» معناه لا نصيب وافر لهم. و قيل في أصل الخلاف قولان:

أحدهما- الخلق: التقدير، فيوافق معناه، لأن النصيب: الوافر من الخير بالتقدير لصاحبه يكون نصيباً له. و الآخر- من الخلق، لأنه نصيب مما يوجبه الخلق الكريم. و قوله: «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- «لا يكلمهم» بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم، لأن الغرض إنما هو الوعيد، فلذلك تبعه معنى لا يكلمهم بما يسر مع أن ظاهر قوله:

«ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» (١) أنه يكلمهم بما يسوءهم في محاسبته لهم، هذا قول أبي علي. الثاني- لا يكلمهم أصلا، و تثبت المحاسبة بكلام الملائكة لهم (ع) بأمر الله إياهم، فيكون على العادة في احتقار إنسان على أن يكلمه الملك لتقصان المنزلة. و قوله:

(١) سورة الغاشية آية: ٢٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٨

«وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ» أى لا- يرحمهم، كما يقول القائل لغيره: انظر إلى يريد ارحمني و في ذلك دلالة على أن النظر مع تعديته بحرف (إلى) لا يفيد الرؤية، لأنه لا يجوز حملها في الآية على أنه لا يراهم بلا خلاف. و قوله: «وَلَا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يحكم بزكاتهم دون أن يكون معناه لا يفعل الايمان الذي هو الزكاء لهم، لأنهم في ذلك، و المؤمنین سواء، فلو أوجب ما زعمت المجبرة، لكان لا يزكيهم، و لا يزكى المؤمنین أيضاً في الآخرة و ذلك باطل.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٨] ص : ٥٠٨

إشارة

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) آية.

اللغة، و المعنى، و الاعراب: ص : ٥٠٨

«وَإِنَّ مِنْهُمْ» الكناية بالهاء والميم راجعة على أهل الكتاب في قوله: «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ» في قول جميع المفسرين: الحسن وغيره.

وقوله: «يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ» قال مجاهد، و قتادة، و ابن جريج، و الربيع: معناه يحرفونه بالتغيير و التبديل. و أصل اللئى: الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها قال الشاعر:

لوى يده الله الذى هو غالبه «١»

و منه لويت العمود إذا ثبته و قال الآخر:

(١) قاله فرعان بن الأعراف السعدى التميمى، فى ولده منازل يدعو عليه. لان منازل ضرب والده عند ما تزوج على امه. و صدره:

نحنون مالى ظالمًا و لوى يدي!

و هو من أبيات يقولها فى ابنه منازل لان منازل عى أباه و هو فرعان و ضربه لأنه تزوج على أمه امرأة شابهة، فغضب لأمه ثم استاق مال أبيه و اعتزل مع أمه فقال فيه الأبيات.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٠٩

فلو كان فى لىلى سدى من خصومه للويت أعناق الخصوم الملاويا «١»

و منه لويت الغريم لياً و لياناً إذا مطلته حقه قال الشاعر:

تطيلين لىانى و أنت مليئة و احسن يا ذات الوشاح التقاضيا

ف قيل لتحريف الكلام بقلبه عن وجهه: لئى اللسان به، لأنه قتله عن جهته. و قوله: «لفريقاً» نصب بأنه اسم (ان) و اللام التأكيد و يجوز دخولها على اسم (ان) إذا كان مؤخراً، فان قدم لم يجوز دخولها عليه، لا تقول:

ان لزيداً فى الدار. و إنما امتنع ذلك لثلا يجتمع حرفا التأكيد، لأن (ان) للتأكيد و اللام للتأكيد أيضاً فلم يجز الجمع بينهما لثلا يتوهم اختلاف المعنى، كما لم يجز دخول التعريف على التعريف، و التأنيث على التأنيث، فأما قولهم: جاءنى القوم كلهم أجمعون، فكل تأكيد للقوم و أجمعون تأكيد لكل. و قوله: «لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ» معناه لتظنوه. و الفرق بين حسبت و زعمت: أن زعمت يحتمل أن يكون يقيناً أو ظناً، و حسبت لا يحتمل اليقين أصلاً. و قوله: «ألسنتهم» جمع لسان على التذكير كحمار و أحمره. و يقال ألسن على التأنيث كعناق و أعتق.

المعنى: ص : ٥٠٩

و قوله: «وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» دلالة على أن المعاصى ليست من عند الله بخلاف ما تقوله المجبرة. و لا من فعله، لأنها لو كانت من فعله، لكانت من عنده، و ليس لهم أن يقولوا إنها من عنده خلقاً و فعلاً، و ليست من عنده إنزالاً و لا أمراً، و ذلك أنها لو كانت من عنده فعلاً أو خلقاً، لكانت من عنده على أكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفى بأنها ليست من عند الله. و كما لا يجوز أن تكون من عند الله من وجه من الوجوه، لإطلاق النفى بأنه ليس من عند الله، فوجب العموم فيها بإطلاق النفى.

(١) قاله مجنون بنى عامر، و لم نجده فى ديوانه، و هو فى اللسان (شدا)، (شذا)، (لوى) و الاغانى ٢: ٣٣. و غيرها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٠

فان قيل: أ ليس الايمان عندكم من عنده، و مع ذلك ليس من عنده من كل الوجوه، فهلا جاز مثل ذلك فى تأويل الآية؟ قيل: لا يجوز ذلك، لأن اطلاق النفى يوجب العموم، و ليس كذلك اطلاق الإثبات ألا ترى أنك تقول: ما عندى طعام، فإنما تنفى القليل، و

الكثير، و ليس كذلك إذا قلت عندى طعام، لأنه لا يجب أن يكون عندك جميع الطعام فبان الفرق بين النفى و الإثبات.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٧٩] ص : ٥١٠

إشارة

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالتُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)
آية واحدة.

القراءة و النزول: ص : ٥١٠

قرأ ابن كثير، و نافع، و أبو عمرو (تعلمون) مخففاً الباكون بالتشديد.
روى عن ابن عباس أنه قال: سبب نزول هذه الآية أن قوماً من اليهود قالوا للنبي (ص) أ تدعونا إلى عبادتك كما دعا المسيح النصارى فنزلت الآية.

اللغة، و المعنى: ص : ٥١٠

و قوله: (لبشر) فانه يقع على القليل و الكثير و هو بمنزلة المصدر مثل الخلق و غيره، تقول: هذا بشر و هؤلاء بشر كما تقول: هذا خلق و هؤلاء خلق. و إنما وقع المصدر على القليل، و الكثير، لأنه جنس الفعل كما وجب في أسماء الأجناس كالماء و التراب و نحوه و قوله: «أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ» معناه أعطاه «الْكِتَابَ، وَ الْحُكْمَ وَ التُّبُوَّةَ»، أن «يَقُولَ لِلنَّاسِ: كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ» يقول لهم:

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١١

«كُونُوا رَبَّائِيِّنَ». و حذف يقول لدلالة الكلام عليه. و معناه في قول الحسن:

علماء فقهاء. و قال سعيد بن جبيرة: حكماء أتقياء. و قال ابن أبي رزين: حكماء علماء. و قال الزجاج: معناه معلمى الناس. و قال غيره: مدبرى أمر الناس فى الولاية بالإصلاح.

اللغة: ص : ٥١١

و فى أصل ربانى قولان:

أحدهما- الربان و هو الذى يربّ أمر الناس بتدبيره له و إصلاحه إياه، يقال رب أمره يربه ربابة، و هو ربان: إذا دبره، و أصلحه، و نظيره نعس ينعس، فهو نعسان. و أكثر ما يجىء فعلان من فعل يفعل، نحو عطش يعطش، فهو عطشان، فيكون العالم ربانياً، لأنه بالعلم يدبر الأمر و يصلحه الثانى- إنه مضاف إلى علم الرب تعالى، و هو على الدين الذى أمر به إلا أنه غير فى الاضافة، ليدل على هذا المعنى، كما قيل: بحرانى، و كما قيل للعظيم الرقبة: رقبانى، و للعظيم اللحية: لحيانى.

و كما قيل لصاحب القصب: قصبانى، فكذلك صاحب علم الدين الذى أمر به الرب ربانى.

الحجة، و المعنى: ص : ٥١١

و من قرأ بالتخفيف أراد بما كنتم تعلمونه أنتم. و من قرأ بالتشديد أراد تعلمونه، لسواكم. و قوله: «وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» يقوى قراءة من قرأ بالتخفيف.

و التشديد أكثر فائدة، لأنه يفيد أنهم علماء، و أنهم يعلمون غيرهم. و التخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين. و إنما دخلت الباء في قوله: «بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ» لأحد ثلاثة أشياء:

أحدها- كونوا معلمى الناس بعلمكم، كما تقول: انفعوهم بمالكم.

الثانى- كونوا ممن يستحق أن يطلق عليه صفة عالم بعلمه على جهة المدح له التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٢ باختلاصه مما يحبطه.

الثالث- كونوا ربانيين فى علمكم و دراستكم و وقعت الباء فى موضع فى.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٠] ص: ٥١٢

إشارة

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) آية.

القراءة، و الحجة: ص: ٥١٢

قرأ عاصم و حمزة و ابن عامر (و لا يأمركم) بنصب الراء. الباقون يرفعها فمن نصب عطف على ما عملت فيه (أن) على تقدير (ما كان يُبَشِّرُ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ) كذا (و لا يأمركم) بكذا و من رفع استأنف الكلام، لأنه بعد انقضاء الآية، و تمامها.

المعنى: ص: ٥١٢

و فى الآية دلالة على أن الأنبياء لا يجوز أن يقع منهم ما ذكره دون أن يكون ذلك اخباراً عن أنه لا يقع منهم، لأنها خرجت مخرج التنزيه للنبي عن ذلك كما قال: «ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ» (١) و معناه لا يجوز ذلك عليه، و كذلك قوله: «ما اتخذ الله من ولدٍ و ما كان معه من إله» (٢) يدل على أن ذلك غير جائز عليه، و لو جاز أن يحمل على نفى الوقوع دون الامتناع، لجاز أن يحمل على التحريم دون الانتفاء، لأدن اللفظ يصلح له، لو لا- ما قارنه من ظاهر التعظيم للأنبياء، و التنزيه لهم عن الدعاء إلى الفساد أو اعتقاد الضلال، و يجب حمل الكلام على ظاهر الحال إلا أن يكون هناك ما يقتضى صرفه عن ظاهره، على أنه لو حمل على النفى لما كان فيه تكذيب للمخالف. و الآية خرجت مخرج التكذيب لهم فى

(١) سورة مريم آية: ٣٥. [.....]

(٢) سورة المؤمنون آية: ٩٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٣

دعواهم أن المسيح أمرهم بعبادته.

و الالف فى قوله: «أ يأمركم» ألف انكار و أصلها الاستفهام. و إنما استعملت فى الإنكار، لأنه مما لو أقر به المخاطب به، لظهرت

صحته و بان سقوطه، فلذلك جاء الكلام على السؤال، و إن لم يكن الغرض تعرف الجواب. و إنما لم تجز العبادة إلا لله تعالى، لأنها تستحق بأصول النعم من خلق القدرة، و الحياة، و العقل، و الشهوة، و غير ذلك مما لا يقدر عليه سواه. و ليس في الآية ما يدل على أن في أفعال الجوارح كفرة، لأن قوله: «أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ» معناه الامر باعتقاد أن الملائكة و النبيين أرباب، و ذلك كفر لا محالة. و لم يجر في الآية، لتوجيه العبادة إليهم ذكر، فأما من عند غير الله فانا نقطع على أن فيه كفرة هو الجحد بالقلب، لأن نفس هذا الفعل كفر، فسقطت شبهة المخالف.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨١] ص : ٥١٣

إشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَضُكُمْ وَ أَخَذْتُكُمْ عَلَى ذَلِكُمْ بِإِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)

القراءة، و المعنى: ص : ٥١٣

قرأ نافع «لما آتيناكم» على الجمع. الباقون على التوحيد بالتاء. و قرأ حمزة «لما» بكسر اللام. الباقون بفتحها. التقدير اذكروا «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ» لأن (إذ) لما مضى و معنى أخذ الميثاق من النبيين بنصره من لم يلقوه و لم يدركوا زمانه هو أنهم ينصرونه بتصديقه عند قومهم، و يأمرونهم بالإقرار به، كما قيل:

إنما أخذ الله ميثاق النبيين الماضين بتصديق محمد (ص)، هذا قول على (ع)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٤

و عبد الله بن عباس (ره)، و قتادة و السدي، و قال طاوس: أخذ الميثاق الأول من الأنبياء لتؤمن بالآخر. و روى عن أبي عبد الله (ع) أنه قال تقديره: و إذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق كل أمه نبيها، و العمل بما جاءهم به، و إنهم خالفوه فيما بعد، و ما وفوا به و تركوا كثيراً من شريعته، و حرفوا كثيراً منه.

الاعراب، و الحجة، و المعنى: ص : ٥١٤

و قوله: «لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ» قيل في معنى (ما) في لما وجهان:

أحدهما- أنها بمعنى الذي و تقديره الذي آتيتكموه من كتاب، لتفعلن لأجله كذا. الثاني- أنها بمعنى الجزاء، و تقديره، لأن آتيتكم شيئاً «مِنْ كِتَابٍ» وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ، «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ»، لأجله. و تقديره أى شىء آتيتكم. و مهما آتيتكم. و يكفى جواب القسم من جواب الجزاء، كقوله: «لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» «١» و فى معنى (من) قولان:

أحدهما- أنها للتبيين ل (ما) كقولك ما عندك من ورق و عين.

الثاني- أن تكون زائدة، و تقديره الذي آتيتكم: كتاب و حكمه، فيكون فى موضع خبر (ما)، و أنكر هذا القول أكثر النحويين، لأن (من) لا- تزداد إلا فى غير الواجب من نحو النفى و الاستفهام، و الجزاء. و الأول أصح، لأنه لا يجوز أن يحكم بزيادة حرف أو لفظ مع إمكان حمله على فائدة. و اللام فى قوله:

«لَمَا» لام الابتداء. و اللام فى قوله: «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ» لام القسم، كما تقول لعبد الله: و الله لتأتينه. و قال قوم: اللام الأول خلف من القسم

يجاب بجوابه، نحو لمن قدم ما أحسن، و لمن أتاكَ لأتيتَه، و أنكر هذا القائل أن تكون الثانية تأكيداً للأولى، لوقوع (ما) و (لا) في جوابها، كما تقع في جواب القسم.

و القول الأول أصح، لأن فيه إفصاحاً بالقسم، نحو لزيد و الله ما ضربته و القول

(١) سورة الزمر آية: ٦٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٥

الثاني - صواب على تقدير آخر، و ان يكون اللام خلفاً من القسم، كافياً منه، فلا يحتاج إلى ذكره معه و من ذكره معه لم يجعله خلفاً منه، لأنه أضعف منه، و الخلف أقوى من الدال الذي ليس بخلف، لأنه بمنزلة الأصل الموضوع للمعنى يفهم به من غير واسطة. و من كسر اللام في قوله: «لما» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون على التقديم و التأخير. و الثاني- بمعنى أخذ الله ميثاقهم لذلك. و قال بعضهم القراءة بالكسر لا تجوز، لأنه ليس كل شيء أوتى الكتاب و هذا غلط من وجهين:

أحدهما- أنه أوتى الكتاب لعلمه به مهتدياً بما فيه، و ان لم ينزل عليه.

و الآخر- أنه يجوز ذلك على التغليب بالذكر في الجملة، لأنه بمنزلة من أوتى الكتاب بما أوتى من الحكم و النبوة. فان قيل لم لا يجوز أن يكون (لما) آيتكم من كتاب و حكمه، بمعنى لتبلغن ما آيتكم من كتاب و حكمه ثم يحذف؟ قيل لأنه لا يجوز الحذف في الكلام من غير دليل يبنى عن المراد. و من زعم أن الدليل على حذف الفعل لام القسم، فقد غلط، لأنها لام الابتداء التي تدخل على الأسماء، نحو «لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ» (١).

المعنى و اللغة: ص : ٥١٥

و قيل في معنى قوله: «وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي» قولان:

أحدهما- و قبلتم على ذلك عهدى. و الثاني- «وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي» من المتبعين لكم كما يقال: أخذت بيعتى أى قبلتها، و أخذتها على غيرك بمعنى عقدتها على غيرك. و الإصر العقد، و جمعه أصار و أصله العقد و منه المأصر، لأنه عقد يحبس به عن النفوذ إلا بإذن. و منه الأصر الثقل، لأنه عقد يثقل القيام به. و منه قولهم مالك أصره تأصرنى عليك أى عاطفة تعطفنى عليك من عقد جوار

(١) سورة الاعراف آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٦

أو نحوه. و قوله: «فاشهدوا» معناه فاشهدوا على أممكم بذلك «وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» عليكم، و عليهم روى ذلك عن على بن أبى طالب عليه السلام.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٢] ص : ٥١٦

إشارة

فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)

آية.

المعنى: ص : ٥١٦

التولى عن الايمان بالنبي (ص) كفر- بلا خلاف- و إنما قال «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» و لم يقل الكافرون، لأن تقدير الكلام فأولئك هم الفاسقون في كفرهم أى المتمردون فيه بخروجهم إلى الأفحش منه، و ذلك أن أصل الفسق الخروج عن أمر الله إلى حال توبقه، فلذلك قيل للخارج عن أمر الله إلى أفحش منازل الكفر، فاسق.

الاعراب: ص : ٥١٦

و موضع (هم) من الاعراب يحتمل أمرين:
أحدهما- أن يكون رفعاً بأنه مبتدأ ثان و الفاسقون خبره. و الجملة خبر أولئك. و الآخر- أنه لا موضع له، لأنه فصل جاء ليؤذن أن الخبر معرفة أو ما قارب المعرفة و يسمى الكوفيون ذلك عماداً. و قوله: «فَمَنْ تَوَلَّى» و إن كان شرطاً و جزاء في المستقبل فان الماضى يدخل فيه من وجهين:
أحدهما- أن يكون تقديره فمن يصح أنه تولى، كما قال: «إِنْ كَانَ فَمِيضُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتُ» (١) أى إن يصح أن «فَمِيضُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتُ» و الآخر مساواة الماضى للمستقبل، فيدخل فى دلالة. و إنما جاز جواب الجزاء بالفاء و لم يجز ب (ثم)، لأن الثانى يجب بوجوب الأول بلا فصل، فلذلك جاء

(١) سورة يوسف آية: ٢٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٧

بالفاء دون (ثم)، لأنها للتراخى بين الشئين، و ذلك نحو قولك إن تأتني، فلك درهم، فوجوب الدرهم بالإتيان عقيبه بلا فصل. و إنما جاز وقوع الماضى موقع المستقبل فى الجزاء و لم يجز فى قام زيد غداً، لأن حرف الجزاء، لما كان يعمل فى الفعل قوى على نقله من الماضى إلى الاستقبال، و ليس كذلك (غد) و ما أشبهه مما يدل على الاستقبال، لأنه نظير الفعل فى الدلالة من غير عمل يوجب القوة، فلذلك جرى على المناقضة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٣] ص : ٥١٧**إشارة**

أَفَعَزَّ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)
. آية.

القراءة، و الحجة، و الاعراب: ص : ٥١٧

قرأ أهل البصرة، و حفص يبغون بالياء. الباكون بالتاء. و قرأ يعقوب و حفص و إليه يرجعون بالياء. و كسر يعقوب الجيم، و فتح الياء. فمن قرأ بالياء أراد الاخبار عن اليهود و غيرهم من المشركين و التاء لجميع المكلفين. و من قرأ بالتاء فيهما، فعلى الخطاب، فيهما.

قوله: «أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ» عطف جملة على جملة مثلها لو قيل أو غير دين الله يبغون إلا أن الفاء رتبت. كأنه قيل أبعد تلك الآيات غير دين الله تبغون أى تطلبون.

المعنى: ص: ٥١٧

وقوله: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» قيل فى معناه ستة أقوال:
 أولها- قال ابن عباس: أسلم من فى السماوات و الأرض بالحالة الناطقة عنه الدالة عليه عند أخذ الميثاق عليهم. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٨
 الثانى- قول أبى العالى، و مجاهد: ان معناه «أسلم» أى بالإقرار بالعبودية و إن كان فيهم من أشرك فى العبادة، كقوله: «وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «١» و قوله: «وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «٢» و معناه ما ركب الله فى عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة.
 الثالث- قال الحسن: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» قال: أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين.
 الرابع- قال قتادة: أسلم المؤمن طوعاً، و الكافر كرهاً عند موته، كما قال:
 «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» «٣» و اختاره البلخى. و معناه التخويف لهم من التأخر عما هذه سبيله.
 الخامس- قال عامر، و الشعبى و الزجاج، و الجبائى أن معناه: استسلم بالانقياد و الذلة، كما قال تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا» «٤» أى استسلمنا، و معناه الاحتجاج به.
 و سادسها- قال الفراء و الأزهرى إنما قال «طَوْعًا وَ كَرْهًا» لأن فيهم من أسلم ابتداء رغبة فى الإسلام، و فيهم من أسلم بعد أن قوتل و حورب، فسمى ذلك كرهاً مجازاً و إن كان الإسلام وقع عنده طوعاً.
 و قوله: «طَوْعًا وَ كَرْهًا» نصب على أنه مصدر، وقع موقع الحال، و تقديره طائعاً أو كارهاً، كما تقول أتانى ركضاً أى راكضاً. و لا يجوز أن تقول أتانى كلاماً أى متكلماً، لأن الكلام ليس بضرب من الإتيان و الركض ضرب منه.
 قوله: «إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ» معنا تردون إليه للجزاء فإياكم و مخالفته الإسلام فيجازيكم بالعقاب. قال الله تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» «٥».

(١) سورة الزخرف آية: ٨٧.

(٢) سورة لقمان آية: ٢٥.

(٣) سورة المؤمن آية: ٨٥.

(٤) سورة الحجرات آية: ١٤.

(٥) سورة آل عمران آية: ٨٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥١٩

النزول: ص: ٥١٩

و روى عن أبى عبد الله (ع) أنها نزلت فى الحارث بن سويد بن الصامت.
 و كان ارتد بعد قتله المحذر بن ديار البلوى غدرًا فى الإسلام، و هرب و حديثه مشروح ثم ندم، فكاتب قومه سلوا رسول الله (ص)

هل لى توبه، فنزلت الآيات إلى قوله: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا»، فرجع فأسلم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٤] ص : ٥١٩

إشارة

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)
آية.

المعنى: ص : ٥١٩

قيل فى تاويل هذه الآية قولان:

أحدهما- أن معناها الإنكار على الكفار ما ذهبوا إليه من الايمان ببعض النبيين دون بعض، فأمر الله تعالى النبي (ص)، و المؤمنين أن يقولوا: إنا نؤمن بجميع النبيين، و لا نفرق بين أحد منهم. الثانى- أن معناها موافقة ما تقدم الوعد به من إيمان النبى الامى بجميع من تقدم من النبيين على التفصيل. و قال له فى أول الآية (قل) خطاباً للنبي (ص) فجرى الكلام على التوحيد، و ما بعده على الجمع. و قيل فى ذلك قولان:

أحدهما أن المتكلم قد يخبر عن نفسه بلفظ الجمع للتفخيم كما قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» «١». و الثانى- أنه أراد دخول الأمة فى الخطاب الأول، و الأمر بالإقرار. و يجوز أن يقال: فى الواحد

(١) سورة الاعراف آية: ١٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٠

المتكلم، فعلنا و لا يجوز للواحد المخاطب فعلتم. و الفرق بينهما: أن الكلام بالجملة الواحدة يصح بجماعة مخاطبين، و لا يصح الكلام بالجملة الواحدة بجماعة متكلمين.

فلذلك جاز فى فعلنا فى الواحد للتفخيم، لأنه لا يصح أن يكون خطاباً للجماعة فلم يصرف عنهم. بغير قرينة لما يدخله من الإلباس فى مفهوم العبارة. و قوله:

«وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا» فى الاخبار عن المسلمين إنما جاز ذلك، و إن كان قد أنزل على النبي (ص)، لأن التقدير أنزل علينا على لسان نبينا كما تقول: أمرنا به و نهينا عنه- على لسان نبينا- و مثل ذلك ما قاله فى سورة البقرة من قوله: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا» «١» و قال بعضهم: لا يجوز أن يكون ذلك إلا إخباراً عن النبي (ص) الذى أنزل عليه، و هذا غلط، لأن الآية الأخرى تشهد بخلافه. فان قيل: ما معنى قوله: «وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» بعد الإقرار بالايمان على التفصيل؟

قيل: معناه و نحن له مستسلمون بالطاعة فى جميع ما أمر به، و دعا إليه. و لأن أهل الملل المخالفة، تعترف بصفه مؤمن، و ينتفى من صفه مسلم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٥] ص : ٥٢٠

إشارة

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)
آية واحدة.

اللغة، والنزول، والمعنى: ص : ٥٢٠

الابتغاء: الطلب تقول: بغى فلان كذا أى طلبه، و منه بغى فلان على فلان: إذا طلب الاستعلاء عليه ظلماً و منه البغى: الفاجرة، لطلبها الزنى. و منه ينبغى كذا، لأنه حقيق بالطلب. و الإسلام: هو الاستسلام لأمر الله بطاعته فيما دعا إليه، فكل ذلك اسلام، و ان اختلفت فيه الشرائع، و تفرقت المذاهب، لأن مبتغيه ديناً ناجح، و مبتغى غيره ديناً هالك. و الايمان، و الإسلام واحد،

(١) سورة البقرة آية: ١٣٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢١

لأن (مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا) فهو مبطل، كما أن من يبتغى غير الايمان ديناً، فهو مبطل، و ذلك كمن يبتغى غير عبادة الآله ديناً، فهو كافر، و من يبتغ غير عبادة الخالق ديناً، فهو كافر. و الآله هو الخالق.

و قال عكرمة: إن قوماً من اليهود قالوا: نحن المسلمون، فأنزل الله تعالى «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» (١) فأمرهم بالخروج إلى الحج الذى هو من فرض الإسلام، فقعدها عنه و بان انسلاخهم من الإسلام، لمخالفتهم له فأنزل الله تعالى «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» فالخسران ذهاب رأس المال. و يقال: خسر نفسه أى أهلك نفسه. و قيل خسر عمله أى أبطل عمله بأن أوقعه على وجه يقبح لا يستحق عليه الثواب. و كل واحد منهما خسر لذهاب رأس المال.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٦] ص : ٥٢١

إشارة

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)
آية.

النزول: ص : ٥٢١

قال الحسن: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبى (ص) قبل مبعثه بما يجدونه في كتبهم من صفاته و دلائله، فلما بعثه الله جحدوا ذلك، و أنكروه .. و قال مجاهد، و السدى:

نزلت في رجل من الأنصار يقال له الحارث بن سويد ارتد عن الإسلام، ثم تاب، و حسن إسلامه فقبل الله إسلامه بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» فيما بعد تمام الآية. و كذلك روينا عن أبى عبد الله (ع)

و قيل نزلت في قوم أرادوا من النبى (ص) أن يحكم لهم بالإسلام،

(١) سورة آل عمران آية: ٩٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٢

و في قلوبهم الكفر، فاطلعه الله على أسرارهم و ما في ضمائرهم.

اللغة، والمعنى: ص: ٥٢٢

وقوله «كيف» أصلها للاستفهام، والمراد بها هاهنا إنكار أن تقع هذه الهداية من الله تعالى. وإنما دخل (كيف) معنى الإنكار مع أن أصلها الاستفهام، لأن المسئول يسأل عن أغراض مختلفة، فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان، وقد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب في السؤال، وقد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار، فالأصل فيه الاستفهام، لكن من شأن العالم إذا أورد مثل هذا أن يصرف إلى غير الاستعلام إلا أنه يراد من المسئول طلب الجواب، فان قيل كيف خص هؤلاء المذكورون بمجىء البيئات مع أنها قد جاءت كل مكلف للايمان قيل عنه جوابان:

أحدهما- لأن البيئات التي جاءتهم هي ما في كتبهم من البشارة بالنبي (ص).

الثاني- للتباعد من حال الهداية و التفحيش لتجوزها في هذه الفرقة. وقوله:

«وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» فالهداية هاهنا تحتل ثلاثة أشياء.

أولها سلوك طريق أهل الحق المهتدين بهم في المدح لهم و الثناء عليهم.

الثاني- في اللفظ الذي يصلح به من حسنت نيته. و كان الحق معتمده، و هو أن يحكم لهم بالهداية.

الثالث- في إيجاب الجواب الذي يستحقه من خلصت طاعته، و لم يحبطهما بسوء عمله. فان قيل كيف أطلق قوله: «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» مع قوله «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» قلنا: لأنه لا يستحق اطلاق الصفة بالهداية إلا على جهة المدحة كقوله أولئك الذين هدى الله. فأما بالتقييد، فيجوز لكل مدلول إلى طريق الحق اليقين.

و ليس في الآية ما يدل على صحة الإحباط، للايمان و لا إحباط المستحق عليه من الثواب، لأنه لم يجر لذلك ذكر. وقوله: «كَفَرُوا

بَعْدَ إِيمَانِهِمْ» يعني بعد التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٣

إظهارهم الايمان و شهادتهم أن الرسول حق، و إن كانوا في باطنهم منافقين. و ليس فيها أنهم كانوا في باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب، فزال ذلك بالكفر فلا متعلق بذلك في صحة الإحباط.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٧] ص: ٥٢٣

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧)

آية.

إن قيل: إذا كان لعن الملائكة و الناس أجمعين تابعا لعن الله، فهلا اقتصر عليه في الذكر؟ قيل الوجه في ذلك أن لا يوهم أن لعنهم لا- يجوز إلا- لله عز و جل كما لا- يجوز أن يعاقبهم إلا الله أو من يأمرهم بذلك. و ليس في قوله: «وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» دلالة على أنه يجوز للكافر أن يلعن نفسه، لأن لعنه لنفسه دعاء عليها بالابعاد من رحمة الله. و ذلك يوجب رغبته فيما دعا به، و لا يجوز لأحد أن يرغب في أن يعاقبه الله، لأن ذلك ينافي الزجر به و التحذير منه. و أما رغبة المؤمن في أن يعاقب الله الكافر فجائز حسن، لأنه لا ينافي زجره بل هو أبلغ في زجره، فان قيل: لم قال: «وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» و من وافق الكافر في مذهبه لا يرى لعنه؟

قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها- إن له أن يلعنه، و إنما لا يفعله لجهله بأنه يستحق اللعن. و يصح منه معرفة الله، و معرفة استحقاق اللعن لكل كافر، فحيث يعلم أن له أن يلعنه و إنما لا- يصح أن يلعن الكافر مع اعتقاده أنه لا يستحق اللعن، لأنه لو صح ذلك لأدى إلى أن يصح أن يلعن نفسه لمشاركته له فيما استحق به اللعن. و قد بينا فساد.

و الثاني - أن ذلك في الآخرة، لأن بعضهم يلحن بعضاً. وقد استقرت عليهم لعنة الجميع، وإن كانت على التفريق.
و الثالث - أن يحمل لفظ الناس على الخصوص، فيحمل على ثلاثة فصاعداً، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٤
فلذلك قال: «أجمعين» و كان يجوز أن يرفع «و الْمَلَائِكَةُ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» لأن الأول تقديره عليهم أن يلعنهم الله، فيحمل الثاني على معنى الأول، كما قال الشاعر:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق (١)

و الاتباع أجود ليكون الكلام على نسق واحد، و إنما ذكر وعيد الكفار هاهنا مع كونه مذكوراً في مواضع كثيرة في القرآن، للتأكيد و تغليظاً في الزجر لأنه لما جرى ذكر الكافر عقب ذلك بلعنه، و وعيده، كما إذا جرى ذكر المؤمن عقب ذلك بالرحمة ليكون أرغب له في فعل الطاعة و التمسك بالایمان.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٨] ص : ٥٢٤

إشارة

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨)
آية.

اللغة: ص : ٥٢٤

الخلود في اللغة هو طول المكث، و لذلك يقال خلده في السجن و خلد الكتاب في الديوان. و قيل للأثافي: خوالد ما دامت في موضعها، فإذا زالت لا تسمى خوالد. و الفرق بين الخلود و الدوام: أن الخلود يقتضى (فى) كقولك خلد فى الحبس و لا يقتضى ذلك الدوام، و لذلك جاز وصفه تعالى بالدوام دون الخلود.
إلا أن خلود الكفار المراد به التأييد بلا خلاف بين الأمة.

المعنى: ص : ٥٢٤

و قوله: «فيها» الهاء راجعة إلى اللعنة. و معنى خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجه من أليم العقاب، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة

(١) مر تخريجه فى ١: ٢٠٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٥

فلا- يتوجه إليه الوعيد بالخلود، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأنه لو كان كذلك لأدى إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم، و العقاب الدائم لشخص واحد. و الإجماع بخلافه. و الإحباط - عندنا - باطل، فلا يمكن أن يقال يحبط أحدهما الآخر، و إنما حسن العقاب الدائم على المعاصى المنقطعة، كما حسن الثواب الدائم على الطاعة المنقطعة، فلا يجوز أن يستحق الدوام على الأصغر، و لا يستحق على الأكثر، فلما كانت نعم الله تعالى أعظم النعم كانت معاصيه أعظم المعاصى، و كانت طاعته أصغر منها. و أيضاً، فانه يحسن الذم للدائم على المعاصى المنقطعة فالعقاب يجرى مجراه.

اللغة: ص : ٥٢٥

وقوله: «لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» فالتخفيف هو تغيير الشيء عن حال الصعوبة إلى السهولة، وهو تسهيل لما فيه كلفه ومشقة وأصله من خفة الجسم ضد ثقله. ومنه تخفيف المحنة معناه تسهيلها. وقوله: «وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ» معناه لا يمهلون وإنما نفى إنظارهم للأنابة لما علم من حالهم أنهم لا ينيون كما قال: «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ» (١) على أن التبقية ليست واجبة. وإن علم أنه لو بقاه لتاب وأناب عند أكثر المتكلمين. ومن قال يجب تبقيته متى علم أنه لو بقاه لآمن، فجوابه هو الأول. وقيل في الفرق بين الانظار والامهال أن الانظار تأخير العبد لينظر في أمره. والامهال تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٨٩] ص : ٥٢٥

إشارة

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)
آية.

(١) سورة الانعام آية: ٢٨. [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٦

المعنى: ص : ٥٢٦

إن قيل إذا كانت التوبة من الذنب لا تصلح إلا بعد فعله، فلم قال: «مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ»؟ قيل فائدته أنه يفيد معنى تابوا منه، لأن توبتهم من غيره لا تنفع في التخلص منه، كما لا تنفع التوبة من الكبير في التخلص من الصغير، فأما من قال: إن التوبة من معصية لا تصح مع الإقامة على معصية أخرى، فانه يقول ذلك على وجه التأكيد، فان قيل: إذا كانت التوبة وحدها تسقط العقاب وتحصل الثواب فلم شرط معها الإصلاح؟ قيل الوجه في ذلك إزالة الإبهام لثلا يعتقد، أنه إذا حصل الايمان، والتوبة من الكفر لا يضر معه شيء من أفعال القبائح، كقوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» (١) فذكر مع الايمان عمل الصالحات، لازالة الإبهام بأن من كان مؤمناً في الحكم، لم يضره مع ذلك ما عمله من المعاصي. وقبول التوبة واجب، لأنها طاعة واستحقاق الثواب بها ثابت عقلاً، فأما سقوط العقاب عندها، فإنما هو تفضل من الله، ولو لا أن السمع ورد بذلك، وإلا، فلا دلالة في العقل على ذلك. وقوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» دخلت الفاء لشبهه بالجزاء، إذا كان الكلام قد تضمن معنى إن تابوا «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أي يغفر لهم وليست في موضع خبر الذين، لأن الذين في موضع نصب بالاستثناء من الجملة الأولى التي هي قوله: «أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ....» الآية، وذكر المغفرة في الآية دليل على أن إسقاط العقاب بالتوبة تفضل، لأنه لو كان واجباً لما استحق بذلك الإثم بأنه غفور، لأنه لا يقال هو غفور إلا فيما له المؤاخذه، فأما ما لا يجوز المؤاخذه به فلا يجوز تعليقه بالمغفرة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٠] ص : ٥٢٦

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)

(١) سورة حم السجدة آية: ٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٧
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٥٢٧

قيل في المعنى بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها- قال ابن عباس هي فرقة ارتدت ثم عزمت على إظهار التوبة على جهة التورية، فاطلع الله نبيه على ذلك بانزال هذه الآية. و قال أبو العلية لم تقبل توبتهم من ذنوب أصابوها مع الإقامة على كفرهم. و قال قتادة: هم اليهود آمنوا بموسى و كفروا بعبسى «ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا» بمحمد (ص) «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» عند حضور موتهم. و قال الحسن: هم اليهود و النصارى كفروا بالنبي (ص) «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» التي كانت في حال إيمانهم، فان قيل: لم لم تقبل التوبة من هذه الفرقة؟ قيل: لأنها كفرت بعد إيمانها ثم ازدادت كفراً إلى انقضاء أجلها، فحصلت على ضلالتها، فلم تقبل منها التوبة الأولى في حال كفرها بعد إيمانها، و لا التوبة الثانية في حال إيجابها. و قيل: إنما لم تقبل توبتهم، لأنهم لم يكونوا فيها مخلصين بدلالة قوله: «وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ». و قال الطبري: إنه لا يجوز تأويل من قال لن تقبل توبتهم عند حضور موتهم. قال: لأنه لا خلاف بين الأمة أن الكافر إذا أسلم قبل موته بطرفة عين في أن حكمه حكم المسلمين في وجوب الصلاة عليه و مواريثه و دفنه في مقام المسلمين و اجراء جميع أحكام الإسلام عليه، و لو كان إسلامه غير صحيح، لما جاز ذلك. و هذا الذي قاله ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن نتعبد بإجراء أحكام الإسلام عليه و ان كان إسلامه على وجه من الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب عليه، كما أنا تعبدنا بإجراء أحكام الإسلام على المنافقين و إن كانوا كفاراً. و إنما لم يجز قبول التوبة في حال الإلجاء إليه، لأن فعل الملجأ كفعل المكره في سقوط الحمد و الذم. و قد قال الله تعالى: «وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» (١). و قال:

(١) سورة النساء آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٨

«فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا»

فأما إذا عاد في الذنب، فلا يعود إليه العقاب الذي سقط بالتوبة، لأنه إذا تاب منه صار بمنزلة ما لم يعمله، فلا يجوز عقابه عليه كما لا يجوز عقابه على ما لم يعمله سواء قلنا أن سقوط العقاب عند التوبة كان تفضلاً أو واجباً. و قد دل السمع على وجوب قبول التوبة و عليه إجماع الأمة. و قال تعالى «وَهُوَ الَّذِي يُقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ» (٢) و قال: «غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ» (٣) و غير ذلك من الآي.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩١] ص : ٥٢٨

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَوْ أَقْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

(٩١)

آية.

اللغة: ص : ٥٢٨

الملء أصله الملاء، وهو تطفيح الأثناء. ومنه الملاء الاشراف، لأنهم يملئون العين هيبه و جلاله. و منه رجل ملء بالامر، و هو أملاء به من غيره. و الملاء اسم للمقدار الذي يملأ. و الملاء بفتح العين مصدر ملأت الأثناء ملأ. و مثله الرعى بكسر الراء: النبات، و بفتح الراء مصدر رعيته. قال الزجاج: و من قال: هما سواء فقد غلط.

الاعراب: ص : ٥٢٨

و قوله: «ذهباً» نصب على التمييز. و التمييز على ضربين تمييز المقادير و تمييز الاعداد و كله مستحق النصب لاشتغال العامل بالاضافه أو ما عاقبها من النون

(١) سورة المؤمن آية: ٨٤-٨٥.

(٢) سورة الشورى آية: ٢٥.

(٣) سورة المؤمن آية: ٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٢٩

الزائدة، فجرى ذلك مجرى الحال في اشتغال العامل بصاحبها، و مجرى المفعول في اشتغال العامل عنه بالفاعل. و مثل ذلك، عندي ملء زق عسلاً و قدر نحى سماً.

المعنى: ص : ٥٢٩

و قوله: «وَلَوْ افْتَدَى بِهِ» فالفدية البدل من الشيء في إزالة الاذية. و منه قوله: «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» (١) لأنه بدل منه في إزالة الذبح عنه، و منه فداء الأسير بغيره، لأنه بدل منه في إزالة القتل و الأسر عنه. و قيل في معنى الافتداء هاهنا قولان: أحدهما- البيان عن أن ما كلفه في الدنيا يسير في جنب ما يبذله في الآخرة من الفداء الكثير لو وجد إليه السبيل، قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أ رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً، لكنت تفتدى به، فيقول: نعم، فيقال لقد سئلت أيسر من ذلك، فلم تفعل.

و الثاني- ما حكاه الزجاج أنه لو افتدى به في دار الدنيا مع الاقامة على الكفر لم يقبل منه. و قيل في دخول الواو في قوله «وَلَوْ افْتَدَى بِهِ» قولان قال:

قوم: هي زائدة أجاز ذلك الفراء. و المعنى لو افتدى به. قال الزجاج: و هذا غلط، لأن الكلام يجب حمله على فائدة إذا أمكن، و لا يحمل على الزيادة. و الثاني- أنها دخلت لتفصيل نفي القبول بعد الإجمال، و ذلك أن قوله «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَباً» قد عم وجوه القبول بالنفي ثم أتى بالتفصيل، لئلا يتطرق عليه سوء التأويل، و لو قيل: بغير واو لم يكن قد عم النفي وجوه القبول، فقد دخلت الواو لهذه الفائدة من نفي التفصيل بعد الجملة، فأما الواو في قوله «وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» فإنها عاطفة على محذوف في التقدير، و المعنى «وَكذلكَ نرى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» ليعتبر «وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

(١) سورة الصفات آية: ٧.

(٢) سورة الانعام آية: ٧٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٠

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٢] ص: ٥٣٠

إشارة

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)
آية واحدة.

المعنى: ص: ٥٣٠

قيل في معنى البر قولان:

أحدهما- البر من الله بالثواب في الجنة. الثاني- البر بفعل الخير الذي يستحقون به الأجر. وقال السدي وعمرو بن ميمون: البر الجنة. فان قيل: كيف قال «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» والفقير لا يجب عليه الصدقة و ينال الجنة، و ان لم ينفق؟ قلنا: الكلام خرج مخرج الحث على الصدقة إلا أنه على ما يصح و يجوز من إمكان النفقة، فهو مقيد بذلك في الجملة إلا أنه اطلق الكلام للمبالغة في الترغيب فيه. و يجوز «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» في سبل الخير من الصدقة من وجوه الطاعة. و قال الحسن: هو الزكاة الواجبة و ما فرض تعالى في الأموال خاصة. و الأولى أن تحمل الآية على الخصوص بأن يقول: هي متوجهة إلى من يجب عليه إخراج شيء أوجه الله عليه دون من لم يجب عليه، و يكون ذلك أيضاً مشروطاً بأن لا يعفو الله عنه- على مذهبنا في جواز العفو- أو يقول «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ» الكامل الواقع على أشرف الوجوه «حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ». و قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» إنما جاء على جهة جواب الشرط و إن كان الله يعلمه على كل حال، لامرين: التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣١
أحدهما- لأن فيه معنى الجزاء، فتقديره «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ» يجازيكم به قل أو كثر، لأنه عليم به لا يخفى عليه شيء منه. الثاني- فانه يعلمه الله موجوداً على الحد الذي تفعلونه من حسن النية أو قبحها.

اللغة: ص: ٥٣١

و الفرق بين البر، و الخير: أن البر هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك، و الخير يكون خيراً، و ان وقع عن سهو. و ضد البر العقوق. و ضد الخير الشر، فبذلك بين الفرق بينهما.

النظم: ص: ٥٣١

و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما ذكر في الآية الاولى «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ» وصل ذلك بقوله «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» لئلا يؤدي امتناع غناء الفدية إلى الفتور في الصدقة، و ما جرى مجراها من وجوه الطاعة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٣] ص: ٥٣١

إشارة

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣)

آية واحدة.

النظم: ص : ٥٣١

وجه اتصال هذه الآية بما تقدم أنه تعالى، لما ذكر الإنفاق مما يحب، و من جملة ما يحب الطعام، فذكر حكمه، و أنه كان مباحاً حلالاً «لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ».

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٢

النزول، و القصة، و المعنى: ص : ٥٣٢

و كان سبب نزول هذه الآية أن اليهود أنكروا تحليل النبي (ص) لحوم الإبل، فبين الله تعالى أنها كانت محللة، لإبراهيم، و ولده إلى أن حرمها إسرائيل على نفسه، و حاجهم بالتوراة، فلم يجسروا على إحضار التوراة لعلمهم بصدق النبي (ص) فيما أخبر أنه فيها. و كان إسرائيل و هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم نذر إن برأ من النساء أن يحرم أحب الطعام و الشراب إليه و هو لحوم الإبل و ألبانها، فلما برأ و فى لله بنذره. و قال ابن عباس و الحسن: إن إسرائيل أخذه و جمع العرق الذى يقال له النساء، فنذر إن شفاه الله أن يحرم العروق و لحم الإبل [على نفسه، و هو أحب الطعام إليه.

فان قيل: كيف يجوز للإنسان أن يحرم على نفسه شيئاً، و هو لا يعلم ما له فيه من المصلحة مما له فيه المفسدة؟ قلنا: يجوز ذلك إذا أذن الله له فى ذلك و أعلمه، و كان الله أذن لاسرائيل فى هذا النذر، فلذلك نذر. و فى الناس من استدل بهذه الآية على أنه يجوز للنبي (ص) أن يجتهد فى الأحكام، لأنه إذا كان أعلم و رأيه أفضل كان اجتهاده أحق و هذا الذى ذكروه إن جعل دليلاً على أنه كان يجوز أن يتعبد النبي بالاجتهاد، كان صحيحاً، و إن جعل دليلاً على أنه كان متعبداً به، فليس فيه دليل عليه، لأننا قد بينا أن إسرائيل ما حرم ذلك إلا بإذن الله، فمن أين إن ذلك كان محرماً له من طريق الاجتهاد، فأما من امتنع من جواز تعبد النبي (ص) بالاجتهاد، بأن ذلك يؤدي إلى جواز مخالفة أمته له إذا أدام الاجتهاد إلى خلاف اجتهاده فقد أبعد، لأنه لا يمتنع أن يجتهد النبي (ص) بالاجتهاد إلى خلاف ما أدى اجتهاد الأمة إليه، فوجب اتباعه و لا يلتفت إلى اجتهاد من يخالفه، كما أن الأمة يجوز أن تجمع على حد عن اجتهاد، و إن لم يجز مخالفتها فبطل قول الفريقين.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٤] ص : ٥٣٢

إشارة

فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٣

اللغة: ص : ٥٣٣

الافتراء: اقرار الكذب و أصله قطع ما يقدر من الأدم، يقال فرى الأديم يفريه فرياً: إذا قطعه، فقيل للكذب الفرية، لأنه يقطع به على التقدير من غير تحقيق.

المعنى: ص : ٥٣٣

فان قيل: كيف قال: «أفترى على الله الكذب»

و على للاستعلاء، فما معناها ها هنا؟ قلنا: معناها إضافة الكذب إليه من جهة أنه أمر بما لم يأمر به الله فأوجب ما لم يوجبه، و كذب عليه بخلاف كذب له، لأن كذب عليه يفيد أنه كذب فيما يكرهه، و كذب له قد يجوز فيما يريد. فان قيل كيف قيد وعيد المفترى على الله الكذب ب «من بعد ذلك» و هو يستحق الوعيد بالكذب عليه على كل حال؟ قلنا: المراد به البيان أنه يلزم من بعد إقامة الحجة على العبد فيه، لأنه لو كذب على الله (عز و جل) فيما ليس بمحجوج فيه لجرى مجرى كذب الصبي الذي لا يستحق الوعيد به. و إنما وصف المفترى على الله كذباً بأنه ظالم، من حيث كان ظالماً لنفسه، و لمن استدعى إلى مذهبه فيما يكذب به، لأن ذلك الكذب يستحق به العقاب.

و الظلم و الجور واحد و إن كان أصلهما مختلفاً، لأن أصل الظلم النقصان للحق.

و الجور العدول عن الحق، و لذلك قيل في ضد الظلم الانصاف. و في ضد الجور العدل. و الانصاف هو إعطاء الحق على التمام.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٥] ص : ٥٣٣

إشارة

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٤
آية.

المعنى: ص : ٥٣٤

معنى قوله: «قُلْ صَدَقَ اللَّهُ» البيان عن أن الخبر بأن «كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ» صدق، لأن الله تعالى أخبر به.

و قوله: (فاتبعوا) فالاتباع إلحاق الثاني بالأول لما له به من التعلق بالقوة للأول، و الثاني يستمد منه، فهم يلحقون بإبراهيم (ع) لتمسكهم بملته و التابع ثان متدبر بتدبير الأول متصرف بتصريفه في نفسه، و الصحيح أن شريعة نبينا ناسخة لشريعة كل من تقدم من الأنبياء، و أن نبينا لم يكن متعبداً بشريعة من تقدم.

و إنما وافقت شريعته شريعة إبراهيم، فلذلك قال الله تعالى «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» و إلا فالله هو الذي أوحى بها إليه و أوجبها عليه، و كانت شريعة له. فان قيل إذا كانت الشرائع بحسب المصالح، فكيف رغب في شريعة الإسلام بأنها مله إبراهيم؟

قلنا: لأن المصالح إذا وافقت ما تميل إليه النفس و يتقبله العقل بغير كلمة كانت أحق بالرغبة، كما أنها إذا وافقت الغنى بدلا من الفقر، كانت أعظم في النعمة، و كان المشركون يميلون إلى اتباع مله إبراهيم، فلذلك خوطبوا بذلك. و الحنيف: المستقيم:

الدين الذي على شريعة إبراهيم في حجه و نسكه و طيب مأكله، و تلك الشريعة هي الحنيفية. و أصل الحنف الاستقامة و إنما وصف

المائل القدم بالأخف تفاؤلاً بها.

وقيل أصله الميل وإنما قيل الحنيف بمعنى المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٦] ص : ٥٣٤

إشارة

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)
آية بلا خلاف.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٥

المعنى، واللغة، والاعراب: ص : ٥٣٥

أول الشيء ابتداءه، ويجوز أن يكون المبتدأ له آخر، ويجوز أن لا يكون له آخر، لأن الواحد أول العدد. ولا نهاية، لآخره، ونعيم أهل الجنة له أول، ولا آخر له، فعلى هذا إنما كان أول بيت، لأنه لم يكن قبله بيت يحج إليه. وروى عن علي (ع) أنه قال: أول بيت وضع للعبادة البيت الحرام. وقد كانت قبله بيوت كثيرة. وقيل أول بيت رغب فيه، وطلب به البركة مكة. وقال مجاهد: لم يوضع قبله بيت. وإنما دحيت الأرض من تحتها. و به قال قتادة.

وروى أصحابنا: أن أول شيء خلق الله من الأرض موضع الكعبة، ثم دحيت الأرض من تحتها. و بكه قيل معناه ثلاثة أقوال: أحدها- قال ابن شهاب و ضمرة بن ربيعة:

بكه هو المسجد، و مكة الحرم كله تدخل فيه البيوت، و هو قول أبي جعفر (ع)

و قال أبو عبيدة، بكه هي بطن مكة، و قال مجاهد: هي مكة.

و أصل بكه من البك، و هو الزحم تقول بكة يبكه بكاً إذا زحمه و تباك الناس بالموضع إذا ازدحموا، فبكه مزدحم الناس للطواف. و هو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام، و منه البك: دق العنق، لأنه فكه بشدة زحمه، فقيل:

سميت بكه، لأنها تبك أعناق الجابرة إذا ألدوا فيها بظلم لم يمهلوا. و أما مكة، فقال الزجاج يجوز أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكه. و أبدلت الميم من الباء، كقولهم: ضربة لازب و لازم، و يجوز أن يكون من قولهم: امتك الفصيل ما فى ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيئاً، فسميت مكة بذلك لازدحام الناس فيه. قال و الأول أحسن، و يقال مك المشاش مكاً إذا تمشش بفيه. و نصب قوله: «مباركا» يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون حالا من الضمير الذى فيه. الثانى- على الظرف من بكه على معنى الذى استقر ببه مباركا. و على هذا القول لا يكون قد وضع قبله بيت التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٦

كما يجوز فى التقدير الأول. و قوله: «و هدى للعالمين» معناه أنه دلالة لهم على الله من حيث هو المدبر لهم بما لا يقدر على من أمن الوحش فيه حتى يجتمع الكلب و الطيبى، فلا يعدو عليه و حتى يأنس الطير فلا يمتنع منه كما يمتنع من غيره إلى غير ذلك من الآثار و البينة فيه مع البركة التى يجدها من حج إليه مع ما له من الثواب الجزيل عليه. و أصل البركة الثبوت من قولك برك بركا و بروكا إذا ثبت على حاله، فالبركة ثبوت الخير بنموه و تزايد و منه البركاء: الثبوت فى الحرب. و منه البركة شبه حوض يمسك الماء، لثبوته فيه. و منه قول الناس: تبارك الله، لثبوته لم يزل، و لا يزال وحده، و منه البرك الصدر، لثبوت الحفظ فيه.

وقوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٧] ص: ٥٣٦

إشارة

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)

آية.

القراءة: ص: ٥٣٦

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر (حج البيت) بكسر الحاء. الباقون بفتحها فمن فتح أراد المصدر الجارى على فعله، و من كسر أراد الاسم.

المعنى: ص: ٥٣٦

الآيات التي بمكة أشياء، منها ما قال مجاهد في مقام إبراهيم، وهو أثر قدميه داخله في حجر صلد بقدره الله تعالى، ليكون ذلك علامة يهتدى بها، و دلالة يرجع إليها مع غير ذلك من الآيات التي فيه من أمن الخائف، و إحقاق الجمار على كثرة الرامى. و امتناع الطير من العلو عليه. و استشفاء المريض من ماء به. و من تعجيل العقوبة لمن انتهك فيه حرمة على عادة كانت جارية. و من إهلاك أصحاب الفيل التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٧

لما قصدوا، لتخريبه. و روى عن ابن عباس أنه قرأ «آية بينه مقام إبراهيم» فجعل مقام إبراهيم هو الآية. و الأول عليه القراء، و المفسرون. و قوله: «مقام إبراهيم» رفع بأنه خبر ابتداء محذوف. و تقديره هي مقام إبراهيم و غير مقام إبراهيم، و قيل التقدير منها مقام إبراهيم. و قوله: «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» قيل فيه قولان:

أحدهما- الدلالة على ما عطف عليه قلوب العرب في الجاهلية، من أمر من جنى جناية، ثم لاذ بالحرم، و من تبعه تلحقه أو مكروه ينزل به. فأما في الإسلام فمن جنى فيه جناية أقيم عليه الحد إلا القاتل، فانه يخرج منه، فيقتل في قول الحسن، و قتاده. و عندنا أنه إذا قتل في الحرم قتل فيه.

الثاني-

أنه خبر، و المراد به الأمر، و معناه أن من وجب عليه حد، فلاذ بالحرم و التجأ إليه، فلا يبيع و لا يشارى و لا يعامل حتى يخرج من الحرم، فيقام عليه الحد- في قول ابن عباس و ابن عمر- و هو المروى عن أبي عبد الله و أبي جعفر (ع) و أجمعت الصحابة على أن من كانت له جناية في غيره ثم عاذ به أنه لا يؤاخذ بتلك الجناية فيه. و أجمعوا أيضاً أن من أصاب الحد فيه أنه يقام عليه الحد فيه. و إنما اختلفوا فيما به يخرج ليقام عليه الحد.

و روى عن أبي جعفر (ع) أنه قال: من دخله عارفاً بجميع ما أوجب الله عليه، كان آمناً في الآخرة من أليم العقاب الدائم.

و السبيل الذي يلزم بها الحج، قال ابن عباس، و ابن عمر: هي الزاد، و الراحلة.

و قال ابن الزبير، و الحسن: ما يبلغه كائناً ما كان. و فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف. و عندنا هو وجود الزاد و الراحلة و نفقة من تلزمه نفقته و الرجوع إلى كفاية عند العود إما من مال أو ضياع أو عقار أو صناعة أو حرفه مع الصحة و السلامة و زوال الموانع و إمكان المسير.

و قوله: «و من كفر» معناه من جحد فرض الحج فلم يره واجباً في قول التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٨

ابن عباس، و الحسن، و الضحاک. فأما من تركه و هو يعتقد فرضه، فانه لا يكون كافراً و إن كان عاصياً. و فى الآية دلالة على فساد مذهب المجبرة إن الاستطاعة مع الفعل، لأن الله تعالى أوجب الحج على المستطيع. و من لا يستطيع، فلا يجب عليه و ذلك لا يكون إلا قبل فعل الحج. و قال قوم: معنى «و من كفر» يعنى ترك الحج و السبب فى ذلك أنه لما نزل قوله: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا» (١) قالت اليهود نحن المسلمون فأنزل الله هذه الآية فأمرهم بالحج إن كانوا صادقين فامتنعوا، فقال الله تعالى و من ترك من هؤلاء فهو كافر، و الله غنى عن العالمين.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٨] ص : ٥٣٨

إشارة

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)
آية.

المعنى: ص : ٥٣٨

قوله: «يا أهْلَ الْكِتَابِ» خطاب لليهود و النصارى. و إنما أجرى عليهم أهل الكتاب مع أنهم لا يعملون به، و لم يجز ذلك فى أهل القرآن حتى يقال، فيمن لا يعمل بالقرآن أنه من أهل القرآن لأمرين:

أحدهما- أن القرآن اسم خاص لكتاب الله، فأما الكتاب فيجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عن جهته، و الآخر- الاحتجاج عليهم بالكتاب، لإقرارهم به، كأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب الله «لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» و آيات الله المراد بها هاهنا معجزات نبينا محمد (ص) التى كانت له، و العلامات التى وافقت فى صفته، مما تقدمت به البشارة، و خاطبهم الله فى هذه بأن قال له «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» على وجه التلطف فى استدعائهم إلى الحق، و توجيه الخطاب إليهم. و قال فى موضع آخر «يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ» (٢) على وجه الالهانة

(١) سورة آل عمران آية: ٨٥.

(٢) سورة آل عمران آية: ٧٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٣٩

لهم لصددهم عن الحق بتوجيه الخطاب إلى غيرهم و إنما جاء لفظ التوبيخ فى الآية على لفظ الاستفهام، لأنه كسؤال التعجيز عن إقامة البرهان، فكذلك سؤال التوبيخ سؤال تعجيز عن إقامة العذر كأنه قيل: هات العذر فى ذلك إن أمكنك، كما قيل له هات البرهان إن كنت محققاً فى قولك و مذهبك.

اللغة: ص : ٥٣٩

و أصل لم لما و حذف الالف فى الاستفهام منها، و لم تحذف فى الخبر لأنها فى الاستفهام ظرف يقوى فيه التغيير قياساً على حروف الاعراب و نحوها، و أما الخبر فإنها تقع وسطاً إذا كانت موصولة، لأن تمامها آخر صلتها و الجزاء يجرى مجرى الصلة، لأن (ما) فيه عاملة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ٩٩] ص: ٥٣٩

إشارة

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص: ٥٣٩

قوله: «لم تصدون» معناه لم تمنعون، لأن الصد المنع. وقيل في كيفية صدّهم عن سبيل الله قولان: أحدهما- أنهم كانوا يغزون بين الأوس، والخزرج، بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم حتى تدخلهم العصبية وحمية الجاهلية فينسلخون عن الدين- هذا قول زيد بن اسلم- وقال الآية في اليهود خاصة. وقال الحسن الآية في اليهود والنصارى معاً ومعناها لم تصدون بالتكذيب بالنبي (ص) وإن صفتة ليست في كتبهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقوله: «من آمن» موضعه النصب بأنه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٠
مفعول تصدون. وقوله: «تَبْغُونَهَا عِوَجًا» الكناية راجعة إلى السبيل، ومعناه تطلبون لها عوجاً يعنى عدو لا عن طريق الحق، وهو الضلال كأنه قال تبغونها ضلالاً.

اللغة: ص: ٥٤٠

و العوج- بفتح العين، هو ميل كل شىء منتصب، نحو القناة و الحائط، و بكسر العين- إنما هو الميل عن الاستواء في طريق الدين، و في القول، و في الأرض. و منه قوله: «لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا» (١) و قال عبد بنى الحسحاس:
بغاك و ما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته أمس موعدا (٢)
أى طلبك و ما تطلبه هذا في بغيت الحاجة فأما بغى عليه، فمعناه تطاول بظلمه له. و تقول: ابغى كذا بكسر الهمزة أى أطلبه لى. و إذا قلت: أبغى بفتح الهمزة، فمعناه أعنى على طلبه. و مثله احملنى و أحملنى و المسنى و ألمسنى. و احلب لى و احلبنى أى أعنى على الحلب. و أصل ذلك ابغ لى غير أنه حذفت اللام لكثرة الاستعمال.

المعنى: ص: ٥٤٠

وقوله: «وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ» قيل فيه قولان:
أحدهما- «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ» على بطلان صدكم عن دين الله، و تكون الآية مختصة بقوم معاندين، لأنهم جحدوا ما علموه و يجوز أن تكون في الجميع، لإقرارهم بأنه لا يجوز الصد عن دين الله، فلذلك صح ما أُلزموا.
الثانى- «وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ» أى عقلاء كما قال الله تعالى «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (٣) أى و هو عاقل، و ذلك أنه يشهد الدليل الذى يميز به الحق من الباطل

(١) سورة طه آية: ١٠٧.

(٢) ديوانه: ٤١ و روايته (الا) بدل (حتى) و قد ذكره ابن هشام في المغنى ١:

١١١، وقال: الا بمعنى حتى.

(٣) سورة ق آية: ٣٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤١

فيما يتعلق بالدين و يؤديه إليه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٠] ص : ٥٤١

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَزُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) آية.

النزول: ص : ٥٤١

قال زيد بن أسلم و السدى أن هذه الآية نزلت في الأوس و الخزرج لما أغزى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم.

اللغة، و الاعراب، و المعنى: ص : ٥٤١

و قوله: «إن تطيعوا» فالطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه، و الاجابة موافقة الارادة الداعية إلى الفعل و لذلك يجوز أن يكون الله تعالى مجيباً للعبد إذا فعل ما دعا العبد به، و لم يجز أن يكون مطيعاً له. و (يا) حرف النداء و أى هو المنادى. و (ها) للتنبية و هو اسم مبهم يحتاج أن يوصف بالواحد و الجميع لشدة إبهامه من حيث، لا يوقف عليه دون ما يوضحه. و لم يجز مثل ذلك فى هذا، و إن كان اسماً مبهماً، لأنه يدخله التثنية، و الجمع، نحو هؤلاء و هذان و ليس كذلك أى.

فان قيل لم جاز صفة المبهم بالموصول و لم يجز بالمعطوف؟ قيل: لأن الموصول بمنزلة اسم واحد لنقصانه عن التمام إلا بصلته، فعمل لذلك معاملة المفرد، و ليس كذلك المعطوف، لأنه اسم تام، فلذلك لم يجز يا أيها الطويل و القصير على الصفة، و جاز يا أيها الذى أكرم زيداً على الصفة، و يجوز يا أيها الطويل و القصير على أن يكون القصير مناداً أيضاً و يجوز أن تقول يا هذا و تقف عليه. و لا- يجوز أن تقول يا أيها و تقف، و إن كانا مبهمين لا يحتاجان إلى صلة، لأن أى و صلة إلى نداء التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٢

ما فيه الألف و اللام، كما أن الذى و صلة إلى صفة المعرفة بالجملة، و لذلك جاز النصب فى يا هذا الكريم، و لم يجز فى يا أيها الكريم. و معنى الآية النهى عن طاعة الكفار و بيان أن من أطاعهم يدعوهم ذلك إلى الارتداد عن دينه بعد أن كان مؤمناً و رجوعه كافراً.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠١] ص : ٥٤٢

إشارة

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) آية.

النزول: ص : ٥٤٢

روى عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآية أنه كانت بين الأوس، و الخزرج حرب في الجاهلية كل شهر، فبينما هم جلوس إذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية و ما بعدها. و قال الحسن نزلت في مشركي العرب.

المعنى واللغة: ص : ٥٤٢

«و كيف» موضوعه للاستفهام، و معناها هاهنا التعجب و إنما استعملت في ذلك، لأنها طلب للجواب عما حمل على الفساد فيما لا يصح فيه الاعتذار. و التعجب هو حدوث إدراك ما لم يكن يقدر لخفاء سببه، و خروجه عن العادة في مثله، و لذلك لم يجر في صفة القديم، و لكن يجوز في وصفه تعجب العباد من بعض الأمور. و صيغة التعجب في اللغة ما أفعله، و أفعل به إلا أنه قد يجيء كلام متضمن بمعنى التعجب، و إن لم يكن في الأصل مما وضع له. و قوله: «و فَيُكْمَرُ رَسُولُهُ» خطاب للذين عاصروه، فأما اليوم، فقد قال الزجاج: يجوز أن يقال: فينا رسول الله، و يراد به أن أثاره قائمة فينا، و أعلامه ظاهرة، و ذلك بمنزلة لو كان التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٣

موجوداً فينا. و قوله: «وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ» معناه يمتنع و العصم: المنع. تقول عصمه يعصمه عصماً، و منه قوله: «لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (١) «أى لا مانع.

و العصم: الأوعال لامتناعها بالجبال. و المعصم لأنه يمتنع و العصام: الحبل، و السبب، لأنه يعتصم به.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٢] ص : ٥٤٣**إشارة**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٥٤٣

ذكر ابن عباس و طاوس أن هذه الآية محكمة غير منسوخة. و قال قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد:

هي منسوخة بقوله. «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (٢) و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (ع)

لأنهم ذهبوا إلى أنه يدخل فيه القيام بالقسط في حال الخوف، و الامن، و أنكر أبو علي الجبائي نسخ الآية و ذلك، لأن من اتقى جميع معاصيه، فقد اتقى الله حق تقاته. و مثل هذا لا يجوز أن ينسخ، لأنه إباحة لبعض المعاصي. قال الرماني: و الذي عندي أنه إذا وجه على «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» بأن تقوموا له بالحق في الخوف و الامن لم يدخل عليه ما ذكره أبو علي. و هذا صحيح، لأنه لا يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس، كما قال «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (٣) و أنكر البلخي أيضاً نسخ الآية و قال: لأن في ذلك إيجاب الأمر بما لا يستطاع. قال الرماني: و هذا أيضاً لا يلزم، لأن «ما استطعتم» إنما هو من غير تحمل مشقته بتحريم التقيء.

(١) سورة هود آية: ٤٣.

(٢) سورة التغابن آية: ١٦. [...]

(٣) سورة النحل آية: ١٠٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٤

وقيل في معنى قوله: «حق تقاته» قولان:

أحدهما- قال ابن مسعود، والحسن، و قتادة:

إن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى، و هو المروى عن أبي عبد الله (ع).

وقال الجبائي:

هو أن يتقى جميع معاصيه. و ظاهر الآية يقتضى أنه خطاب للمؤمنين خاصة، و يجوز أن يحمل من جهة المعنى على جميع المكلفين على التغليب، لأنه معلوم أنه يجب عليهم من ذلك مثل ما يجب على المؤمنين من اتقاء جميع معاصي الله.

اللغة: ص : ٥٤٤

وقوله: «تقاته» هو من وقيت. قال الزجاج: يجوز فيه ثلاثة أوجه تقاه و وقاه و اقااه و حملة على قياس وجوه و أجوه و إن كان هذا المثال لم يجيء منه شيء على الأصل نحو تخمه و تكأه و نقاه غير أنه حملة على الأكثر من نظائره و جعل اختصاص هذا البناء في الاستعمال، لا يمنع من حملة على نظيره في القياس، لأن يازاء قوة الاستعمال قوة النظير في الباب.

المعنى، و اللغة: ص : ٥٤٤

وقوله: «و لا تموتنَّ إلَّا و أنتم مسليمون» معناه لا تتركوا الإسلام و إنما قال: «فلا تموتن» بلفظ النهي عن الموت من حيث أن الموت لا بد منه، فكأنه قال كونوا على الإسلام، فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن ترك الإسلام، لئلا يهلكوا بالانقطاع عن التمكين منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على جهة تصرف الابدال، لحسن الاستعارة، و زوال اللبس، لأنه لما كان يمكنهم أن يفارقوه بالإسلام فترك الإسلام صار بمنزلة ما قد دخل في إمكانهم. و مثله قولهم لا أراك هاهنا أى لا تكونن هاهنا، فان من كان هاهنا رأيتَه إلا أن هذا خرج مخرج النهي لغير المنهى عنه فتباعد عن الأصل، فالأول أحسن لأنه أعدل.

و روى عن أبي عبد الله (ع) «و أنتم مسلمون» التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٥

بالتشديد، و معناه إلا و أنتم مستسلمون لما أتى به النبي (ص) و منقادون له.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٣] ص : ٥٤٥

إشارة

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) آية.

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٥٤٥

و معنى قوله: «و اعتصموا» امتنعوا بحبل الله و استمسكوا به أى بعهد الله، لأنه سبب النجاة كالحبل الذى يتمسك به للنجاة من بئر أو نحوها. و منه الحبل الأمان، لأنه سبب النجاة. و منه قوله: «إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ» (١) و معناه بأمان، قال الأعشى:

و إذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها (٢)

و منه الحبل الحمل فى البطن و أصله الحبل المفتول قال ذو الرمة:

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم

و فى معنى قوله: «بحبل الله» قولان

قال أبو سعيد الخدرى عن النبى (ص) أنه كتاب الله.

و به قال ابن مسعود، و قتادة و السدى. و قال ابن زيد «حبل الله» دين الله أى دين الإسلام. و قوله: «جميعاً» منصوب على الحال. و المعنى اعتصموا بحبل الله مجتمعين على الاعتصام به. و قوله: «و لا تفرقوا» أصله و لا تفرقوا،

(١) سورة آل عمران آية: ١١٢.

(٢) ديوانه: ٢٤ رقم القصيدة ٣ فى المطبوعة (أجوزها) بدل (تجوزها) و هو أيضاً فى اللسان (حبل) و مشكل القرآن: ٣٥٨ و غيرها كما أثبتناه. و البيت من قصيدته فى قيس ابن معديكرب. يصف ناقه يقول: لا تحتاج الى حث بل هى سريعة الجرى عارفة طرق التى بائل.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٦

فحذفت احدى التائين، لاجتماع المثلين. و المحذوفة الثانية، لأن الأولى علامة الاستقبال، و هو مجزوم بالنهاى و علامة الجزم سقوط النون. و قال ابن مسعود و قتادة: معناه و لا تفرقوا عن دين الله الذى أمر فيه بلزوم الجماعة و الائتلاف على الطاعة. و قال الحسن: معناه و لا- تفرقوا عن رسول الله (ص). و قوله: «و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء» معناه ما كان بين الأوس و الخزرج من الحروب التى تطاولت مائة و عشرين سنة إلى أن ألف بين قلوبهم بالإسلام، و زالت تلك الأحقاد، هذا قول ابن إسحاق. و قال الحسن: هو ما كان من مشركى العرب من الطوائل.

و قوله: «و كنتم على شفا حفرة من النار» معنى الشفا الحرف، لأن شفا الشىء حرفه، و يثنى شفوان، لأنه من الواو، و جمعه إشفاء. و لا يجوز فيه الامالة. و إنما قال: «فأنقذكم منها» و إن لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها. و إنما أنقذهم النبى (ص) بدعائهم إلى الإسلام، و دخولهم فيه، فصاروا بمنزلة الخارج منها.

و أصل الأخ أن الأخ مقصده مقصد أخيه، و كذلك فى الصداقة أن تكون إرادة كل واحد منهما موافقة للآخر يقولون: يتوخى فلان شأن فلان أى يقصده فى سيره، و يقولون: خذ على هذا الوخى أى على هذا القصد. و قوله: «كذلك يبين الله لكم آياته» الكاف فى موضع نصب، و المعنى مثل البيان الذى تلى عليكم «يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون» معناه لتهتدوا و تكونوا على رجاء هداية.

و الهاء فى قوله فأنقذكم منها كناية عن الحفرة فترك شفا، و ردت الكناية على الحفرة. و مثل ذلك قول العجاج.

طول الليالى أسرع فى نقضى طوين طولى و طوين عرضى

فترك الطول و أخبر عن الليالى. فان قالوا إذا كان الله هو الذى ألف بين قلوبهم و أنقذهم من النار، فقد صح أن أفعال الخلق فعل له و خلق من خلقه؟

قيل: لا يجب ذلك، لأننا نقول أن النبى (ص) ألف بين قلوب العرب و أنقذهم من التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٧

النار، و لا يجب من ذلك أن تكون أفعالهم أفعالا للنبى (ص)، و لا مشاركا لهم.

و معنى ألف بين قلوبهم و أنقذهم من النار أنه دعاهم إلى الايمان و بين لهم و هداهم، و رغبهم و حذرهم، فلما كان إسلامهم و نجاتهم بمعونته و دعائه، كان هو المؤلف لقلوبهم، و المنقذ لهم من النار على هذا المعنى، لا أنه صنع أفعالهم، و أحدثها.

فان قيل: فقد فعل الله مثل ذلك بالكافرين هلا قلمت أنه ألف بينهم؟ قلنا: لا نقول ذلك و إن كان فعل بهم في الابتداء مثل الذي فعل بالمؤمن، لأنه لم يوجد منهم إيمان، فلا يجوز إطلاق ذلك عليهم، ولما وجد من المؤمن ذلك جاز إضافة ذلك إلى الله تعالى و جرى ذلك مجرى قوله «هدى للمتقين» أنه أضيف إلى المتقين من حيث اهدوا به. و ان كان هداية للكافرين أيضاً. و يجوز أن يقال: ألف الله بين الكفار، فلم يأتلفوا و انقذهم، فلم يستنقذوا، فيقيد ذلك، كما قال: «وَأَمَّا تَمُودُ، فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى» (١) و لا- يجوز أن يقال: هدى الله ثمود و يسكت. و مثل ذلك لو أن إنساناً أعطى ولدين له مالا و أمرهما بالتجارة و بين لهما وجوه المكاسب فكسب أحدهما مالا و استغنى، و ضيع الآخر، فافتقر جاز أن يقال أن فلاناً أغنى ولده الغنى، و لا يجوز أن يقال اغنى ولده الفقير على أنا لا نقول ان الله تعالى فعل بالكافر جميع ما فعل بالمؤمن، لأن الذي سوى بينهما ما يتعلق بازاحة العلة في التكليف من الاقدار و الاعلام و الدلالة، و ما به يتمكن من فعل الايمان، فأما اللطاف التي يفعلها الله بالمؤمن بعد إيمانه التي علمها له بعد الايمان و لم يعلمها للكافر، فلا نقول أنه فعل بالكافر مثلها، و لا يمتنع أن تكون هذه الزيادة من اللطاف مشروطة بحال الايمان، فالإطلاق لا يصح على كل حال.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٤] ص : ٥٤٧

إشارة

وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)

(١) سورة حم السجدة آية: ١٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٨ آية.

الاعراب، و المعنى: ص : ٥٤٨

قوله: «و لتكن» أمر و اللام لام الأمر و إنما سكنت مع الواو و لم يكن لام الاضافة لأن تسكين لام الامر يؤذن بعملها أنه الجزم، و ليس كذلك لام الاضافة.

و لم يسكن مع ثم، لأن ثم بمنزلة كلمة منفصلة. و قوله: «منكم أمة» «من» هاهنا للتبويض على قول أكثر المفسرين، لأن الأمر بإنكار المنكر، و الامر بالمعروف متوجه إلى فرقة منهم غير معينة، لأنه فرض على الكفاية فأى فرقة قامت به سقط عن الباقيين. و قال الزجاج التقدير «و ليكن» جميعكم و (من) دخلت لتخص المخاطبين من بين سائر الأجناس، كما قال: «فَأَجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» (١) و قال الشاعر:

أخو رغائب يعطيها و يسلبها يأبى الظلامه منه النوفل الزفر (٢)

لأنه وصفه بإعطاء الرغائب، و النوفل الكثير الإعطاء للنوافل. و الزفر: الذي يحمل الأثقال، فعلى هذا الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر من فرض الأعيان لا يسقط بقيام البعض عن الباقيين. و هو الذي اختاره الزجاج، و به قال الجبائي، و اختاره.

اللغة: ص : ٥٤٨

و الأمة في اللغة تقسم خمسة أقسام:
أحدها- الجماعة. و الثاني- القامة. و الثالث- الاستقامة. و الرابع- النعمة و الخامس القدوة. و الأصل في ذلك كله القصد من قولهم:
أمه يؤمه. أما إذا

(١) سورة الحج آية: ٣٠.

(٢) قائله أعشى باهله اللسان (زفر) و أمالي الشريف المرتضى ٢: ٢١ و هو من قصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة و البراعة و روايته (يسألها) بدل (يسلبها).

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٤٩

قصده، فالجماعة سميت أمة لاجتماعها على مقصد واحد. و الأمة: القدوة، لأنه تأتم به الجماعة. و الأمة النعمة، لأنها المقصد الذي هو البغية. و الأمة القامة، لاستمرارها في العلو على مقصد واحد. و المعروف هو الفعل الحسن الذي له صفة زائدة على حسنه. و ربما كان واجباً أو ندباً، فان كان واجباً فالأمر به واجب.

و ان كان ندباً فالأمر به ندب. و المنكر هو القبيح فالنهي عنه كله واجب.

و الإنكار هو إظهار كراهة الشيء لما فيه من وجه القبح، و نقيضه الإقرار و هو إظهار تقبل الشيء من حيث هو صواب حسن.

المعنى: ص: ٥٤٩

و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر واجبان بلا خلاف و أكثر المتكلمين يذهبون إلى أنه من فروض الكفايات. و منهم من قال من فروض الأعيان، و هو الصحيح على ما بيناه. و اختلفوا، فقال جماعة ان طريق وجوب انكار المنكر العقل، لأنه كما تجب كراهته و جب المنع منه إذا لم يمكن قيام الدلالة على الكراهة.

و إلا كان تاركه بمنزلة الراضى به. و قال آخرون و هو الصحيح عندنا: إن طريق، وجوبه السمع و أجمعت الأمة على ذلك، و يكفي المكلف الدلالة على كراهته من جهة الخير و ما جرى مجراه و قد استوفينا ما يتعلق بذلك في شرح جمل العلم.

فان قيل هل يجب في إنكار المنكر حمل السلاح؟ قلنا: نعم إذا احتيج إليه بحسب الإمكان، لأن الله تعالى قد أمر به، فإذا لم ينجح فيه الوعظ و التخويف، و لا التناول باليد و جب حمل السلاح، لأن الفريضة لا تسقط مع الإمكان إلا بزوال المنكر الذي لزم به الجهاد إلا أنه لا يجوز أن يقصد القتال إلا و غرضه إنكار المنكر.

و أكثر أصحابنا على أن هذا النوع من إنكار المنكر لا يجوز الاقدام عليه إلا بإذن سلطان الوقت. و من خالفنا جوز ذلك من غير الاذن مثل الدفاع عن النفس سواء. و قال البلخي: إنما يجوز لسائر الناس ذلك إذا لم يكن إمام، و لا من نصبه، فأما مع وجوده، فلا ينبغي،

لأحد أن يفعل ذلك إلا عند الضرورة. و قوله: التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٠

«وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» معناه هم الفائزون بثواب الله، و الخلاص من عقابه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٥] ص: ٥٥٠

إشارة

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)
آية.

المعنى: ص : ٥٥٠

قال الحسن، و الربيع: المعنى بهذا التفرق فى الآية اليهود و النصارى، فكأنه قال يا أيها المؤمنون «لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا» يعنى اليهود و النصارى. و قوله:

«مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» معناه من بعد ما نصبت لهم الأدلة و لا يدل ذلك على عناد الجميع، لأن قيام البيئات إنما يعلم بها الحق إذا نظر فيها و استدل بها على الحق، فان قيل إذا كان التفرق فى الدين هو الاختلاف فيه، فلم ذكر الوصفان؟ قلنا: لأن معنى «تفرقوا» يعنى بالعداوة و اختلفوا فى الديانة، فمعنى الصفة الأولى مخالف لمعنى الصفة الثانية، و فيمن نفى القياس، و الاجتهاد من استدل بهذه الآية على المنع من الاختلاف جملة فى الأصول و الفروع، و اعترض من خالف فى ذلك بأن قال لا يدل ذلك على فساد الاختلاف فى مسائل الاجتهاد، كما لا يدل على فساد الاختلاف فى المسائل المنصوص عليها، كاختلاف حكم المسافر و المقيم فى الصلاة و الصيام، و غير ذلك من الأحكام، لأن جميعه مدلول على صحته إما بالنص عليه و إما بالرضى به، و هذا ليس بشيء، لأن لمن خالف فى ذلك أن يقول: الظاهر يمنع من الاختلاف على كل حال إلا ما أخرجه الدليل، و ما ذكره أخرجه بالإجماع فالاجود فى الطعن أن يقال: و قد دل الدليل على وجوب التعبد بالقياس و الاجتهاد! قلنا: إن يخص ذلك أيضاً و يصير الكلام فى صحته ذلك أو فساده، فالاستدلال بالآية إذاً صحيح على نفى الاجتهاد. و قوله: «جاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» إنما حذفت منه علامة التأنيث إذا تقدم، فكذلك لا يلحقه علامة التأنيث لشبهها علامة التثنية و الجمع.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥١

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٦] ص : ٥٥١**إشارة**

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) آية بلا خلاف.

الاعراب: ص : ٥٥١

العامل فى قوله: «يوم» قوله «عظيم» و تقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه. و لا يجوز أن يكون العامل فيه عذاب موصول، قد فصلت صفته بينه، و بين معموله، لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة، لأنها فى معنى يعذبون يوم تبيض وجوه، كما تقول المال لزيد الجمعة فالعامل الفعل و الجملة خلف منه.

المعنى: ص : ٥٥١

و المعنى بهذه الآية الذين كفروا بعد إيمانهم. و قيل فيهم أربعة أقوال:

أحدها- قال الحسن: الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق.

الثانى - قال قتادة الذين كفروا بالارتداد.

الثالث- قال أبى بن كعب: إنهم جميع الكفار، لاعراضهم عما يوجب الإقرار بالتوحيد حين أشهدهم الله على أنفسهم أ لست بربكم

قالوا بلى شهدنا.

الرابع - ذكره الزجاج و أبو علي الجبائي. الذين كفروا من أهل الكتاب بالنبي (ص) بعد إيمانهم به أى بنعته و صفته قبل مبعثه، و هذا الوجه، و الوجه الأول يليق بمذهبا في الموافاة، فأما الارتداد عن الايمان الحقيقي، فلا يجوز عندنا على ما مضى في غير موضع. فان قيل إذا كان «الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» كفاراً «وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ» مؤمنين هلاً دل ذلك على أنه لا واسطة بين الكفر، و الايمان من التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٢

الفسق؟ قلنا: لا. يجب ذلك، لأن ذكر اسوداد الوجوه و ابيضاضها لا يمنع أن يكون هناك وجوه أخر مغبرة أو نحوها من الألوان أو يكون أدخلوا في جملة الكفار الذين اسودت وجوههم على التغليب لأعظم الصفتين كما يغلب المذكر على المؤنث، و ليس ذكر اليوم بأنه تسود فيه وجوه و تبيض وجوه بمانع من أن يكون فيه وجوه عليها الغبرة، كما أن القائل إذا قال هذا يوم يعفو فيه السلطان عن قوم و يعاقب فيه قوماً لا يدل على أنه ليس هناك من لا يستحق واحداً من الأمرين على أن الآية تدل على أن «الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» هم المرتدون، لأنه قال «أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» و ليس كل الكفار هذه صورتهم، جاز لنا إثبات فاسقين مثل ذلك، و ليس قوله: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ و تَسْوَدُّ وُجُوهُ» يجرى مجرى قوله:

«وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» (١) لأن ذاك إنما ذكر على وجه المثل، كأنه قال حال الذي يبشر بالأنثى بمنزلة حاله من اسود وجهه، لما حدث فيه من التغيير: و إن لم يسود في الحقيقة. و عرفنا عن ذلك دليل، و ليس في هذه الآية ما يدلنا على العدول عن ظاهرها.

و جواب أما في قوله: «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ» محذوف و تقديره «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» فيقال لهم «أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به، و قد يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان، كقوله: «وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا» (٢) أى يقولون ربنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرم على سؤال الاقالة. و قيل في قوله تعالى «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» (٣) معناه يقول «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» و مثله «وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ» (٤) أى يقولون «سلام عليكم» و نظائر ذلك كثيرة جداً.

(١) سورة النحل آية: ٦٨.

(٢) سورة الم السجدة آية: ١٢.

(٣) سورة البقرة آية: ١٢٧.

(٤) سورة الرعد آية: ٢٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٣

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٧] ص: ٥٥٣

وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)

إن قيل: لم ذكر تعالى حال الكافرين و حال المؤمنين و لم يذكر حال الفاسقين؟

قلنا: ليقابل اسوداد الوجوه لابيضاض الوجوه بالعلامتين، و حال الفاسقين موقوفة على دلالة أخرى و آية أخرى. و قوله: «فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ» قيل في معناه قولان:

أحدهما - أنهم في ثواب الله و ان الرحمة هي الثواب.

و الثاني - أنهم في ثواب رحمة الله، فحذف، كما قال: (وَ سِئَلِ الْقُرْآنَةَ) «١» ذكره الزجاج. و الاول أجود، لأن الرحمة هاهنا هي الثواب

و إذا صح حمل الكلام على ظاهره من غير حذف كان أولى من تقدير محذوف منه من غير ضرورة. والآية تدل على أن ثواب الله تفضل، لأن رحمة الله إنما هي نعمته، و كل نعمه فانه يستحق بها الشكر، و كل نعمه تفضل، و لو لم تكن تفضلاً لم تكن نعمه. و قيل في وجه كونه تفضلاً قولان:

أحدهما- إنما كان تفضلاً، لأن السبب الذي هو التكليف تفضل.

و الثاني- إنه تفضل لأنه بمنزلة إيجاز الوعد في أنه تفضل مستحق، لأن المبتدئ به قد كان له أن لا يفعله، فلما فعله وجب عليه الوفاء به، لأنه لا يجوز الخلف، و هو مع ذلك تفضلاً، لأنه جر إليه تفضل، و اختار الرمانى هذا الوجه.

و إنما كرر الظرف في قوله: «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» لأمرين:

أحدهما- للتأكيد، و الثاني- للبيان عن صحة الصفتين أنهم في رحمة الله، و انهم فيها خالدون، و كل واحدة قائمة بنفسها.

(١) سورة الصافات آية: ٧.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٤

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٨] ص : ٥٥٤

إشارة

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٥٥٤

قال الفراء معنى «تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ» أى مواعظه و حججه و معنى «نتلوها» أى نقرأها عليك. و الفرق بين تلك، و هذه أن تلك إشارة إلى ما هو بعيد فجازت الإشارة بها إليه لانقضاء الآية و صلح هذه لقبها فى التلاوة، و لو كانت بعيدة لم يصلح أحدهما مكان الآخر. و انما قال «آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» فقيده (بالحق)، لأنه لما حقق الوعيد بأنه واقع لا محالة نفى عنه حال الظلم كعادة أهل الخير، ليكون الإنسان على بصيرة فى سلوك الضلالة مع الهلاك أو الهدى مع النجاة، و معنى «تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» أى معاملتى حق، و يحتمل أن يكون المراد «نتلوها» المعنى الحق، لأن معنى التلاوة حق من حيث يتعلق معتقدها بالشىء على ما هو به.

اللغة، و المعنى: ص : ٥٥٤

و الفرق بين تلوت عليه، و تلوت لديه أن عليه يدل على إقرار التلاوة، لأن معنى عليه استعلاء الشىء، فهى تنبئ عن استعلائه بالظهور للنفس، كما يظهر لها بعلو الصوت و ليس كذلك لديه، لأن معناه عنده. و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة: أن الله تعالى يريد الظلم، لأنه لو أراد ظلم بعضهم لبعض، لكان قد أراد ظلمهم و كذلك لو أراد ظلم الإنسان لغيره، لجاز أن يريد أن يظلمه هو، لأنه لا فرق بينهما فى القبح، و يدل أيضاً على أنه لا يفعل ظلمهم، لأنه لا يفعل ما لا يريد. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٥
و قوله: «وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ» فيه نفى لإرادة ظلمهم على كل حال بخلاف ما يقولونه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٠٩] ص : ٥٥٥

إشارة

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)
آية.

النظم: ص : ٥٥٥

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها، وجه اتصال الدليل بالمدلول عليه، لأنه لما قال: «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ» وصله بذكر غناه عن الظلم إذ الغنى عنه العالم بقبحه، ومعناه لا يجوز وقوعه منه.

المعنى: ص : ٥٥٥

وقوله: «وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» لا يدل على أن الأمور كانت ذاهبة عنه، لأمرين: أحدهما- لأنها بمنزلة الذاهبة بهلاكها وفنائها ثم إعادتها، لأنه تعالى يعيدها للجزاء على الاعمال والعوض على الآلام. والثاني- لأنه قد ملك العباد كثيراً من التدبير في الدنيا فيزول جميع ذلك في الآخرة ويرجع إليه كله. وقوله: «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» هو ما له أن يتصرف فيه. ولا يجوز أن يقول مكان ذلك ولله خلق ما في السماوات، لأن ذلك يدخل فيه معاصي العباد، والله تعالى منزه عنها والآية خرجت مخرج التعظيم لله تعالى، وذكر عظيم المدح. وفي وقوع المظهر بموقع المضمرة في قوله: «وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» فيه قولان: التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٦ أحدهما- ليكون كل واحد من الكلامين مكتفياً بنفسه. والثاني- لأن المظهر في اسم الله تعالى أفخم في الذكر من المضمرة و صفة ملكه موضع تفخيم، وليس كقول الشاعر «١» لا أرى الموت يسبق الموت شيء لغص الموت ذا الغنى والفقير «٢» لأن البيت مفتقر إلى الضمير والآية مستغنية عنه وإنما احتاج البيت إليه، لأن الخبر الذي هو جملة لا يتصل بالمخبر عنه إلا بضمير يعود إليه. (و ما) تقع على ما يعقل و ما لا يعقل إذا ذهب به مذهب الجنس، فما يعقل داخل فيه حقيقة و لو قال بدلاً منه و لله من في السماوات بلفظة (من) لما دخل فيه إلا العقلاء أو الكل على جهة التغليب دون الحقيقة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٠] ص : ٥٥٦

إشارة

كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)
آية واحدة.

النظم: ص : ٥٥٦

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال المدح على الفعل الذي تقدم به الأمر، لأنه قد تقدم إيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر

ثم مدح على قبوله و التمسك به، و يجوز أيضاً أن يكون اتصال التعظيم لله تعالى بمدح المطيعين له في الأشياء التي بينت، لأنهم بلطف الله تعالى أطاعوا.

(١) هو عدى بن زيد. وقيل انه ينسب الى ولده سواده بن عدى. و نسبه بعضهم لاميه بن أبى الصلت.

(٢) حماسه البحرى: ٩٨ و شعراء الجاهلية: ٤٦٨، و سيبويه ١: ٣٠ و خزانه الأدب ١: ١٨٣، ٣: ٥٣٤، ٤: ٥٥٢ و أمالى بن الشجرى ١: ٢٤٣، ٢٨٨ و شرح شواهد المغنى: ٢٩ و هو من أبيات متفرقة في هذه الكتب و غيرها من الحكم في التأمل في الحياة و الموت. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٧

المعنى: ص: ٥٥٧

وقوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» إنما لم يقل أنتم لأحد أمور:

أحدها- قال الحسن أن ذلك لما قد كان في الكتب المتقدمة ما يسمع من الخير في هذه الأمة من جهة البشارة. و قال نحن آخرها و أكرمها على الله. و كذلك

روى عن النبي (ص) أنه قال «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها و أكرمها على الله» فهو موافق لمعنى أنتم خير أمة

إلا أنه ذكر «كنتم» لتقدم البشارة به، و يكون التقدير «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» في الكتب الماضية فحققوا ذلك بالافعال الجميلة.

الثاني- أن كان زائده و دخولها و خروجها بمعنى، إلا أن فيها تأكيد وقوع الأمر لا محالة، لأنه بمنزلة ما قد كان في الحقيقة، كما قال «وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» (١) و في موضع آخر «وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ» (٢) و نظيره قوله: «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» لأن مغفرته المستأنفة كالماضية في تحقيق الوقوع لا محالة.

الثالث- أن (كان) تامه هاهنا و معناه حدثتم خير أمة و يكون خير أمة نصباً على الحال.

والرابع- «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» في اللوح المحفوظ.

والخامس- كنتم مذ أنتم ليدل على أنهم كذلك مذ أول أمرهم. و اختلف المفسرون في المعنى بقوله: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» فقال قوم: هم الذين هاجروا مع النبي (ص) ذكره ابن عباس، و عمر بن الخطاب، و السدى. و قال عكرمة: نزلت في ابن مسعود، و سالم مولى أبى حذيفة و أبى بن كعب، و معاذ بن جبل. و قال الضحاك: هم أصحاب رسول الله (ص) خاصة. و قال مجاهد معناه «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» إذا فعلتم، ما تضمنته الآية من الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر.

و الايمان بالله و العمل بما أوجبه. و قال الربيع: معناه «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»، لأنه لم

(١) سورة الانفال آية: ٢٦. [.....]

(٢) سورة الاعراف آية: ٨٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٨

يكن أمة أكثر استجابته في الإسلام، من هذه الأمة. فان قيل: لم قيل للحسن معروف مع أن القبيح أيضاً يعرف أنه قبيح، و لا يجوز أن يطلق عليه اسم معروف؟ قلنا: لأن القبيح بمنزلة ما لا يعرف لخموله و سقوطه. و الحسن بمنزلة النبيه الذي يعرف بجلالته و علو قدره. و يعرف أيضاً بالملاسة الظاهرة و المشاهدة فأما القبيح، فلا يستحق هذه المنزلة. و قوله: (وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) معناه لو صدقوا بالنبي (ص) و قوله: «منهم المؤمنون» يعنى معترفون بما دلت عليه كتبهم في صفه نبينا (ص)، و البشارة به. و قيل: إنها تناولت من آمن منهم كعبد الله بن سلام، و أخيه، و غيرهما. و قوله: (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) يعنى من لم يؤمن منهم، و إنما وصفهم

بالفسق دون الكفر الذي هو أعظم، لأن الغرض الاشعار بأنهم خرجوا بالفسق عما يوجه كتابهم من الإقرار بالحق في نبوة النبي (ص). وأصل الفسق الخروج. ووجه آخر وهو أنهم في الكفار بمنزلة الفساق في العصاة بخروجهم إلى الحال الفاحشة التي هي أشنع وأفظع من حال من لم يقدم إليه ذكر فيه، وليس في الآية ما يدل على أن الإجماع حجة على ما بيناه في أصول الفقه. و تلخيص الشافى، و جملته أن هذا الخطاب لا يجوز أن يكون المراد به جميع الأمة، لأن أكثرها بخلاف هذه الصفة بل فيها من يأمر بالمنكر و ينهى عن المعروف. و متى كان المراد بها بعض الأمة، فنحن نقول ان في الامة من هذه صفته، و هو من دل الدليل على عصمته، فمن أين لو أنا، فرضنا فقدهم، لكان إجماعهم حجة و استوفينا هناك ما تقتضيه الأسئلة و الجوابات، فلا نطول بذكره ها هنا.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١١] ص : ٥٥٨

إشارة

لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ (١١١)
آية.

النظم: ص : ٥٥٨

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها اتصال البشارة بالغلبة بما تقدم من الامر التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٥٩ بالمحاربة، لأنه قد تقدم الأمر بإنكار المنكر، فالفريضة اللازمة إذ لم تترك إلا بالمحاربة.

المعنى، و الاعراب: ص : ٥٥٩

و الأذى المذكور في الآية هو أن يسمعوا منهم كذباً على الله يدعونهم به إلى الضلالة في قول الحسن، و قتادة يقول أهل الحجاز آذيتنى إذا أسمعته كلاماً يثقل عليه. و قال البلخى، و الطبرى الاستثناء منقطع ها هنا، لأن الأذى ليس من الضرر في شيء، و هذا ليس بصحيح، لأنه إذا أمكن حمله على الاستثناء الحقيقى لم يجز حمله على المنقطع. و المعنى في الآية لن يضروكم إلا- ضرراً يسيراً، فالأذى وقع موقع المصدر الأول. و إذا كان الأذى ضرراً فالاستثناء متصل. و المنقطع لا يكون فيه الثانى مخصصاً للأول، كقولك ما فى الدار أحد إلا حماراً، و كقولك ما زاد إلا ما نقص و ما نفع إلا ما ضر. و قوله: «وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ» جزم، لأنه شرط «و يولوكم» جزم لأنه جزء. و قوله: «ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ» رفع على الاستئناف، و لم يعطف ليجرى الثانى على مثال الأول، لأن سبب التولية القتال. و ليس كذلك منع النصر، لأن سببه الكفر. و الرفع أشكل براءوس الآى المتقدمة، و هو مع ذلك عطف جملة على جملة و فى الآية دلالة على النبوة، لوقوع مخبرها على ما تضمنته قبل وقوع مخبرها، لأن يهود المدينة من بنى قريظة و بنى النضير، و بنى قينقاع و يهود خيبر الذين حاربوه (ص) و المسلمين ما قاتلوهم قط إلا ولوا الأدبار منهزمين.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٢] ص : ٥٥٩

إشارة

ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيَّنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَ بَأُوْ بَعْضِ مِنَ اللَّهِ وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٠

آية بلا خلاف.

المعنى، واللغة، والاعراب: ص : ٥٦٠

قال الحسن: المعنى بقوله: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ» اليهود أذلهم الله عز وجل، فلا- عز لهم ولا- منعة، وأدركتهم هذه الأمة. وإن المجوس لتجيبهم الجزية «و ضربت» مأخوذ من الضرب، وإنما قيل ضربت، لأنها ثبتت عليهم كما ثبتت بالضرب كما أخذت منه الضريبة، لأنها ثبتت على صاحبها كما ثبتت الضرب. وقوله: «أَيُّنَمَا تُقْفُوا» أى أينما وجدوا، يقال: ثقفته أى وجدته، ولقيته. فان قيل: كيف جاز عقابهم على ما لم يفعلوه من قتل الأنبياء. وإنما فعله أسلافهم دونهم. قلنا:

عنه جوابان:

أحدهما- أنهم عوقبوا على رضاهم بذلك. وأجرى عليهم صفة القتل لعظم الجرم فى رضاهم به، فكأنهم، فعلوه على نحو «يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ» وإنما أمر به.

والثانى- أن تكون الصفة تعم الجميع، فيدخلوا فى الجملة و يجرى عليهم الوصف على التغليب كما يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتماعا، فكذلك غلب القاتل على الراضى. وقوله: «إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ» فالحبل هو العهد من الله، وعهد من من الناس على وجه الذمة، وغيرها من وجوه الأمان فى قول ابن عباس، والحسن ومجاهد، وقنادة، والسدى، والربيع. وسمى العهد حبلًا، لأنه يعقد به الأمان كما يعقد بالحبل من حيث يلزم به الشىء كما يلزم بالحبل. وقال الأعشى:

فإذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى اليك حبالها (١)

والعامل فى الباء من قوله «إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ» يحتمل أن يكون العامل محذوفًا والمعنى إلا أن تعتصموا بحبل من الله على قول الفراء و أنشد:

(١) ديوانه: ٢٤ رقم القصيدة ٣ انظر ٢: ٥٤٥ من هذا الكتاب فثم تخريج البيت.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦١

رأتنى بحبليها فصدت مخافةً و فى الحبل روعاء الفؤاد فروق (١)

أراد رأتنى أقبلت بحبليها فحذف العامل فى الباء و قال آخر: (٢)

قريب الخطو يحسب من رآنى و لست مقيداً أنى بقيد (٣)

قال الرماني، على بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين:

أحدهما- حذف الموصول و ذلك لا يجوز عند البصريين فى شىء من الكلام لأنه إذا احتاج إلى صلة تبين عنه فالحاجة إلى البيان عنه بذكره أشد. وإنما يجوز حذف الشىء للاستغناء بدلالة غيره عليه، فلو دل دليل عليه لحذف مع صلته، لأنه معها بمنزلة شىء واحد. والوجه الآخر أن الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف. وقوله «إلا بحبل» قيل فى هذا الاستثناء قولان:

أحدهما- أنه منقطع، لأن الدلالة لازمة لهم على كل حال، فيجرى مجرى قوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً»

فاعمال الاعراب موجود والمعنى على الانقطاع. ومثله «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا» (٥)

(١) قاله حميد بن ثور الهلالي ديوانه: ٣٥، و معانى القرآن للفراء ١: ٢٣٠، و اللسان (تسع)، (فرق)، (حبل) و رواية الديوان:

فجئت بحليلها فردت مخافة الى النفس روعاء الجنان فروق

و رواية اللسان مختلفة ففي مادة (حبل) مثل التبيان و في مادة (فوق):

رأتني مجليها فصدت مخافة و في الخيل روعاء الفؤاد فروق

و في مادة (نسع):

رأتني بنسعيها فردت مخافتى الى الصدر روعاء الفؤاد فروق

(٢) هو أبو الطمحان القيني، حنظلة بن الشرقي من بنى كنانة بن القين و هو أحد المعمرين. و قيل انه لعدى بن زيد. و قيل للمسحاج بن سباع الضبي.

(٣) كتاب المعمرين: ٥٧ و معاني القرآن للفراء ١: ٢٣٠، و الاغانى طبعة دار الثقافة- بيروت- ٢: ٣١٣، ٣١، و طبعة ليدن ١٢: ٣٤٧ و

حماسة البحتري: ٢٠٢ و امالي القالي ١: ١١٠ و أمالي الشريف المرتضى ١: ٤٦، ٢٥٧ و اللسان (ختل) و غيرها كثير.

(٤) سورة النساء آية: ٩١.

(٥) سورة الواقعة آية: ٢٥. و كان في المطبوعة (لا يسمعون فيها لغواً الا قليلاً سلاماً) و الآيات التي يحتمل أن يستشهد بها الشيخ اثنتان

الاولى هي التي أثبتناها، و الثانية في سورة مريم آية: ٦٢ و هي (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا). و لا يوجد في القرآن آية مطابقة لما

في المطبوعة الا بزيادة أو نقيصة.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٢

و كل انقطاع فيه فإنما هو لازالة الإيهام الذي يليق الكلام فقوله: «لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا» قد يتوهم أنه من حيث لا يسمعون فيها

كلاماً، فقيل لذلك (إلا- قليلاً سلاماً) و كذلك «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا» قد يتوهم أنه لا يقتل مؤمن مؤمناً على وجه، فقيل

لذلك (إلا خطأ). و كذلك «ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ» قد يتوهم أنه من غير جواز موادعه، فقيل (إلا بحبل من الله).

الثاني- أن الاستثناء متصل، لأن عز المسلمين عز لهم بالذمة، و هذا لا يخرجهم من الذلة في أنفسهم. و قوله: «وَبَأْوُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أى

رجعوا بغضب الله الذي هو عقابه و لعنه. و قوله: «وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ» قيل أريد بالمسكنة الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلاً

فسمى الذليل مسكيناً. و قيل، لأن اليهود أبدأ يتفارقون و ان كانوا أغنياء لما رماهم الله به من الذلة. و قد بينا فيما تقدم أن قوله:

«وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ» «١» لا يدل على أن قتلهم يكون بحق و إنما المراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، كما قال «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ

اللَّهِ إِلَهَا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» و المراد ان ذلك لا يكون إلا بغير برهان و كقول امرئ القيس:

على لا حب لا يهتدى بمناره «٢»

و معناه لا منار هناك فيهتدى به و قوله: «يعتدون» قد بينا فيما تقدم معنى الاعتداء و هو أن معناه تجاوز الحد مأخوذ من العدوان.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٣] ص: ٥٦٢

إشارة

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)

آية.

(١) سورة آل عمران آية: ٢١ و سورة البقرة آية: ٦١ و لكن هناك في الآيتين (النيبين) و في هذه الآية (الأنبياء).

(٢) انظر ٢: ٣٥٦.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٣

النزول: ص: ٥٦٣

قال ابن عباس، و قتادة، و ابن جريج سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام و جماعة معه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فأنزل الله تعالى «لَيْسُوا سَوَاءً» إلى قوله: «وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ».

اللغة، و الاعراب، و المعنى: ص: ٥٦٣

فان قيل لم ذكر مع سواء أحد الفريقين دون الآخر، و لا يجوز مثله أن يقول سواء على قيامك حتى يقول أم قعودك قلنا عنه جوابان: أحدهما- أنه محذوف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه، كما قال أبو ذؤيب:

عصاني إليها القلب إنى لأمرها مطيع فما أدري أرشد طلابها؟

و لم يقل أم غي، لأن الكلام يدل عليه، لأنه كان يهواها فما يبالي أرشد أم غي طلابها. و قال آخر:

أراك فلا أدري أهم همته و ذو لهم قدماً خاشع متضائل

و لم يقل أم غيره، لأن حاله في التغير ينبئ أن الهم غيره مما يجرى مجراه، و هذا قول الفراء، و ضعفه الزجاج، و قال، ليس بنا حاجة إلى تقدير محذوف، لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى في قوله: «يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَكْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ» فتبين أن فيهم غير المؤمنين، فلا يحتاج أن يقدر و أمه غير قائمة.

الثاني- أن يكون ليسوا سواء منهم الجواد، و الشجاع، فعلى القول الأول يكون رفع أمه على معنى الفعل، و تقديره لا يستوى أمه هادية و أمه ضالئة. و على القول الثاني يكون رفعها بالابتداء. و قال الطبري لا يجوز الاقتصار في سواء على أحد الذكرين دون الآخر. و إنما يجوز في ما أدري و ما أبالي. قال الرماني: و هذا غلط، لأنه ذهب عليه الفرق بين الاقتصار و الحذف لأن الحذف لا بد فيه من خلف يقوم مقامه. و الاقتصار ليس كذلك، لأنه كالاقتصار على أحد المفعولين التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٤ في أعطيت، و حذفه في حسبت مرتجلا- أي لنا. و الخلف فيه دلالة الحال، فأما أعطيت زيدا، فلا محذوف فيه، لأنه ليس معه خلف يقوم مقامه.

و قوله: «قائمة» فيه أربعة أقوال: قال الحسن و ابن جريج معناه عادلة.

و قال ابن عباس، و قتادة، و الربيع: معناه ثابتة على أمر الله. و قال السدي معناه قائمة بطاعة الله و قال الأخفش، و الزجاج: معناه ذو أمه مستقيمة، و هذا ضعيف لأنه عدول عن الظاهر في أمه و الحذف لا دلالة عليه. و قوله: «أناء الليل» قيل في واحده قولان: أحدهما- أنى مثل نجى.

و الثاني- انى مثل معى. و حكى الأخفش أنو، و الجمع أناء. قال الشاعر:

حلو و مر كعطف القدر مرتبه بكل انى حداه الليل ينتعل «١»

و روى ينتشر. و قال الحسن، و الربيع، و عبد الله بن كثير معناه ساعات الليل. و قال ابن مسعود يريد صلاة العتمة، لأن أهل الكتاب لا يعلمونها، و قال الثوري عن منصور هو الصلاة بين المغرب و العشاء. و قال السدي يعنى جوف الليل. و قوله: «وَهُمْ يَسْجُدُونَ» فيه قولان:

أحدهما- السجود المعروف في الصلاة.

الثاني- قال الفراء، و الزجاج معناه يصلون. و به قال البلخي، و غيره، لأن القراءة لا تكون في السجود، و لا في الركوع، و هذا ترك

لظاهر، و عدول عنه.

و معنى الآية يتلون آيات الله أناء الليل و هم مع ذلك يسجدون، فليست الواو حالا و إنما هي عطف جملة على جملة، و الضمير في قوله (ليسوا) عائد على أهل الكتاب، لتقدم ذكرهم، و قال أبو عبيدة هو على لغة أكلوني البراغيث، و مثله قوله:

(١) قائله المنخل الهذلي و قد نسبه بعضهم الى المنخل السعدي.

ديوان الهذليين ٢: ٣٥ و مجاز القرآن ١: ١٠٢ و سيرة بن هشام ٢: ٢٠٦ و رواية اللسان (اني) و الازهرى عن ابن الانبارى:

السالك الثغر مخشياً موارد به كل انى قضا الليل يتعل

و فى الديوان (حذاه) بدل (حذاه) فقط.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٥

«عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ» (١) و قال الشاعر:

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فاعرضن عنى بالحدود النواضر (٢)

قال الرماني، و هذا غلط، لأن هذه اللغة رديئة فى القياس و الاستعمال أما القياس، فلان الجمع عارض، و العارض لا يؤكد علامته، لأنه بمنزلة ما لا يعتد به، فى سائر أبواب العريية و ليس كالثابت للزومه فتقدم له العلامة لتؤذن به قبل ذكره و مع ذلك فجاز تركها فيه، فكيف بالعارض، و لزوم الفعل للفاعل يغنى عن التثنية و الجمع فيه، فلا يدخل جمع على جمع كما لا يدخل تعريف على تعريف. و أما الاستعمال، فلان أكثر العرب على خلافه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٤] ص: ٥٦٥

إشارة

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)
آية واحدة.

المعنى: ص: ٥٦٥

هذه الآية فيها صفة الذين ذكرهم فى الآية التى قبلها فى قوله: «أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ» فأضاف إلى ذلك أنهم مع ذلك يصدقون بالله و اليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و قد بينا أن الامر بالمعروف و النهى عن المنكر واجب، و أنه ليس طريق وجوبهما العقل، و إنما طريق وجوبهما السمع، و عليه إجماع الأمة. و إنما الواجب بالعقل كراهة المنكر، فقط غير أنه إذا ثبت بالسمع وجوبه، فعلينا إزالة المنكر بما يقدر عليه من الأمور الحسنه دون القبيحة، لأنه لا يجوز إزالة قبيح بقبيح آخر، و ليس لنا أن نترك أحداً

(١) سورة المائدة آية: ٧٤.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ١: ٣٩٩ و غيرها من كتب النحو كثير.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٦

يعمل بالمعاصى إذا أمكننا منعه منها سواء كانت المعصية من أفعال القلوب مثل اظهار المذاهب الفاسدة أو من أفعال الجوارح، ثم

ننظر، فان أمكننا إزالته بالقول، فلا نزيد عليه، و ان لم يمكن إلا بالمنع من غير إضرار لم نزد عليه، فان لم يتم إلا بالدفع بالحرب، فعلناه على ما بيناه فيما تقدم، و ان كان عند أكثر أصحابنا هذا الجنس موقوف على السلطان أو اذنه في ذلك. و انكار المذاهب الفاسدة، لا يكون إلا باقامة الحجج و البراهين و الدعاء إلى الحق، و كذلك إنكار أهل الذمة فأما الإنكار باليد، فمقصود على من يفعل شيئاً من معاصي الجوارح، أو يكون باغياً على إمام الحق، فانه يجب علينا قتاله و دفعه حتى يفىء إلى الحق، و سبيلهم سبيل أهل الحرب، فان الإنكار عليهم باليد و القتال حتى يرجعوا إلى الإسلام أو يدخلوا في الذمة. و قوله: «وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» يحتمل أمرين: أحدهما- أنهم يبادرون إليها خوف القوات بالموت.

و الثاني- يعملونها غير متناقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها، و حسن عاقبتها.

اللغة: ص : ٥٦٦

و الفرق بين السرعة و العجلة ان السرعة هي التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه و هي محمودة و ضدها الإبطاء و هو مذموم. و العجلة هي التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه و هي مذمومة و ضدها الاناثة و هي محمودة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٥] ص : ٥٦٦

إشارة

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)
آية بلا خلاف.

القراءة و الحجة و الاعراب: ص : ٥٦٦

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيهما. الباقون بالتاء إلا أبا عمرو، فانه التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٧
كان يخير، و وجه القراءة بالياء أن يكون كناية عن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة، و وجه التاء أن يخلطهم بغيرهم من المكلفين، و يكون خطاباً للجميع في أن حكمهم واحد.
و إنما جوزى ب (ما) و لم يجاز ب (كيف) لأن (ما) أمكن من (كيف) لأنها تكون معرفة و نكرة، لأنها للجنس و (كيف) لا تكون إلا نكرة، لأنها للحال، و الحال لا تكون إلا نكرة، لأنها للفائدة.

اللغة و المعنى: ص : ٥٦٧

و قوله: «فَلَنْ يُكْفَرُوهُ» مجاز كما أن الصفة لله بأنه شاكر مجاز. و حقيقته أنه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة، فلما استعير للثواب الشكر و استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر، لأن الشكر في الأصل هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم، و الكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها. و معنى الآية فلن يمنعوا ثوابه، و سمي منع الجزاء كفراً، لأنه بمنزلة الجحد له بستره، لأن أصل الكفر الستر، و لذلك قيل لجاحد نعم الله و من جرى مجراه في الامتناع من القيام بحقها: كافر، فالكافر هو المضيع لحق نعمة الله بما يجرى مجرى الجحود.

و قوله: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» إنما خص المتقين بالذكر، لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين، فدل على أنه لا يضيع شيء من عملهم،

لأن المجازى به عليهم، و أنهم أمرهم أمر الفجار تعويلاً على ما ذكره في غيرها من أى الوعيد.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٦] ص : ٥٦٧

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦)

المعنى: ص : ٥٦٧

لما ذكر تعالى أن عمل المتقين لن يضيع، و أنهم يجازون به، استأنف حكم التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٨ الكافرين، و بين انه «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ» شيئاً من الله و إنما خص الأموال، و الأولاد بالذكر فى أنهم لا يغنون عن الكافر شيئاً و إن كان لا يغنى عنهم غير هؤلاء أيضاً شيئاً، لأنهما معتمد ما يقع به الاعتداد، و مما يعول عليه الإنسان و يرجوه للشدائد و يفيد النفى العام، لأنه إذا لم يغن عنه من هو حقيق بالغناء لمنع من لا يعجزه شىء فغناء من دونه أبعد.

اللغة: ص : ٥٦٨

و قوله: «و أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» إنما سموا أصحاب النار، للزومهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها، و قد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكه و أصحاب الرجل أتباعه و أعوانه و أصحاب العالم من يعنى به الآخذون عنه، و المتعلمون عنه، فالإضافة مختلفة. و معنى «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ» أى لن تدفع عنهم ضرر الولاء النازل بهم و لو قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشيين صار بدلا من الآخر فى نفى الحاجة، و الغنى الاختصاص بما ينفى الحاجة، فان اختص بمال ينفى الحاجة، فذلك غنى. و كذلك الغنى بالجاه و الاصحاب و غير ذلك، فأما الغنى فى صفت الله فاخصاصه بكونه قادراً على وجه لا يعجزه شىء، و قولنا فيه: أنه غنى معناه أنه لا يجوز عليه الحاجة.

و أصل النار النور، و هو مصدر. و النار جنس تجرى مجرى الوصف فى تضمنه معنى الأصل و زيادة عليه، لأنها جسم لطيف فيه حرارة و نور. و منه امرأة نوار أى نافرة عن الشر عفيفة، لأنها كالنار فى الامتناع. و منه المنار الاعلام، لأنها كالنور فى البيان. و منه المنارة التى يسرج عليها.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٧] ص : ٥٦٨

إشارة

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٦٩

آية.

النزول: ص : ٥٦٩

قيل ان هذه الآية نزلت في أبي سفيان، و أصحابه يوم بدر، لما تظاهروا على النبي (ص) في الإنفاق. وقيل بل نزلت في نفقة المنافقين مع المؤمنين في حروب المشركين على وجه النفاق للمؤمنين.

المعنى: ص : ٥٦٩

و المثل الشبه الذى يصير كالعلم لكثرة استعماله فيما مشبه به، فلما كان إنفاق المنافق و الكافر ضائعاً، و يستحق عليه العقاب و الذم أشبه الحرث المهلك، فلذلك ضرب به المثل. و فى الآية حذف، و تقديرها مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم»
فحذف الإهلاك لدلالة آخر الكلام عليه و فيه تقدير آخر: مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح، فيكون تشبيه ذلك الإنفاق بالمهلك من الحرث بالرياح.

اللغة: ص : ٥٦٩

و الريح جمعه رياح و منه الروح، لدخول الريح الطيبة على النفس، و كذلك الارتياح. و التروح الراحة من التعب، لأنه بمنزلة الروح الذى يدخل على النفس بزوال التعب. و منه الاستراحة، و المراوحة، لأنها تجلب الريح. و منه الروح، لأنها كالريح فى اللطافة و منه الرائحة، لأن الريح تحملها إلى الحس، و منه الرواح، لأنه رجوع كالريح، للاستراحة.
و قوله: «فيها صر» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن زيد، و الضحاك: هو البرد و أصله الصوت من الصرير. قال الزجاج: الصر صوت لهب النار التى كانت فى تلك الريح و يجوز أن يكون الصر صوت الريح الباردة التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٠
الشديدة، و ذلك من صفات الشمال، فإنها توصف بان لها قعقة.

المعنى: ص : ٥٧٠

و قوله: ما ظلمهم الله»
نفى للظلم عن الله تعالى يعنى فى نفى استحقاقهم للشواب، و استحقاقهم للعقاب، و إن ذلك ليس بظلم منه تعالى لكن أنفسهم يظلمون»
بذلك. و إنما وصفهم بأنهم ظلموا أنفسهم، لأمرين:
أحدهما- أن ظلمهم اقتضى هلاك حرثهم عقوبة لهم، لأنه لو هلك على جهة الابتلاء و المحنة لم يعتد بعاجل المضرة، للعوض الموفى عليه فى العاقبة.
الثانى- أن يكونوا ظلموا أنفسهم بأن زرعوا فى غير موضع الزرع أو فى غير وقت الزراعة، فجاءت الريح فأهلكته تأديباً من الله لهم فى وضع الشىء غير موضعه الذى هو حقه.

و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٨] ص : ٥٧٠

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَشْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)
آية بلا خلاف.

المعنى: ص : ٥٧٠

ذكر ابن عباس، والحسن: أن قوماً من المؤمنين خافوا بعض المشركين من اليهود، و المنافقين المودة لما كان بينهم في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك بهذه الآية. و البطانة معناها هاهنا خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره و يسمون دخلاء أى لا تجعلوا من هذه صفته من غير المؤمنين.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧١

اللغة، و الاعراب: ص : ٥٧١

و البطن خلاف الظهر، فمنه بطانة الثوب خلاف ظهارته، لأنها تلى بطنه. و بطانة الرجل خاصته، لأنها بمنزلة ما يلى بطنه من ثيابه فى القرب منه، و منه البطنة و هو امتلاء البطن بالطعام. و البطن حزام البعير، لأنه يلى بطنه.

و قوله «من دونكم» (من) تحتل و جهين:

أحدهما- أن تكون دخلت للتبعيض، و التقدير لا تتخذوا بعض المخالفين فى الدين بطانة.

و الثانى- أن يكون دخولها لتبين الصفة كأنه قيل: لا تتخذوا بطانة من المشركين. و هو أعم و أولى، لأنه لا يجوز أن يتخذ مؤمن كافراً بطانة على حال و قال بعضهم إن (من) زائدة، و هذا ليس بجيد، لأنه لا يجوز أن يحكم بالزيادة مع صحة حملها على الفائدة. و قوله: «لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا» معناه لا يقصرون فى أمركم خبالاً من قولهم ما ألوت فى الحاجة جهداً، و لا ألو الأمر أى لا أقصر جهداً. و قال الشاعر:

جهراء لا تألو إذا هى أظهرت بصراً و لا من عيلة تغينى (١)

أى لا تقصر بصراً و لا تبصر، لأنها جهراء تطلب ذلك، فلا تجده.

و منه الالية اليمين. و منه قوله: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» (٢) معناه لا يقصر، و قيل لا يحلف. و الأصل التقصير و الخبال معناه النكال. و أصله الفساد يقال فى قوائمه خبل، و خبال أى فساد من جهة الاضطراب. و منه الخبل الجنون، لأنه فساد العقل، و رجل مخبل الرأى أى فاسد الرأى. و منه الاستخبال طلب إعادة المال لفساد الزمان.

(١) قائله أبو العيال الهذلى. ديوان الهذليين ٢: ٢٦٣، و اللسان (أ لا-) و (جهر) و هو من شعر فى مقرضات بينه و بين بدر بن عامر الهذلى الجهراء: هى التى لا تبصر فى الشمس.

(٢) سورة النور آية: ٢٢. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٢

المعنى: ص : ٥٧٢

وقوله: «ودوا» معناه أحبوا «ما عنتم» معناه إدخال المشقة عليكم.
وقال السدي: معناه «ودوا» ضلالكم عن دينكم، لأن الحمل بالضلال مشقة.
وقيل معناه «ودوا» أن يفتنوكم في دينكم أى يحملونكم على المشقة ذكره ابن جريج.

اللغة: ص : ٥٧٢

وأصل العنت المشقة: عنت الرجل عنتاً إذا دخلت عليه المشقة. ومنه أكمه عنوت أى صعبه المسلك لمشقة السلوك فيها. و فلان يعنت فلاناً أى يحمله على المشقة الشديدة فى ما يطالبه به. ومنه قوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَتَكُمْ» (١).

الاعراب، والمعنى: ص : ٥٧٢

وموضع ودوا يحتمل أن يكون نصباً لأنه صفة لبطانه و يجوز أن يكون له موضع من الاعراب، لأنه استئناف جملة. وقوله: «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» أى ظهر منها ما يدل على البغض «وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» يعنى العلامات «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» يعنى موضع نفعه لكم و مبلغ عائدته عليكم. وقيل: معناه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» الفصل بين ما يستحقه الولي و العدو.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١١٩] ص : ٥٧٢

إشارة

هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنَّا لِلَّهِ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)
آية بلا خلاف.

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٠.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٣

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص : ٥٧٣

هذا خطاب للمؤمنين أعلمهم الله تعالى أن منافق أهل الكتاب لا يحبونهم و أنهم هم يصحبون هؤلاء المنافقين بالبر و النصيحة، كما يفعل المحب، و إن المنافقين على ضد ذلك، فأعلمهم الله ما يسره المنافقون فى باطنهم، و ذلك من آيات النبى (ص) قال الفراء: العرب إذا جاءت إلى اسم مكنى قد وصف بهذا، و هذان، و هؤلاء، فرقوا بين (ها) و بين (ذا) فجعلوا المكنى منهما فى جهة التقريب، لا غير يقولون:

أين أنت، فيقول القائل: هانذا، و لا- يكادون يقولون ها أنا. و مثله فى التثنية و الجمع. و مثله قوله: «ها أنتم أولاءٍ تُحِبُّونَهُمْ» و ربما أعادوها فوصلوها بذا، و هذان و هؤلاء، فيقولون ها أنت هذا قائما، و ها أنتم هؤلاء. قال الله تعالى: «ها أنتم هؤلاءٍ جادلتم»

«١» فان كان الكلام على غير تقريب أو كان على خبر يكتفى كل واحد منهما بصاحبه بلا فعل، و التقريب لا بد فيه من فعل لنقصانه و أحبوا أن يفرقوا بين معنى التقريب، و بين معنى الاسم الصحيح، قال الازهرى: يحتمل أولاً أن يكون منادى كأنه قال يا أولاء. و قال

نحاة البصريين (ها) للتنبيه. و أنتم مبتدأ و أولاء خبره و يحبونهم حال. و قال الفراء: يحبونهم خبر.

و قال الزجاج: يجوز أن يكون أولاء بمعنى الذين و يحبونهم صلة و يكون التقدير الذين يحبونهم. و يجوز أن يكون حالا بمعنى «ها أنتم أولاء» محبين لهم. و يكون «أنتم» مبتدأ و أولاء خبره. و يحبونهم حالا- و المعنى انظروا إلى أنفسكم محبين لهم و لا- يجوز أن تقول: ها قومك أولاء، كما جاز «ها أنتم أولاء»، لأن المضمرة أحق ب (ها) التي للتنبيه، لأنه كالمبهم في عموم ما يصلح له. و ليس كذلك الظاهر.

و قال الفراء: إنما ذاك على جهة التقريب في المضمرة، و الاعتماد على غيره في الخبر. قال الحسن بن علي المغربي أولاء يعني به المنافقين، كما تقول ما أنت زيدا يحب، و لا يحبك. و هذا ملحق غير أنه يحتاج أن يقدر عامل في أولاء ينصبه، يفسره قوله:

(١) سورة النساء آية: ١٠٨.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٤

«يحبونهم» لأنه مشغول لا يعمل فيما قبله كقوله: «وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا» (١) في من نصبه و أولاء للرجال، و للنساء أولات. و هو مبني على الكسر. و كان الأصل السكون و الألف قبلها ساكنة فحرك لالتقاء الساكنين على أصل الكسرة. و قوله: «وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ» الكتاب واحد في موضع الجمع، لأنه أريد به الجنس، كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس و يحتمل أن يكون مصدراً من قولك كتبت كتاباً. و المراد بالكتاب هاهنا كتب الله التي أنزلها على أنبيائه و في إفراده ضرب من الإيجاز، و اشعار بالتفصيل في الاعتقاد، لأنهم يؤمنون بها في الجملة. و التفصيل من حيث يؤمنون بما أنزل على إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمد (ص) و سائر الأنبياء. و قوله: «وَإِذَا لَقَوُكُمْ قَالُوا آمَنَّا» معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا «و إذا خلوا» مع أنفسهم «عَصُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ» فالعض بالأسنان. و منه العض علف الأمصار، لأن له مضغاً في العض يسمن عليها المال. و منه رجل عض: لزاز الخصم، لأنه يعض بالخصومة. و كذلك رجل عض فحاش، لأنه يعض بالفحش و الأنامل أطراف الأصابع في قول قتادة، و الربيع، و أصلها النمل المعروف، فهو مشبه به في الرقة، و التصرف بالحركة. و منه رجل نمل أي نام، لأنه ينقل الأحاديث الكرهة كنقل النملة في الخفاء و الكثرة. و واحد الأنامل أنملة. قال الزجاج و لم يأت على هذا المثال ما يعني به الواحد إلا شذ، فأما الجمع، فكثير نحو أفلس و أكلب و قوله: «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» معناه الامر بالدعاء عليهم. و إن كان لفظه لفظ الأمر، كأنه قال قل: أما تكمل الله بغيطكم و فيه معنى الدم لهم، لأنه لا يجوز أن يدعا عليهم هذا الدعاء إلا و قد استحقوقه بقبيح ما أتوه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٠] ص: ٥٧٤

إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصَبِّحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)

(١) سورة يس آية: ٣٩.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٥

آية بلا خلاف.

قرأ عمرو، و نافع، و ابن كثير «لا يضركم» خفيفة. الباقون مشددة الراء. و هما لغتان ضاره يضيره، و ضره يضره ضراً بمعنى واحد. قوله: «إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً» حَسَنَةً فالمراد بالحسنة هاهنا ما أنعم الله عليهم به من الألفه و الغلبه باجتماع الكلمه، و المراد بالسيئه المحنة باصابه العدو منهم لاختلاف الكلمه، و ما يؤدي إليه من الفرقه هذا قول الحسن، و قتادة و الربيع و ابن جريج.

و قوله: «وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا» يعني تتقوا الله بامتناع معاصيه، و فعل طاعاته «لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ» فالكيد المكر الذي يغتال به صاحبه

من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به، وأصله المشقة تقول: رأيت فلاناً يؤكد بنفسه أى يقاسى المشقة فى سياق المنية، ومنه المكيدة لا يراد ما فيه المشقة. والمكيدة الحيلة لا يقاع ما فيه المشقة. وقوله: «لا يضركم» مبنى على الضم نحو مذ و لو فتح أو كسر لكان جائزاً فى العربية و زعم بعضهم أنه رفع على حذف الفاء بتقدير، فلا يضركم و أنشد:

فان كان لا يرضيك حتى تردنى الى قطرى لا أخالك راضيا «١»

و هذا ضعيف، لأن الحذف إنما يجوز، لضرورة الشعر و القرآن لا يحمل على ضرورة الشعر. وقوله: «إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» معناه عالم به من جميع جهاته مقتدر عليه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢١] ص: ٥٧٥

إشارة

وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) آية.

(١) قاله سوار بن المضرب السعدى التميمى. نوادر أبى زيد: ٥٤، و معانى القرآن للفراء ١: ٢٣٢، و حماسه ابن الشجرى: ٥٤، ٥٥. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٦

المعنى، و اللغة، و الاعراب: ص: ٥٧٦

قال ابن عباس، و قتادة و الربيع، و السدى، و ابن اسحق، و هو قول أبى جعفر (ع): كان غدو النبى (ص) مبوئاً للمؤمنين يوم أحد، و قال الحسن و مجاهد: كان يوم الأحزاب. النبوءة اتخاذ المواضع لصاحبه و أصلها اتخاذ منزل تسكنه، تقول بوأته منزله أبوئه تبوءه، و منه المباءات المراح، لأنه رجوع إلى المستقر المتخذ و أبأت الإبل أبيئها اباءة إذا رددتها إلى المباءة. و منه بوأت بالذنب أى رجعت به محتملاً له. و قوله: «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها أنه تهدد و المراد «سميع» لما يقول المنافقون «عليم» بما يضمرون. الثانى - «سميع» لما يقوله النبى (ص) للمؤمنين «عليم» بما يضمره تركية له (ص). الثالث - «سميع» ما يقوله المشيرون عليك «عليم» بما يضمرونه، لأنهم اختلفوا، فمنهم من أشار بالخروج، و منهم من أشار بالمقام. و فيه تركية للزاكى و تهدد للغاوى. و معنى «تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ» مثل تبوى للمؤمنين حذف اللام، كما قال «ردف لكم» «١» و يجوز ردفكم، فإذا عداه، فمعناه رتب المؤمنين على مواضعهم قدمه. و إذا لم يتعد فمعناه تتخذ لهم مواضع. و مثله قول الشاعر:

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه و العمل «٢»

و معناه من ذنب، و العامل فى (إذ) محذوف، و تقديره و اذكر إذ غدوت من أهلك فحذف لدلالة الكلام عليه و لا يجوز أن يكون العامل غدوت، لأنه مضاف إليه بمنزلة الصلة له.

(٢) معانى القرآن للفراء ١: ٢٣٣ و سيبويه ١: ١٧ و الخزانة ١: ٤٨٦ و هو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٧

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٢] ص : ٥٧٧

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)
آية.

التقدير و اذكر «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا» و قال الزجاج العامل في (إِذْ) «هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا» و المعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت.

و الطائفتان:

هما بنو سلمة و بنو حارثة حيان من الأنصار في قول ابن عباس، و جابر بن عبد الله، و الحسن و قتادة، و مجاهد، و الربيع، و السدي، و ابن إسحاق، و ابن زيد، و أبي جعفر و أبي عبد الله (ع).

و قال الجبائي: هما قوم من المهاجرين، و الأنصار.

و الفشل الجبن في قول ابن عباس تقول فشل يفشل فشلا. و الجبن ليس من فعل الإنسان و تحقيقه على هذا همت بحال الفشل إلا أنه وضع كلام موضع كلام. و ليس في الآية أن همهما بالفشل كان معصية، لأنه قد يكون من غير عزم على حال الفشل بل بحديث النفس به، و من قال كان معصية قال هي صغيرة، لقوله (وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا) و روى عن جابر بن عبد الله أنه قال فينا نزلت و ما أحب أنها لم تكن، لقوله:

«وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا» و كان سبب همهم بالفشل في قول السدي، و ابن جريج أن عبد الله ابن أبي بن سلول دعاهما إلى الرجوع إلى المدينة عن لقاء المشركين يوم أحد فهما به و لم يفعلاه. و قال أبو علي: بل كان ذلك باختلافهم في الخروج إلى العدو أو المقام حتى هموا بالفشل. و التاء مدغمة في الطاء في قوله: (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ) لأنها من مخرجها فصارت بمنزلتها مع مثلها نحو همت تفعل و مثله «وَقَالَتْ طَائِفَةٌ» (١) و يجوز أيضاً إدغام الطاء في التاء إلا أنك تبقى الاطباق نحو «أَخَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ» (٢) و الأول أحسن.

(١) سورة الأحزاب آية: ١٣.

(٢) سورة النمل آية: ٢٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٨

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٣] ص : ٥٧٨

إشارة

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)
آية.

النزول و اللغة: ص : ٥٧٨

هذه الآية نزلت في وصف ما من الله تعالى على المؤمنين من النصر و الامداد بالملائكة و ظفر المؤمنين بالمشركين مع قلة المؤمنين و

قوة المشركين. فانه روى عن ابن عباس (ره) أنه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجلا و الأنصار مائتين و ستة و ثلاثين رجلا الجميع ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا. و كان المشركون نحواً من ألف رجل.

و بدر ما بين مكة و المدينة و قال الشعبي سمي بديراً لأن هناك ماء لرجل يسمى بديراً، فسمى الموضع باسم صاحبه. و قال الواقدي عن شيوخه إنما هو اسم للموضع كما يسمى كل بلد باسم يخصه من غير أن ينقل إليه اسم صاحبه.

و قوله: «وَأَنْتُمْ أَذَلَّةٌ» جملة في موضع الحال. و الذلة الضعف عن المقاومة، و ضدها العزة، و هي القوة على الغلبة، و يقال للجمل المنقاد من غير صعوبة: ذلول لانقياده انقياد الضعيف، فأما الذليل فإنما ينقاد على مشقة. و منه تذليل الطريق، و نحوه، و هو توطئة الأصل. و فيه الضعف عن المقاومة. و قوله: «أذلة» جمع ذليل و فعيل قياسه أن يجمع على فعلاء إذا كان صفة، مثل ظريف و ظرفاء، و كريم و كرماء، و عليم و علماء، و شريك و شركاء، فجمع على أفعلة كراهية التضعيف، فعدل إلى جمع الأسماء نحو قفيز و أقرزة، فقيل ذليل و أذلة و عزيز و أعزة.

المعنى: ص : ٥٧٨

و وصفهم الله بأنهم أذلة لأنهم كانوا ضعفاء قليلي العدد قليلي العدة. و روى عن بعض السلف الصالح أنه قرأ «وَأَنْتُمْ ضَعْفَاءُ» قال و لا يجوز و وصفهم بأنهم أذلة، التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٧٩

و فيهم رسول الله (ص).

و كان صاحب رواية رسول الله (ص) يوم بدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). و صاحب رواية الأنصار سعد بن عباد. و قوله: «فَاتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه و اعملوا بطاعته. و يجوز أن يكون المراد اتقوا عقاب الله بترك المعاصي، و العمل بطاعته، لأن أصل الالتقاء هو الحجز بين الشيئين بما يمنع من وصول أحدهما إلى الآخر كما تقول اتقاه بالترس أو غيره، و وجه إدخال هذه الآية و هي متعلقة بقصة بدر بين قصة أحد أن الله تعالى وعد المؤمنين النصر يوم أحد إن صبروا و ثبتوا أن يمدهم بالملائكة كما نصرهم يوم بدر، و أمدهم بالملائكة فلما لم يصبروا و تركوا مراكزهم أصاب العدو منهم ما هو معروف.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٤] ص : ٥٧٩

إشارة

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤)

آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده منزلين بتشديد الزاي الباقون بالتخفيف. التقدير اذكروا «إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ» و فيه إخبار

أن النبي (ص) قال لقومه: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ يوم بدر بأن أمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين، ثم قال «بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَ يَأْتُواكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» يعني يوم أحد.

و قال ابن عباس، و الحسن و قتادة، و مالك بن ربيعة و غيره: ان الامداد بالملائكة كان يوم بدر. و قال ابن عباس لم يقاتل الملائكة (ع) إلا يوم بدر، و كانوا في غيره من الأيام عدة و مدداً.

و قال الحسن: كان جميعهم خمسة آلاف. و قال غيره: كانوا ثمانية آلاف.

اللغة: ص : ٥٧٩

وقوله: «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ» فالكفاية مقدار يسد به الخلة تقول: كفاه يكفيه كفاية، فهو كاف: إذا قام بالأمر، واستكفيته أمراً فكفاني، و اكتفى به اكتفاء. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٠

و كفاك هذا الأمر أى حسبك. و الفرق بين الاكتفاء و الاستغناء، أن الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفي الحاجة و الاستغناء الاتساع فيما ينفي الحاجة، فلذلك يوصف تعالى بأنه غنى بنفسه لاتساع مقدوره من حيث كان قادراً لنفسه لا يعجزه شيء.

و قوله: «أن يمدكم» فالامداد هو إعطاء الشيء حالاً- بعد حال. و المعنى فى الآية ان الله أعطاهم القوة فى أنفسهم ثم زادهم قوة بالملائكة و المد فى السير هو الاستمرار عليه. و امتد بهم السير: إذا طال، و استمر، و مددت الشيء إذا جذبته. و المد زيادة الماء تقول: مد الماء و أمد الجرح و أمددت العسكر. و المادة زيادة مستمرة، و المدة أوقات مستمرة إلى غاية. و المداد ما يكتب به. و المد مكيال مقداره ربع الصاع.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٥] ص : ٥٨٠**إشارة**

بلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) آية.

القراءة و المعنى: ص : ٥٨٠

قرأ ابن كثير، و أبو عمرو، و عاصم «مسومين» بكسر الواو. الباقون بفتحها. و القراءة بالكسر أقوى، لأن الأخبار وردت بأنهم سوموا خيلهم بعلامة جعلوها عليها. و قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و مجاهد، و الضحاك: كانوا علموا بالصوف فى نواصى الخيل و أذناها. و روى هشام عن عروة قال: نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق و عليهم عمائم صفر. قال السدى، و غيره من أهل التأويل: معنى «مسومين» معلمين.

اللغة، و المعنى: ص : ٥٨٠

و من قرأ بالفتح أراد معنى مرسلين من الإبل السائمة يعنى المرسله فى المرعى التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨١

و السيمة العلامة قال الله تعالى «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ» «١» فالتسويم العلامة قال الشاعر:

مسومين بسيماء النار أنفسهم لا مهتدين ولا بالحق راضينا

و أصل الباب السوم فى المرعى، و هو الاستمرار فيه فمنه السيماء، لأنهم كانوا يعلمونها: إذا أرسلت فى المرعى لثلا تختلط، و منه السوم فى البيع، و منه سوم الرياح استمرارها فى هبوبها. و منه سوم الخسف، لأنه استمرار فى إلزام الشر.

و قوله: «من فورهم» قال ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى و ابن زيد: معناه من وجههم. و قال مجاهد و الضحاك و أبو صالح من غضبهم، فعلى القول الأول إنما هو فور الانتداب لهم، و هو ابتداءه، و على القول الثانى فور الغضب، و هو غليانه.

و أصل الفور فور القدر، و هو غليانها عند شدة الحمى، فمنه فورة الغضب، لأنه كفور القدر بالحمى، و منه جاء فلان على الفور أى على أشد الحمى، لفعله قبل أن تبرد نفسه. و منه فارت العين بالماء أى جاشت به و منه الفوارة، لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما

فيها. فان قيل: كيف قال في الآية الأولى ان الامداد بثلاثة آلاف، و في هذه بخمسة آلاف. و هذا ظاهر التناقض؟! قلنا: لا تناقض في ذلك لأن في الآية الأولى وعد الله المؤمنين على لسان نبيه بأن يمدهم بثلاثة آلاف منزلين ثم قال «بلى إن تصبروا و تتقوا» يعنى تصبروا على الجهاد، و القتال، و تتقوا معاصى الله «و يأتوكم من فورهم» و هذا يعنى ان رجعوا إليكم، لأن الكفار فى غزاه أحد بعد انصرفهم ندموا لم لم يعبروا على المدينة و هموا بالرجوع، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع إليهم. و قال لهم «إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله» «٢» ثم قال إن صبرتم على الجهاد و راجعتم الكفار، أمدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، فأخذوا فى

(١) سورة الفتح آية: ٢٩.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٤٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٢

الجهاز فبلغ ذلك قريشاً فخافوهم أن يكون قد التأم اليهم من كان تأخر عنهم و انضم إليهم غيرهم، فمدسوا نعيم بن مسعود الأشجعى حتى قصدهم بتعظيم أمر قريش و اسرعوا. و القصة معروفة و لذلك قال قوم من المفسرين: ان جميعهم ثمانية آلاف و قال الحسن جميعهم خمسة آلاف منهم الثلاثة آلاف المنزلين على أن الظاهر يقتضى أن الامداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر، لأن قوله: «إذ تقول للمؤمنين» متعلق بقوله: «و لقد نصبركم الله ببدر» «إذ تقول للمؤمنين أن لن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين» ثم استأنف حكم يوم أحد، فقال:

«بلى إن تصبروا و تتقوا و يأتوكم من فورهم» يعنى رجعوا عليكم بعد انصرفهم أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. و القصة فى ذلك معروفة على ما بيناه، و على هذا لا تنافى بينهما، و هذا قول البلخى رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: لم يمدوا يوم أحد و لا بملك واحد. فان قيل لم لم يمدوا بالملائكة فى سائر الحروب؟ قلنا: ذلك تابع للمصلحة فإذا علم الله المصلحة فى إمدادهم أمدهم.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٦] ص: ٥٨٢

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) آية.

الهاء فى قوله: «وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ» عائده على ذكر الأمداد و الوعد فيعود على معلوم بالدلالة عليه غير مذكور باسمه لأن يمدد يدل على الذكر للامداد و مثله «إذ عرض عليه بالعشي الصافات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب» «١» أى الشمس. و قال لبيد:

حتى إذا ألفت يداً فى كافر و أجن عورات الثغور ظلامها «٢»

أى ألفت الشمس فرد الضمير إلى معلوم ليس بمذكور. و قال قوم: ان الضمير

(١) سورة ص آية: ٣٢.

(٢) دائرة المعارف لوجدى. و غيرها. الكافر: الليل و الاجنان: الستر و الثغر:

موضع المخافة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٣

راجع إلى الامداد نفسه. و الاول أقوى لأن البشرى فى صفات الانزال و ذلك يليق بذكر الامداد. و الفرق بين قوله: «وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ» و قوله و اطمئنانا لقلوبكم، أن الوعد فى أحدهما اطمئنان، و فى الآخر سببه الاطمئنان، فهو أشد فى تحقيق الكلام من أجل دخول اللام. و قوله: «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه أن الحاجة لازمة فى المعونة و ان أمدهم بالملائكة فإنهم لا يستغنون عن معونته طرفه عين فى تقوية قلوبهم و خذلان عدوهم بضعف قلوبهم إلى غير ذلك من الأمور التى لا قوام لهم إلا بها و لا متكل لهم إلا عليها. فان قيل: كيف قال «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و قد ينصر المؤمنون بعضهم بعضاً و بعض المشركين بعضاً؟ قلنا: لأن نصر بعض المؤمنين بعضاً من عند الله لأنه بمعونته و حسن توفيقه، و أما نصر المشركين بعضهم لبعض، فلا يعتد به، لأنه بخذلان الله من حيث أن عاقبته إلى شر مآل من العقاب الدائم. و قوله: «الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» معناه هاهنا العزيز فى انتقامه من الكفار بأيدي المؤمنين، الحكيم فى تدبيره للعالمين ليعلمهم بأن حربهم للمشركين يجرى على إعزاز الدين، و الحكمة فى تدبير المكلفين و معنى العزيز المنيع باقتداره.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٧] ص : ٥٨٣

إشارة

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧)
آية.

المعنى: ص : ٥٨٣

قوله: «لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يحتمل أن يتصل بثلاثة أشياء: أحدها- «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ».
الثانى- بقوله و لقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفاً.

الثالث- ذلك التدبير ليقطع طرفاً. التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٤

و اليوم الذى قطع فيه الطرف من الذين كفروا: هو يوم بدر بقتل صناديدهم و رؤسائهم و قادتهم إلى الكفر فى قول الحسن، و الربيع، و قتادة. و قال السدى:

هو يوم أحد قتل منهم ثمانية عشر رجلاً. و إنما قال: «لِيَقْطَعَ طَرَفًا» منهم و لم يقل ليقطع وسطاً منهم، لأنه لا يوصل إلى الوسط منهم إلا بعد قطع الطرف و مثله «قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ» (١) و المراد بالآية ليقطع قطعة منهم.

اللغة: ص : ٥٨٤

و قوله: «أو يكتبهم» فالكتب الخزى. و معناه أو يخزيهم فى قول الربيع، و قتادة. و قال الخليل: الكبت صرع الشىء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا.

و حقيقة الكبت شدة و هن يقع فى القلب فربما صرع الإنسان لوجهه للخور الذى يدخله. و قوله: «فينقلبوا» أى فيرجعوا «خائبين» الخائب المنقطع عما أمل، و لا- تكون الخيبة إلا- بعد الأمل، لأنها امتناع نيل ما أمل. و اليأس قد يكون قبل الأمل و يكون بعده. و اليأس و الرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة و الظفر، يقال: خاب يخيب خيبة و خيبه الله تخيباً. و الخيبة حرمان المراد.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٨] ص : ٥٨٤

إشارة

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)
آية بلا خلاف.

القصة، والمعنى: ص: ٥٨٤

روى عن أنس بن مالك و ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و الربيع: انه لما كان من المشركين يوم أحد من كسر رباعية النبي (ص) و شجّه حتى جرت الدماء على وجهه، قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم، و هو مع ذلك حريص على

(١) سورة التوبة آية: ١٢٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٥

دعائهم إلى ربهم، فنزلت هذه الآية، فأعلمه الله أنه ليس إليه فلاحهم و أنه ليس إليه إلا أن يبلغ الرسالة و يجاهد حتى يظهر الدين. و كان الذي كسر رباعيته و شجّه في وجهه عتبة بن أبي وقاص، فدعا (ع) عليه الا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً، فمات كافراً قبل حول الحول. و قيل: انه هم بالدعاء عليهم، فنزلت الآية تسكيناً له، فكف عن ذلك. و قال أبو على الجبائي: انه استأذن ربه يوم أحد في الدعاء عليهم، فنزلت الآية، فلم يدع عليهم بعداب الاستئصال و إنما لم يؤذن فيه لما كان في المعلوم من توبه بعضهم، و إنابته، فلم يجز أن يقطعوا عن التوبة بعداب الاستئصال. فان قيل كيف قال «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» مع أن له أن يدعوهم إلى الله و يؤدي إليهم ما أمره بتبليغه؟ قيل: لأن معناه ليس لك من الأمر شيء في عقابهم أو استصلاحهم حتى تقع إنابتهم، فجاء الكلام على الإيجاز، لأن المعنى مفهوم للدلالة الحال عليه و أيضاً فانه لا يعتد بما له في تديبرهم مع تديبر الله لهم، فكأنه قال ليس لك من الأمر شيء على وجه من الوجوه.

و قوله: «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قيل في معناه قولان:

أحدهما- أو يلطف لهم بما يقع معه توبتهم، فيتوب عليهم بلطفه لهم.

و الآخر- أو يقبل توبتهم إذا تابوا، كما قال تعالى «غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ» «١» و لا تصح هذه الصفة إلا لله عز و جل، لأنه يملك الجزاء بالثواب، و العقاب. فان قيل: كيف قال «أو يعذبهم» مع ما في المعلوم من أن بعضهم يؤمن؟ قيل: لأنهم يستحقون ذلك باجرامهم بمعنى أنه لو فعل بهم لم يكن ظلماً، و ان كان لا يجوز أن يقع لوجه آخر يجري مجرى تبتيتهم لاستصلاح غيرهم. و قيل في نصب «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» وجهان:

أحدهما- أنه بالعطف على «لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ» «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ» و يكون «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» اعتراضاً بين المعطوف و المعطوف عليه كما تقول: ضربت زيدا فافهم ذاك و عمراً.

(١) سورة المؤمن آية: ٣. [...]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٦

الثاني- أن تكون أو بمعنى إلا- أن، كأنه قال: (ليس لك من الأمر شيء) إلا أن يتوب الله عليهم أو يعذبهم فيكون أمرك تابعا لأمر الله برضاك بتديبره فيه قال امرؤ القيس:

فقلت له: لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعدرا «١»

أراد إلا أن نموت أو حتى نموت.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٢٩] ص : ٥٨٦

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩)
آية بلا خلاف.

عموم قوله: وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يقتضى أن له تعالى ملك ما فى السماوات، و ما فى الأرض، و أن له التصرف فيهما كيف شاء بلا دافع، و لا مانع، غير أنه لا بد من تخصيص هذا العموم من حيث أنه ينزه عن الصاحبة و الولد على كل وجه. و أوجه ما قلناه. و انما ذكر لفظ (ما) لأنها أعم من (من) لأنها تتناول ما يعقل، و ما لا يعقل، لأنها تفيد الجنس و لو قال من فى السماوات و من فى الأرض لم يدخل فيه إلا-العقلاء إلا- أن يحمل على التغليب و ذلك ليس بحقيقة. و قوله: «يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ» دليل على أن حسن العفو عن مستحق العذاب، و ان لم يتب لأنه لم يشترط فيه التوبة. و قوله: «وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ» يعنى ممن يستحق العذاب، لأن من لا يستحق العذاب لا يشأ عذابه، لأنه ظلم يتعالى الله عن ذلك و فى ذلك دلالة على جواز العفو بلا توبة، لأنه علق عذابه بمشيئته، فدل على أنه لو لم يشأ، لكان له ذلك، و لا يلزم على ما قلناه الشك فى جواز غفران عقاب الكفار، لأن ذلك أخرجناه من العموم بدلالة إجماع الأمة على أنه لا يغفر

(١) ديوانه: ٨٩ يقول: انا نطلب الملك فان وصلنا اليه و الانبقى فى طلبه حتى نموت دونه و هذا عذرنا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٧

الشرك. و بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» (١) و لو لا ذلك لكننا نجوز العفو عنهم أيضاً و وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما قال ليس لك من الأمر شيء عقب ذلك بأن الأمر كله لله فى السماوات و الأرضين.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٠] ص : ٥٨٧

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)
آية.

النظم، المعنى: ص : ٥٨٧

لما ذكر الله تعالى أن له عذاب من يشاء، و العفو عن من يشاء، وصل ذلك بالنهاى عما لو فعلوه لاستحقوا عليه العقاب، و عذبوا عليه، و هو الربا، و الربا المنهى عنه قال عطاء، و مجاهد: هو ربا الجاهلية، و هو الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال. و يدخل فيه كل زيادة محرمة فى المعاملة من جهة المضاعفة، و وجه تحريم الربا هو المصلحة التى علمها الله تعالى. و قيل فيه وجوه على وجه التقريب: منها للفصل بينه و بين البيع. و منها- أنه مثال العدل يدعو إليه و يحض عليه. و منها-

أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق بالاقراض و إنظار المعسر من غير زيادة.

و هذا الوجه روى عن أبى عبد الله (ع).

و قوله: «أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً» قيل فى معناه هاهنا قولان:

أحدهما- للمضاعفة بالتأخير أجلا بعد أجل كلما آخر عن أجل إلى غيره زيد عليه زيادة على المال.
الثاني- «أضعافاً مضاعفةً» أى يضاعفون فى أموالكم. وقيل فى تكرير تحريم الربا هاهنا مع ما تقدم فى قوله: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ
الرِّبَا» (٢) و غير ذلك قولان:

(١) سورة النساء آية: ٤٧، ١١٥.

(٢) سورة البقرة آية: ٢٧٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٨

أحدهما- للتصريح بالنهى عنه بعد الاخبار بتحريمه لما فى ذلك من تصريح الخطر له و شدة التحرز منه.

الثاني- لتأكيد النهى عن هذا الضرب منه الذى يجرى على الاضعاف المضاعفة.

وقوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معناه اتقوا معاصيه. وقيل: اتقوا عذابه بترك معاصيه «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، لكى تنجحوا بإدراك ما تأملونه، و تفوزوا
بثواب الجنة، لأن (لعل) و ان كان للشك، فان ذلك لا يجوز على الله تعالى. و قد بينا لذلك نظائر فيما مضى.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٣١ الى ١٣٢] ص: ٥٨٨

إشارة

وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)
آيتان بلا خلاف.

المعنى: ص: ٥٨٨

فان قيل: كيف قال «وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» و عندكم يجوز أن يدخلها الفساق أيضاً. و عند المعتزلة كلهم يدخلها الفساق
قطعاً. و هلا قال: أعدت للجميع؟ قلنا أما على ما نذهب إليه، ففائدة ذلك اعلامنا أنها أعدت للكافرين قطعاً. و ذلك غير حاصل فى
الفساق، لأننا نجوز العفو عنهم. و من قال أعدت للفساق قال أضيفت إلى الكافرين، لأنهم أحق بها. و إن كان الجميع يستحقونها، لأن
الكفر أعظم المعاصى فأعدت النار للكافرين. و يكون غيرهم من الفساق تبعاً لهم فى دخولها. فان قيل: فعلى هذا هل يجوز أن يقال:
ان النار أعدت لغير الكافرين من الفاسقين؟ قلنا عن ذلك أجوبة:

أحدها- قال الحسن يجوز ذلك، لأنه من الخاص الذى معه دلالة على العام، كما قال: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٨٩
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ»

«١» و ليس كل من دخل النار كفر بعد إيمانه. و مثله قوله: «كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» (٢) و ليس كل الكفار
يقول ذلك. و منه قوله: «فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ وَ الْجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ. قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (٣) و ليس كل الكفار سوا الشياطين برب العالمين.

و الثاني- أنه لا يقال أعدت لغيرهم من الفاسقين، لأن اعدادها للكافرين من حيث كان عقابهم هو المعتمد و عقاب الآخرين له تبع،
كما قال: «وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (٤) و لا خلاف أنه يدخلها الأطفال و المجانين إلا أنهم تبع للمتقين، لأنه
لولاهم لم يدخلوها. و لا يقال: إن الجنة أعدت لغير المتقين.

الثالث- أن تكون هذه النار ناراً مخصوصة فيها الكفار خاصة دون الفساق و ان كان هناك نار أخرى يدخلها الفساق، كما قال: «لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» (٥) و كما قال: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» (٦) و هذا قول أبي علي. و استدل البلخي بهذه الآية على أن الربا كبيرة، لأن تقديره «وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» أن يأكلوا الربا، فيستحقونها. و الإجماع حاصل على أن الربا كبيرة، فلا- يحتاج إلى هذا التأويل، لأن الآية يمكن أن يقول قائل: إنها بمعنى الزجر و التحذير عن الكفر، فقط و قوله: «أعدت» فالاعداد هو تقديم عمل الشيء لغيره مما هو متأخر عنه و قد قدم فعل النار ليصلاها الكفار. و الاعداد و الإيجاد و التهيئة و التقدمة متقاربة المعنى و قوله: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ»: أمر بالطاعة لله و رسوله. و الوجه في الأمر بالطاعة لله و رسوله مع أن العقل دال عليه يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون ذلك تأكيداً لما في العقل، كما وردت نظائره، كقوله:

(١) سورة آل عمران آية: ١٠٦.

(٢) سورة الملك آية: ٨.

(٣) سورة الشعراء آية: ٩٤-٩٨.

(٤) سورة آل عمران آية: ١٣٣.

(٥) سورة الليل آية: ١٥-١٦.

(٦) سورة النساء آية: ١٤٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٠

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (١) «وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» (٢) و غير ذلك.

و الثاني- لاتصاله بأمر الربا الذي لا تجب الطاعة فيه إلا بالسمع، لأنه ليس مما يجب تحريمه عقلاً كما يجب تحريم الظلم بالعقل، فان قيل: إذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- المقصود بها طاعة الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعة الله تعالى.

الثاني- ليعلم أن من أطاعه فيما دعا إليه كمن أطاع الله، فيسارع إلى ذلك بأمر الله. و الطاعة موافقة الارادة الداعية إلى الفعل بطريق الرغبة، و الرهبة. و لذلك صح أن يجيب الله تعالى عبده، و ان لم يصح منه أن يطيعه، لأن الاجابة إنما هي موافقة الارادة مع القصد إلى موافقتها على حد ما وقعت من المرید. و قوله:

«لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» يحتمل أمرين:

أحدهما- لترحموا. و قد بينا لذلك نظائر.

و الثاني- ان معناه ينبغى للعباد أن يعملوا بطاعة الله على الرجاء للرحمة بدخول الجنة، لئلا- يزلوا فيستحقوا الإحباط و العقوبة أو يوقعوها على وجه لا يستحق به الثواب، بل يستحق به العقاب. و فيها معنى الشك، لكنه للعباد دون الله تعالى.

النظم: ص: ٥٩٠

و قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها قولان:

أحدهما- لاتصال الأمر بالطاعة بالنهي عن أكل «الرَّبْوَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً» كأنه قال و أطيعوا الله فيما نهاكم عنه من أكل الربا، و غيره لتكونوا على سبيل الهدى.

الثاني- قال ابن إسحاق: انه معاتبه للذين عصوا رسول الله (ص)، بما أمرهم به يوم أحد: من لزوم مراكزهم، فخالفوا و اشتغلوا بالغنيمه

إلا

(١) سورة الشورى آية: ١١.

(٢) سورة الانعام آية: ١٠٣.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩١

طائفه منهم قتلوا. و كان ذلك سبب هزيمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٣] ص : ٥٩١

وَ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)
آية.

قرأ نافع و ابن عامر «سارعوا» بلا-واو، و الباقون بالواو، و كذلك هي في مصاحف أهل الشام بلا واو. و في مصاحف أهل العراق بالواو، و المعنى واحد، و إنما الفرق بينهما استئناف الكلام إذا كان بلا واو، و وصلها بما تقدم إذا قرئ بواو، لأنه يكون عطفاً على ما تقدم. و في هذه الآية الامر بالمبادرة إلى مغفرة الله باجتناح معصيته و إلى الجنة التي عرضها السماوات و الأرض بفعل طاعته.

و اختلفوا في قوله «عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ» فقال ابن عباس، و الحسن:

معناه عرضها كعرض السماوات السبع، و الأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض، و اختاره الجبائي، و البلخي. و إنما ذكر العرض بالعظم دون الطول، لأنه يدل على أن الطول أعظم، و ليس كذلك لو ذكر الطول بدلاً من العرض. و مثل الآية قوله: «مَا خَلَقْنَاكُمْ وَ لَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً» (١) و معناه إلا كبعث نفس واحدة. و قال الشاعر:

كأن عذيرهم بجنوب سلى نعام فاق في بلد قفار «٢»

أى عذير نعام و قال آخر:

(١) سورة لقمان آية: ٢٨.

(٢) قائله شفيق بن جزء بن رباح الباهلي و قد نسبه بعضهم لاعشى باهلة. و نسب أيضاً للنابعة خطأ. اللسان (فوق) (سلل)، و معجم البلدان (سلى)، و الكامل للمبرد ٣: ١٩٦.

و كان شفيق قد أغار على بنى ضبة بروضة سلى، و روضة ساجر فهزم أهلها. و هما روضتان لعكل.

و ضبة و عدى و تيم و عكل حلفاء متجاورون فلما هزموا قال بهم شفيق أبيات منها هذا البيت.

و العذير: الحال المقافات: صوت الطائر إذ كان مذعوراً و القفار: المكان الذي ليس به انس و كأنه بقول هزمناهم شر هزيمة و كانت حالهم مثل حال الطائر الذي في أرض قفرة إذا أتاه الصياد

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٢

حسبت بغام راحلنى عناقا و ما هى ويب غيرك بالعناق «١»

أى صوت عناق. و قال أبو مسلم: معناه ثمنها لو بيعت كثمن السماوات و الأرض لو بيعا. كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع. و المراد بذلك عظم مقدارها، و جلاله قدرها، و انه لا يوازيها شىء و إن عظم، و هذا مليح غير أن فيه تعسفاً شديداً. فان قيل إذا كانت الجنة عرضها السماوات و الأرض فأين تكون النار؟! الجواب

أنه روى عن النبي (ص) أنه لما سئل عن ذلك، فقال: «سبحان الله إذا جاء النهار فأين الليل» و هذه معارضة فيها إسقاط المسألة، لأن

القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يذهب بالنهار حيث شاء.

و روى أنه سئل عن ذلك ابن عباس، وغيره من الصحابة، فان قيل فان الجنة في السماء، كيف يكون لها هذا العرض؟ قيل له يزداد فيها يوم القيامة.

ذكره أبو بكر أحمد بن علي بن علي تسليم انها في السماء و يجوز أن تكون الجنة مخلوقة في غير السماوات والأرض. و في الناس من قال: ان الجنة والنار ما خلقتا بعد و إنما يخلقهما الله على ما وصفه. و قال البلخي المراد بذلك وصفها بالسعة والعظم، كما يقول القائل في دار واسعة هذه دنيا و غرضه بذلك وصفه لها بالكبر و قوله: «أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» معنى المتقين المطيعين لله و رسوله لاجتنابهم المعاصي و فعلهم الطاعات.

و يجوز لاحتجازهم بالطاعة من العقوبة. و إنما أضيفت إلى المتقين، لأنهم المقصودون بها، و ان دخلها الأطفال، و المجانين، فعلى وجه التبع، و كذلك حكم الفساق لو عفى عنهم.

و فيمن تكلم في أصول الفقه من استدلل بقوله: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ» على أن الأمر يقتضى الفور دون التراخي، لأنه تعالى أمر بالمسارعة و المبادرة إلى مغفرة و ذلك يقتضى التعجيل. و من خالف في ذلك، قال: المسارعة إلى ما يقتضى

(١) قائله ذو الخرق الطهورى أو الطهورى انظر الاختلاف في اسمه في المؤلف و المختلف ١١٩، و خزانه الأدب ١: ٢٠، ٢١ و نوادر أبى زيد: ١١٦، و معانى القرآن للفراء ١:

٦١-٦٢، و اللسان (ويب)، (عق)، (عقا)، (بغم) و غيرها و هو من أبيات يقولها لذئب قد تبعه في طريقه و العناق هي أنثى المعز. و البغام صوت الظبية أو الناقة و استعاره هنا للمعز [.....]

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٣

الغفران واجبة و هي التوبة، و وجوبها على الفور. فمن أين أن جميع المأمورات كذلك.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٤] ص: ٥٩٣

إشارة

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)
آية.

المعنى: ص: ٥٩٣

«الذين» في موضع الجر، لأنه صفة المتقين، فذكر الله صفاتهم التي تعلق بها درجاتهم منها: أنهم يتقون عذاب الله بفعل طاعته، و الانتها عن معصيته.

و انهم ينفقون في السراء، و الضراء و قد بينا فيما تقدم معنى الإنفاق. و قيل في معنى السراء و الضراء. قولان:

أحدهما- قال ابن عباس في اليسر، و العسر، فكانه قال في السراء بكثرة المال، و الضراء بقلته.

الثاني- في حال السرور، و حال الاغتمام. أى لا يقطعهم شىء من ذلك عن إنفاقه في وجوه البر، فيدخل فيه اليسر و العسر. و إنما خصا بالذكر في التأويل الأول، لأن السرور بالمال يدعو إلى الظن به. كما يدعو ضيقه إلى التمسك به خوف الفقر، لانفاقه. و قوله تعالى: «وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ» أى المتجرعين له، فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك، و يتجرعونه.

اللغة: ص : ٥٩٣

و أصل الكظم شد رأس القربة عن ملئها. تقول: كظمت القربة إذا ملأتها ماء ثم شددت رأسها. و فلان كظيم و مكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً. و منه قوله:

«وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» (١) أى ممتلى حزناً. و كذلك إذا

(١) سورة يوسف آية: ٧٤.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٤

امتلاءً غضباً لم ينتقم، و كظم البعير، و الناقة إذا لم تجر. و الكظامه القناه التي تجرى تحت الأرض، سميت بذلك، لامتلأها بالماء كامتلاء القربة المكظومة. و يقال:

أخذ بكظمه أى بمجرى نفسه، لأنه موضع الامتلاء بالنفس. و كظامه الميزان المسمار الذى يدور فيه اللسان، لأنه يشده و يعتمد عليه. و الفرق بين الغيظ، و الغضب أن الغضب ضد الرضا، و هو ارادة العقاب المستحق بالمعاصى، و لعنه. و ليس كذلك الغيظ، لأنه هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصى، و لذلك يقال غضب الله على الكفار، و لا يقال اغتاظ منهم.

المعنى: ص : ٥٩٤

و روى عن النبى (ص) أنه قال: (ما من جرعة يتجرعها الرجل أو الإنسان أعظم أجراً من جرعة غيظ فى الله) و فى الآية دلالة على جواز العفو عن المعاصى و إن لم يتب، لأنها دلت على الترغيب فى العفو من غير إيجاب له بإجماع المسلمين. و قوله «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» معناه يريد اثابتهم و تنعيمهم. و المحسن يحتمل أمرين: أحدهما- من هو منعم على غيره على وجه عار من وجوه القبيح. و يحتمل أن يكون مشتقاً من الافعال الحسنه التى منها الإحسان إلى الغير، و غير ذلك من وجوه الطاعات و القربات.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٥] ص : ٥٩٤

إشارة

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَمْ يُصَبِّرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)
آية بلا خلاف.

الاعراب: ص : ٥٩٤

قوله: «و الذين» يحتمل أن يكون موضعه جراً بالعطف على المتقين، التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٥
فيكون من صفتهم ما تضمنه على قول الحسن، و يحتمل أن يكون رفعاً على الاستئناف، و يكون عطف جملة على جملة، فيكون من صفة فرقة غير الأولى، و يجوز أن يرجع إلى الأولى فى الموضع على المدح.

المعنى: ص : ٥٩٥

و قوله: «إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً» يحتمل أن يكون أراد غير الظلم، و لذلك عطف عليه بقوله: «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» حتى لا يكون تكراراً. و قال الرماني: أراد بالفاحشة الكبيرة، و ب «ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» الصغيرة. و قال مجاهد: هما ذنبان و أصل الفاحشة الفحش، و هو الخروج إلى عظم القبح في العقل أو رأى العين فيه.

و كذلك قيل للطويل المفرط أنه الفاحش الطول، و أفحش فلان في كلامه إذا أفصح بذكر الفحش. و قال جابر و السدي: الفاحشة هاهنا: الزنا أو ما جرى مجراه من الكبير. و قوله: «ذكروا الله» في معناه قولان:

أحدهما- ذكروا و عید الله، فيكون من الذكر بعد النسيان. و المدح على أنهم تعرضوا للذكر.

و الآخر- أنهم ذكروا الله بأن قالوا: اللهم اغفر لنا ذنوبنا، فانا تبنا، نادمين عليها مقلعين عنها و قال ابن مسعود، و عطا ابن أبي رباح: كانت بنو إسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنباً أصبح مكتوباً على بابه كفارة ذنبيك اجدع اذنك اجدع انفك، فسهل الله ذلك على هذه الأمة بأن جعل توبتها الاستغفار بدلا منه منه تعالى. و قوله: «وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» الرفع محمول على المعنى. و تقديره: و هل يغفر الذنوب إلا الله أو هل رئى أحد يغفر الذنوب إلا الله.

فان قيل: كيف قال: «وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» و قد يغفر بعضنا لبعض إساءته إليه؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما- أنه أراد بذلك غفران الكبائر العظام، لأن الإساءة من بعضنا لبعض صغيرة بالاضافة إلى ما يستحق من جهته. التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٦

و الثاني- أنه لا يغفر الذنب الذى يستحق عليه العقاب إلا الله تعالى.

و قوله: «وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا» فالإصرار هو المقام على الذنب من غير إقلاع منه بالتوبة في قول قتادة و قال الحسن: هو فعل الذنب من غير توبة و الأول أقوى، لأنه نقيض التوبة. و أصله الشد من الصرة و الصر شدة البرد، و الإصرار إنما هو ارتباط الذنب بالاقامة عليه. و ما قاله الحسن هو فى حكم الإصرار.

و قوله: «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» هاهنا يحتمل أمرين:

أحدهما- و هم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين، و لا ناسين. قال الجبائي، و الله عز و جل يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه، و ان لم يتب منه بعينه، كما يغفر له ما تاب منه، لأنه قد فعل فى حال النسيان جميع ما عليه.

و الثاني- و هم يعلمون الحجة فى أنها خطيئة. و أما من اجتهد فى الأحكام فأخطأ على مذهب من يقول بالاجتهاد، فلا اثم عليه، و كذلك من تزوج بذات محرمة من الرضاع أو النسب و هو لا يعلم، أو غير ذلك، فلا اثم عليه بلا خلاف لأنه لم يعلم ذلك، فاقدم عليه، و لا يلزم على ذلك أن يكون الكافر معذوراً بكفره إذا لم يعلمه قبيحاً، لأن الكافر له طريق إلى العلم به، و كذلك نقول: إن من أسلم فى دار الحرب، و خرج فاستحل فى طريقه الخمر أو لحم الخنزير قبل أن يعلم تحريمها من الشرع، فلا اثم عليه، لأنه فى تلك الحال لا طريق له إلى العلم بقبحه.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٦] ص : ٥٩٦

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعَمَ أَجْرٍ الْعَامِلِينَ (١٣٦) آية واحدة.

قوله: «أولئك» اشارة إلى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون فى السراء و الضراء، و يكظمون الغيظ، و يعفون عن الناس، «و إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم»، فقال هؤلاء: «لهم جنات النيران فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٧

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا»

وقد مضى تفسير ذلك أجمع فيما مضى ثم قال «وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» يعنى ما وصفه من الجنات و أنواع الثواب، و المغفرة بستر الذنب حتى تصير كأنها لم تعمل فى زوال العار بها و العقوبة بها، و الله تعالى متفضل بذلك لأننا بينا أن إسقاط العذاب «١» عند التوبة تفضل منه تعالى، فأما استحقاق الثواب بالتوبة فواجب عقلا لا محالة، لأنه لو لم يكن مستحقاً لذلك لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة و الكلفة.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٧] ص : ٥٩٧

إشارة

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٧) آية.

المعنى: ص : ٥٩٧

معنى قوله: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ» أى سنن من الله تعالى فى الأمم السالفة إذ «٢» كذبوا رسله و جحدوا نبوتهم بالاستئصال، و الاجتياح، كعاد، و ثمود، و قوم صالح، و قوم لوط الذين أهلكهم الله بأنواع العذاب من الاستئصال «٣» فبقيت «٤» لهم آثار فى الديار فيها أعظم الاعتبار و الاعتاظ - على قول الحسن، و ابن إسحاق - فأمر الله أن يسيروا فى الأرض، و يتعرفوا أخبارهم، و ما نزل بهم ليتعظوا بذلك، و ينتهوا عن مثل ما فعلوه. و قال الزجاج: معناه «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ» أهل «سنن» فى الشر.

اللغة و المعنى: ص : ٥٩٧

و السنة: الطريقة المجعولة ليقتندى بها، فمن ذلك سنة رسول الله (ص).

(١) فى المخطوطة (أ): العقاب.

(٢) فى المطبوعة و مخطوطة (أ): (إذا).

(٣) فى المخطوطة (أ) ساقط سطر من هذا الموضع

(٤) فى المطبوعة (و بقت).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٨

و قال لييد:

من معشر سنت لهم آباؤهم و لكل قوم سنة و إمامها «١»

و قال سليمان بن قتة: «٢»

و إن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا «٣»

سنة الله عز و جل الإهلاك للأمم الضالة بهذه المنزلة. و أصل السنة الاستمرار فى جهة. سن الماء سناً: إذا صبه حتى يفيض من الإناء.

و سنه بالمسن إذا أمره عليه لتحديده. و فلان مسنون الوجه أى مستطيله. و قوله: «مِنْ حَمًا مَسْنُونٍ» قيل معناه متغير، لاستمرار الزمان به حتى تغير. و منه السن واحد الأسنان، لاستمرارها على منهاج. و السنان، لاستمرار الطعن به. و السنن استمرار الطريق. و الخلو: الانفراد، فمنه الخلاء، لانفراد المكان. و منه التخليء لانفراد الشيء بها عن صاحبه. و منه الخليء من النوق التي خلا ولدها بذبح أو موت، لانفرادها عنه.

و الخليء من السفن التي تخلى تسير في نفسها. و منه الخلا مقصور: الحشيش اختليته إذا قطعته، لانفراده بالقطع. و منه المخلاة. و من ذلك المخالاة المخادعة، لانفراد صاحبها بمن يخاليه يوهمه التخصص به، فمعنى «خلت» انفردت بالهلاك دون من بقى. و قوله: «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ» فالعاقبة هو ما يؤدي إليها السبب المتقدم، و ليس كذلك الآخرة، لأنه قد كان يمكن أن تجعل هي الأولى في العدة للمكذبين يريد به الجاحدين البعث، و النشور، و الثواب، و العقاب الدافعين لمن يخبر بذلك بالرد بالتكذيب، فجازاهم الله تعالى في الدنيا بعذاب الاستئصال، و لهم في الآخرة عظيم النكال.

(١) البيت من معلقته الشهيرة البارعة يذكر بها قومه و فضلهم. يقول: هذه الصفات الحميدة- التي تقدم وصفها- هي سنة آبائهم ...
(٢) (قتة) أمه و هو مولى لثيم قريش، و هو من التابعين. و زعم بعضهم أنه (سليمان ابن ضبيب المحارمي) و هو خطأ.
(٣) تاريخ الطبرى ٧: ١٨٤، و انساب الاشراف ٥: ٣٣٩ و أملى الشجرى ١: ١٣١، و اللسان (أسى) و غيرها. و هذا البيت أنشده مصعب بن الزبير قبل مقتله.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٥٩٩

و قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): آية ١٣٨] ص: ٥٩٩

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)
آية اجماعاً.

قال الحسن و قتادة: قوله: «هذا» إشارة إلى القرآن، و وصفه بأنه بيان، لأنه دلالة للناس، و حجة لهم، و البيان هو الدلالة. و قال ابن إسحاق هو إشارة إلى ما تقدم ذكره في قوله: «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ...» الآية أى هذا الذى عرفتمكم بيان للناس، و هو اختيار البلخي، و الطبرى. و الفرق بين البيان، و الهدى- على ما قاله الرماني- أن البيان إظهار المعنى للنفس كائنا ما كان. و الهدى: بيان لطريق الرشده، ليسلك دون طريق الغى. و الموعظة ما يلين القلب و يدعو إلى التمسك، بما فيه من الزجر عن القبيح، و الدعاء إلى الجميل. و قيل الموعظة: هو ما يدعو «١» بالرغبة، و الرهبة إلى الحسنه بدلا من السيئة. و الهدى المذكور فى الآية يحتمل معنيين: أحدهما- أن يكون عبارة عن اللطف الذى يدعو إلى فعل الطاعة بدلا من المعصية، لأنه بمنزلة الإرشاد.

و الآخر- الدلالة على طريق الرشده. و إنما أضيف إلى المتقين، و ان كان هدى لجميع المكلفين، لأنهم المنتفعون به دون غيرهم. و لا يجوز ان يقال: القرآن هدى و موعظة للفاجرين إلا بتفسير و بيان، لأن فى «٢» ذلك إيهاماً، لانتفاعهم به فان قيد بأنه دلالة لهم وداع لهم إلى فعل الطاعة، و ذكر ما يزيل الإيهام كان جائزاً. و ينبغى أن يتبع فى ذلك ما ورد به القرآن.

قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣): الآيات ١٣٩ الى ١٤٠] ص: ٥٩٩

إشارة

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْمَاعِلُونَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنَّ يَمَسُّكُمْ فَوْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَوْحٌ مِثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)

(١) في المخطوطة أ (بالموعظة ما يدعو) بإسقاط هو

(٢) في المخطوطة (أ) لأن ذلك بإسقاط في.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٠٠

آيتان.

القراءة، و اللغة: ص : ٦٠٠

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً (قرح) بضم القاف. الباقون بفتحها. و الفرق بينهما أن القرح- بفتح القاف- الجراح، و القرح- بالضم- ألم الجراح على قول أكثر المفسرين. و قيل هما لغتان.

المعنى، و النزول: ص : ٦٠٠

و قال ابن عباس، و الحسن، و الربيع: القرح ما أصاب المسلمين يوم أحد و أصاب المشركين يوم بدر. و قال الزهري، و قتادة، و ابن أبي نجيح: هذه الآية نزلت تسلياً للمسلمين لما نالهم يوم أحد من القتل، و الجراح، و كان سبب نزول الآية ما قدمنا ذكره من أن الله تعالى أراد أن يرعب الكفار، فأمر المسلمين أن يتبعوا المشركين على ما بهم من الجراح، و الألم و حثهم على ذلك و نهاهم عن الوهن و الحزن، و وعدهم بأنهم الأعلون إن تمسكوا بالايمان، لأن المشركين كانوا هموا بالعود إلى المدينة، و الغارة فيها، فلما بلغهم عزيمة المسلمين على تتبعهم خافوهم.

و قال بعضهم لبعض يوشك أن يكون انضم إليهم من كان قعد عنهم، و أعانهم أحلافهم من بنى قريظة، و النصير فدسوا نعيم بن مسعود الأشجعي و بذلوا له عشر قلائص على أن يثبط المسلمين عن تتبعهم، و يقول: إنهم تجمعوا و انضم إليهم حلفاؤهم، و هم يريدونكم و لا طاقة لكم بهم، و أسرعوا المسير إلى مكة فأوحى الله بذلك إلى النبي (ص) و أعلمه ما قالوا للنعيم، فلما قال لهم ما قال، قال المسلمون:

«حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و فيهم نزلت الآية «١»

(١) في المخطوطة (أ) بزيادة: و هي قوله تعالى.

التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٠١

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) إلى قوله: «وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» «١» و ما بعده. و إنما قال: «إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مع أنهم كانوا مؤمنين للبيان عن ان الايمان يوجب تلك الحال، و تقديره إن من كان مؤمناً يجب عليه ألا يهن و لا يحزن، لثقتة بالله. و يحتمل أيضاً أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدي لكم بنصرتي إياكم حتى تستعلوا على عدوكم، و تظفروا بهم.

اللغة، و الاعراب، و المعنى: ص : ٦٠١

و الوهن الضعف، و هن يهن و هنا، فهو واهن: إذا ضعف. و أوهنه يوهنه أيهاناً. و توهن توهناً، و وهنه توهيناً. و الوهن: ساعة تمضي من الليل. و الواهن عرق مستبطن حبل العاتق إلى الكتف.

وقوله: «وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ» جملة في موضع الحال، كأنه قال لا تحزنوا عالين أى منصورين على عدوكم، و يحتمل أن لا يكون لها موضع من الاعراب، لأنها اعتراض بوعده مؤكداً، و تقديره «وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزُنُوا» «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» «وَأَنْتُمْ» مع ذلك «الأعلون».

و أصل الأعلون الأعلون، فحذفت احدى الواوين استثقلاً، و هى الاصلية و بقيت واو الجمع، لأنها لمعنى. فأما فى التثنية فتقول: أنتما الاعليان، فتقلب الواو ياء، و لا تحذفها، لأنه ليس هناك ضرورة.

وقوله: «ان يمسسكم» فالمس هو اللمس بعينه، و قيل الفرق بينهما أن اللمس لصوق باحساس و المس لصوق فقط «٢» و قال ابن عباس: معناه إن يصبكم «٣».

وقوله: «وَتَلْمِكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلَهَا بَيْنَ النَّاسِ» قال الحسن، و قتادة، و الربيع، و السدى، و ابن إسحاق: يصرفها مرة لفرقة، و مرة عليها، و الدولة: الكرة

(١) سورة آل عمران آية: ١٧٣.

(٢) فى المطبوعة الواو ساقطة.

(٣) فى المخطوطة أن التهكم. [...]

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٠٢

لفرقة بنيل المحبة. و أدال الله فلاناً من فلان: إذا جعل الكرة له «١» عليه. و قال الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما ادلنا منها، «و نداولها» إنما هو بتخفيف المحنة تارة و تشديدها أخرى بدليل «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» و لو كانت المداولة بالنصر لا- محالة، للمؤمنين تارة و للكافرين تارة، لكان محبهم من حيث هو ناصر لهم، و العامل فى قوله، و ليعلم الله يحتمل أمرين:

أحدهما- ان يكون محذوفاً يدل عليه أول الكلام، و تقديره و ليعلم الله الذين آمنوا نداولها.

الثانى- أن يعمل فيه «نداولها» الذى فى اللفظ، و تقديره نداولها بين الناس لضروب من التدبير «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» و خبر ليعلم يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون محذوفاً و تقديره «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» متميزين بالايان من غيرهم، و لا يكون على هذا يعلم بمعنى يعرف، لأنه ليس المعنى على تعرف الذوات بل المعنى على أن يعلم تميزها بالايان.

و الثانى- «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى يعاملهم معاملة من يريد أن يعرفهم الله بهذه الحال. و قال أبو على: معناه و ليصبروا فعبّر عن الصبر بالعلم. و قال البلخى «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ» ايمانكم موجوداً أى تفعلونها، فيعلمه الله كذلك. و معنى قوله: «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» فيه قولان:

أحدهما- قال الحسن، و قتادة، و ابن إسحاق، ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد.

الثانى- و يتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان، لما لكم فيه من التعظيم، و التبجيل- هذا قول البلخى و الجبائى- و الأول أقوى لأنه فى ذكر القتل، فان قيل لم جعل الله مداولة الأيام بين الناس، و هلا كانت ابدأً لأولياء الله دون أعدائه؟ قلنا ذلك تابع للمصلحة، و ما تقتضيه الحكمة أن يكونوا تارة فى

(١) فى المخطوطة (الحكم له).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٢، ص: ٦٠٣

شدة و تارة فى رخاء فيكون ذلك داعياً لهم إلى فعل الطاعة، و احتقار الدنيا الفانية المنتقلة من قوم إلى قوم حتى يصير الغنى فقيراً، و الفقير غنياً، و النبيه خاملاً، و الخامل نبياً، فتقل حينئذ الرغبة فيها و الحرص على جمعها، و يقوى الحرص على غيرها مما نعيمه دائم، و

سروره غير منقطع. و قوله: «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» (١) معناه لا يريد منافعهم، و على مذهبا ينبغي أن يكون ذلك مخصوصاً بالكفار، لأنهم إذا كانوا مؤمنين، فلهم ثواب. و الله تعالى لا بد أن يريد فعل ذلك بهم و يحتمل أن يكون المراد بذلك «لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» إذا كانوا مؤمنين محبة خالصة لا يشوبها إرادة عقابهم، لأن ذلك يختص من لا عقاب عليه.

انتهى المجلد الثاني و يليه المجلد الثالث و أوله:

(وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا...) (١٤١)

(١) و قوله ساقطة من المطبوعة.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطقي و مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المبتدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهرية، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعىة و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمىة، الجوامع، الأماكن الدينىة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

(ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنّة

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رَمضان" و "مُفترق" و فائى / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلميه الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإبصار من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

